

تراثنا

صنعة الإلتنا

في
صناعة الإلتنا

تأليف

أبي العباس أحمد بن علي الفلپشندی

٢١٤١٨ - ٥٨٢١

الجزء الثالث



نسخة مصورة عن الطبعة الاميرية
ومذيلة

يتصوبات واستدراكات وفهارس تفصيلية
مع دراسة واقية

وزارة الثقافة والارشاد القومي
المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

Collection of Prof. Muhammad Iqbal Mujaddidi
Preserved in Punjab University Library.

پروفیسر محمد اقبال مجددی کا مجموعہ
پنجاب یونیورسٹی لائبریری میں محفوظ شدہ



132312

مطبع کوستا اسوماس وشرکاه
۵ شارع وقف الخیر بطنی بالطاهر ج.ع.م
تلیفون ۹۰۰۱۱۸ س.ت ۶۳۲۱۱

فهرس

الجزء الثالث من كتاب صبح الأعشى

صفحة

- الفصل الثاني - من الباب الثاني من المقالة الأولى في الكلام على
نفس الخط؛ وفيه ثمانية أطراف ١
- الطرف الأول - في فضيلة الخط ١
- الطرف الثاني - في بيان حقيقة الخط ٣
- الطرف الثالث - في وضع الخط؛ وفيه جملتان ٥
- الجملة الأولى - في بيان المقصود من وضعه، والموازنة بينه
وبين اللفظ... .. ٥
- الجملة الثانية - في أصل وضعه؛ وفيه مسلكان ٦
- المسلك الأول - في وضع مطلق الحروف ٦
- المسلك الثاني - في وضع حروف العربية ٧
- الطرف الرابع - في عدد الحروف وجهة ابتدائها وكيفية ترتيبها؛
وفيه خمس جمل ١٥
- الجملة الأولى - في مطلق الحروف في جميع اللغات ١٥
- الجملة الثانية - في حروف العربية ١٥
- الجملة الثالثة - في بيان جهة إبداءات الحروف... .. ١٧
- الجملة الرابعة - في كيفية ترتيب الحروف ١٨
- الجملة الخامسة - في كيفية صور الحروف العربية، وتداخل
أشكالها ١٩

صحة	
٢٠	الطرف الخامس - في تحسين الخط؛ وفيه جملتان
٢٠	الجملة الأولى - في الحث على تحسين الخط
٢٢	الجملة الثانية - في الطريق إلى تحسين الخط
	الطرف السادس - في قواعد تتعلق بالكتابة لا يستغنى الكاتب المجيد
٢٣	عن معرفتها؛ وفيه جملتان
٢٣	الجملة الأولى - في هندسة الحروف، ومعرفة اعتبار صحتها
	الجملة الثانية - في معرفة ما يقع به ابتداء الحروف وانتهائها
	من نقطة أو شظية أو غير ذلك، أما الابتداء فعلى
٣٥	ثلاثة أضرب
٣٥	الضرب الأول - ما يتبدأ بنقطة
٣٥	الضرب الثاني - ما يتبدأ بشظية
٣٦	الضرب الثالث - ما يتبدأ بحلقة
٣٦	الضرب الأول - [من ضروب الاختتام] ما يختم بقطة القلم
٣٦	الضرب الثاني - ما يختم بشظية
٣٦	الضرب الثالث - ما يرسل في ختمه إرسالا
	الطرف السابع - في مقدمات تتعلق بأوضاع الخط وقوانين الكتابة؛
٣٧	وفيه ثلاث جمل
	الجملة الأولى - في كيفية إمساك القلم عند الكتابة، ووضعه
٣٧	على الورق
٣٨	الجملة الثانية - في كيفية الاستعداد ووضع القلم على الدرج
٣٩	الجملة الثالثة - في وضع القلم على الأذن حال الكتابة عند التفكير
٤٠	الطرف الثامن - في ذكر قوانين يعتمدها الكاتب في الخط؛ وفيه ست جمل
٤٠	الجملة الأولى - في كيفية حركة اليد بالقلم في الكتابة
٤١	الجملة الثانية - في تناسب الحروف ومقاديرها في كل قلم

صفحة

- الجملة الثالثة - فيما يجب اعتياده لكل ناحية من واحة القلم ... ٤٥
- الجملة الرابعة - في الترويس ... ٤٦
- الجملة الخامسة - فيما يطمس من الحروف ويفتح ... ٤٦
- الجملة السادسة - في ذكر الأقلام المستعملة في ديوان الإنشاء
في زمان المؤلف ... ٤٧
- القلم الأول - قلم الطومار ... ٤٩
- القلم الثاني - قلم مختصر الطومار ... ٥٥
- القلم الثالث - قلم التماس، وهو على نوعين ... ٥٨
- النوع الأول - الثلث الثقيل، وصوره مفردة ومركبة ... ٥٨

الألف على ضربين : مفردة ومركبة

- الضرب الأول - المفردة ... ٥٨
- الضرب الثاني - المركب مع غيره من الحروف ... ٦٠
- الصورة الثانية - صورة الباء، وهي على ضربين ... ٦٠
- الضرب الأول - المفردة ... ٦٠
- وأما المركبة فعلى نوعين : متوسطة ومتطرفة ... ٦١
- الصورة الثالثة - صورة الجيم وما شاكلها ... ٦٢
- الصورة الرابعة - صورة الدال وأختها، وهي على ضربين ... ٦٦
- الضرب الأول - المفردة ... ٦٦
- الضرب الثاني - المركبة ... ٦٧
- الصورة الخامسة - صورة الراء وأختها، وهي على ضربين ... ٦٨
- الضرب الأول - المفردة ... ٦٨
- الضرب الثاني - المركبة ... ٧٠
- الصورة السادسة - صورة السين ... ٧١

صفحة	
٧٢	الصورة السابعة - صورة الصاد
٧٣	الصورة الثامنة - صورة الطاء وأختها
٧٥	الصورة التاسعة - صورة العين وأختها
٧٩	الصورة العاشرة - صورة الفاء
٧٩	الصورة الحادية عشرة - صورة القاف
٨٠	الصورة الثانية عشرة - صورة الكاف
٨٢	الصورة الثالثة عشرة - صورة اللام؛ وهي على ضربين
٨٢	الضرب الأول - المنفردة
٨٣	الضرب الثاني - المركبة
٨٤	الصورة الرابعة عشر - صورة الميم؛ وهي على خمسة أضرب
٨٤	الضرب الأول - المحققة
٨٥	الضرب الثاني - المعلقة
٨٦	الضرب الثالث - المسبوبة
٨٦	الضرب الرابع - المبسوطة
٨٧	الضرب الخامس - المفتولة
٨٧	الصورة الخامسة عشرة - صورة النون
٨٩	الصورة السادسة عشرة - صورة الهاء؛ وهي على ضربين
٨٩	الضرب الأول - المنفردة
٩٠	الضرب الثاني - المركبة
٩٥	الصورة السابعة عشرة - صورة الواو
٩٥	الصورة الثامنة عشرة - صورة اللام ألف
٩٧	الصورة التاسعة عشرة - صورة الياء؛ وهي على ضربين
٩٧	الضرب الأول - المنفردة

صفحة	
٩٨	الصرب الثاني - المركبة
١٠٠	الصرب الثاني - قلم الثلث الخفيف
١٠٠	القلم الرابع - قلم التوقيع
١١٥	القلم الخامس - قلم الرقاع
١٢٨	القلم السادس - قلم الغبار
١٢٩	الجملة السابعة - في كتابة البسملة ؛ وفيها مهيجان
١٢٦	المهجع الأزل - في ذكر قواعد جامعة للبسملة في جميع الأقلام
	المهجع الثاني - في بيان صورة البسملة في كل قلم من الأقلام التي تستعمل في ديوان الإنشاء
١٣١	الجملة الثامنة - في وجوه تجويد الكتابة وتحسينها ؛ وهي على ضربين
١٣٩	الضرب الأزل - حسن التشكيل
١٤٠	الصرب الثاني - حسن الوضع
١٤١	الكلمة الأصلية - أسماء كانت أوحرفاً أو فعلاً ، لا تخرج عن أربعة أصناف
١٤١	الصف الأزل - الثنائية
١٤٢	الصف الثاني - الثلاثية
١٤٢	الصف الثالث - الرباعية
١٤٣	الصف الرابع - الخماسية
١٤٥	مراعاة فواصل الكلام
١٤٧	حسن التدبير - في قطع الكلام ووصله في أواخر السطور وأوائلها
١٤٧	الفصل المستفح - في آخر السطر وأول الذي يليه صنفان
	الصف الأزل - فصل بعض حروف الكلمة الواحدة عن بعض وتفريقها في السطر والذي يليه
١٤٨	الصف الثاني - فصل الكلمة التامة وصلتها

صفحة

الفصل الثالث - من الباب الثاني من المقالة الأولى في لواحظ الخط،

وفيه مقصدان ١٤٩

المقصد الأول - في النقط؛ وفيه أربع جمل ١٤٩

الجملة الأولى - في مسيس الحاجة إليه ١٤٩

الجملة الثانية - في ذكر أول من وضع النقط ١٥١

الجملة الثالثة - في بيان صورة النقط وكيفية وضعه ١٥١

الجملة الرابعة - فيما يختص بكل حرف من النقط وما لا نقط له ... ١٥٢

المقصد الثاني - في الشكل؛ وفيه خمس جمل ١٥٦

الجملة الأولى - في اشتقاقه ومعناه ١٥٦

الجملة الثانية - في أول من وضع الشكل ١٥٦

الجملة الثالثة - في الترغيب في الشكل والترهيب عنه ١٥٧

الجملة الرابعة - فيما ينشأ عنه الشكل ويترتب عليه ١٥٨

الجملة الخامسة - في صور الشكل ومحال وضعه على طريقة المتقدمين

والمتاخرين ١٦٠

الأولى - علامة السكون ١٦٠

الثانية - علامة الفتح ١٦١

الثالثة - علامة الضم ١٦١

الرابعة - علامة الكسر ١٦٢

الخامسة - علامة التشديد ١٦٢

السادسة - علامة الهعزة ١٦٣

السابعة - علامة الصلة في ألفات الوصل ١٦٦

الفصل الرابع - من الباب الثاني من المقالة الأولى في الهجاء؛

وفيه مقصدان ١٦٨

صفحة	
١٦٨	المقصد الأول - في مصطلحه الخاص ؛ وهو على ضربين
١٦٨	الضرب الأول - المصطلح الرسمي
١٦٨	الضرب الثاني - المصطلح العروضي
١٦٩	المقصد الثاني - في المصطلح العام ؛ وفيه جملتان
١٦٩	الجملة الأولى - في الإفراد والحذف والإثبات والإبدال
١٧٠	المكتوب على المصطلح المعروف على قسمين
١٧٠	القسم الأول - ماله صورة تخصه من الحروف ؛ وهو على ضربين
١٧٠	الضرب الأول - ما هو على أصله المعتبر فيه في ذوات الحروف وعددها الخ
١٧٣	اللفظ الذي يكتب على نوعين
١٧٣	النوع الأول - أن يكون أسما لحرف من حروف الهجاء
١٧٥	النوع الثاني - ألا يكون أسما لحرف من حروف المعجم
١٧٥	الضرب الثاني - ما تغير عن أصله ؛ وهو على ثلاثة أنواع
١٧٥	النوع الأول - ما تغير بالزيادة
١٨٠	النوع الثاني - ما يغير بالنقص
١٩٦	النوع الثالث - ما يغير بالبدل
	القسم الثاني - ما ليس له صورة تخصه ؛ وهو الهمزة ؛ ولها
٢٠٤	ثلاثة أحوال
٢٠٤	الحال الأول - أن تكون في أول الكلمة
٢٠٥	الحال الثاني - أن تكون متوسطة ؛ ولها حالتان
٢٠٨	الحال الثالث - أن تكون الهمزة آخر ؛ ولها حالتان
٢١١	الجملة الثانية - في حالة التركيب والفصل والوصل
	الفصل الخامس - من الباب الثاني من المقالة الأولى فيما يكتب بالطاء
٢١٨	مع بيان ما يقع الأشتباه فيه مما يكتب بالضاد

صفحة

المقالة الثانية

- ٢٢٣ في المسالك والممالك ؛ وفيها أربعة أبواب
- ٢٢٣ الباب الأول - في ذكر الأرض على سبيل الإجمال ؛ وفيه ثلاثة فصول
- الفصل الأول - في معرفة شكل الأرض وإحاطة البحر بها الخ ؛
- ٢٢٣ وفيه طرفان
- ٢٢٣ الطرف الأول - في شكل الأرض وإحاطة البحر بها
- ٢٢٦ الطرف الثاني - فيما أشتمت عليه الأرض من الأقاليم الطبيعية
- ٢٢٩ الفصل الثاني - في البحار التي يتكرر ذكرها بذكر البلدان ؛ وفيه طرفان
- ٢٣٠ الطرف الأول - في البحر المحيط
- ٢٣٠ الطرف الثاني - في البحار المنبثقة في أقطار الأرض ؛ وهي على ضربين
- ٢٣٠ الضرب الأول - الخارج من البحر المحيط وما يتصل به
- الضرب الثاني - من البحار المنبثقة في أقطار الأرض ما ليس له اتصال
- ٢٤٤ بالبحر المحيط
- الفصل الثالث - في كيفية استخراج جهات البلدان والأبعاد الواقعة
- ٢٤٦ بينها ؛ وفيه طرفان
- ٢٤٦ الطرف الأول - في كيفية استخراج جهات البلدان
- ٢٤٧ الطرف الثاني - في معرفة الأبعاد الواقعة بين البلدان
- الباب الثاني - في ذكر الخلافة ومن وليها من الخلفاء ، ومقراتهم
- ٢٥٠ في القديم والحديث الخ ؛ وفيه فصلان
- الفصل الأول - في ذكر الخلافة ومن وليها من الخلفاء ؛ وهم على
- ٢٥٠ أربع طبقات
- ٢٥٠ الطبقة الأولى - الخلفاء من الصحابة رضوان الله عليهم
- ٢٥٢ الطبقة الثانية - خلفاء بني أمية

- صحة
- الطبقة الثالثة - خلفاء بني العباس بالعراق ٢٥٤
- الطبقة الرابعة - خلفاء بني العباس بالديار المصرية ٢٦٠
- وأما مقتررات الخلفاء، فهي أربع مقتررات :
- المقتررة الأولى - المدينة النبوية ٢٦٣
- المقتررة الثانية - الشام ٢٦٤
- المقتررة الثالثة - العراق ٢٦٤
- المقتررة الرابعة - الديار المصرية ٢٦٤
- الفصل الثاني - فيما أنطوت عليه الخلافة من الممالك في القديم،
وما كانت عليه من الترتيب، وما هي عليه الآن؛
ولها حالتان ٢٦٥
- الحالة الأولى - ما كان عليه الحال في الزمن القديم ٢٦٦
- شعار الخلافة ٢٦٩
- الوظائف المعتمدة عندهم على ضربين ٢٧٣
- الضرب الأول - وظائف أرباب السيوف ٢٧٣
- الضرب الثاني - وظائف أرباب الأقلام ٢٧٤
- الحالة الثانية - ما صار إليه الأمر بعد انتقال الخلافة إلى
الديار المصرية ٢٧٤
- الباب الثالث - في ذكر مملكة الديار المصرية، وفيه ثلاثة فصول ... ٢٧٨
- الفصل الأول - في مملكة الديار المصرية ومضافاتها، وفيه طرفان ... ٢٧٨
- الطرف الأول - في الديار المصرية، وفيه آثنا عشر مقصدا ٢٧٨
- المقصد الأول - في فضلها ومحاسنها ٢٧٨
- المقصد الثاني - في ذكر خواصها ومعجزاتها، وما بها من الآثار القديمة ٢٨٢
- المقصد الثالث - في ذكر نيلها ومبده وأنتهائه وزياته ونقصه الخ ... ٢٨٥

صفحة	
٢٩٧	المتصد الرابع - في ذكر خلجانها؛ وهي ستة
٢٩٧	الخليج الأول - المنهى
٢٩٨	الخليج الثاني - خليج القاهرة
٣٠٠	الخليج الثالث - خليج السردوس
٣٠٠	الخليج الرابع - الإسكندرية
٣٠١	الخليج الخامس - خليج منجا
٣٠١	الخليج السادس - خليج دمياط
٣٠٣	المتصد الخامس - في ذكر بحيرات الديار المصرية؛ وهي أربع بحيرات
٣٠٥	المتصد السادس - في ذكر جبالها
٣٠٧	المتصد السابع - في ذكر زروعها ورياحينها وفواكهها وأصناف المطعموم بها
٣١٠	المتصد الثامن - في ذكر مواشها ووحوشها وطيورها
٣١٠	المتصد التاسع - في ذكر حدودها
٣١٣	المتصد العاشر - في آبتداء عمارتها وتسميتها مصر، وتفتح الأقاليم التي حولها عنها
٣١٥	المتصد الحادي عشر - في ذكر قواعدها القديمة والمباني العظيمة الباقية الخ وقواعدها القديمة على ضريين
٣١٥	الضرب الأول - ما قبل الطوفان
٣١٦	الضرب الثاني - قواعدها فيما بعد الطوفان
٣٢٥	المتصد الثاني عشر - في ذكر قواعدها المستقرة؛ وهي ثلاث
٣٢٥	القاعدة الأولى - مدينة الفسطاط
٣٣٧	(جوامعها)
٣٤٤	القاعدة الثانية - القاهرة
٣٦٠	(جوامعها)
٣٦٨	القاعدة الثالثة - القلعة

صفحة

الفصل الثاني - في ذكر كور الديار المصرية ؛ وهي على ضربين ... ٣٧٥

الضرب الأول - في ذكر كورها القديمة ؛ وهي ثلاثة أحياء ... ٣٧٥

الحيز الأول - أعلى الأرض ؛ وهو الصعيد ... ٢٧٦

الحيز الثاني - أسفل الأرض ؛ وهو أربع نواح ... ٣٨١

الناحية الأولى - كور الحوف الشرقي ؛ وبها ثمان كور ... ٣٨١

الناحية الثانية - بطن الريف ، وفيها سبع كور ... ٣٨٢

الناحية الثالثة - الجزيرة بين فرقتي النيل الشرقية والغربية ؛ وفيها

خمس كور ... ١٨٤

الناحية الرابعة - الحوف الغربي ؛ وفيها إحدى عشرة كورة ... ٣٨٤

الحيز الثالث - كور القبلة ؛ وفيها خمس كور ... ٣٨٧

الحيز الأول - [مما لم يذكره القضاعي] بلاد الواح ... ٣٨٩

الحيز الثاني - برقة ... ٣٩١

الضرب الثاني - من كور الديار المصرية نواحيها وأعمالها المستقرة

ولها وجهان ... ٣٩٢

الوجه الأول - القبلي ... ٣٩٢

الوجه الثاني - البحري ؛ ويشتمل على ثلاث شعب ... ٣٩٨

الشعبة الأولى - شرقي الفرقة الشرقية من النيل ؛ وفيها أربعة أعمال ... ٣٩٨

الشعبة الثانية - غربي فرقة النيل الغربية ؛ وفيها عملان ... ٤٠٢

الشعبة الثالثة - ما بين فرقتي النيل الشرقية والغربية ؛ وهو جزيرتان ... ٤٠٥

الفصل الثالث - فيمن ملك الديار المصرية جاهلية وإسلاما ؛ وهم

على ثلاث مراتب ... ٤٠٧

المرتبة الأولى - من ملكها قبل البطوفان ... ٤٠٧

منحة

المرتبة الثانية - من ملكها بعد الطوفان إلى حين الفتح الإسلامي؛

وهم على طبقات ٤٠٨

الطبقة الأولى - ملوكها من القبط ٤٠٨

الطبقة الثانية - ملوكها من العاليق ملوك الشام ٤١١

الطبقة الثالثة - ملوكها من القبط بعد العالقة ٤١٢

الطبقة الرابعة - ملوكها من الفرس ٤١٣

الطبقة الخامسة - ملوكها من اليونان ٤١٤

الطبقة السادسة - ملوكها من الروم ٤١٥

المرتبة الثالثة - من وليها في الإسلام من بداية الأمر إلى زمن

المؤلف وهم على ضربين ٤١٩

الضرب الأول - فيمن وليها نيابة ، وهو الصدر الأول ؛ وهم على

ثلاث طبقات ٤١٩

الطبقة الأولى - عمال الخلفاء من الصحابة رضوان الله عليهم ٤١٩

الطبقة الثانية - عمال خلفاء بني أمية بالشام ٤٢٠

الطبقة الثالثة - عمال خلفاء بني العباس بالعراق ٤٢١

الضرب الثاني - من وليها ملكاً ؛ وهم على أربع طبقات ٤٢٤

الطبقة الأولى - من وليها عن بني العباس قبل دولة الفاطميين ٤٢٤

الطبقة الثانية - من وليها من الخلفاء الفاطميين ٤٢٦

الطبقة الثالثة - ملوك بني أيوب ٤٢٨

الطبقة الرابعة - ملوك الترك ٤٣٠

الفصل الرابع - في ذكر ترتيب أحوال الديار المصرية ؛ وفيه

ثلاثة أطراف ٤٣٦

الضرف الأول - في ذكر معاملاتها ؛ وفيه ثلاثة أركان ٤٣٦

الركن الأول - الأئمان ؛ وهي على ثلاثة أنواع ٤٣٦

صفحة	
٤٣٦	النوع الأول - الدينار المسكوكة؛ وهي ضربان
٤٣٦	الضرب الأول - ما يتعامل به وزنا
٤٣٧	الضرب الثاني - ما يتعامل به معادة
٤٣٩	النوع الثاني - الدراهم النقرة
٤٣٩	النوع الثالث - الفلوس
٤٤١	الركن الثاني - في المئونات؛ وهي على ثلاثة أنواع
٤٤١	النوع الأول - الموزونات
٤٤١	النوع الثاني - الميكالات
٤٤٢	النوع الثالث - المقيسات؛ وهي الأراخي والأقمشة

أما الأراضي فصنفان :

٤٤٢	الصنف الأول - أرض الزراعة
٤٤٢	الصنف الثاني - أرض البنيان
٤٤٣	الركن الثالث - في الأسعار
	الطرف الثاني - في ذكر جسورها وأصناف أرضها؛ وما يختص بكل
٤٤٤	صنف الخ

أما جسورها فملي صنفين

٤٤٤	الصنف الأول - الجسور السلطانية
٤٤٥	الصنف الثاني - الجسور البلدية
٤٤٨	الطرف الثالث - في وجوه أموالها الديوانية؛ وهي على ضربين
٤٤٨	الضرب الأول - الشرعي؛ وهو على سبعة أنواع
٤٤٨	النوع الأول - المال الخراجي

والخارجي في الدواوين منه على ضربين :

	الضرب الأول - ما هو داخل في الدواوين السلطانية؛ وهو الآن
٤٥١	(زمن المؤلف) على أربعة أصناف

صفحة	
٤٥١	الصفيف الأول - ما هو جار في ديوان الوزارة
٤٥٢	الصفيف الثاني - ما هو جار في ديوان الخاص
٤٥٣	الصفيف الثالث - ما هو جار في الديوان المفرد
٤٥٣	الصفيف الرابع - ما هو جار في ديوان الأملاك
٤٥٣	الضرب الثاني - ما هو جار في الإقطاعات
٤٥٥	النوع الثاني - ما يحصل مما يستخرج من المعادن
٤٥٧	النوع الثالث - الزكاة
٤٥٨	النوع الرابع - الجوالي
٤٥٩	النوع الخامس - ما يؤخذ من تجار الكفار الواصلين في البحر إلى الديار المصرية
٤٦٠	النوع السادس - الموارد الحشرية
٤٦١	النوع السابع - ما يحصل من دار الضرب بالقاهرة، والذي يضرب فيها ثلاثة أصناف
٤٦١	الصفيف الأول - الذهب
٤٦٢	الصفيف الثاني - الفضة النقرة
٤٦٣	الصفيف الثالث - الفلوس المتخذة من النحاس الأحمر
٤٦٤	الضرب الثاني - من الأموال الديوانية بالديار المصرية غير الشرعية ، وهو المكوس ، وهي على نوعين
٤٦٤	النوع الأول - ما يختص بالديوان السلطاني ، وهو صنفان
٤٦٤	الصفيف الأول - ما يؤخذ على الواصل المجلوب وأكثره متحصلا جهتان
٤٦٤	الجهة الأولى - ما يؤخذ على واصل التجار الكارمية من البضائع في بحر القرنم من جهة الحجاز واليمن وما والاهما
٤٦٦	الجهة الثانية - ما يؤخذ على واصل التجار بقطيا في طريق الشام

- صفحة
- الصف الثاني - ما يؤخذ بمحاضرة الديار المصرية بالفسطاط والقاهرة ٤٦٦
- النوع الثاني - ما لا اختصاص له بالديوان السلطاني ٤٦٧
- في ترتيب المملكة ؛ ولها ثلاث حالات ٤٦٧
- الحالة الأولى - ما كانت عليه من حين الفتح إلى آخر الدولة الإخشيدية ٤٦٧
- الحالة الثانية - ما كانت عليه في زمن الخلفاء الفاطميين ؛ وتختصر
في ثلاث جمل ٤٦٨
- الجملة الأولى - في الآلات الملوكية المختصة بالمواكب العظام ٤٦٨
- الجملة الثانية - في حواصل الخليفة ؛ وهي على خمسة أنواع ٤٧١
- النوع الأول - الخزائن ٤٧١
- النوع الثاني - حواصل المواشي ٤٧٤
- النوع الثالث - حواصل الغلال وشون الألبان ٤٧٥
- النوع الرابع - حواصل البضاعة ٤٧٥
- النوع الخامس - ما في معنى الحواصل ٤٧٦
- الجملة الثالثة - في ذكر جيوش الدولة الفاطمية وبيان مراتب أرباب
السيوف ؛ وهم على ثلاثة أصناف ٤٧٦
- الصف الأول - الأمراء ٤٧٦
- الصف الثاني - خواص الخليفة ؛ وهم على ثلاثة أنواع ٤٧٧
- النوع الأول - الأستاذون ٤٧٧
- النوع الثاني - صبيان الخصاص ٤٧٧
- النوع الثالث - صبيان الحجر ٤٧٧
- الصف الثالث - طوائف الأجناد ٤٧٨
- الجملة الرابعة - في ذكر أرباب الوظائف بالدولة الفاطمية ؛ وهم
على قسمين ٤٧٨

- صفحة
- القسم الأول - بمحضرة الخليفة، وهم أربعة أصناف ٤٧٨
- الصف الأول - أرباب الوظائف من أرباب السيوف، وهم نوعان ٤٧٨
- النوع الأول - وظائف عامة الجند ٤٧٨
- النوع الثاني - وظائف خواص الخليفة من الأستاذين؛ وهي
- على ضربين ٤٨٠
- الضرب الأول - ما يختص بالأستاذين المحنكين ٤٨٠
- الضرب الثاني - ما يكون من غير المحنكين ٤٨١
- الصف الثاني - من أرباب الوظائف بمحضرة الخليفة أرباب الأقاليم؛
- وهم على ثلاثة أنواع ٤٨٢
- النوع الأول - أرباب الوظائف الدينية ٤٨٢
- النوع الثاني - من أرباب الأقاليم أصحاب الوظائف الدينية؛ وهي
- على أربعة أضرب ٤٨٥
- الضرب الأول - الوزارة إذا كان الوزير صاحب قلم ٤٨٥
- الضرب الثاني - ديوان الإنشاء ٤٨٦
- الضرب الثالث - ديوان الجيش والرواتب ٤٨٨
- الضرب الرابع - نظر الدواوين ٤٨٩
- الصف الثالث - من أرباب الوظائف أصحاب الوظائف الصناعية ٤٩٢
- الصف الرابع - الشعراء ٤٩٣
- القسم الثاني - من أرباب الوظائف بالدولة الفاطمية ما هو خارج
- عن حضرة الخلافة. وهو صنفان ٤٩٣
- الصف الأول - النواب والولاة ٤٩٣
- الجملة الخامسة - من ترتيب مملكتهم في هيئة الخليفة في مواكبه
- وقصوره؛ وهي على ثلاثة أضرب ٤٩٤
- الضرب الأول - جلوسه في المواكب؛ وله ثلاثة جلوسات ٤٩٤

- صفحة
- الجلوس الأول - جلوسه في المجلس العام أيام المواكب ٤٩٤
- الجلوس الثاني - جلوسه للقاضي والشهود في ليلتي الرقود الأربع
من كل سنة ٤٩٧
- الجلوس الثالث - جلوسه في مولد النبي صلى الله عليه وسلم ٤٩٨
- الضرب الثاني - ركوبه في المواكب، وهو على نوعين ٤٩٩
- النوع الأول - ركوبه في المواكب العظام، وهي ستة مواكب ٤٩٩
- الموكب الأول - ركوب أول العام ٤٩٩
- الموكب الثاني - ركوب أول شهر رمضان ٥٠٥
- الموكب الثالث - ركوبه في أيام الجمع الثلاث من شهر رمضان ٥٠٥
- الموكب الرابع - ركوبه لصلاة عيدي الفطر والأضحى ٥٠٨
- الموكب الخامس - ركوبه لتخليق المقياس عند وفاء النيل ٥١٢
- الموكب السادس - ركوبه لفتح الخليج ٥١٤
- النوع الثاني - من مواكبهم المواكب المختصرة في أثناء السنة ٥١٧
- الضرب الثالث - من هيئة الخليفة هيئته في قصوره ٥١٨
- الجملة السادسة - في اهتمامهم بالأساطيل، وحفظ الثغور، واعتنائهم بأمر
الجهاد، وسيرهم في رعابهم، وأسماؤهم قلوب محالقيهم ٥١٩
- الجملة السابعة - في إجراء الأرزاق والعطاء لأرباب الخدم بشواتهم
وما يتصل بذلك من الطعمة ٥٢١
- وأما الطعمة - فعل ضربين ٥٢٣
- الضرب الأول - الأسمطة التي تبتدئ في شهر رمضان والعيد ٥٢٣
- الضرب الثاني - فيما كان يعمل بدار الفطرة في عيد الفطر ٥٢٤
- في جلوس الوزير للظالم الخ ٥٢٥

تبييه

بعض التعليقات الخاصة بتعيين الأماكن ، مع تحديد مواضعها
في هذا الجزء هي من وضع حضرة الأستاذ محمد رمزي بك
المفتش بوزارة المالية سابقاً ، فنسدي إليه جزيل الشكر ما

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

صلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه

الفصل الثانی

من الباب الثانی من المقالة الأولى

في الكلام على نفس الخط ؛ وفيه ثمانية أطراف^(١)

الطَّرْفُ الْأَوَّلُ

في فضيلة الخط

قال تعالى : ﴿ اِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾

فأضاف تعليم الخط إلى نفسه ، وأثبت به على عباده ؛ وناهيك بذلك شرفا !

وقال جل وعز : ﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ فأقسم بما يسطرونه

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : ﴿ أَوْ أَثَارَةَ مِنْ عِلْمٍ ﴾ أنه الخط

كما تقدم الكلام عليه .

ويروى أن سليمان عليه السلام سأل عثريتا عن الكلام فقال : ريح لا يبقى !

قال : فما قيده ؟ قال : الكتابة .

وقال عبيد الله بن العباس : الخط لسان اليد .

١٥

(١) في الأصل : «سبعة أطراف» والأطراف التي سيذكرها المؤلف عمانية .

وقال جعفر بن يحيى: الخط سبط الحكمة، وبه تفصل شُورها، وينتظم منتورها.

وقال النّظام: الخط أصل الروح له جسدانية في سائر الأعمال. إلى ما يجرى

هذا المجرى.

وقال إبراهيم بن محمد الشيباني: الخط لسان اليد، وبهجة الضمير، وسفير العقول،

ووصيُّ الفكر، وسلاح المعرفة، وأنس الإخوان عند الفُرقة، ومحادثهم على بُعد

المسافة ومستودع السر، وديوان الأمور.

وقال مسلم بن الوليد: من عجائب الله تعالى في خلقه، وإنعامه عليهم من فضله،

تعليمه إياهم الكتاب المفيد للباقيين، حكم الماضيين، والمخاطب للعيون بسائر القلوب،

على لغات متفرقة، في معاني معقولة، بحروف مؤلفة من ألف، وباء، وجيم، ودال،

متباينات الصور، مختلفات الجهات، لِقَاحِهَا التّفكير، وتِسَاجِهَا التّأليف، تَحْرَسُ

مُنْفَرِدَةً، وتَنْصِقُ مُزْدَوِجَةً، بلا أصوات مسموعة، ولا ألسُن مزوّرة، ولا حركات

ظاهرة؛ ما خلا قلمًا جوف بار يه بطمه ليعتق المداد به، وأرهف جانبه ليرد

ما أنتشر منه إليه؛ وشق رأسه ليحتبس الاستمداد عليه؛ وأربع من شفتيه، ليجمعها

حواشي تصويره إليه؛ فهناك أشد القلم برشفه، وقذف المادة إلى صدره، ثم مجها

من شقه بمقدار ما احتملت شفتاه بتخطيط أجزاء النقط التي أراد بها الخطوط،

فالأبصار لها سامية، فإذا حكمتها الألسُن فالآذان لها واعية. وأولى أسمائها بها حينئذ

الكلام الذي سده العقل، وألمه اللسان، وقطعته الأسنان، وانفظته الشفتان،

وصداه الجوّ، وجرّعه الأسماع على أنحاء شتى، وسميت بها الأشياء لتعريف متناكرها،

وتمييز متشابهها، وتبيين معلوئها من مجهولها. فمن ذلك فضل الكتاب الصّناعات.

(١) عبارة الصوّ: "قال بعض العلماء: الخط كالروح في الجسد".

(٢) في الأصل: «رسمت لها» والسياق يقتضيه ما أثبتناه.

وبالجملة فليس يذكر ذا كرشينا مما يجري به الخاطر، أو يميل إليه العقل،
أو يلقيه الفهم، أو يقع عليه الوهم، أو تدركه الحواس، إلا والكتاب والكلام، وكان
به، مدبران له، معبران عنه .

فلما أن تضمنت الحروف الدلالة، وقامت الألفاظ بالعبارة، نطقت الأفواه
بكل لغة، وتصرف المنطق بكل جهة، فلم تكنف منه أمة بأمة، ولم تستغن عنه
ملة نون ملة، فعرب ذلك بلغة العرب التي هي القاهرة لجميع اللغات، المنظمة لجميع
المعاني في وجيز الصفات .

ولو لم يكن من شرف الخط إلا أن الله تعالى أنزله على آدم أو هود عليهما السلام
كما تقدم ذكره، وأنزل الصحف على الأنبياء مسطورة، وأنزل الأواح على موسى
عليه السلام مكتوبة، لكان فيه كفاية .

وأبدا فإن فيه من حفظ الحقوق، ومنع تمرد ذوى العقوق، بما يسطر عليهم من
الشهادات، التي تقع في السجلات، والمكاتبات بين الناس لحوائجهم من المسافات
البعيدة التي لا ينضبط مثل ذلك لحامل رسالة، ولا يناله الحاضر بمشاهدة وإن كثر
حفظه وزادت بلاغته . ولذلك قيل : الخط أفضل من اللفظ، لأن اللفظ يفهم
الحاضر فقط، والخط يفهم الحاضر والغائب . والله القائل في ذلك يصف القلم :

وأحرَسَ يَنْطِقُ بِالْمُحْكَمَاتِ * وَجِثَانُهُ صَامِتٌ أَجْوَفُ
بِمَكَّةَ يَنْطِقُ فِي خُفْيَةٍ * وَبِالشَّامِ مَنْطِقُهُ يُعْرَفُ

الطرف الثاني

في بيان حقيقة الخط

قال الشيخ شمس الدين بن الأکفاني في كتابه "إرشاد القاصد" في حصر العلوم :
وهو علم تتعرف منه صور الحروف المفردة، وأوضاعها، وكيفية تركيبها خطأ،

أو ما يكتب منها في السطور، وكيف سبيله أن يكتب، وما لا يكتب، وإبدال ما يبدل منها في الهجاء وبماذا يُبدل“

قال: «وبه ظهرت خاصة النوع الإنساني من القوة إلى الفعل، وأمتاز عن سائر أنواع الحيوان؛ وضبطت الأموال، وترتبت الأحوال وحفظت العلوم في الأدوار، واستمرت على الأطوار، وانتقلت الأخبار من زمان إلى زمان، وحملت سراً من مكان إلى مكان.»

وبهذه الفضائل حافظت الغريزة الإنسانية على قبوله بطلب تعلمه محافظة لم يحتاج بها إلى تذكّر بعد الغيبة. ولهذا العلة استغنى عن كتاب يصنف فيه“.

ثم قال: «وجميع العلوم إنما تعرف بالدلالة عليها: بالإشارة، أو اللفظ، أو الخط؛ فالإشارة تتوقف على المشاهدة؛ واللفظ يتوقف على حضور المخاطب وسماعه؛ أما الخط فإنه لا يتوقف على شيء فهو أعمها نفعا وأشرفها“.

وأعلم أنه قد تقدم في الكلام على اللغة في «النوع الأول مما يحتاج إليه الكاتب» أنه ينبغي للكاتب أن يتعلم لغة من يحتاج إلى مخاطبته، أو مكاتبته من اللغات غير العربية؛ فكذلك ينبغي أن يتعلم من الخطوط غير العربية ما يحتاج إليه من ذلك، فقد قال محمد بن عمر المدائني في كتاب «القلم والدواة»: «إنه يجب عليه أن يتعلم الهندية وغيرها من الخطوط العجمية. ويؤيد ذلك ما تقدم في الكلام على اللغة أن النبي صلى الله عليه وسلم «أمر زيد بن ثابت رضي الله عنه أن يتعلم كتاب يهود من السريانية أو العبرانية فتعلمها» وكان يقرأ على النبي صلى الله عليه وسلم كتبهم ويحجبهم عنه.»

(١) هذه العبارة وردت في الأصل هكذا: «وبه ظهرت خاصة النوع الإنساني من القوة إلى الفعل، وأمتاز به عن سائر الحيوان؛ وضبطت الأموال، وترتيب الأحوال، وحفظ العلوم في الأدوار، واستمرارها على الأطوار، وانتقال الأخبار من زمان إلى زمان وحمل السر من مكان إلى مكان... الخ» وما أثبتناه عن كتاب إرشاد القاصد للزائف المذكور (ص ٣٠ طبع مصر)

الطرف الثالث

في وضع الخط ؛ وفيه جملتان

الجملة الأولى

في بيان المقصود من وضعه ، والموازنة بينه وبين اللفظ

- ٥ أما بيان المقصود من وضعه ، فأعلم أن وضع اللفظ لأداء المعنى ، الحاصل في ذهن المشعور به للسمع ؛ إذ لا وقوف على ما في ذهن ؛ ووضع الخط لأداء اللفظ المقصود فهمه للناظر فيه . فإذا أردت إيقافك أحدا على ما في ذهنك من المعاني تكلمت بالفاظ وضعت لها ، وإذا أردت تأدية ألفاظ لذلك الإيقاف إلى أحد بغير شفاه ، نقشت النقوش الموصولة لتلك الألفاظ ، فيطالع تلك النقوش ، ويفهم منها تلك الألفاظ ، ومن الألفاظ تلك المعاني ؛ ولا علاقة معقولة بين المعاني والألفاظ على الأمر العام ، ولا بين الألفاظ والنقوش الموصولة ؛ ومن ثم جاء اختلاف اللغات والخطوط كالعربية والرومية وغيرهما .

- وأما الموازنة بينه وبين اللفظ ، فالأصل في ذلك أن الخط واللفظ يتناسبان فضيلة البيان ويشتركان فيها : من حيث إن الخط دالٌّ على الألفاظ والألفاظ دالةٌ على الأوهام ؛ ولاشتركا الخط واللفظ في هذه الفضيلة وقع التناسب بينهما في كثير من أحوالهما ؛ وذلك أنهما يعبران عن المعاني إلا أن اللفظ معنى متحرك والخط معنى ساكن ، وهو وإن كان ساكنا فإنه يفعل فعل المتحرك بإبصاله كل ما تضمنه إلى الأفهام وهو مستقر في حيزه ، قائم في مكانه ؛ كما أن اللفظ فيه العذب الرشيق السائغ في الأسماع كذلك الخط فيه الرائق المستحسن الأشكال والصور

(١) في الأصل : « حيزه ومكانه فبأنه » والسياق يقتضى ما أئبتناه

وكما أن اللفظ فيه الجزل الفصيح الذي يستعمله مصافح الخطباء، ومفالق الشعراء،
والمبتذل السخيف الذي يستعمله العوام في المكاتب والمحاسبة؛ كذلك الخط في
المحرر المحقق الذي تكتب به الكتب السلطانية والأمور المهمة، وفيه المطلق المرسل
الذي يتكاتب به الناس ويستعملونه فيما بينهم . وكما أن اللفظ يقع فيه لحن الإعراب
الذي يهجنه كذلك الخط يقع فيه لحن الهجاء . وكما أن اللفظ إذا كان مقبولا حلوا
رفع المعنى الحسيس وقربه من النفوس، وإن كان غثا مستكرها وضع المعنى الرفيع
وبعد من القلوب، كذلك الخط إذا كان جيدا حسنا بعث الإنسان على قراءة
ما أودع فيه وإن كان قليل الفائدة، وإن كان ركيكا قبيحا صرفه عن تأمل
ما تضمنه وإن كان جليل الفائدة .

ولما أشترك اللفظ والخط في الفوائد العامة التي جعلت فيهما وقع الاشتراك
أيضا بين آليهما إذ آلة اللفظ اللسان، وآلة الخط القلم؛ وكل منهما يفعل فعل
الأخر في الإبانة عن المعاني إلا أن اللفظ لما كان دليلا طبيعيا جعلت آله آلة
طبيعية، والخط لما كان دليلا صناعيا جعلت آله آلة صناعية؛ ولما تقاسمت
الآلتان الدلالة نابت إحداهما مناب الأخرى فأوقعوا أسم اللسان على القلم فقالوا:
الأقلام ألسنة الأفهام، وشركوا بينهما في الأسم فقالوا: القلم أحد اللسانين .

الجملة الثانية

في أصل وضعه؛ وفيه مسلكان

المسلك الأول

في وضع مطلق الحروف

قيل: إن أول من وضع الخطوط والكتب كلها آدم عليه السلام: كتبها في طين
وطبخه؛ وذلك قبل موته بثلاثمائة سنة؛ فلما أظلمت الأرض انفرق أصاب كل قوم

كتابهم . وقيل أخنوخ (وهو إدريس عليه السلام) . وقيل إنها أنزلت على آدم عليه السلام في إحدى وعشرين صحيفة . وقضية هذه المقالة أنها توقيفية علمها الله تعالى بالوحي؛ والمقالتان الأوليان محتملتان لأن تكون توقيفية وأن تكون اصطلاحية وضعها آدم وإدريس عليهما السلام . على أنه يجتمل أن يكون بعض ذلك توقيفياً علمه الله تعالى بالوحي، وبعضه اصطلاحياً وضعه البشر : واحد أو جماعة، فيصير
التخلاف فيه كالتخلاف في اللغة هل هي توقيفية أو اصطلاحية على ما هو مقترن في علم
الأصول . والله سبحانه وتعالى أعلم .

المسلك الثاني

في وضع حروف العربية

- ١٠ قال الشيخ أبو العباس البوني رحمه الله في كتابه "لطائف الإشارات في أسرار الحروف المعلومات" :
- يروى عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أنه قال : "سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله، كلُّ نبيٍّ مرسلٌ بمِرسَلٍ؟ . قال : بكتابٍ منزلٍ . قلت : يا رسول الله، أيُّ كتابٍ أنزلَ على آدم؟ . قال : ا ب ت ث ج إلى آخره . قلت : يا رسول الله، كم حرف؟ . قال : تسعٌ وعشرون . قلت : يا رسول الله، عددت ثمانيةً وعشرين، فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحمرت عيناه، ثم قال : يا أبا ذر، والذي بعثني بالحق نبياً! ما أنزل الله تعالى على آدم إلا تسعةً وعشرين حرفاً . قلت : يا رسول الله، فيها ألفٌ ولام . فقال عليه السلام : لام ألف حرف واحد، أنزله على آدم في صحيفةٍ واحدةٍ، ومعه سبعون ألفَ ملك، من خالف لام ألف فقد كفر بما أنزل على آدم ! ومن لم يعدد لام ألف فهو بريء مني وأنا بريء منه ! ومن لا يؤمن بالحروف وهي تسعةٌ وعشرون حرفاً لا يخرج من النار أبداً"
- ٢٠

وهذا الخبر ظاهر في أن المراد منه حروف العربية فقط، إذ قد أجاب صلى الله عليه وسلم أبا ذر رضى الله عنه بحروف: ا ب ت ث وأثبت منها لام ألف، وليس ذلك في غير حروف العربية، وقضية ذلك أن حروف العربية أنزلت على آدم عليه السلام وهو الموافق لما في أول الفصل قبله، لكن في كتاب "التنبيه على نقط المصاحف وشكلها" للشيخ أبي عمرو الداني رحمه الله أنها أنزلت على هود عليه السلام، ولا تباين بينهما، لجواز أن تنزل على آدم مرة وعلى هود أخرى، فربما نزلت الآية على نبي ثم نزلت على نبي آخر كما قيل في قوله تعالى: ﴿ حَمَسَقُ كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ﴾^(١) إنه ما بعث الله تعالى نبيا إلا وأنزل عليه ﴿ حَمَسَقُ ﴾. وقد أنزلت ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ على سليمان عليه السلام ثم أنزلت على النبي صلى الله عليه وسلم؛ وربما أنزلت الآية الواحدة على النبي صلى الله عليه وسلم مرتين كما في الفاتحة فإنها نزلت مرة بمكة ومرة بالمدينة على أحد الأقوال.

وعلى الجملة فتضيته أنها توقيفية وهو الموافق لأحد الأقوال في مطلق الحروف. وعن ابن عباس رضى الله عنهما: أن أول من وضع الحروف العربية ثلاثة رجال من بولان (وبولان قبيلة من طي) نزلوا مدينة الأنبار، وهم مرامر بن مرة، وأسلم ابن سدره، وعامر بن جدرة، اجتمعوا فوضعوا حروفا مقطعة وموصولة، ثم قاسوها على هجاء السريانية؛ فأما مرامر^(١) فوضع الصور، وأما أسلم ففصل ووصلن، وأما عامر فوضع الإعجام؛ ثم نُقل هذا العلم إلى مكة وتعلمه من تعلمه وكثر في الناس وتداولوه.

ونقل الجوهرى عن شريق بن القطامي: أن أول من وضعه رجال من طي منهم مرامر بن مرة^(١) وأنشد عليه:

(١) في الأصل مرار، والذي في جميع معاجم اللغة مرامر، وكذلك في البيت أيضا.

تَعَلَّمْتُ بِأَجَادٍ وَآلِ مُرَامِرٍ * وَسَوَدْتُ أَثْوَابِي وَلَسْتُ بِكَاتِبٍ

قال الجوهرى : وإنما قال آل مُرَامِرٍ لأنه كان قد سُمي كل واحد من أولاده بكلمة من أبي جاد وهم ثمانية . وذكر غيره نحوه فقال : أول من اخترعه وألف حروفه ستة أشخاص من طَسِيم كانوا نَزُولًا عند عَدَنَانَ بن أَدَدٍ ، وكانت أسماءهم : أبجد ، وهوز ، وحطى ، وكلمن ، وسعفص ، وقرشت ، فوضعوا الكتابة والخَطَّ على أسمائهم ، فلما وجدوا في الألفاظ حروفًا ليست في أسمائهم ألحقوها بها ، وسموها الرَّوْدِافُ ، وهي الراء المثلثة ، والحاء ، والذال ، والطاء ، والغين ، والضاد المعجمات على حسب ما يلحق من حروف الجُمْلِ ، ثم أنتقل عنهم إلى الأنبار ، وأتصل بأهل الحيرة ، وفشا في العرب ولم ينتشر كلَّ الانتشار إلى أن كان المبعث .

وقيل : إن نفيسًا ونصرًا وتيا ودومة بنى إسماعيل وضعوا كتابًا واحدًا وجعلوه سطرًا واحدًا موصول الحروف كلها غير متفرق ، ثم فرقه نبت وهيسع وقيدار ، وفرقوا الحروف وجعلوا الأشباه والنظائر . وعن هشام بن محمد عن أبيه قال : أخبرني قوم من علماء مصر أن أول من كتب الكتاب العربى رجل من بنى النضر بن كنانة ، فكتبته العرب حينئذ .

وقضية هذه المقالات أنها اصطلاحية .

١٥

وفي السيرة لابن هشام : أن أول من كتب الخط العربى حمير بن سبأ عامه في المنام قال : وكانوا قبل ذلك يكتبون بالمُسند سمي بذلك لأنهم كانوا يُسندونه إلى هود عليه السلام . وهو مخالف لما تقدم من كلام أبي عمرو الداني : أن العربى أنزل على هود عليه السلام .

قال السهيلي رحمه الله في "التعريف والإعلام" : والأصح ما روينا من طريق

٢٠

أبي عُمر بن عبد البر رحمه الله يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال . "أول من كتب بالعربية إسماعيل عليه السلام" قال ابن عبد البر : وهذا أصح من رواية "أول من تكلم بالعربية إسماعيل" وهذا محتمل للتوقيف أيضا بأن يكون إسماعيل علمها بالوحي ؛ والأصطلاح بأن يكون وضعه من نفسه .

ثم أول ما ظهرت الكتابة العربية بمكة من قبل حرب بن أمية . قال المدائني : حدثني حسان بن عبد الملك الأنصاري قال : حدثني سليمان بن سعيد المزني قال : سمعت الفراء يقول : حدثني العمري أنه قيل لابن عباس : من أين تعلمت الهجاء والكتابة والشكل ؟ قال علمناه من حرب بن أمية ؛ قيل : ومن أين علمه حرب ابن أمية ؟ قال : من طاري طراً علينا من اليمن ؛ قيل : ومن أين علمه ذلك الطاري ؟ قال : من كاتب الوحي لهود عليه السلام .^(١)

وذكر أبو عمرو الداني في كتاب "التنبيه على النقط والشكل" نحوه . وقيل : أول ما ظهرت باليمن من قبل أبي سفيان بن أمية ، عم أبي سفيان بن حرب ، وأنته من قبل رجل من أهل الحيرة ؛ قال أهل الحيرة : أخذناها من أهل الأنبار .

وقال أبو بكر بن أبي داود عن علي بن حرب عن هشام بن محمد بن السائب قال : تعلم بشر بن عبد الملك الكتابة من أهل الأنبار ، وخرج إلى مكة ، وتزوج الصهباء بنت حرب . وقيل : إنه لما تعلم أبو سفيان بن حرب الخط من أبيه تعلمه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وجماعة من فريش ، وتعلمه معاوية بن أبي سفيان من عمه سفيان .

(١) كذا في الضوء . وفي الأصل : « كات بالوحي »

أما الأوس والخزرج فقد روى الواقدي بسنده إلى سعد بن سعيد قال : كانت الكتابة العربية قليلاً في الأوس والخزرج ، وكان يهودى من يهود ماسكة قد علمها فكان يعلمها الصبيان فحاء الإسلام وفيهم بضعة عشر يكتبون ، منهم سعيد بن زرارة ، والمنذر بن عمرو ، وأبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، يكتب الكتابين جميعاً العربية والعبرانية ، ورافع بن مالك ، وأسيد بن حضير ، ومعن بن عدي ، وأبو عبس بن كثير ، وأوس بن خولي ، وبشير بن سعد .

قال صاحب "الأبحاث الجميلة في شرح العقيلة" : والخط العربي هو المعروف الآن بالكوفي ، ومنه استنبطت الأقلام التي هي الآن ، وقد ذكر ابن الحسين في كتابه في قلم الثلث : أن الخط الكوفي فيه عدة أقلام مرجعها إلى أصلين : وهما التقوير والبسط .

فالمقور - هو المعبر عنه الآن باللين ، وهو الذي تكون عرقاته وما في معناها منخفضة منحطة إلى أسفل كالثلث والرقاع ونحوهما .

والمبسوط - هو المعبر عنه الآن باليابس ، وهو ما لا انحساف وانحطاط فيه كالمحقق وعلى ترتيب هذين الأصلين الأقلام الموجودة الآن . ثم قد ذكر صاحب "إعانة المنشئ" أن أول ما نُقل الخط العربي من الكوفي إلى ابتداء هذه الأقلام المستعملة الآن في أواخر خلافة بني أمية وأوائل خلافة بني العباس .

قلت : على أن الكثير من كتاب زماننا يزعمون أن الوزير أبا علي بن مقلة (رحمه الله تعالى) هو أول من ابتدع ذلك ، وهو غلط فإننا نجد من الكتب بخط الأقرين فيما قبل المائتين ما ليس على صورة الكوفي بل يتغير عنه إلى نحو هذه الأوضاع المستقرة وإن كان هو إلى الكوفي أميل لقربه من نقله عنه .

قال أبو جعفر النحاس في "صناعة الكتاب" : وينال إن جودة الخط أنتهت إلى رجلين من أهل الشام يقال لهما : الضحّاك ، وإسحاق بن حمّاد، وكانا يخطان الجليل ، وكأنه يريد الطومار أو قريبا منه .

قال صاحب "إعانة المنشيء" : وكان الضحّاك في خلافة السفّاح ، أول خلفاء بني العباس ، وإسحاق بن حمّاد في خلافة المنصور والمهدي .

قال النحاس : ثم أخذ إبراهيم (يعني السّجزي^(١)) عن إسحاق بن حماد الجليل وأخترع منه قلما أخف منه سماه قلم الثلثين ، وكان أخطأ أهل دهره به ، ثم أخترع من قلم الثلثين قلما سماه قلم الثالث

قال صاحب "الأبحاث الجميلة" : وأخذ يوسف أخو إبراهيم السّجزي القلم الجليل عن إسحاق أيضا ، وأخترع منه قلما أدق منه وكتبه كتابة حسنة فأعجب به ذو الرياستين الفضل بن سهل وزير المأمون ، وأمر أن تُحزّر الكتب السلطانية به ، ولا تكتب بغيره وسماه القلم الرّياضي . قال بعض المتأخرين : وأظنه قلم التوقيعات .

قال النحاس : ثم أخذ عن إبراهيم السّجزي الأحول الثلثين والثلث ، وأخترع منهما قلما سماه قلم النصف ، وقلما أخف من الثلث سماه خفيف الثلث ، وقلما متصل الحروف ليس في حروفه شيء ينفصل عن غيره سماه المسلسل ، وقلما سماه غبار الحلية ، وقلما سماه خط المؤامرات ، وقلما سماه خط القيصص ، وقلما مقصوعا سماه الحوائجي . قال : وكان خطه يوصف بالبهجة والحسن من غير إحكام ولا إتقان ،

وكان عجيب البرى للقلم . وكان وجه العجبة مقدما في الجليل . قال : وكان محمد بن معاذان يعني المعروف بأبي درجان مقدما في خط النصف ، وكان قلمه مستوى

(١) كذا في نسخة أولى الألباب للشيخ عبد الرحمن بن الصائغ المكتب المحفوظ منها نسختان مخطوطتان بدار الكتب المصرية تحت رقمي ١٢ ، ١٤ صناعات . والسجزي نسبة إلى سجمان على غير قياس . وفي الأصل : « الشجزي » وهو خطأ .

السَّيْنِ ، وكان يُشَقُّ الطاء والظاء والصاد والضاد بعرض النصف ؛ ويعطف مثل يا ، ويصل كلَّ ياءٍ من يساره إلى يمينه بعرض النصف لا يرى فيه اضطراب . وكان أحمد بن محمد بن حفص المعروف بزاقف أجَلَّ الكُتَّابِ خَطًّا في الثلث . وكان ابنُ الزِّيَّاتِ - في أيامِ ابنِ طولون - وزيرَ المعتصم يعجبه خطُّه ولا يكتب بين يديه غيره . وآنهت رياسة الخط بمصر إلى طَبَطَبِ المحرَّرِ جودةً وإحكاماً .

قال النحاس : وكان أهل مدينة السلام يحسدون أهل مصر على طَبَطَبِ وأبن عبد كان ، يعنى كاتب الإنشاء لابن طولون ، ويقولون : بمصر كاتبٌ ومحرَّرٌ ليس لأُمير المؤمنين بمدينة السلام مثلهما .

قلت : ثم آنهت جودة الخط وتحريرٌ على رأسِ الثلاثة إلى الوزيرِ أبي عليِّ محمد بن مقله وأخيه أبي عبد الله .

قال صاحب " إغانة المنشىء " : وولدا طريقة اخترعاهما ، وكتب في زمانهما جماعة فلم يقاربهما . وتفرد أبو عبد الله بالنسخ ، والوزير أبو عليٌّ بالدَّرج ؛ وكان الكمال في ذلك للوزير ؛ وهو الذى هندس الحروف وأجاد تحريرها ، وعنه أنتشر الخطُّ في مشارق الأرض ومغاربها . والله قول القائل :

سَبَقَ الدَّمْعُ فِي الْمَسِيرِ الْمَطَايَا * إِذْ رَوَى مِنْ أَحِبِّ عِنْدِهِ بَقْلَهُ
وَأَجَادَ الشُّطُورَ فِي صَفْحَةِ الْحَدِّ وَلَمْ لَا يُجِيدُ وَهُوَ أَبُو مَقْلَهُ

وقول الآخر :

تَسْلَسَلْ دَمْعِي فَوْقَ خَدِّي اسْطُرَا * وَلَا عَجَبٌ مِنْ ذَلِكَ وَهُوَ أَبُو مَقْلَهُ

ثم أخذ عن ابن مقله محمد بن السمساني ومحمد بن أسد ؛ وعنهما أخذ الأستاذ أبو الحسن علي بن هلال المعروف بأبن البواب ، وهو الذى أكل قواعد الخط وتممها وأخترع غالب الأقلام التى أسسها ابن مقله ؛ ولما مات رثاه بعضهم بقوله :

وَأَسْتَشَرَ الْكُتَّابَ فَقَدِكَ سَالِمًا * فَجَرَّتْ بِصِحَّةِ ذَلِكَ الْيَوْمُ
فَإِذَاكَ سَوَدَتِ الدُّوَى وَجُوهَهَا * أَسَفًا عَلَيْكَ وَشَقَّتِ الْأَقْلَامُ

وممن أخذ عنه محمد بن عبد الملك ، وعن محمد بن عبد الملك أخذت الشبيخة
المحدثة الكاتبة زينب الملقبة بشهدة آمنة الإبري^(١) ، وعن أحمد أمين الدين باقوت^(٢) ،
وعنه أخذ الولي العجمي^(٣) ، وعليه كتب العفيف^(٣) ، وعن العفيف أخذ ولده الشيخ
عماد الدين ، ويقال ، إنه كان كاتب البواب في زمانه ، وعن الشيخ عماد الدين بن
العفيف أخذ الشيخ شمس الدين بن أبي ربيعة محتسب الفسطاط ، وهو ممن عاصرناه ،
وأخذ عنه شيخنا الشيخ شمس الدين محمد بن علي الزفناوي المكتب بالفسطاط ،
وصنف مختصرا في قلم الثلث مع قواعد ضمها إليه في صناعة الكتابة ، أحسن فيه
الصنيع ، وبه تخرج صاحبنا الشيخ زين الدين شعبان بن محمد بن داود الآناري^(٤)
محتسب مضر ، ونظم في صناعة الخط ألفية وسمها بـ « العناية الربانية في الطريقة
الشعبانية » لم يسبق إلى مثلها ، ثم توجه بعد ذلك إلى مكة ، ثم إلى اليمن والهند ،
ثم عاد إلى مكة فأقام بها ونبغ .

قلت : وقد علم مما تقدم ذكره أن القاب الأقلام : من الثلثين والنصف
والثلث وخفيف الثلث والمسلسل والغبار قديمة ، وإن وقع في أذهان كثير من
الناس أنها من مخترعات ابن مقلة وابن البواب من بعدهما .

(١) هذه النسبة إلى الإبر التي يخاط بها . وكان المنسوب إليها يعملها أو يبيعها .

(٢) هو ولي الدين علي بن زكريا المشهور بالولي العجمي .

(٣) هو عفيف الدين محمد الحلبي .

الطرف الرابع

في عدد الحروف، وجهة ابتدائها، وكيفية ترتيبها؛ وفيه خمس^(١) جمل

الجملة الأولى

في مطلق الحروف في جميع اللغات

- وَأَعْلَمُ أَنَّ الْحُرُوفَ تَخْتَلِفُ بِأَخْتِلَافِ اللُّغَاتِ بِحَسَبِ تَعَدُّدِ مَخَارِجِهَا ، فَحُرُوفُ
السُّرْيَانِيِّينَ ، وَالرُّومِ ، وَالْفُرْسِ ، وَالصَّقَلَبِ ، وَالتُّرْكِ مِنْ أَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ حَرْفًا إِلَى سِتَّةِ
وَعِشْرِينَ حَرْفًا ؛ وَحُرُوفُ الْعِبْرَانِيِّينَ ، وَالْيُونَانِيِّينَ ، وَالْقَبْطِ الْأَوَّلِ ، وَالْهُنُودِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ
أَثْنَيْنِ وَثَلَاثِينَ إِلَى سِتَّةِ وَثَلَاثِينَ ؛ فَيُوجَدُ فِي غَيْرِ الْعَرَبِيَّةِ مِنَ الْحُرُوفِ مَا لَا يُوجَدُ
فِي الْعَرَبِيَّةِ ، كَمَا يُوجَدُ فِي الْعَرَبِيَّةِ مَا لَا يُوجَدُ فِي غَيْرِهَا مِنَ اللُّغَاتِ ، وَيَكْثُرُ فِي الْأَسْتِعْمَالِ
فِيهَا مَا لَا يَكْثُرُ فِي غَيْرِهَا . فَالْحَاءُ الْمَهْمَلَةُ ، وَالظَّاءُ الْمَعْجَمَةُ مِمَّا أُفْرِدَتْ بِهَا الْعَرَبُ
فِي لُغَاتِهَا ، وَأَخْتَصَّتْ بِهَا دُونَ غَيْرِهَا مِنْ أَرْبَابِ اللُّغَاتِ ؛ وَالْعَيْنُ الْمَهْمَلَةُ قَلِيلَةٌ فِي كَلَامِ
بَعْضِ الْأُمَمِ وَمُفْقُودَةٌ فِي كَلَامِ كَثِيرٍ مِنْهُمْ ؛ وَكَذَلِكَ الصَّادُ وَالضَّادُ وَالذَّالُ الْمَعْجَمَةُ لَيْسَتْ
فِي الْفَارْسِيَّةِ ، وَالنَّاءُ الْمَثَلَةُ لَيْسَتْ فِي الرَّومِيَّةِ وَلَا فِي الْفَارْسِيَّةِ ، وَالْقَاءُ لَيْسَتْ فِي التُّرْكِيَّةِ .
قَالَ الشَّيْخُ أَثِيرُ الدِّينِ أَبُو حَيَّانَ رَحِمَهُ اللَّهُ : وَلِذَلِكَ يَقُولُونَ فِي فِقْهِهِ : يَقِيهِ بِالْبَاءِ
الْمَوْحَدَةِ الْمَشْرَبَةِ الْفِيَوِيَّةِ .

الجملة الثانية

في حروف العربية

وَأَعْلَمُ أَنَا لِمَا كَتَبْنَا بِحَمْدِ اللَّهِ أُمَّةً وَسَطًا خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ، وَكَانَ خَيْرُ الْأُمُورِ
أَوْسَطُهَا ، وَكَانَتْ حُرُوفُ اللُّغَاتِ مَا بَيْنَ أَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ حَرْفًا إِلَى سِتَّةِ وَثَلَاثِينَ كَمَا

(١) في الأصل : « أربع » وما أثبتناه يتفق مع المعدود .

تقدم، كانت حروف الكلام العربي التي بها رُقيم القراءان الكريم ثمانية وعشرين حرفاً في اللفظ، متوسطة بين حروف اللغات، وهي ا ب ت ث إلى آخره، وتسمى حروف الهجاء وحروف التهجّي، ويسمّيها سيبويه والخليل حروف العربية أي حروف اللغة العربية، وهي التي يتركب منها الكلام العربي، وتسمى أيضاً حروف المعجم، إما لأنها مقطّعة لا تُفهم إلا بإضافة بعضها إلى بعض، وإما لأن منها ما يُنقط النقط المعروف، أو تنقط كلها أي تُشكّل، إذ النقط قد يكون بمعنى الشكّل. وقال بعض أهل اللغة: [المعجم] النقط بالسواد كمثل التاء عليها نقطتان، يقال منه أعجمت الحروف، ومعناه حروف الخط المعجم. وبعضهم يجعل المعجم مصدراً بمعنى الإعجام من أعجمت الشيء إذا بيّنته فكأنها مبيّنة للكلام، وتكون الهمزة في أعجمت للإزالة، أي أزلت عُجمته إما بنقطه أو شكله.

قال الشيخ عبد الخالق بن أبي القاسم المصري: وإذا أعتبرت سائر اللغات بالتحقيق فلن يزيد ذلك على ثمانية وعشرين حرفاً (يريد غير اللام ألف) في الحروف العربية، والقائل بذلك يجعل اللام ألف مركباً من حرفين فلا يعدّه حرفاً مستقلاً. قال علماء الحرف: وجعلت ثمانية وعشرين حرفاً على عدد منازل القمر الثمانية والعشرين.

قالوا: ولما كانت المنازل القمرية يُظهر منها فوق الأرض أربع عشرة منزلةً ويغيب تحت الأرض أربع عشرة كانت هذه الحروف ما يُظهر منها مع لام التعريف أربعة عشر بعدد المنازل الظاهرة، وهي الألف، والباء، والحاء المهملة،

(١) الزيادة عن اللسان.

(٢) هو المبرد كما نقله عنه في اللسان.

والحاء المعجمة ، والعين المهملة ، والعين المعجمة ، والفاء ، والقاف ، والكاف ،
واللام ، والميم ، والماء ، والواو ، والياء المثناة تحت . تقول الألف والباء والحاء
فتظهر اللام في لفظك وكذلك في البواقي . وما يسدغم منها أربعة عشر حرفاً أيضاً
بعدد المنازل العائبة ، وهي التاء المثناة من فوق ، والتاء المثناة ، والذال المهملة ،
والذال المعجمة ، والراء ، والزاي ، والسين المهملة ، والشين المعجمة ، والصاد
المهملة ، والصاد المعجمة ، والطاء المهملة ، والطاء المعجمة ، والنون . تقول التاء ،
والتاء ، والذال فتخفى في لفظك ، وكذلك في البواقي .

وقد تقدم في خبر أبي ذر رضى الله عنه أنها نزلت على آدم عليه السلام تسعة
وعشرين حرفاً عد منها اللام ألف وهو الموجود في التصوير فلا يعول إلا عليه
إن صح الحديث .

ثم للحروف العربية فروعٌ توجد في اللفظ دون الكتابة مستحسنةٌ ومستقبحةٌ ،
تبلغ بها الحروف العربية سبعة وأربعين حرفاً ، ولا يوجد ذلك في لغة أمة من الأمم ،
أضربنا عن ذكرها لعدم تعلقها بالخط الذي نحن بصددده ، والله المستعان .

الجملة الثالثة

في بيان جهة إبتداءات الحروف

وأعلم أن أصحاب الأقاليم اختلفوا باعتبار مقاصدهم في البُداءة بالحروف .
فمنهم من يبدأ من اليمين الى اليسار كالعرب والعبرانيين والهسود وأهل الطبيعة
والسريانيين ، آخذاً فيه على سير الفلك من المشرق الى المغرب ، والمشرق عندهم
يمين الفلك ويقال له : ماخذ كورى ، وقيل : لأن فيه الاستمداد من الكبد
الى القلب .

ومنهم من يبدأ من اليسار الى اليمين كالرومية واليونانية والتبطينية، وفرن من
النارسية آخذاً فيه على سير الكواكب السبعة السيارة من المغرب الى المشرق .
ويقال له : مأخذ دَورِيٌّ ؛ وقيل : لأنه ناشئ عن حركة القلب إلى الكبد .

الجملة الرابعة

في كيفية ترتيب الحروف

وأعلم أن ترتيب الحروف على ضربين : مفرد ومزدوج ؛ وبين أهل الشرق
وأهل الغرب في كل من النوعين خلاف في الترتيب .

أما المفرد فأهل الشرق يرتبونه على هذا الترتيب :

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ
ع غ ف ق ك ل م ن ه و لا ي

وأما أهل الغرب فإنهم يرتبونه على هذا الترتيب :

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز ط ظ ك ل م ن ص ض
ع غ ف ق س ش ه و لا ي

وأما المزدوج فأهل الشرق يرتبونه على هذا الترتيب :

أبجد، هوز، حطى، كلمن، سعفص، قرشت، ثخذ، ضظغ .

وأهل الغرب يرتبونه على هذا الترتيب :

أبجد، هوز، حطى، كلمن، سعفص، قرشت، ثخذ، ضغش^(١) .

على أنه قد اختلف في كلمات أبجد هل لها معنى أم لا، وهل يكره تعلُّمها

أم لا، وأكثر الناس في الشرق والغرب على تعلُّمها .

(١) كذا في الأصل والضوء، ولعل الصواب ظنض .

وقد جاء أنها كانت تُعَلَّم في زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه، ويشهد لذلك قول الأعرابي في أبياته :

أَتَيْتُ مَهَاجِرِينَ فَعَلَّمُونِي * ثَلَاثَةَ أَسْطُرٍ مُتَابِعَاتٍ
وَحَطُّوا لِي أَبَا جَادٍ وَقَالُوا * تَعَلَّمْتُ سَعْفَصًا وَقُرَيْشَاتٍ

- وقيل : إن أيجاد، وهوز، وحطى، وكلمن، كانت أسماء مبلوك مدين، وإن كلمن كان في زمن شُعَيْب عليه السلام . وقد تقدّم أن الأربعة المذكورة كانت أسماء واضعي الخط العربي على قول، والله أعلم .

الجملة الخامسة

في كيفية صور الحروف العربية وتداخل أشكالها

١٠. قد تقدّم أن الحروف العربية على تسع عشرة صورة، وهي صورة الألف، وصورة الباء والتاء والثاء، وصورة الجيم والحاء والهاء، وصورة الدال والذال، وصورة الراء والزاي، وصورة السين والشين، وصورة الصاد والضاد، وصورة الطاء والظاء، وصورة العين والغين، وصورة الفاء والقاف^(١)، وصورة الكاف، وصورة اللام، وصورة الميم، وصورة النون، وصورة الهاء، وصورة الواو، وصورة الملام ألف، وصورة الياء، وفرقوا بينها بالنقط كما سيأتي، وقصدوا بذلك تقليل الصور للاختصار لأن ذلك أخف من أن يجعل لكل حرف صورة فتكثر الصور .
١٥. ثم ترجع الصور التسع عشرة بعد ذلك إلى خمس صور : وهي الألف والجيم والراء والنون والميم، ففي صورة الألف إحدى عشرة صورة، ألف قائمة، وهي ا

(١) لعله وصورة القاف ليم العدد ولاختلاف صورتين في الرسم .

وسعُ الفات مسطوحة ، وهي ب ت ث ، ك ل ي ، فكل هذه على صورة الألف غير أن فيها ما تكرر فيه صورة الألف ، وهي الكاف واللام ، والفتان مبطوحتان ، وهما ط ط ظ ، وألف معطوفة ، وهي لا ، وفي الجيم سبع صور جيم مُرفلة ، وهي ج ح خ ، وجباب محذوفتان ، وهما د ذ . وحبان شاحصتان ، وهما ع غ ، وفي الراء ثلاث صور ، وهي ر ز و ، وفي التون ست صور ، وهي ن س ش ص ض ق ، وفي الميم صورتان ، وهما م ه .

الطرف الخامس

في تحسين الخط ، وفيه جملتان

الجملة الأولى

في الحث على تحسين الخط

لا خفاء أن حُسن الخط من أحسن الأوصاف التي يتصف بها الكاتب . وأنه يرفع قدره عند الناس ، ويكون وسيلةً إلى تجميع مفاصده ، وبلوغ ما ربه به مع ما ينضم إلى ذلك من الفوائد التي لا تكاد تُحصى كثرة .

وقد قال أمير المؤمنين عليّ كرم الله وجهه : " الخط الحسن يزيد الحق وضوحاً " .

وقال بعض العلماء : الخط كالروح في الحسد ، فإذا كان الإنسان جسماً وسماً حسن الهيئة ، كان في العيون أعظم ، وفي النفوس أغم ، وإذا كان على صد ذلك ستمته النفوس ، ومحنه القلوب ، فكذلك الخط إذا كان حسن الوصف ، ملبح الرصف ،

(١) لم يذكر إلا سنة ، راعى الساقط العاء . فإياها لم تذكر في الصور الآتية .

مفتحة العيون ، أملى المتن ، كثير الأتلاف ، قليل الاختلاف ، هشت إليه النفوس ، وأشتهته الأرواح ؛ حتى إن الإنسان ليقروه وإن كان فيه كلامٌ دنيء ، ومعنى رديء ، مستريداً منه ولو أكثر ، من غير سامة تلحقه ؛ وإذا كان الخط قبيحاً بجمته الأفهام ، ولفظته العيون والأفكار ، وسئم قارئه ، وإن كان فيه من الحكمة عجائبها ، ومن الألفاظ غرائبها .

ويقال : إن الخط مواز للقراءة ، فأجود الخط أبينه ، كما أن أجود القراءة أبينها ؛ ولا يخفى أن الخط الحسن هو البين الرائق البهيج . ثم قد تقدم في الكلام على أصل وضع الخط أن الخط واللفظ يتقاسمان فضيلة البيان ، ويشتركان فيها .

- قال في "مواد البيان" : ولما كان الخط قسماً للفظ في البيان الذي آمتن الله تعالى بتعليمه على الإنسان ، وجب على الكاتب أن يعنى بأمر الخط ، ويراعى من تجويده وتصحيحه ، ما يراعى من تهذيب اللفظ وتنقيحه ، لبدل على سرعة وسهولة كما يدل اللفظ البليغ البين ، لأن الخط وإن كان على الإطلاق في المنزلة التي لا تُساوى من الشرف وإنما تحصل فضائله للجيد منه ، كما أن المنطق وإن كان من الشرف في هذا الحد وإنما تحصل فضائله التامة لمنطق البليغ اللين ، دون منطق العبي الألكن ؛ وكذلك سائر الصنائع الفاضلة على الإطلاق إنما يحصل فضلها للماهر فيها دون المبتدى .

قال : فينبغي للكاتب ألا يقدم على تهذيب خطه وتحريره شيئاً من آدابه فإن جودة الخط أول الأدوات التي ينتظم بحصولها له آسم الكتابة ، ويحكم عليه إذا حازها بأنه من أهلها . وقد دخل بحسن الخط في الصناعة من إذا حُص عن مقدار معرفته وجب أن تزد الكتابة عن نسبه إليها .

ويجب مع ذلك أن يراعى تأسيس الخط على الرضع الذي أصطلح عليه المجيدون من الكُتَّاب . فقد قسم أهل الصناعة الخط إلى قسمين : محقق ومُطلق .

فأما المحقق فما صحَّت أشكاله وحروفه على اعتبارها مفردة .

قال في "مواد البيان" : وهذا القسم هو الذي يُستعمل في الأمور الجسيمة : ككُتُب العهود، والإسجالات، والتمليكات التي تبقى على الأعقاب، والمكاتبات الصادرة عن الملوك إلى الملوك، اندالة على قدر المكتوب عنه والمكتوب إليه .

وأما المُطلق فهو الذي تداخلت حروفه وأتصل بعضها ببعض .

قال في "مواد البيان" : وهو خط مولد من المحقق، يستعمل في تنفيذ ما لا يمكن تأخيره من المكاتبات المهمة والأمور العامة . قال : ويجب أن يلزم الطريقة في كل واحد من الخطين، ولا يخلط حروف أحدهما بحروف الآخر .

الجملة الثانية

في الطريق إلى تحسين الخط ، ويتوصل إلى ذلك بأمر

الأول^(١) - معرفة تشكيل الحروف

قال في "مواد البيان" : وهو الأصل في أدب الخط ، لأن الخط إنما يسمى جيداً إذا حسنت أشكال حروفه ، وإنما يسمى رديئاً إذا قُبُحَت أشكال حروفه . وحسن صور حروف الخط في العين شبيهٌ بحسن مخارج المنطق العذب في السمع .

قال : والوجه في تصحيح الحروف أن يبدأ أولاً بتقويمها مفردةً . ببسطة لتصح صورة كل حرف منها على حبالها ، ثم يؤخذ في تقويمها مجموعة مركبة ، وأن يبدأ

(١) لم يذكر غيره، ولعله اكنى مما تقدم في الأدوات من حسن البراية والحرف واللبقة وغير ذلك فلينب .

من المركب بالثنائي والثلاثي، ثم بالرباعي، ثم بالخماسي؛ فإن هذه هي أمثلة الأسماء والحروف الأصلية، وأن يعتمد في التمثيل على توقيف الماهرة في الخطوط، العارفين بأوضاعها ورسومها وأستعمال آلاتها، فإن لكل خط من الخطوط قلاما من الأقلام يصلح لذلك الخط، وهذه الأقلام المختلفة نظير آلات الصنائع المختلفة التي يصنع الصانع بكل آلة منها جزءا من صناعته لا يصنع به غيره؛ ولا يعول على كتابة خط من الخطوط بنقل مثاله بنفسه فإن ذلك لا يكفي، إذ لو كان ذلك كافيا لأستغنى في جميع الصنائع عمن يوقف عليها. على أن كثيرا من أصحاب الخطوط قد كتبوا طبعا دون التوقيف من أحد على طريقة من طرق المحترمين، إلا أن الأفضل أن يبنى الخط على أصل يكون له أساسا، فإذا فصلت أحواله أنكشف فساد كثير من حروفه.

الطرف السادس

في قواعد تتعلق بالكتابة

لا يستغني الكاتب المجيد عن معرفتها؛ وفيه جملتان

الجملة الأولى

في هندسة الحروف، ومعرفة اعتبار صحتها ونحن نذكرها على ترتيب الحروف

الألف

قال الوزير أبو علي بن مقلدة: وهي شكل مركب من خط منتصب، يجب أن يكون مستقيما غير مائل إلى استلقاء ولا أنجاب. قال: وليست مناسبة لحرف في طول ولا قصر.

- قال الشيخ شرف الدين محمد ابن الشيخ عز الدين بن عبد السلام : وهي قاعدة الحروف المفردة ، وبقى الحروف متفرعة عنها ومنسوبة إليها .
- ثم الذي ذكره صاحب "رسائل إخوان الصفا" في رسالة الموسيقى ، عند ذكر حروف المعجم استطرادا أن مساحتها في الطول تكون ثمان نَقَط من نَقَط القلم الذي تكتب به ليكون العرض ثمن الطول .
- والذي ذكره الشيخ شرف الدين محمد ابن الشيخ عز الدين بن عبد السلام : أنها مقدرة بست نقط
- والذي ذكره الشيخ زين الدين شعبان الآثاري في ألبته أنها مقدرة بسبع نقط ، فما زاد على ذلك كان زائدا عن مقدارها وما نقص كان ناقصا عنه .
- قال ابن عبد السلام : وتكون النقطة مربعة . قال : ويكون أبتداؤها بنقطة وآخرها بسَطِيَّة .
- قال ابن مقلة : وأعتبرها أن تخط إلى جانبها ثلاث أَلِفَات أو أربع أَلِفَات فنجد فضاء ما بينها متساويا .
- قال ابن عبد السلام : وتكون تلك الألفات المخطوطة إلى جانبها مناسبات لها في الطول متساويات الرؤوس والأذنان .

الباء

- قال ابن مقلة : هي شكلٌ مركبٌ من خطين : متصِّبٍ ومنسطحٍ . قال : ونسبته إلى الألف بالمساواة .
- قال ابن عبد السلام : ويكون المتصِّب طوله بمقدار ثلث أَلِف خطه . قال : ويبدأ أوله بنقطة ، وكذلك آخره إن كان مُرْسَلًا ، فإن كان معطوفاً فليكن بس القلم

اليسرى ، والمستدير فيه مثل المنتصب ، ولكن يكون المنتصب أرحح من المستدير
بتر يسير ، وتكون السنّة المبتدأ بها مترجحة في الطول على آخرها المعطوف .

- قال ابن مقلة : وأعتبر صحتها أن تزيد في أحد سنيها ألفا فتصير لاما . وزاد
ابن عبد السلام في إيضاحه فقال : أن تزيد المنتصب تكلمة ألف بحيث يكون طول
جملة كطول المنسطح لا أطول ولا أقصر . ثم قال : وهذا الحرف وما يجرى مجراه
من يمنة إلى يسرة ، وكل ما كان كذلك فينبغي أن يمال القلم فيه نحو اليسرة قليلا .
ولا يخفى أن التاء والتاء في معنى الباء في ذلك جميعه .

الجسيم

- قال ابن مقلة : هي شكل مربع من خطين : مُنكَبٌ ونصف دائرة ؛ وقطرها
مساوٍ للألف . وأبدل ابن عبد السلام المُنكَبَ بالمنسطح . ثم قال : والمنسطح
كثلى ألف من خطه ، وربما يكون أنقص بنقطة . قال : ومساحة نصف الدائرة
كألف ونصف ألف من قلم الكتابة ، ورأسها يكون من يسرة إلى يمنة على استقامة
تقريبا ؛ وكل ما كان كذلك ينبغي أن يمال برأس القلم فيه إلى اليمين قليلا ، يبدأ
أوله بشظية بالسّن اليمنى من القلم ، وآخر تعريجها بالسّن اليسرى منه .
- قال ابن مقلة : وأعتبر صحتها أن تحط عن يمينها وشمالها خطين فلا تنقص
عنهما شيئا يسيرا ولا تخرج .

وقال ابن عبد السلام : واعتبار صحة رأسها أن تكتبه من يسرة إلى يمنة على
استقامة تقريبا . قال : وحسنها أن تحفضها من الجهة اليمنى قليلا ؛ وميزانها أن تسطو
سطرا وتأخذ عليه من يسرة إلى يمنة مقدار ثلثي ألف من قلم الكتابة ، بحيث لا يرتفع

أولها عن آخرها إلا يسيراً، ولا آخرها عن أولها بل تكون متسبكة فيه، وأعتبر نصف الدائرة أن تقابله بنصف آخر فيصير دائرة. ثم قال: وليقصد أن يجعل رأس الحيم سواءً أخذنا ابتداء الدائرة في جسد ثلث الرأس، منسبكا فيه، بحيث يكون الثلث ضلعاً واحداً.

ولا يخفى أن الحاء والحاء في معنى الحيم في جميع ما تقدم.

الذال

قال ابن مقالة: هي شكل مركب من خطين: منكب ومنسطح، مجموعهما مساوٍ للألف. وجعل ابن عبد السلام منها شكلاً آخر مركباً من ثلاثة خطوط: منكب، ومنسطح، ومستدير. وكأنه يريد الذال المجموعة. ثم قال: فالمنكب طوله بمقدار نصف ألف خطه لا غير، وكذلك المنسطح. وأبتداء أولها بنقطة، وآخرها إن كان مرسلًا بقطة، وإن كان معطوفاً بسن القلم اليسرى.

قال ابن مقالة: وأعتبر صحتها أن تصل طرفيها بخطً وتحدده مثنًا متساوي الأضلاع. ولا يخفى أن الذال في معنى ما تقدم.

الراء

قال ابن مقالة: وهي شكل مركب من خطٍ مقوس هو ربع الدائرة التي قُطرها الألف وفي رأسه سنّة مقدره في الفكر.

قال ابن عبد السلام: وتبدأ أولها بنقطة، وآخرها إن كان مرسلًا فبسن القلم اليمنى، وإن كان معطوفاً فبسنة اليسرى.

قال ابن مقلة : وأعتبر صحتها أن تصلها بمثلها فتصير نصف دائرة .
ولا يخفى أن الزاى فى معناها .

السين

قال ابن مقلة : وهو شكل مركب من خمسة خطوط : منتصب ، ومقوس ،
ومنتصب ، ومقوس ، ومنتصب .^(١)

قال ابن عبد السلام : ومساحة رأس السين من أول سنّ منها إلى ثالث سنّ كلثى
ألف خطّه . قال : ومساحة قوسها إن كان معطوفا مساحة ألف من خطه ، وإن
كان مُرسلا مساحة ألفين من خطه . وطول كل سنّة مثل سدس ألف خطه ،
يبدأ أولها بنقطة ، أما آخرها فإن كان مرسلا فبسنّ القلم اليمنى ، وإن كان
معطوفا فبسنّه اليسرى . قال : وإذا ابتدأت بالسنّة وطلعت إلى الثانية نُخذ
إلى الثالثة من أعلاها ليصير بياض من أسفلها ، فإنك متى أخذت رأس سنّة من أسفلها
صار أسفلها مصطحبا ، ويكون البياض الذى بين السنّات على السوية فى البياض .
قال ابن مقلة : وأعتبر صحتها يعنى صحة رأسها أن تُمرّ بأعلاها وأسفلها خطين
فلا تخرج عنهما شيئا ولا تنقص .

ولا يخفى أن حكم الشين أيضا كذلك .

الصاد

قال ابن مقلة : هى شكل مركب من ثلاثة خطوط : مقوس ، ومستطوح ،
ومقوس .^(٢)

(١) كذا فى رسالة الوزير ابن مقلة فى علم الخط والنسب الموحود مها سبعة محفوطه بدار الكتب
المصرية تحت رقم ١٤ صناعات . وفى الأصل : « ثم مقوس » .
(٢) فى رسالة ابن مقلة : شكل مركب من أربعة خطوط . مستلق ومنتصب ومقوس .

قال ابن عبد السلام: وآبداؤه بِشَطِيئَةٍ، أما أنتهاؤه فإن كان مرسلا فبسنّ الذلم
الينبي ، وإن كان معطوفا فبسنه اليُسرى . قال : ومساحة رأس الصاد في الطول
كثني ألف خطه ، ومساحة قوسها إن كان معطوفا مساحة ألف الكتابة ، وإن كان
مرسلا فمساحة ألفين من قلم خطه .

قال ابن مقلة : وأعتبر صحتها أن تجعلها مُربّعة فتصير متساوية الزوايا
في المقدار .

وقال ابن عبد السلام : أعتبر صحتها أن يكون أعلاها كراء معلقة ، والمنسطح
كباء ، والمقوس كنون ، ويكون رأس النون مشرفا على آخرها .
ولا يخفى أن الضاد كذلك .

الطاء

قال ابن عبد السلام : هو شكلٌ مرّكبٌ من ثلاثة خطوط : متصّب ،
ومقوس ، ومنسطح ، يبدأ أوله بنقطة وآخره بنقطة . قال : ومساحة ضوئ الطاء
في الطول كثني ألف خطه .

قال ابن مقلة : وأعتبرها كأعتبر [الصاد]^(١) .

وقال ابن عبد السلام : أعتبر صحتها أن يكون المتصّب كألف من خطه
في الانتصاب والطول ، والمقوس كراء معلقة ، والمنسطح كباء مرسلا
ولا يخفى أن حكم الطاء في ذلك كالطاء .

(١) الزيادة عن رسالة الوزير ابن مقلة ومعالم الكتابة لابن شيب الغرشي (ص ٣٠ طبع مصر) .

العين

قال ابن مقلة : وهي شكلٌ مركَّبٌ من خطين : مقوَّسٍ ومنسطحٍ . أحدهما نصف الدائر .

وقال ابن عبد السلام : هي شكلٌ مركَّبٌ من ثلاثة خطوط : مقوَّسٍ ، ومنكَّبٍ ، ومنسطحٍ [يبدأ أولها بشِظِيَّةٍ ، وآخر تعريجها بسنِّ القلم اليسرى ، والتعريجة نصف دائرة ، ومساحة القوس كالفٍ وثلث من قلم الكتابة ، ومساحة الرأس في الطول كثنِي ألفٍ خطه ، ويصوَّر من رأسها رأس صاد .

قال ابن مقلة : وأعتبر صحتها كأعتبر الجيم .

وقال ابن عبد السلام : أعتبرها أن تخط عن يمينها خطاً من أعلاها إلى منتهى تعريجها فلا يقصر ظهر القوس عن يسارها يسيراً بنقطة تكون سدس ألف خطها لا غير .

ولا يخفى أن العين في الحكم كذلك .

الفاء

قال ابن مقلة : هي شكلٌ مركَّبٌ من أربعة خطوط : منكَّبٍ ، ومستلِقٍ ، ومنصبٍ ، ومنسطحٍ

١٥

قال ابن عبد السلام : تبدأ أوله بنقطة وتأخذه على سطر إلى جهة اليسار ، ثم تأخذ المستلِقَ إلى أن تنتهي إلى قبالة المنسطح بحيث يصير كالدال المقلوَّبة .

(١) الزيادة عن تحفة أول الألباب للشيخ عبد الرحمن بن الصانع .

ثم نأخذ من حيث انتهيت إلى أن تلتصق بالمنسطح فيبقى مثلثا متساوي الأضلاع ،
مساحة ضوئه نقطة بمقدار سدس ألف خطه ، ثم إن كان معطوفا ختمته بسنن
القلم ، وإن كان مرسلا فبقطته .

قال ابن مقلة : وأعتبر صحته أن تصل بالخط الثاني منها خطا فيصير مثلثا
قائم الزاوية .

القاف

قال ابن مقلة : هو شكل مركب من ثلاثة خطوط : منكب ، ومستقي ،
ومقوس .

قال ابن عبد السلام : هو مركب من أربعة خطوط ، رأسها كراس الفاء سواء
بجميع ما تقدم ، وإرسالها كالنون على ما سيأتي ذكره ، فإن كان آخرها معطوفا فبسنن
القلم اليسرى ، وإن كان مرسلا فبسنة اليمنى . قال : ومساحة ضوء المقوس من أوله
إلى آخره إن كان معطوفا كألف قلم الكتابة ، وإن كان مرسلا فكألفين .

قال ابن مقلة : وأعتبر صحتها كأعتبر النون ، وسيأتي ذكره .

الكاف

قال ابن مقلة : شكل مركب من أربعة خطوط : مكب ، ومنسطح ،
ومنتصب ، ومنسطح .

وقال ابن عبد السلام : وهو مركب من أربعة خطوط : مستقي ، ومنسطح
طوله مقدار ألف وثلاث ألف من قلم الكتابة ، ومنكب طوله مقدار ثلث ألف

من خطه ، ومنسطح طوله مقدار ألفين من خطه ، يفصل منتهى المنسطح ما بين المنسطحين .

قال : ولك أن تزيد الأسفل عن رأس الكاف بمقدار ثلث ألف الكتابة بسبب ما يتصل به ، فيصير فضاء ما بين ما اتصل بأخرها إلى رأس الكاف مثل الفضاء الذي بين المنسطحين .

قال : ولا يجوز أن تكتب مختلصة إذا لم يتصل آخرها بحرف ، بل إذا كانت آخر كلمة تكتب متصبة قائمة لا غير ، وتكتب إذا كانت متصبة كاللام على ما سيأتي بيانه .

قال : وتبدأ أولها بشظية إذا انتهت إلى اتصال رأسها بالمنسطح تشير بتدويرها دون تحديدها .

قال ابن مقلة : وأعتبار صحتها أن ينتصل منها باءان . قال ابن عبد السلام : يعني مستقيمة ومقلوبة .

اللام

قال ابن مقلة : هي شكل مركب من خطين : متصبي ، ومنسطح .

قال ابن عبد السلام : فالمنسطح ألف والمتصبي ياء ، فإن كان معطوفاً فيسنّ الغم اليسرى ، وإن كان مرسلاً فبقطه .

قال ابن مقلة : وأعتبار صحتها أن تُخرج من أولها إلى آخرها خطاً يماس الطرفين فيصير مثلثاً قائم الزاوية .

قال : وتكتب على الأنواع الثلاثة التي تكتب عليها الباء .

الميم

قال ابن مقلة : هي شكل مركب من أربعة خطوط : مُنكَبٌ ، ومُسْتَقٌ ،
وَمُنْطِحٌ ، ومُقَوَّسٌ .

وقال ابن عبد السلام : مركب من أربعة خطوط : مُنكَبٌ ، ومُقَوَّسٌ ، ومُسْتَقٌ
بِتَقْوِيسٍ ، ومُقَوَّسٌ كالراء يكون ربع دائرة ؛ فإن كان آخرها متصبا فهو في الوضع
والطُّول مثل ألف من خطه غير مائل إلى استلقاء ولا أنجاب ، تبدأ أول الميم بِشِظِيَّةٍ
وآخرها بِشِظِيَّةٍ .

قال : ومساحة ضوئها مثل سدس ألف خطها ؛ وهو مستطيلٌ مستدير كالبيضة
متصب إلى جهة اليمين .

قال ابن مقلة : وأعتبرها كأعتبر الهاء ، ونهياتي .

النون

قال ابن مقلة : هو شكل مركب من خطٍ مقوَّسٍ ، هو نصف الدائرة ؛ وفيه
سنة مقدره في الفكر .

قال ابن عبد السلام : يبدأ أوله بنقطه ، وآخره إن كان معطوفاً فبسنّ القلم
اليسرى ، ومساحة ضوئه ألف من قلم خطه ؛ وإن كان مُرْسَلاً فبسنّ القلم اليميني ،
ومساحة ضوئه ألفان من قلم خطه .

قال ابن مقلة : وأعتبر صحتها أن يوصل بها مثلها فتكون دائرة .

الهاء

قال ابن مقلة : هي شكل مرَّكَب من ثلاثة خطوط : منكب ، ومنتصب ،

ومفوس .

وقال ابن عبد السلام : من ثلاثة خطوط : منكب ، ومنسطح بترطيب ،

ومستقي ، تبدأ أولها بنقطة وآخرها إرساله بسن القلم اليميني ، طول المنكب كطول
نصف ألف من خطه ، وطول المنسطح كثلث ألف من خطه ، وطول المستقي
كنصف ألف قلم خطه .

قال ابن مقلة : وأعتبر صحتها أن تجعلها مربعة فتساوي الزاويتان العلياوان

كتساوي الزاويتين السفلاوين .

وقال ابن عبد السلام : أعتبر صحتها أن تجعل ردتها في ثلثها ، فإذا كمل وضعها

فأجعلها مربعة فتساوي الزاويتان العاليتان والزاويتان السافلتان .

الواو

قال ابن مقلة : هي شكل مرَّكَب من ثلاثة خطوط : مستقي ، ومنكب ،

ومفوس .

وقال ابن عبد السلام : هي مركبة من أربعة خطوط ، رأسها كراس الفاء ،

وتقويسها كالراء ، وهو ربع دائرة ، تبدأ أولها بنقطة ، وآخرها إن كان معطوفا
فيسن القلم اليسرى ، وإن كان مرسلا فيسن اليميني .

اللام ألف

قال ابن عبد السلام : هي شكل مركب من ثلاثة خطوط : منكب ، ومنسطح مستقيم ، ومستلق ؛ طول المنكب كطول ألف من قلم الكتابة وطول المنسطح كثنى ألف الكتابة ، وطول المستلق كطول ألف الكتابة ؛ تبدأ أول المنكب بنقطة ، وكذلك المستلق .

قال : وأعتبر صحتها أن يكون ثلثها من أسفلها والثلثان من أعلاها ، وأن تخط من رأس اللام إلى رأس الألف خطا مستقيما ، وأن تخط من أعلاها إلى أسفلها خطا فلا يتصر عنها ولا يخرج .

قال : ومنها نوع آخر مركب من ثلاث خطوط : منكب ، ومستدير يقارب ألفا ، ومستلق يقابل طرفه طرف المنكب .

الياء

قال ابن مقلة : شكل مركب من ثلاثة خطوط : مستلق ، ومنكب ، ومقوس .
قال ابن عبد السلام : وهي كالنون ؛ وتبدأ أولا بشظية رأسها كدال مقلوبة ، طول المستلق منها كنصف ألف من خطه ، وكذلك المنكب على ما تقدم في الدال .
قال : والمقوس إن كان معطوفا فساخته كألف من خطه وآخره بسن القلم اليسرى ، وإن كان مرسلا فساخته كالفير من خطه وآخره بسن القلم اليمنى .
قال : ومنها نوع كراس الكاف المستلق والمنسطح سواء .

قال ابن مقلة : وأعتبرها كأعتبر الواو .

(١) في رسالة الوزير ابن مقلة : « شكل مركب من أربعة خطوط : مستلق ، ومتصب ،

ومنكب ، ومقوس » .

الجملة الثانية

في معرفة ما يقع به ابتداء الحروف وأنهاؤها : من نُقْطَة أو شَطِيطَة أو غير ذلك
أما الإبتداء فعلى ثلاثة أضرب :

الضرب الأول

ما يتبدأ بنقطة ، وهو تسع صور^(١)

صورة الباء وأختها ، وصورة الدال وأختها ، وصورة السين وأختها ، وصورة
اللام ، وصورة النون ، وصورة العين وأختها . وقد جمعها السمرري في أرجوزته
في أوائل كلمات بيت واحد ، وهو قوله :

إذا بدت دعد رقا سناها * لعاشق نأخ على هواها

١٠ على أن الشيخ شرف الدين بن عبد السلام قد وهم فعده منها الفاء ، وليس كذلك
بل هي مما يتبدأ بجلفه^(٢) على ما سيأتى ذكره .

الضرب الثاني

ما يتبدأ بشطية ، وهو صور خمسة أحرف

الحاء ، والطاء ، والياء ، والصاد ، والكاف

وقد جمعها السمرري في قوله : "خطى بصاك" .

١٥

وجعل ابن عبد السلام الخمسة :

الغين ، والطاء ، والحاء ، والكاف ، والصاد

وجمعها في قوله : "غَطَّ خَصَّكَ" وألحق بها أشباهها .

(١) لم يصل العدد الى التسع ولعله سبع وسقطت صورة الراء وأختها كما يظهر بالتأمل في بقية الأضرب .

(٢) لكل قصة جلفة بحسب صلابتها ، فالصلبة تطول ، وحدها ألا تأخذ في الخط ولا تعطى
٢٥ فتختلف محنة الكتابة (راجع شرح فريدة ابن البواب في آلات الخط للشيخ شرف الدين بن الواح) .

الضرب الثالث

ما يتبدأ بحلقة . وهو صور أربعة أحرف :

القاف ، والميم ، والواو ، والفاء

وقد جمعها السمرى في قوله : "قُمْ وَفَّ" .

وأما الاختتام فعلى ثلاثة أضرب أيضا :

الضرب الأول

ما ينتتم بقطة القلم . وهو صور ستة أحرف :

الطاء ، والفاء ، والباء ، واللام ، والdal ، والكاف

وجمعها ابن عبدالسلام في قوله : "دَبَّ طفلك" ولا يخفى أن أخواتها في معناها .

الضرب الثاني

ما ينتتم بشظية ؛ وهو صورة واحدة

وهى الألف

الضرب الثالث

ما يرسل في ختمه إرسالا ، وهو صورة أحد عشر حرفا ، وهى :

السين ، والراء ، والحاء ، والميم ، والنون ، والياء

والعين ، والقاف ، والصاد ، والواو ، والهاء

يجمعها قولك : "سرح منيع وقصه" .

الطرف السابع

في مقدمات تتعلق بأوضاع الخط وقوانين الكتابة ؛ وفيه ثلاث جمل

الجملة الأولى

في كيفية إمساك القلم عند الكتابة ، ووضعه على الورق

- قال الوزير أبو علي بن مقلة رحمه الله : يجب أن تكون أطراف الأصابع
الثلاث : الوسطى والسبابة والإبهام على القلم ؛ وإلى ذلك يشير أبو تمام
الطائي بقوله :

... .. * ثلاث نواحيه الثلاث الأنامل

أما قول القائل في وصف القلم أيضا :

- ١٠ وذي عفافٍ راكعٍ ساجد * أخو صلاحٍ دمه جارٍ
ملازم الخمس لأوقاتها * مجتهدًا في طاعة الباري

يريد بالخمس الأصابع الخمس ، فإنه على سبيل المجاز ، من باب مجاز المجاورة .

قال الشيخ عماد الدين بن العفيف : وتكون الأصابع بمسوحة غير مقبوضة ،

لأن بسط الأصابع يتمكن الكاتب معه من إدارة القلم ؛ ولا يتكئ على القلم الأتكاء

١٥ الشديد المضعف له ؛ ولا يمسكه الإمساك الضعيف فيضعف اقتداره في الخط ،

لكن يجعل أعماده في ذلك معتدلاً .

وقال حنون : إذا أراد الكاتب أن يكتب فإنه يأخذ القلم فيتكئ على الحنصر ،

ويعتمد بسائر أصابعه على القلم ، ويعتمد بالوسطى على البنيصر ، ويرفع السبابة على

القلم ، ويعمل الإبهام في دورانه وتحريكه .

قال ابن مقلة : ويكون إمساك القلم فَوْيقَ الفتحة بمقدار عَرْضِ شعيرتين أو ثلاثٍ ؛ وتكون أطراف الأصابع متساويةً حولَ القلم لا تفضُل إحداهنَّ على الأخرى .

قال صاحب " الخلية " : وتكون الأصابع على القلم منبسطة غير منقبضة
ليتمكّن من إدارة القلم ، ولا يدار حالة الاستمداد .

قال ابن المقفّيف : وعلى حسب تمكّن الكاتب من إدارة قلمه وسرعة يده في الدوران يكون صفاء جوهري حروفه .

الجملة الثانية

في كيفية الاستمداد، ووضع القلم على الدرج

أما الاستمداد فهو أصل عظيم من أصول الكتابة ؛ وقد قال المقتر العلاءي ابن فضل الله : من لم يُحسّن الاستمدادَ وبرّى القلم فليس من الكتابة في شيء .

قال الشيخ عماد الدين بن العفيف : وإذا مدّ الكاتب فليكن القلم بين أصابعه على صورة إمساكه له حين الكتابة ، ولا يديره للاستمداد ، لأن أحسن المذاهب فيه أن يكون من يد الكاتب على صورة وضعه في الكتاب ، ويمتدك رأس القلم من باطن يده إلى خارجها فإنه يمكن معه مقام القلم على نصبته من الأصابع ، ومتى عدل عن هذا لحقته المشقة في نقل نصبة الأصابع في كل مدة .

قال : وهذا من أكبر ما يحتاج إليه الكاتب ، لأن هذا هو الذي عليه مدار جودة الخط .

ثم قال : وقبلما يُدرك علم هذا الفصل إلا العالم الحاذق بهندسة الخط ، مع ما يكون معه من الأناة وحسن التأدية .

ومن كلام المقر العلاء بن فضل الله : ينبغي للكاتب ألا يكثر الاستمداد بل يمدّ مدًا معتدلاً ، ولا يحرك اللبقة من مكانها ، ولا يعثر بالقلم فإن ذلك عيب عند الكتاب ، ولا يرد القلم إلى اللبقة حتى يستوعب ما فيه من المداد ، ولا يدخل منه الدواة كثيراً ، بل إلى حد شقّه ، ولا يجاوز ذلك إلى آخر الفتحة ، ليأمن تسويد أنامله ، وليس ذلك من خصال الكتاب .

وأما وضع القلم على الدرج فقال أبو علي بن مقبل : ويجب أن يكون أول ما يوضع على الدرج موضع القطعة منكباً .

الجملة الثالثة

في وضع القلم على الأذن حال الكتابة عند التفكير

- ١٠ قال محمد بن عمر المدائني : يستحب للكاتب في كتابته إذا فكر في حاجة أن يضع القلم على أذنه ، وساق بسنده إلى أنس بن مالك رضي الله عنه : أن معاوية بن أبي سفيان كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم ، فكان إذا رأى من النبي صلى الله عليه وسلم إعراضاً وضع القلم في فيه ، فنظر إليه النبي صلى الله عليه وسلم وقال : "يامعاوية إذا كتبت كتاباً فضع القلم على أذنك فإنه أذكرك وللمملي" .
- ١٥ وساق بسنده أيضاً إلى زيد بن ثابت رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر إليه وهو يكتب في حوائجه فقال له : "ضع القلم على أذنك فإنه أذكرك" .

وأخرج أيضاً من رواية أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكتابه : "ضع القلم على أذنك يكن أذكرك" .

- ٢٠ وفي رواية عن أنس : "كان معاوية كتباً للنبي فراه يوماً قد وضع القلم على الأرض فقال : يامعاوية إذا كتبت كتاباً فضع القلم على أذنك" .

وأخرج أيضا "أن كعبا كان يتحدث عند عائشة، فذكر إسرائيل فقال: له جناح بالمشرق وجناح بالمغرب وجناح مسربل به والقلم على أذنيه فإذا نزل الوحي جرى القلم ودرست الملائكة. فقالت عائشة: هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم".

الطرف الثامن

في ذكر قوانين يعتمدها الكاتب في الخط؛ وفيه ست جمل

الجملة الأولى

في كيفية حركة اليد بالقلم في الكتابة، وما يجب أن يُراعى في كل حرف
قال السمرري وأبن عبد السلام وغيرهما: كل خط منتصب ينبغي أن يكون
الاعتماد فيه من القلم على يمينه معاً، وكل خط من يمينه إلى يسرة ينبغي أن يمال القلم
فيه نحو اليسرة قليلاً، وكل خط من يسرة إلى يمينه ينبغي أن يمال رأس القلم فيه إلى
اليمنى قليلاً، وكل شظية ينبغي أن تكون باليمن اليمنى من القلم، وكل نقطة ينبغي
أن تكون بسنن القلم، وكل تعبير كما في النون وتعريقة الصاد يجب أن تكون بالسنة
الأيمن وكل إرساله يجب أن تكون بسنن القلم اليمنى، وكل تعريج كما في عراقه الجيم
والعين يجب أن يكون بسنن القلم اليسرى، وكل ما أخذ فيه من يمينه إلى يسرة كاللام
ونحوها ينبغي أن يمال فيه رأس القلم إلى اليسرة قليلاً، وكل ما أخذ فيه من يسرة إلى
يمينه كراس الجيم ينبغي أن يمال رأس القلم فيه إلى اليمنى قليلاً، وكل خط منتصب
فيجب أن يكون آتياؤه إرساله، وطول كل سنة من السين ونحوها مثل سدس ألف
خطها، وقيل مثل سبعة؛ وكل شظية في أول أو آخر مثل سبع ألف خطها.

قال الشيخ عماد الدين بن العفيف: وللسنن الأيمن من القلم الألف واللام ورمعة

الطاء والنون والباء والكاف إذا كانت قائمة مبتدأة، وأواخر التعريفات والمذات

وطبقه الصاد والضاد، ومدة السين والشين؛ ولأيسر الجيم وأختاها والردات وتدوير رءوس الفاءات والقافات والهئات والواوات والكافات المشقوقة.

قال: وكل ردة من اليسار إلى اليمين تكون بصدر القلم.

قال: ويجب أن تكون المطات الطويلة بسن القلم اليمنى مشطاة مماله، فتكون

- المطة من رأس شظيتها، وأن تكتب المدات القصيرة بحرف القلم؛ وإذا ابتدأ بالمدة وجب أن يدار القلم على سنه مثل مطة الطاء؛ وإذا وصلت المطة بحرف مثلها كتبت بوجه القلم مثل مطة الناء المفردة. ثم قال: وهذا من أعظم أسرار الكتابة.

الجملة الثانية

في تناسيب الحروف ومقاديرها في كل قلم

- قال صاحب "رسائل إخوان الصفا" في رسالة الموسيقى منه:

ينبغي لمن يرغب أن يكون خطه جيذا وما يكتبه صحيح التناسب، أن يجعل لذلك أصلاً يبني عليه حروفه، ليكون ذلك قانوناً له يرجع إليه في حروفه، لا يتجاوزه ولا يقصر دونه.

قال: ومثال ذلك في الخط العربي أن تخط ألفاً بأي قلم شئت، وتجعل غلظه

- الذي هو عرضه مناسباً لطوله وهو الثمن، ليكون الطول مثل العرض ثمان مرات. ثم تجعل البركار^(١) على وسط الألف وتدير دائرة تحيط بالألف لا يخرج دورها عن طرفيه، فإن هذا الطريق والمسلك يوصلان إلى معرفة مقادير الحروف على النسبة، ولا تحتاج في مقاييسك ما تقصده إلى شيء يخرج عن الألف وعن الدائرة التي تحيط به.

فالباء وأخواتها - كل واحدة منها يجب أن يكون تسطيحها إذا أضيفت إليه

- سناً مساوياً لطول الألف، فإن زاد سمج وإن قصر قبح؛ ومقدار ارتفاع سنها

(١) البركار: آلة ذات سافين ترسم بها الدوائر.

- و جميع السنن التي في السين والشين ونحوها لا يتجاوز مقدار ثمن الألف .
 والجيم وأخواتها - مقدار مدتها في الابتداء لا يقصر عن نصف طول الألف .
 وكذلك يجرى الأمر في العين ، والغين ، والسين ، والشين ، والصاد ، والضاد
 والراء ، والزاي ، كل واحدة منها مثل ربع محيط الدائرة .
 ٥ والذال ، والذال - كل واحدة منهما يجب أن يكون مقدارها إذا أزيل الأثناء
 الذي فيها وأعيدت إلى التسطیح لا يتجاوز طول الألف ولا يقصر دونه .
 والسين ، والشين - كل واحدة منهما يجب أن تكون سننهما إلى فوق مثل مقدار ثمن
 الألف ، وفي العرض بمقدار نصفها ، وفي التعريق مثل نصف الدائرة المحيطة بالألف .
 والصاد ، والضاد - مقدار عرض كل منهما في مداها مثل مقدار نصف
 الألف وفتحة البياض فيها مقدار ثمن الألف أو سدسها ، وتعريقها إلى أسفل مثل
 ١٠ نصف الدائرة المحيطة بالألف .
 والطاء ، والظاء - كل واحدة منهما في ناحية يجب أن يكون مقدارها مثل
 مقدار جميع طول الألف وعرضه مثل نصف الألف .
 والعين ، والغين - كل واحد منهما مقدار تقويمه في العرض مثل نصف
 ١٥ الألف أو مثل الألف إذا أعيدت إلى التسطیح وأزيل تثنيه ، وتقويمه من
 أسفل مثل نصف محيط الدائرة .
 والفاء - يجب أن يكون تسطيحه إلى قدام بعد الطالع منه من فوق مثل طول الألف .
 وحلقته وحلقة الواو والميم كلها إلى فوق مثل سدس الألف ، وإلى أسفل في الميم
 والواو مثل الراء .
 والقاف - تقويمها من فوق ينبغي أن يكون مثل سدس طول الألف ،
 ٢٠ وتعريقها مثل مقدار نصف الدائرة .

والكاف - ينبغي أن يكون الأعلى منها طول الألف، وفتحة البياض التي داخله مثل سدس طول الألف؛ وتسطيحه من أسفل مثل أعلاه وكبيرته إلى فوق مثل نصف طول الألف .

واللام - يجب أن يكون مقدار طول قائمتها مثل الألف، ومدتها إلى قدام مثل مقدار نصف الألف .

والنون - يجب أن يكون مقداره مثل نصف محيط الدائرة .

والياء - ينبغي أن يكون مبدؤه دالا مقلوبة لا تتجاوز مقدار طول الألف، وتعرفها إلى أسفل مثل نصف محيط الدائرة .

ثم قال: وهذه المقادير وكمية نسبة بعضها إلى بعض هو ما توجهه قوانين الهندسة والنسبة الفاضلة، إلا أن ما يتعارفه الناس ويستعمله الكتاب على غير ذلك .

وقد أشار الشيخ عماد الدين بن العفيف إلى ضوابط في ذلك على ما تقتضيه أوضاع الكتاب يجب الوقوف عندها فقال :

وأعلم أن مقادير الحروف متناسبة في كل خط من الخطوط .

وأعلم أن صاحبنا الشيخ زين الدين شعبان الآثاري في ألفيته قد جعل طول الألف سبع نقط من كل قلم، ومقتضاه أن يكون العرض سبع الطول .

ثم قال : إن ما زاد عن ذلك فهو زائد في الطول، وما كان ناقصاً عن ذلك فهو ناقص ، وعلى ذلك تختلف المقادير المقطرة بالألف من الحروف بنقص قدر الثمن من الطول .

فالألف واللام قدر سواء في كل خط، وكذلك الباء وأختاها، والجيم وأختاها،

والعين والغين قدر سواء، والنون، والصاد، والضاد، والسين، والشين، والقاف، والياء المخرقة قدر سواء؛ والراء، والزاي، والميم، والواو قدر سواء .

- قال : وكل عرافة بدأت بها في كل خط ما فعلى مثلها يكون انتهاؤها .
ثم قال : فتفهم هذا القدر فإنه كثيرا ما يختلط على الكتاب الحذاق .
وقد ذكر الشيخ شرف الدين بن عبد السلام من ذلك أضربا :
- أحدها - ما هو متناسب الطول، وهو خمس صور : صورة الألف، وصورة اللام، وصورة القاف، وصورة التاء، وصورة الكاف ويجمعها قولك : "الفتك" وفرع عليها أربع صور يجمعها قولك : "بث مي" .
- الثاني - ما يجوز مده من أول السطر إلى آخره وقصره ما شاء، ما لم يقصر عن طول الألف، وهي الباء، والكاف، واللام، ويجمعها قولك : "بكل" ويتفرع عليها أخواتها .
- الثالث - ما هو متناسب في المقدار، وهو ثلاث صور، يجمعها قولك : "دبل" .
- والمنكب من الدال والمستلق منها والمنسطح والمستلق منها والمنكب من الباء بمقدار نصف ألف خطه .
- الرابع - ما هو متناسب المساحة في حال العطف والإرسال : وهي القاف، والسين، والباء، والياء، والضاد، ويجمعها قولك : "قبس بض" وكل أخت تلحق بأختها .
- الخامس - ما هو متناسب في الإرسال وهو الميم، والواو، والزاي، ويجمعها قولك : "موز" .
- السادس - ما هو متناسب في الصوة والإرسال، وهو ست صور، هي الفاء، والقاف، والهاء، والميم، والواو، واللام ألف، ويجمعها قولك : "فقه مولا" .

السابع - ما هو متناسب ضوء الباطن ، وهو ثلاث صور : الصاد ، والطاء ،
والعين وأخواتها .

الثامن - ما هو متناسب الرأس ، وهو ثلاث : الصاد ، والعين ، والطاء ؛
ويجمعها قولك : " صعط " ويلحق بها أخواتها .

التاسع - ما هو متناسب في التعرّيج ، وهو العين ، والجيم ، ويجمعهما
قولك : " عج " .

الجملة الثالثة

فيما يجب أعماده لكل ناحية من نواحي القلم

قد تقدم في الكلام على يراية القلم أن للقلم يسناً أيمن وسناً أيسر، وعرضاً،
ووجهاً، وصدراً؛ وأنه يتعين على الكاتب معرفة كل واحد منها، يُعطى كل واحد
منها حقه في الموضع الذي يقتضيه الحال . وقد ذكر السمرري في أرجوزته جملاً
كلية إذا عرفها الكاتب سهل عليه ما يرومه من ذلك فقال :

"إن كلَّ خطٍ منتصبٍ الشُّكل كالألف ونحوه يجب في كتابته الاعتماد على سنى
القلم جميعاً، وكلَّ خطٍ أخذٍ من اليمين إلى اليسار يجب إمالة القلم فيه إلى اليسار شيئاً
يسيراً، وكلَّ خطٍ أخذٍ من اليسار إلى اليمين يجب إمالة القلم فيه إلى اليمين شيئاً يسيراً،
وكل نقطة يعتمد فيها بسنده جميعاً، وكل شظية فإنها تُختلَسُ بسنده اليمنى اختلاسا،
كل إرساله تعقيب كما في الجيم والعين يُعتمدُ فيها على السن الأيسر، وكلَّ تفعير كما
في النون يكتب بالسن اليمنى " .

وأفصح عن ذلك الشيخ عماد الدين بن العفيف فقال :

٢٠ إن للسن الأيمن الألف واللام، ورفعة الطاء، والنون، والباء، والكاف إذا كانت
قائمة مبتدأة، وأواخر التعريقات والمدات، وطبقة خولة الصاد والضاد المستقلة،

وبده السين والشين . وللسن الأيسر الجيم وأختيها، والرذات، وتدوير رؤوس
الفاءات والهاءات والواوات والكافات المشكولة^(١) . ثم قال : وكل ردة من اليسار
إلى اليمين تكون بصدر القلم .

الجملة الرابعة

في الترويس

والذي يدخله الترويس في الجملة الألف، والباء، والجيم، والذال، والراء،
والطاء، والكاف، واللام المجموعة، ويختلف الحال في ترويسها وعدمه باختلاف
الأقلام .

فمنها ما يروس حتما، ومنها ما يتمتع فيه الترويس، ومنها ما الكاتب فيه بالخيار
بين الترويس وعدمه، وربما رؤوس بعض الحروف في بعض الأقلام ولم يروس
في بعضها . ثم قد ذكر أهل الصناعة أن ترويس الألف كسبغه . وذهب ياقوت
إلى الزيادة على ذلك؛ وترويس الباء وأختيها بقدر نقطتين؛ وترويس الجيم بقدر
نصف نصبها؛ وترويس الصاد والطاء كالسين؛ وترويس الفاء والقاف كالباء .
ومياتي الكلام على ترويس كل حرف منها في قلمه إن شاء الله تعالى .

الجملة الخامسة

فيما يطمس من الحرف ويفتح

وهي المعبر عنها بالعقد، وهي صورة الصاد، والطاء، والعين، والفاء، والقاف،
والميم، والهاء، والواو، واللام ألف المنخفضة، ويختلف الحال فيها :

(١) في الأصل : « المشكولة » وما أئبناه من التعريف عن أشكال الحروف الآتية في هذا الجز.

فمنها ما لا يُطَمَس بحال، وهي : الصاد وأختها، والطاء وأختها، والعين المفردة والمبتدأة وأختها .

ومنها ما يطمس في بعض الأقلام دون بعض وهي : العين المتوسطة ، والعين الأخيرة؛ وكذلك الغين، والفاء، والقاف، والميم، والهاء، والواو، واللام ألف وسياتي الكلام على ما يُطَمَس ويفتَح من ذلك في كل قلم عند ذكره .

ثم الطَّمَس فيما يُطَمَس منها على سبيل الجواز لا على سبيل اللزوم .

قال الشيخ عماد الدين بن العفيف : والرجوع في ذلك إلى قانون مضبوط، وهو أنه كُلُّمَا غُلِظَتِ الأَقْلَامُ كان الطمس فيها على خلاف الأصل، وكُلُّمَا رَقَّتْ كان الفتح فيها على خلاف الأصل، وذلك أننا عدلنا عن الفتح إلى الطَّمَس لأجل التلطيف.

الجملة السادسة

في ذكر الأقلام المستعملة في ديوان الإنشاء في زماننا

وسياتي في المقالة الثالثة في الكلام على ما يناسب كل مقدار من مقادير قطع الورق من الأقلام ، أن المقر الشهابي بن فضل الله ذكر في ذلك خمسة أقلام ، وهي : مختصر الطومار، والثُّلث، وخَفِيفِ الثُّلث، والتوقيع، والرَّقَاع .

فمختصر الطومار لقطع البغدادى الكامل ، والثُّلث لقطع الثلثين ، وخَفِيفُ الثُّلث لقطع النصف، والتوقيع لقطع الثلث، والرَّقَاع لقطع العادة .

ويلتحق بالخمسة التي ذكرها ثلاثة أقلام أُخَر، وهي : الطومار الكامل، والمحْتَق، والغُبَار .

فالطومار - يكتب به السلطان علاماته على المكاتب والولايات ومناشير

الانقطاع .

والمحقق - أَسْتُحِدِّثُ كِتَابَهُ فِي طَغْرَاوَاتِ كُتُبِ الْقَانَاتِ عَلَى مَا سَبَّأَنِي بِيَانِهِ

فِي مَوْضِعِهِ .

وَالغُبَارُ - يُكْتَبُ بِهِ بِطَائِقُ الْحَمَامِ وَالْمَلَطَّاتِ وَمَا فِي مَعْنَاهَا .

وَحِينَئِذٍ فَيَكُونُ الْمُسْتَعْمَلُ بِدِيَوَانِ الْإِنشَاءِ فِي الْجُمْلَةِ ثَمَانِيَةَ أَقْلَامٍ : الطُّومَارُ،

وَمُخْتَصِرُ الطُّومَارِ، وَالثَّلْثُ، وَخَفِيفُ الثَّلْثِ، وَالتَّوْقِيعُ، وَالرَّقَاعُ، وَالمَحْقُوقُ، وَالغُبَارُ.

وَقَدْ اِخْتَلَفَ الكُتَّابُ فِي تَسْمِيَةِ قَلَمِ الثَّلْثِ وَمَا فِي مَعْنَاهُ مِنَ الْأَقْلَامِ الْمُنْسُوبَةِ

إِلَى الكُتُوبِ كَالثَّلْثِينَ وَالنِّصْفِ عَلَى مَذْهَبَيْنِ :

الْمَذْهَبُ الْأَوَّلُ - مَا نَقَلَهُ صَاحِبُ "مَنْهَاجِ الْإِصَابَةِ" عَنِ الْوَزِيرِ أَبِي عَلِيٍّ بْنِ

مَقْلَةَ : أَنَّ الْأَصْلَ فِي ذَلِكَ أَنَّ لِحْظَ الكُوفِيِّ أَصْلِينَ مِنْ أَرْبَعِ عَشْرَةِ طَرِيقَةٍ ، هُمَا

لَهَا كَالْحَاشِيَتَيْنِ ، وَهُمَا : قَلَمُ الطُّومَارِ ، وَهُوَ قَلَمٌ مَبْسُوطٌ كُلُّهُ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ مُسْتَدِيرٌ .

قَالَ : وَكَثِيرًا مَا كُتِبَ بِهِ مَصَاحِفُ الْمَدِينَةِ الْقَدِيمَةِ . وَقَلَمُ غُبَارِ الْحَلِيَّةِ ، وَهُوَ قَلَمٌ

مُسْتَدِيرٌ كُلُّهُ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ مُسْتَقِيمٌ ، فَالْأَقْلَامُ كُلُّهَا تَأْخُذُ مِنَ الْمُسْتَقِيمَةِ وَالْمُسْتَدِيرَةِ نِسْبًا

مُخْتَلِفَةً ، فَإِنْ كَانَ فِيهِ مِنَ الْحَطُوطِ الْمُسْتَقِيمَةِ الثَّلْثُ سُمِّيَ قَلَمُ الثَّلْثِ ، وَإِنْ كَانَ فِيهِ مِنَ

الْحَطُوطِ الْمُسْتَقِيمَةِ الثَّلَاثَانَ سُمِّيَ قَلَمُ الثَّلَاثِينَ ، وَعَلَى ذَلِكَ أَقْتَصَرَ صَاحِبُ "مَنْهَاجِ الْإِصَابَةِ" .

الْمَذْهَبُ الثَّانِي - مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ بَعْضُ الكُتَّابِ أَنَّ هَذِهِ الْأَقْلَامَ مُنْسُوبَةٌ مِنَ

نِسْبَةِ قَلَمِ الطُّومَارِ فِي الْمَسَاحَةِ ، وَذَلِكَ أَنَّ قَلَمَ الطُّومَارِ الَّذِي هُوَ أَجْلُ الْأَقْلَامِ مَسَاحَةُ

عَرَضِهِ أَرْبَعٌ وَعِشْرُونَ شَعْرَةً مِنْ شَعْرِ الْبُرْذُونِ كَمَا سَبَّأَنِي ، وَقَلَمُ الثَّلْثِ مِنْهُ بِمَقْدَارِ ثَلَاثَةٍ ،

وَهُوَ ثَمَانُ شَعْرَاتٍ ، وَقَلَمُ النِّصْفِ بِمَقْدَارِ نِصْفِهِ ، وَهُوَ اثْنَا عَشْرَةَ شَعْرَةً ، وَقَلَمُ الثَّلَاثِينَ

بِمَقْدَارِ ثَلَاثِيهِ ، وَهُوَ ثَمَانُ عَشْرَةَ شَعْرَةً . وَإِلَى ذَلِكَ كَانَ يَذْهَبُ بَعْضُ مَشَائِخِ الكُتَّابِ

الَّذِينَ أَدْرَكَاهُمْ ، وَعَلَيْهِ أَقْتَصَرَ الْمَوْلَى زَيْنُ الدِّينِ شُعْبَانَ الْآنَارِيَّ فِي أَلْفِيَّتِهِ .

(١) الْقَانَاتُ : جَمْعُ قَانٍ : اسْمٌ عَلَمٌ لِمَلِكِ التُّرْكِ ، فَبِيلٌ : هُوَ مُخْتَصِرُ خَافَانَ (رَاجِعِ شَرْحَ الْقَامُوسِ مِنْ مَادَّةِ قَبِي) .

وهذه صور حروف الأقسام السبعة التي تستعمل في ديوان الإنشاء ولوارمه
وهي : الطومار، ومختصره، والثلاث، وخفيف الثلاث، والرقاع، والمحقق، والغبار
في حالتى الأفراد والتركيب .

القلم الأول

قلم الطومار

بإضافة قلم إلى الطومار، والمراد بالطومار الكامل من مقادير قطع الورق أصل
عمله، وهو المعبر عنه في زماننا بالفرخة، فأضيف هذا القلم إليه لمناسبة الكتابة به فيه .
وقد تقدم أنه قلم جليل قدر الكتاب مساحة عرضيه بأربع وعشرين شعرة من شعر
البردون، وبه كانت الخلفاء تكتب علاماتهم في الزمن المتقدم في أيام بني أمية فمن بعدهم .

فقد حكى أحمد بن إبراهيم الدورقي في مناقب عمر بن عبد العزيز : أن عمر بن
عبد العزيز أتى بطومار ليكتب فيه فأمتنع وقال : فيه ضياع الورق وهو من بيت
مال المسلمين، وبالضرورة فلا يكتب في الطومار إلا بقلم الطومار، وهذا دليل على
أنه كان موجودا فيا قبله، وأظنه من الأمور التي رتبها معاوية بن أبي سفيان،
إذ هو أول من قتر أمور الخلافة، ورتب أحوال الملك، وبه استقرت كتابة ملوك
الديار المصرية من كدن السلطان الملك الناصر "محمد بن قلاوون" وهلم جرا
إلى زماننا .

قال صاحب "منهاج الإصابة" : ويكون من لب الجريد الأخضر، ويؤخذ منه
من أعلى الفتحة ما يسع رؤوس الأنامل . قال : ويمكن أن يكون من القصب الفارسي .
قلت : والذي استقر عليه الحال في كتابة اليهود بالديار المصرية بقصب البوص
الأبيض الغليظ الأنايب، ينتقى قصبه من جزائر الصعيد بالوجه القبلي، وفي كل سنة

يُجوزُ بِرَيْدِي بطلب هذه الأقلام من ولاة الوجه القبلي، ويؤتى بها فتحفظ عند كاتب السر ويبرى منها ما يحتاج إليه في كتابة السلطان ويوضع في دواته بقدر الحاجة.

قال في "منهاج الإصابة" : ولا بد فيه من ثلاثة شقوق أو أكثر بقدر ما يحتاج إليه في حجّ القلم الحبر في القرطاس . وأعلم أن للكاتب فيه طريقتين : إحداهما - طريقة الثلث، فتجرى الحال فيه على الميل إلى التقوير .

والثانية - طريقة المحقق، فتجرى الحال فيه على الميل إلى البسط دون التقوير؛ وسيأتى إيضاح الطريقتين وكيفية تشكيل حروفهما فيما بعد إن شاء الله تعالى . وقد ذكر السمرمري في أرجوزته اختصاص قلم الطومار بأمور :

أحدها : أن مستداراته كلها تكون بوجه القلم، والمدات بسنه؛ والتعاريق بوجهه منفلا فيها على اليمين .

الثاني : أن الميم منه تكون مفتوحة مدورة . والفاء والقاف فيه أوساطها محددة وجنباها مدورة .

الثالث : أن يكون البياض بين الأحرف كمنتهى بين السطور .

الرابع : أن يكون الفضل من جانبي القرطاس متساويا في المقدار .

الخامس : ألا يكون فيه صاد مدورة ولا كاف مشكولة .

وذكر المولى زين الدين شعبان الآثاري في ألفيته : أنه يدخل فيه الترويس

في الألف، والباء، والجيم، والدال، والراء، والطاء، والكاف المجموعة، واللام،

والنون في الإفراد والتركيب عند الابتداء وأنه لا يجوز فيه الطمس في شيء من عقده

كالصاد، والطاء، والفاء، والقاف، والميم، والهاء، والواو، واللام ألف المحققة

بجمل، والمعنى فيه أن الطمس لا يليق بالخط الجليل .

(١) أصلها في هذه الصفحة بعض كلمات مضمومة استدركت في نهاية الجزء السادس من هذا الكتاب

عن نسخة مخفوفة في بعض المكتبات الأهلية .

وهذه صورة كتابة أسم السلطان فى المكاتب والولايات وغيرها منسوباً للسلطان

السلطان الملك الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون

صورة ما يكتب فى جليل المكاتب

السلطان

صورة ما يكتب في متوسطات المكاتب

الله محمدا

صورة ما يكتب في صغار المكاتب

حج

وهذه صورة كتابة العلامة على المناشير للإقطاع لمن علامته
"الله أملي" بيساء راجعة

الله أملي

القلم الثاني

قلم مختصر الطومار

بإضافة قلم إلى مختصر ، وربما قيل فيه مختصر الطومار بحذف المضاف ؛ وهو الذي يكتب به في قطع البغدادى الكامل .

- وقد ذكر المولى زين الدين شعبان الانارى في الفَيْتِه : أن مقدار مساحته ما بين كامل الطومار وبين قلم الثلثين ، وحينئذ فيكون مقداره ما بين عرض ست عشرة شعرة من شعر البرذون وبين أربع وعشرين شعرة ؛ والحامل له على ذلك ان أعلى ما وضعوه من الأقلام المنسوبة لكثير من الكسور قلم الثلثين ، وهو عرض ست عشرة شعرة ؛ فلو كان مرادهم بمختصر الطومار هذا المقدار ، لعبروا عنه بقلم الثلثين دون مختصر الطومار ، فتعين أن يكون فوق ذلك ودون الطومار الكامل ، فيكون ما بين عرض ثمان عشرة شعرة و عرض أربع وعشرين شعرة .

- ثم هذا القلم يجوز أن يكتب به على طريقة الثلث في الميل في حروفه إلى التتوير وعلى ذلك يكتب كتاب ديوان الإنشاء في عهد الملوك عن الخلفاء ، والمكاتبة إلى القانات العظام من ملوك بلاد الشرق . ويجوز أن يكتب به على طريقة المحقق في الميل في حروفه إلى البسط كما في الطريقة الثانية من قلم الطومار ، وسيأتى ذكر تشكيل الثلث فيما بعد إن شاء الله تعالى .

ولا يخفى أن هذا القلم بالنسبة إلى الترويس وعدم الطمس على ما تقدم في الطومار للحروفه به في الجلالة وسعة مساحة العرض .

وهذه صورة كتابته

هلا مسمو

أشهر

القلم الثالث

قلم الثلث

بإضافة قلم إلى الثلث، ويقال فيه الثلث بجذف المضاف وهو الذي يُكْتَب به في قَطْع الثلثين .

وقد تقدم اختلاف الكُتَّاب في نسبه هل هو باعتبار التقوير والبسط، أو باعتبار أنه ثلث مساحة الطومار، من حيث إن عرض الطومار أربع وعشرون شعرةً من شعر البرذون، وعرض الثلث ثمان شعرات وهي الثلث من ذلك؛ وقطة هذا القلم محزفة، لأنه يحتاج فيه إلى شعيرات لا تثنى إلا بحرف القلم، وهو إلى التقوير أميل منه إلى البسط، بخلاف المحقق على ما سيأتي ذكره، والترويس فيه لازم .

وقد ذكر المولى زين الدين شعبان الآناري في ألفيته: أنه برؤس. فيه من الحروف الألف المفردة، والجيم وأختاها، والطاء، والكاف المجموعة، واللام المفردة، والسنة المبتدأة، وعقده من الصاد وأختها، والطاء وأختها، والعين وأختها، والفاء، والقاف، والنميمة، والهاء، والواو، واللام ألف المحققة كلها مفتحة لا يجوز فيها الطمس بحال. وهو على نوعين :

النوع الأول

الثلث الثقيل

وربما قيل فيه ثقل الثلث، وهو المقدره مساحته ثمان شعرات على ما تقدم ذكره، وهذه صورته مفردة ومركبة :

الألف على ضربين : مفردة ومركبة، فالمفردة على ثلاثة أنواع :

الأول - الألف المطلق

ا

وطريقه : أن تبتدىء فيه بصدر القلم من قفا الألف ، ثم تصعد إلى هامتها فإذا بلغت نزلت بعرض القلم إلى وجهه ، ثم تنزل بوجه القلم معتمدا في نزولك على السنّ اليمنى حتى إذا بلغت شاكلة الألف أدت القلم برفق حتى تحتمه بحرفه .

الثاني - المشمر

ا

وطريقه : كالذي قبله إلا أنه إذا جئت آخر الألف عطفت ذنبها ويكون موصولا بغيره ، فإن لم يوصل بغيره فالغالب أن يكون مطلقا .

الثالث - المحرف

ا

وطريقه : أن يبدأ فيه من هامة الألف بوجه القلم فتضعه على تحريفه وتنزل به مستويا ، حتى إذا بلغت شاكلته أدت حرف القلم على ما مضى من الشرط في المطلق والمُشعر .

الضرب الثاني

المركب مع غيره من الحروف

ولا يكون إلا طرفاً أخيراً، إذ لا يوصل بما بعده، لأن الألف مطية يُرَكَّبُ عليها ولا تَرَكَّبُ، وطريقه أنك تصعد به بعد تمام الحرف الذي قبله بصدر القلم عكسا لتزولك بالألف المحزف، فإذا بلغت هامة الألف وقفت بالقلم حتى يكون بمنزلة رأس الألف المحزف .

وكذلك يفعل في اللام الطالع، وهذه صورته :

الطالع

الصورة الثانية

صورة الباء

وهي على ضربين

الضرب الأول

المفردة

وهي ثلاثة أنواع : مجموعة، وموقوفة، ومبسوطة . ولك في آبتدائها في الثلاث الصور وجهان : إن شئت بدأت من قناها بتشعيرة على ما مضى من صفة الألف المطلق، وهو مذهب الأستاذ أبي الحسن، وإن شئت بصدر القلم . ثم لكل صورة منها طريقة تخصها .

فأما المجموعة : فطريقها أن تبدأ من رأسها بوجه القلم حتى إذا بلغت فتلة الباء وهي الإدارة الخفية التي تجمع بين الخط القائم والمبسوط ، فبالت القلم ومططت الباء بصدرة ، حتى إذا صرت إلى آخرها ختمت بحرف القلم الأيمن ، ونثرت يدك برفق حتى ترفع ذنب الباء ، حتى يجيء رأسها في نهاية الدقة .

المجموعة



وأما الموقوفة : فطريقها كطريق المجموعة في جميع ما تقدم ، إلا أنك إذا بلغت المكان الذي ترفع فيه من ذنب المجموعة ، وقنت فيه بعرض القلم فتأتي مطة محزفة كنحريف القلم .

الموقوفة



وأما المبسوطة^(١) :

المبسوطة



[المركبة^(٢)]

١٥

وأما المركبة : فعلى نوعين : متوسطة ، ومتطرفة .

فأما المتوسطة : فلها حالان .

أحدهما - أن يكون قبلها وبعدها مثلها ، فتكون الوسطى مرتفعة على أخواتها .
وإذا رفعتها أكثر من أخواتها ، رجعت في خط يلاصقها . وهذا في كل حرف صغير كالنون ، والباء ، والتاء .

٢٠

الثاني - ألا يكون قبلها وبعدها مثلها ، فهي كإحدى السنت .

(٢) زيادة يفضيها السباق .

(١) لم يتكلم عليها

وأما المتظرفة ، فلها حالان أيضا :

أحدهما - أن تكون مبتدأة ، وهي التي تكون في أول الكلمة ، فطريقها أن تبدأ فيها بعرض القلم تحذرا من يمينك إلى يسارك ، وهي تصحب الجيم وأختها .

الثاني - أن تكون في آخر الكلمة ، وتكون محذوفة الرأس للتركيب كرأس السين المبسوطة ، وتكون صورة مدتها كصورة المفردة سواء في جميع أحوالها : في الجمع والبسط والوقف ؛ وهذه صورها :

مركبة مسبوطة

مركبة موفورة

مركبة مجموعة

ل ل ل

الصورة الثالثة

صورة الجيم وما شاكلها

وهي على أربعة أضرب : مرسلة ، ومسبلة ، ومجموعة ، وملوزة ،

وآبداء جميع الصور على وجهين ، من رأسها ومن جبهتها .

فما المبتدأة من رأسها فيخير الكاتب فيها بين أمرين : إن شاء جعلها جزا ، وإن شاء جعلها مشعرة ، فإنها يبدأ فيها بصدر القلم ، وهو مذهب الأستاذ أبي الحسن ، والمشعرة يُحطَفُها بحرف القلم أو بصدره على ما مضى ؛ فإذا بلغت جبهتها أدرت بخررت بوجه القلم ، وأنت في الجزة بالخيار ، إن شئت جئت بها على خط مستقيم ، وإن شئت رطبها شيئا يسيرا ؛ فإذا بلغت قفاها ، كنت أيضا محيرا : إن شئت رجعت في الخط الذي جئت فيه ، وإن شئت رجعت في خط تحته يلاصقه بصدر القلم ؛ فإذا وصلت تحت هامة الجيم أدرت القلم على تحريفه فنزلت بعرضه حتى إذا

١٠

١٥

بلغت آخر عجز الجيم ختمتها بحرف القلم . ولا يخرج صدر الجيم عن الخط الموازي لجبهتها ، كما لا يجوز أن يخرج طرف ذنبها عن الخط الموازي لقفأها ، حتى لو نصب عليها خطوطا لناسبت أعاليها أسافلها ، وهذه صورتها :

مفردة مرسله



وأما المسبلة : فإنها كالمرسلة في الصورة والصفة ، والفرق بينهما أنك في المرسله إذا بلغت الصدر ونزلت فيه ، أسبلت ذنبها ، وهذه صورتها :

مفردة مسبلة



وأما المجموعة : فإنها كالمرسلة أيضا في جميع أوصافها ويزيد عليها أنك إذا وفيت بها على ما مضى من صفة المرسله رددت ذنبها على عجزها فصارت هنالك دائرة ، وهذه صورتها :

مفردة مجموعة



وأما الملوّزة : فإنها لا تكون إلا قبل الألف، وطريقها أن تبدأ بعرض القلم من تحت الألف فيما تقدّر، فإذا بلغت جبهة الجيم، جررت بوجه القلم جرة مبطنة حتى يصير البياض الأوسط لوزةً محققةً فترفع الألف مع جبهة الجيم وتبقى تحت ذنب الألف بقية رأس الجيم، وهذه صورتها :

مبتدأة مركبة ملوّزة

ح

وزاد المتأخرون صورة أخرى سمي الرتقاء، وصورتها أنك تبتدئ برأس واو من واوات الثلث مفردة، وتكون مرتفعة الرأس بقدر نقطة من نقط الخط، ثم تكمل عليها ببقية العمل المتقدم ذكره على الثلاث الحالات المتقدمة في الباب، وهي: المرسلة والمسبلة، والمجموعة؛ وهذه صورها :

رتقاء مجموعة

ح

رتقاء مسبلة

ح

رتقاء مرسلة

ح

وزاد المتأخرون صوراً أخرى في التركيب ، وهي ثلاث : أولى ، ووسطى ، وأخيرة .

أما الأولى : فأبتداء العمل فيها كأبتداء العمل في الثلاث الحالات الأول ، ثم نكمل بالحرف الذي تريد ، وهذه صورتها :

مركبة مبتدأة محققة

ح

وتارة تكون ملوذة وهي التي نصحب الألف وما شابهها كالذال ، واللام ، واللام ألف ، وقد صوروها مع الألف فتقاس على ما عداها .

وهذه صورتها مع اللام : وهذه صورتها مع اللام ألف : وهذه صورتها مع الدال :

مركبة مبتدأة ملوذة
مع شبه الألف

مركبة مبتدأة ملوذة
مع شبه الألف

مركبة مبتدأة ملوذة
مع شبه الألف

ح حلا حلد

وأما المتوسطة : فالعمل فيها كالعمل في المبتدأة المحققة المركبة كما تقدم ولكن يغير ترويس ، وهذه صورتها :

مركبة متوسطة محققة

ح

وأما الأخيرة : فالعمل فيها كالعمل في الثلاث الحالات الأول : المرسلة ،
والمسبلة ، والمجموعة ، ولكن بغير ترويس ، وهذه صورها .

مركبة مختمة بمجموعة

مركبة مختمة مسبلة

مركبة مختمة مرسلة



الصورة الرابعة

صورة الذال وأختها

وهي على ضربين : مفردة ، ومركبة

الضرب الأول

المفردة

ولها صورة واحدة ، وهي شكل مُثَلِّثٌ على زاوية واحدة ، ويجمع طرفها جمعا
يسيرا ، وهذه صورتها :

مفردة



الضرب الثاني

المركبة

ولها أربعة أشكال : مجموعة، ومبسوطة، ومخطوفة، ومقطوفة .
أما المجموعة : فإنك ترفعها بعد فراغك من الحرف الذي قبلها ، ولك في ذلك
مذهبان :

أحدهما - مذهب الوزير أبي علي بن مقلة^(١) .

والثاني - مذهب الأستاذ أبي الحسن بن البواب ، وطريقه أن ترفعها مائلا
إلى اليسار ميلا خفيفا .

ثم على كلا المذهبين ترجع بخط يلاصق الخط الذي صعدت به وبظهر القطة
في الانتهاء ، وتأتي بالعراقة على شكل عراقة الدال المفردة في الجمع ، وهذه صورتها :

مجموعة مركبة

دا

وأما المبسوطة : فحكما في جميع صفاتها حكم المجموعة ، إلا أنك إذا نزلت
في المبسوطة إلى العراقة وقتلتها ، أرسلت العراقة بعرض القلم ، وهذه صورتها :

مركبة مبسوطة

دا

(١) لم يبين طريقه ، ولعله سقط من قلم الناسخ خور .

وأما المخطوفة : فهي كالمجموعة أيضا ، إلا أنك تُحَطِّفها بحرف القلم وتختتمها بأدق ما تقدر عليه من النحافة ؛ وهذه صورتها :

مركبة مخطوفة

د

وأما المقطوفة : فهي كالمخطوفة ، إلا أنك بعد الفتلة تُبْقِي لها ذنبا صغيرا بحرف القلم ، وهذه صورتها :

مركبة مقطوفة

د

الصورة الخامسة

صورة الراء وأختها

وهي على ضربين : مفردة ، ومركبة

الضرب الأول

المفردة

ولها ثلاثة أشكال : مجموعة ، ومبسوطة ، ومفورة ؛ وأبتدأؤها في جميع

الصور على وجهين : ١٥

أحدهما - أن تبدأ من قفاها صاعدا إلى هامتها ثم تنزل إلى وجهها

والثاني - أن تبدأ بها حذا من رأسها ، وهو مذهب الأستاذ أبي الحسن بن

البواب .

ثم لكل واحدة منها بعد ذلك عمل يخصها. فأما المجموعة فطريقها أن تبدأ فيها بوجه القلم وتنزل على خط الاستواء بقدر ربعها ، ثم تدير القلم وتبدأ في العراقة بصدر القلم ، ويكون تبريك إياها أكثر صبا من الباء المقردة قلبلا ، فإذا عرفت مثل ما نزلت به أولا على خط الاستواء نزلت يدك بالقلم إلى فوق وأنت تريد ذات اليمين بإشارة لطيفة ، ويكون ختمها بسن القلم اليميني ، وهذه صورتها .

مقردة بمجموعة

ن

وأما المبسوطة : فطريقها أن تنزل بها على ما ذكرناه ، وترسل ما عرفت منها على ما تقدم في الدال المجموعة وتنقص منها النثرة الأخيرة ، ونحدد طرفها ، وهذه صورتها .

مفردة مبسوطة

ر

وأما المقورة : فطريقها أن تنزل بأقل مما ذكرناه شيئا يسيرا ، وهذه صورتها :

مفردة مقورة

و

الضرب الثاني

المركبة

ولها أربعة أشكال : مخطوفة ، ومنطوفة ، وبراء ، ومدغمة

فأما المخطوفة : فهي كالمقورة في الصورة ، غير أن عراقيتها بحرف القلم ؛

وهذه صورتها :

مركبة مخطوفة

س

وأما المقطوفة : فإنك تبقى لها ذنباً صغيراً ؛ وهذه صورتها :

مركبة مقورة

س

وأما البراء : فإنك تقطفها من الثلثين فتحذف ثلثها وتأتي بها مستدقة الطرف ؛

وهذه صورتها :

مركبة مبطوفة

ع

وأما المدغمة : فإنها تصلح بعد كل حرف وتقع بعد المد ، وسميت مدغمة مجازاً

وإلا فالحرف الذي قبلها هو الذي يدغم فيها ، لكنهم لما حذفوا منها شيئاً لقبوها بذلك ،

ولا بد أن تحذف من الحرف الذي قبلها شيئاً من آخره وتحذف منها شيئاً من أولها .

وتُنبى من كل واحد منهما ما يدل عليه ، وهذه صورتها :

مركبة مدغمة

الصورة السادسة

صورة السين

وحكمها في حالي الأفراد والتركيب سواءً ، غير أنها في حالة الأفراد تزيد العرافة ، وعراقها كعراقه النون في الجمع والبسط والتقوير ، وسيأتي الكلام على ذلك في حرف النون إن شاء الله تعالى .

تم هي على نوعين : مخففة ، ومعلقة .

فأما المخففة : فلها شكلان : مظهره ، ومدغمة .

فطريق المظهره أن تبدأ بوجه القلم ثم تدير القلم منها إلى أختها إدارة لطيفة في نهاية الاعتدال ، وتحدد رأس الثانية بسن القلم اليمنى ، ويكون الذي بين الأولى والثانية أقل مما بين الثانية والثالثة ، وهو مذهب الأستاذ أبي الحسن بن النواب . وإذا كان قبلها شيء يكون سواءً ، ويجوز أن تكون مصدرة مقلوبة ، وهذه صفتها :

مخففة مظهره

وأما المعلقة : فصفتها أنك تحذف السين حذفاً وتقيم جزءاً مقامها ، وتبدؤها
بوجه التلم عاملاً إلى آخرها .

هذا إذا كانت مبتدأة ، فإن كانت متوسطة ، فالأولى أن تكون محققة ، ولا بد
من جزر فوق المعلقة نقطت أو لم تنقط ؛ وهذه صورتها :

مبتدأة معلقة



وتحسن قبل الكاف المشكولة وقبل الألف ، ولا تكون قبل الصاد والعين
والكاف المعزاة ، وقيل إنها لم ترفى خط ابن البواب إلا منفردة .

الصورة السابعة

صورة الصاد

والكلام في عراقتها كالكلام في عراقة السين : من الجمع ، والبسط ، والتقوير ،
وسياتي الكلام على ذلك في حرف النون .

نعم لا تكون عراقتها إلا حديدة الطرف في جميع صورها ، ولا يجوز فيها الوقف
بحال . أما نفس الصاد فلها شكل واحد ، وهي تقارب التلويزة . وللناس فيها مذهبان :
الأثول إظهار مبدأ الصاد تحت رأس العراقة ، والآخر إخفاؤه ؛ وفي كلا المذهبين
لا بد من ظهور رأسها شيئاً يسيراً ، فإن كانت متوسطة ، فيكون رأسها بحرف التلم

محدد الطرف . وإن كانت مفردة أو متطرفة فإنها تكون عريضة الرأس بوجه القلم .
وإذا ركبت على خط قبلها ، لا يكون خطأ على خط ولا يظهر أكثر من خط واحد ،
وهذه صورتها :

مجموعة

ص

الصورة الثامنة

صورة الطاء وأختها

وهي ثلاثة أنواع : موقوفة ، ومرسلة ، ومحقة

- فأما الموقوفة : فطريقها أن تبدأ على صورة الألف المطلق . فإذا وقبت به ،
رجعت طالعا من تلقاء ذنب الألف حتى تقارب شاكلته ، فترجع إلى يمينك ،
فتركب عليه شكلا على صورة اللوزة ، وتخرج ذنب اللوزة من تحت الألف وتقف
عليه بعرض القلم فتظهر القطعة ؛ وهذه صفتها :

مفردة موقوفة

ط

- وأما المرسلة : فهي على نحو ما تقدم في الموقوفة غير أن الجزة السفلى هاهنا
مبطنة ، وفي الموقوفة على خط مستقيم ؛ وهذه صفتها :

مفردة مبسوطة

ط

وقد اختلف الكُتَّاب في رأس الطاء، فكان بعضهم يذهب أن يكون على طرف اللوزة من غير ركوب عايبها، وهو أحد المذاهب فيها .

قال الشيخ أبو القاسم : سألت بعض مشايخي عن "طى" كيف يكون وضع الياء فيها؟ بحضرة جماعة من الكُتَّاب، فقال : نُكِّتَب طاء جيدة بعدها ياء حسنة، فقلت : الحمد لله الذي أبقي على جديد الأرض من يُحسِّنُ صفة الخط بمثل هذا الضبط . فلما أردت الانصراف أشار إلى أن أجلس بجلست حتى أنصرف القوم، فقال : فدكنتُ سألتُ عنها شيخنا أبا الحسن بن هلال فقال لى : إذا فرغت من الطاء فأحذف رأس الياء وألصق قفا الياء بدَنْبِ الطاء، ثم نَمِّمها على مذهبك فى الياء أئى شئت، ولا تخرج صدر الياء من تحت رأس الطاء . وعلامة صحتها أنك إذا حذفتم لوزة الطاء بقيت فى نهاية الصحة إن كان بعدها ياء . وإن كان بعدها واو بقيت أيضا فى نهاية الكمال .

قال الشيخ أبو القاسم : ينبغى أن يكون رأسها فى آخر اللوزة، ولا يكون مركبا على ظهرها لأنه إذا تركب بطل هذا القياس .
وأما المحققة : فإنك تبدأ فيها على صورة اللام المبتدأة المعلقة، ويأتى الكلام على ذلك فى حرف اللام إن شاء الله تعالى .

وأكثر ما تستعمل هذه الطاء إذا كانت مشعرة بالفاء قبلها وألف بعدها فتستحسن؛ وهذه صفتها :

منوسطة بين فائمين

لطا

وأعلم أنه لا بد للطاء من مدة قبلها تركب عليها، ويكون طرفها ينتهي إلى تحت رأس الطاء من غير زيادة ولا نقصان، ويجوز في طرف هذه المدة الجمع وعدمه، وكلا المذهبين حسن.

الصورة التاسعة

صورة العين وأختها، ولها حالات

الحال الأول: ألا تكون منصلة بما قبلها، وهي على نوعين: ملوزة، ومركبة. فأما الملوزة: فإنك تبدأ فيها من رأس العين بحرف القلم في غابة الدقة، حتى إذا وصلت إلى هامتها، مكنت إدارة قلمك فصرت عاملاً بوجهه إلى قمحودة العين^(١) فتصير على صورة اللوزة، وتكون هذه العين قبل الهاء المدغمة، وهذه صفتها:

ملوزة

ع

وتكون أيضاً قبل هاء الردف، وهذه صورتها:

ملوزة مع هاء الردف

عه

وأما المركبة: فهي مركبة من راءين محققة ومعلقة، وأبتداؤها على ما تقدم في الملوزة، غير أنك إذا صرت إلى هامتها وأردت القمحدوة، نزلت على خط مستقيم أو قريب من الاستقامة. والذي وجد يحط الأستاذ أبي الحسن بن البواب على

(١) القمحدوة لغة: ما أشرف على القفا من عظم الرأس والهامة قوفها والقذال دونها. والمراد هنا ظاهر.

الاستقامة، وهذه العين لا يكون بعدها إلا حرف طالع كالألف واللام وما جرى مجراهما، وهذه صفتها :

مركبة وتعلية

ا

وكثير من الكُتَّاب يحلِّطونها مع ما قبلها كالجاعة والمضاعة ، فإنهم يردون من الألف إلى العين جزءة مبطنة يجعلونها غالبية العين ، وهي مسنحسنة ، ولا يذ لها من ألف قبها وحرف طالع بعدها ؛ وهذه صفتها :

مرددة ومنكولة

ا

الحال الثاني : أن يكون قبلها شيء متصل بها ، وتسمى المربعة ، وهي على نوعين : منورة ، ومطموسة .

فأما المنورة : وتسمى المحققة ، فإنك إذا خرجت من الحرف الذي قبلها أتبعته خطا محدودا مبطنا إلى يسارك بصدر القلم ، ثم حررت غالبية العين بوجه القلم ثم على الجزء الأولى جزءة تناقضا مثلها في القدر والمساحة بقطع الخط الأول ، ثم إن كانت معرفة عرفت . وإن كانت غير ذلك أتبعها ما بعدها

وعلاوة صحتها أن تلمس البياض الذي في وسطها فإن تناسبت زواياه فهو
في غاية الصحة وقد تم تركيبها، وإلا فتحرر حتى يصح ما رسم؛ وهذه صفتها :
مربعة مفتوحة

لعد

وأما المطموسة، وتسمى المعلقة ولا تكون إلا في قلم التوقيعات والرقاع،
فصفتها أن تكون وقصاء غير مفتوحة، ولا يجوز فيها من العراقات غير المجموعة؛
نزه صورتها :

معلقة مطموسة

لعد

ثم إن كانت معترفة مفردة أو مركبة، فالعراقة على ثلاثة أنواع: مسبلة، ومرسلة،
ومجموعة، كعراقات الجيم .

فأما المسبلة: فإنك إذا نزلت من ظهرها أسبلت العراقة فتكون أكثر من نصف
الدائرة، ولا يخرج الصدر عن الرأس ولا الظهر عن القمحة، بل يكون كل واحد
منهما مساويا لما فوقه، غير زائد عليه ولا ناقص عنه. وكان الوزير أبو علي بن مقلة
رحمه الله يقول: " المرء على ترك شيء مما يعمله أقدر منه على تكلف شيء لم يعتده"
ويأمر الطلبة بإخراج ذنب العين من تحت صدرها؛ وهذه صورتها :

مفردة مسبلة

ع

وأما المرسله : فإنك تأتي بالعراقه نصف دائرة محققه ، وتأمل فيها من المسامته ما وصف في المسبلة والمسبلة تكون حديدة الطرف ، والمرسله يجوز فيها التحديد والوقف ، والتحديد مذهب الأستاذ أبي الحسن بن البواب ، وهذه صورة التحديد ، وهذه صورة الوقف .

مفردة مرسله

ع

وأما المجموعه : فإنها كالمرسله أيضا في جميع أوصافها ، وتزيد عليها أنك إذا وقبت بها على ما مضى من صفة المرسله ، رددت ذنبها على عجزها فصارت هنالك دائرة ، وهذه صفتها :

مفردة بمجموعه

8

الصورة العاشرة

صورة الفاء

وهي على ضربين : مفردة، ومركبة

فأما المفردة : فعلى ثلاثة أقسام : مجموعة، ومبسوطة، وموقوفة، وقد تقدم الكلام

على هذه العراقات في حرف الباء، فأعني عن إعادته هنا، وهذه صفة العراقات الثلاث :

مبسوطة

موقوفة

مجموعة

ف ف ف

وأما المركبة : فإنها تكون مقلوبة، وذلك أن بياضها يكون الخاد منه

في ملتقى الخطين اللذين يتقاطعان في ذهابها ومجيئها، ويكون عرضها عند هامتها،

وهذه صفة المتوسطة،

متوسطة

ف

الصورة الحادية عشرة

صورة الناف

وهي على ضربين أيضا : مفردة، ومركبة

فأما المفردة : فحكم رأسها حكم الفاء، وحكم عراقيها حكم النون، ومثنأى، غير أنها

تكون مفردة مبسوطة وهي مستحسنة بخلاف النون، وهذه صفتها :

مفردة مبسوطة

ف

وأما المركبة : فإنها كالفاء في جميع ما تقدم، فلا حاجة إلى تمثيلها .

الصورة الثانية عشرة

صورة الكاف

وهي على ثلاثة أنواع : مبسطة ، ومشكولة ، ومعزاة ؛

ولكل واحدة منها موضع يخصها

فأما المبسطة : فتكون مفردة ومركبة ، وإفرادها قليل ؛ والمركبة منها موضعها
الابتداءات والوسط ، ولا تكون طرفاً أخيراً بحال ؛ وطريقها أن تبدأ فيها بصدر القلم
من رأسها حتى ترد جبهتها فتخط عاليتها بوجه القلم وتقتل على هذا المنهاج إلى المطة
السفلى ، وتمطها بصدر القلم وتنط ذنبها ، وتتوحي في عاليتها أن يكون على خط مستقيم
لتجعلها قابلاً للمطة السفلى ؛ واعتبار صحتها باعتبار البياض الذي في وسطها إذا استقام
استقامت ؛ وهذه صورتها في الإفراد والتركيب والابتداء :

منوطة مبسطة

مبتداء مبسطة

مفردة مبسطة

ك ك ك

وأما المشكولة : فلا تكون إلا مركبة ؛ وموضعها الابتداءات والوسط ، ولا تنفرد
البتة ؛ وتكون على هيئة شق لوزة فإن وصلت بالف أو لام تبينت ولا يخرج الحرف
الذي يكون بعدها من تحت رأسها أصلاً ، لأن الكاف المبسطة والمشكولة لا يجوز

أن يأتي بعدهما مدة ، وإنما سميت مشكولة للجزء التي عليها ، وهذه صورتها
في الابتداء وفي الوسط :

منوسطة مشكولة

مبدئة مشكولة

ك ك

- وأما المعزاة : فلا تكون إلا طرفاً أخيراً وهي في الصورة والشبه كاللام المطلقة ،
والفرق بين اللام والكاف المعزاة أن القائم من الكاف ثلثا المبسوط ، والمبسوط
من اللام كالقائم فيها ؛ وهذه الكاف لا تجمع أبداً ، فإن مواضعها أواخر السطور ،
وهذه صفتها :

مفردة معزاة

ل

الصورة الثالثة عشرة

صورة اللام

وهي على ضربين : مفردة ، ومركبة

الضرب الأول

المفردة.

وهي على نوعين : مجموعة، ومطلقة

فأما المجموعة : فطريقها أن تبدأ من قفاها على نحو ما وصف في الألف المطلق ، لأن الألف واللام يجريان على نظام واحد في كل خط لأنهما صاحبان ؛ كالباء والتاء ؛ وكالحاء والحاء ؛ وكالعين والغين . فإذا وصلت إلى شاكلته عرقت اللام عرافة أكثر حُدُورا من الباء ، وجمعت ذنبها كما تقدم في حرف الراء ؛ وهذه صفتها :

مطلقة

مجموعة

الضرب الثاني

المركبة

وهي على قسمين : محققة، ومبتدأة معلقة .

فأما المبتدأة المحققة : فهي كالمرسلة غير أنها محذوفة المطة لأجل التركيب؛

وهذه صفتها :

مبتدأة محققة

ل

وأما المبتدأة المعلقة : فتنزل فيها بعرض القلم مائلا من يمينك إلى يسارك،

وهي تختص بثلاثة أحرف من سائر الحروف، وهي الجيم، والحاء، والخاء، ويكون

مبتدؤها يوازي قفا الجيم من غير زيادة ولا إشارة إلى العراقة؛ وهذه صفتها :

مبتدأة معلقة

لا

الصورة الرابعة عشرة

صورة الميم

وهي على خمسة أضرب : محققة، ومعلقة، ومسبلة، وبسوطه، ومفتولة .

الضرب الأول

المحققة

وهي على نوعين : مبتدأة، وغير مبتدأة

فأما المحققة المبتدأة : فإنها كثيرا ما تصحب اللام، وصفتها إذا أردت وضعها أنك إذا صرت إلى آخر الحرف الذي تريد منه الميم المحققة، تميل فيه يسيرا ثم ترجع بنحط آخر بجواره طالعا فيه، ثم تعرق كتعريق الميم المعاقبة، وهذه صفتها :

مبتدأة محققة

م

وكان الشيخ عماد الدين بن العفيف إذا انتهى من الحرف الذي قبل هذه الميم يقف فيه ثم يبدأ من يمينه براء مدغمة، وهذه صفتها :

محققة مخنمة

م

(١) وأما المحققة غير المبتدأة :

(١) أغفل الكلام عليها في الأصل .

الضرب الثاني

المعلقة

وهي على نوعين : مبتدأة ، وغير مبتدأة

فأما المعلقة المبتدأة : فإنها لا تحسن إلا مشعرة مع ما قبلها ، ولا تكون إلا قبل

الألف ؛ وهذه صفتها :

معينة مبتدأة

ما

وأما المعلقة غير المبتدأة : فإنها تختص بالبسملة على مذهب الخدّاق

وطريقها : أنك إذا مططت إلى آخر المطية ، رجعت بالميم في الخط الذي

جئت فيه ، حتى إذا بلغت هامتها فارقت ذلك الخط لئلا تجيء منافرة ؛ فإذا وصلت

إلى جبهة الميم ، عرّقتها على ما رسم في الرء المجموعة والمقورة والمبسوطة والمخطوفة .

وكان الأستاذ أبو الحسن بن البواب لا يهردها ؛ وهذه صفتها :

معلقة مختمة

مر

وأما المعلقة المبتدأة : فإنك تبدأ فيها كأبتداء المحققة ، فإذا بلغت فتلتها ألصقت مدتها بقفاها ، والأولى أن تكون مطموسة ، فإذا بلغت جبهتها عرقت كتعريق الراء المدغمة ، لا يستعمل فيها غير ذلك ؛ وهذه صفتها :

معلقة مبتدأة

م

الضرب الثالث

المُسَبَّلة

ولا بأس بتركيبها وأنفرادها ، غير أنك إذا وصلت إلى جبهتها أسبلت عرافة كهيئة الألف ملاًئى من فوق ، وتكون حديدة الطرف ؛ وهذه صفتها :

مركبة

مفردة مسبلة

م م

الضرب الرابع

المبسوطة

وهي كالمحققة ، وهي مفردة ؛ وهذه صفتها :

مبسوطة

م

الضرب الخامس

المفتولة

وأكثر مواضعها بعد الهاء المدغمة على مذهب الحُذَّاق . وبعض الكتاب يميزها مع غير الهاء، والأول أجود .

- وطريقها أنك إذا جئت بها بعد الهاء المدغمة تفوس بصدر القلم ثم تنزل بقدر ما قوست، ثم تدير الميم عن يمينك وتردُّ إلى يسارك شكلا مدورا، وتعرفها على ما تقدم في المعلقة والمحققة؛ وهذه صفتها :

مفتولة

مفتولة

الصورة الخامسة عشرة

١٠

صورة النون

وهي على ضربين : مفردة، ومركبة

الضرب الأول

المفردة

١٥

وهي على أربعة أنواع : مجموعة، ومقورة، ومبسوطة، ومدغمة

فأما المجموعة : فطريقها أن تبدأ بوجه القلم على خطٍّ مستقيم . فإذا نزلت منها بمقدار ما ينزل من الباء وبلغت الفتلة، أدت القلم برفق من الفتلة بصدر القلم،

ثم تصير العراقة جمعا بصدر القلم، حتى إذا بلغت ذنبها ختمت بحرف القلم؛ وهذه صفتها :

مفردة بمجموعة



وأما المتورة : فإنها تكون كنصف دائرة، ويكون ذنبها موازيا لرأسها من غير زيادة عليه؛ ويجوز أن يكون ناقصا عنه شيئا يسيرا، وذلك قليل؛ وهذه صفتها :

مفردة مقورة



وأما المبسوطة : فأكثر ما تكون متطرفة ولا تكون مفردة بحال . وطريقها أنك إذا نزلت على ما وصف في المجموعة وبلغت بها الفتلة وأدرت صدر القلم إلى العراقة، جعلتها قطعة قوس من دائرة عظمى، حتى يكون فيها تبطين يسير، وتحتها بحرف القلم، ولا يجوز في شيء من مبسوبات العراقة أن يكون مرفوعا؛ ولا يجوز أن يكون إلا حديد الطرف؛ وهذه صفتها :

مفردة مبسوطة



وأما المدغمة : فإنها لا تنفرد البتة؛ ولا تحسن إلا مع ثلاثة أحرف : مع الميم وهي كثيرة المدحاه لها، ومع الكاف، ومع العين . وكان بعض الكتاب يأبى إدغام النون ويكرهه، إلا الأستاذ أبا الحسن بن البواب .

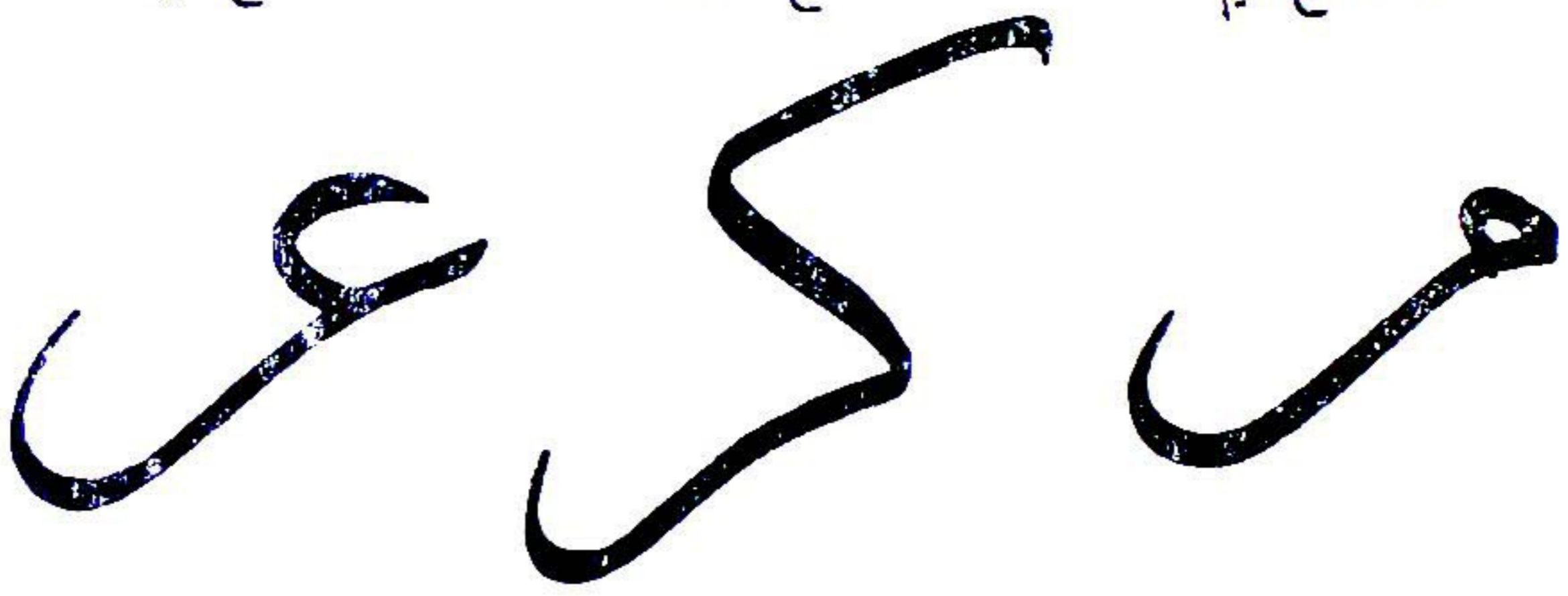
ولا يتقدم هذه النون من سائر الحروف إلا ثلاثة أحرف : الميم المعلقة من سائر الميمات ، والعين المنزلة ، وهي الصادية من أشكال العين خاصة ، والكاف المشكولة من أشكال الكاف خاصة .

وطريقها أنك إذا بلغت قفا الميم أو صدر العين أو قاعدة الكاف ، صببت النون صبباً في عرض اللام المبتدأة المعلقة ، فإذا صببت ثلثها ، ختمت العراقة على ما رسم في آراء المدغمة وعراقة الميم المدغمة ، وهذه صورها :

مدغمة مع العين

مدغمة مع الكاف

مدغمة مع الميم



المسورة السادسة عشرة

صورة الماء

١٠

وهي على ضربين : مفردة ، ومركبة

الضرب الأول

المفردة

وهي على نوعين : معزاة ، ومركبة

١٥

فأما المعزاة : فطريقها أن تبدأ من رأسها بوجه القلم ثم تنزل إلى تجزئها ميلاً إلى ذات اليمين شيئاً يسيراً ، ثم تفتل إلى قاعدتها بصدر القلم إلى صدرها ، ثم تصعد بمثل ما كنت أنكدرت به من وجهها إلى قفاها ، وهذه صفتها :

معزاة



وأما المركبة : فهي في الصورة قريبة من المعتزة إلى صدرها ؛ فإذا بلغت صدرها وأنت طالع إلى وجهها ، رفعته بعرض القلم وأخرجت وجه الهاء إلى قفاها ؛ والكاتب مخير بين التقليل والتكثير في ذلك . ويكون الطرف الخارج إلى قفاها محدداً ، وهذه صفتها :

مركبة

له

وإنما سميت مركبة وإن كانت مفردة مجازاً لتركيب طرفها وإلا فالمراد بالمركب كيفما وقع في المصطلح المختلط بغيره .

الضرب الثاني

المركبة

وهي على قسمين

القسم الأول

المشقوقة

وهي على ستة أنواع : ملووزة ، ووجه الهز ، ومشقوقة طولاً ،

ومشقوقة عرضاً ، ومختلصة ، ومدعّمة

فأما الملووزة : فتكون مبتدأة ، ومتوسطة ، ولا تتأخر بحال . فإن كانت مبتدأة فطريقها أن تبدأ بصدر القلم مقدار نصف الهاء المفردة ، ثم تدير القلم من يسارك إلى يمينك حتى إذا وصلت إلى المكان الذي آبتدأت منه أدت إلى يمينك أيضاً حتى يصير مركز نصف دائرة محققة لطيفة بصدر القلم ، وتقف عليها وقفة خفيفة ، ثم تنزل بوجه القلم من غير إدارة حتى تصير إلى المكان الذي آبتدأت منه أولاً ، فيصير رأس الهاء حاداً في الغاية .

ومذهب الأستاذ أبي الحسن أن يكون النصف الأعلى أصغر من النصف الأسفل.
يجزء يسر، وهذه صفتها :

مفورة

ها

وإن كانت متوسطة، فهي غير مستحسنة إلا قبل الألف، وطريقها على
ما تقدم ولها حكم، وهو أنك تجيء بالخط الذي قبلها حتى يشقها متصلا بالألف،
حتى لو طرحت الهاء لا تصل الألف بما قبله مستغنيا عن الهاء كأنما ركبت من فوقه
تركيبا، ويكون هذا العمل في كل حرف يقع معها، وهذه صفتها :

مفورة مستديرة

ها

وأما وجه الهز : فتكون أيضا مبتدأة، ومتوسطة، ولا يجوز تأخيرها . وطريقها
في الابتداء والتوسط أنك تبدأ من رأسها بوجه القلم معتدل النزول شيئا قليلا،
ثم تردّها عن يمينك إلى يسارك صاعدة معتدلة، ثم يصير جميعها دائرة على مركزين،
فإذا بلغت المكان الذي ابتدأت منه تكففتها طولا حذارا من أن يقع فيها حوّل،
وهو أن يكون أحد شقيها أوسع من الآخر . وكثيرا ما يكون شقها بحرف القلم إذا
كانت متوسطة .

فإن كانت مبتدأة فشقها بوجه القلم

وهذه صورتها في التوسط

وهذه صورتها في الابتداء :

وجه المتروسطة

وجه المتر

هـ هـ

وأما المشقوقة طولا : فإنها لا تكون إلا متوسطة ؛ ولا يجوز تقديمها ولا تأخيرها ؛ ولا تصحب من حروف المعجم غير اللام وحدها ؛ وطريقها كطريق وجه المتر ، ويفترقان في القاعدة فتكون قاعدتها مستديرة ، وتكون اللام نازلة عليها من فوقها ؛ وعلامة صححتها أنك إذا حذفت الهاء صارت اللام متصلة بما بعدها كأنما زيدت الهاء عليها ؛ وهذه صفتها :

مشقوقة طولا

هـ

وأما المشقوقة عرضا : فلا تكون إلا صحبة اللام أيضا ؛ وطريقها أنك إذا نزلت باللام معتدلة ، أدت الهاء فلصقت بها بوجه اللام وشقت الهاء عرضا ، ولا بد من مدة لطيفة تكون بعدها ؛ وهذه صفتها :

مشقوقة عرضا

هـ

وأما المختلصة : فإنها لا تكون إلا مبتدأة، ويكون بعدها من الحروف حروف المد واللين، وهي الألف، والواو، والياء، وهي مطموسة؛ وهذه صفتها :

مختلصة

ح

وأما المدغمة : فلا تكون إلا متوسطة؛ وطريقها أنك إذا فرغت من الحرف الذي قبلها أدت منه إدارة لطيفة، ونزلت بها نزلة إلى ذات اليمين، ثم صعدت في خط يلاصق الخط الذي هبطت فيه من غير وخر يكون بينهما؛ وتكون مطموسة أيضا ولا يكون أسفلها أوسع من أعلاها بل يكون أعلاها أوسع شيئا يسيرا؛ ويتوحي فيها الترطيب، وهو شدة الاستدارات، فمتى كان العمل فيها يابسا كان ردينا؛ وهذه صورتها :

مدغمة

مها

القسم الثاني

ما يقع في آخر الكلمة ، وهي على نوعين
هاء الردف ، والمُخَفَّاة

فأما هاء الردف : فطريقها أنك إذا فرغت من الحرف الذي قبلها طلعت فيه
بصدر القلم ، ثم نزلت في الخط الذي صعدت فيه .

هذا مذهب الأستاذ أبي الحسن بن البواب .

ومذهب الوزير أبي علي بن مقلة أن تنزل في خط يلاصق الخط الذي صعدت
فيه ، وكلاهما مستحسن ، فإذا بلغت ثلثي ما صعدت به جئت بصدر القلم إلى وجه
الماء ولا تخرج رأسها إلى قفاها البتة ، وهذه صفتها :

مردوفة

ه ه

وأما المُخَفَّاة : فأكثر ما تصحب الحروف القصار ، وهي يمين أليق ، وطريقها
أنك إذا فرغت من الحرف الذي قبلها أدت منه إلى انهاء إدارة لطيفة مهللة ،
ثم تأتي بنصف راء مدعمة جديدة الطرف مخطوفة ، وهذه صفتها :

مخفوفة

ه

الصورة السابعة عشرة

صورة الواو

ونظيرها في التركيب الغاء، وفي الإفراد القاف، ولكن القاف أكبر مساحة من الواو، وتكون على خمسة أنواع: مجموعة، ومبسوطة، ومقوّرة، وبراء، ومخطوفة، ويكون ذلك في الإفراد والتركيب.

وكان بعض الكتاب يجعلها معلقة كالراء المدغمة لأنها قدرها. وقد تقدم أن الراء والراءى، والميم، والواو قدر سواء في كل خط.

مقوّرة

مملّنة (١)

مبسوطة

مخطوفة

مجموعة

براء

الصورة الثامنة عشرة

صورة اللام ألف

ولها ثلاث صور: محققة، ومخنفة، ووراقية

فأما المحققة: فلا تكون إلا مفردة ولا يجوز تركيبها بحال، وطريقها أن تبدأ بوجه القلم ثم تنزل به على تلك الصورة، ثم تعقل إلى قاعدتها بوجه القلم، ثم ترفع

(١) لم يضع لها رسماً في الأصل

القلم وقد بَطَّنتَ قلمك فصيرت بطنه مما يلي يمينك وظهره عن يسارك؛ ويكون قدر الألف واللام قدرا سواء في الطول والألتواء والغليظ والنحافة؛ ويكون ما بينهما كواحد منهما؛ وتكون القاعدة على هيئة رأس الفاء المبسوطة لكنها مقلوبة؛ وهذه صورتها:

محفقة مفردة

لا

وأما المحففة: فيجوز فيها التركيب والإفراد وكلاهما مستحسن جيد. وصورتها في التركيب كصورتها في الإفراد؛ وطريقها أن تأتي بلام معانقة على ما تقدم في اللام المعلقة في حرف اللام، ثم ترمي عليها ألفا مُعَوَّجَةً إلى ذات اليمين ويكون ذنب الألف موزونا على الخط الذي لامست به الحرف الذي قبل اللام إن كانت مركبة؛ وهذه صورتها:

محففة مركبة

ملا

وإن لم تكن مركبة فتشعرهما معا؛ وهذه صورتها في الإفراد:

لا

وأما الوراقية: فإنها كالمحفقة، فإذا كتبت اللام ركبت عليها الألف وأخرجتها عنها، ثم صيرت لها منها قاعدة مثلثة حادة الزوايا، والأولى أن تكون مفردة.

قال الشيخ عماد الدين بن العفيف رحمه الله : ولا يكون هذا الشكل إلا في قلم
النسخ وما شاكله، وفي قلم المحقق وما شابهه، وهذه صفتها :

وراقبة

الصورة التاسعة عشرة

صورة الباء

وهي على ضربين : مفردة، ومركبة

الضرب الأول

المفردة

وهي على ثلاثة أنواع : مجموعة، ومقورة، ومبسوطة

فأما المجموعة : فطريقها أن تبدأ بصدر القلم فتعمل رأسها دالا مقلوبة
وصدرها أيضا دالا مستوية، فإذا تركبت الدالان جررت العراقة، وعلامة صحتها
أن تكون الدالان صحيحين كما تقدم . وإذا ركبت خطأ من ذنبها إلى صدرها ،
صار صادًا جيدةً، وهذه صفتها :

مفردة بمجموعة

وأما المتقورة : فبدؤها كبداء المجموعة ، غير أنك إذا وصلت إلى صدرها عرفت نصف دائرة ، ويكون ذنبها يحاذي صدرها ، وتكون حديدة الطرف ، ولا يجوز فيها الوقف ولا الجمع ، ويكون رأسها موزونا على صدرها ، لا يجاوزها ، سواء أنفردت أو تركبت ، وهذه صورتها :

مقورة

وأما المبسوطة : فعلى ما تقدم في المقورة ، وتنفارقها من الصدر فتكون العراقة قطعة قوس مهللة ، وتكون حديدة الطرف ولا يجوز فيها الوقف ، وهذه صورتها :

مبسوطة

الضرب الثاني

المركبة

وهي على ثلاثة أنواع : مبتدأة ، ومتوسطة ، ومتأخرة
فأما المبتدأة والمتوسطة : فحكهما حكم الباء والتاء والنون وما شابهها .
وأما المتأخرة : فعلى ثلاث صور : محققة ، وراجعة ، ومعلنة .

: ٥

فأما المحققة : فعل ما تقدم أولاً ، غير أنك تحذف رأسها للتركيب ؛ وهذه صورتها :

محققة

ح

وأما الراجعة : فتختص ببعض الكلم دون بعض كالفاء واللام وهي مع الفاء أكثر استعمالاً .

وطريقها أنك إذا فرغت من الحرف الذي قبلها بطئاً شيئاً يسيراً وجئت برأس كرأس الياء ، ويكون فيها شيء من تبطين ، ثم تجز القلم إلى ذات اليمين جزاً معتدلة في التكييف ، فإذا بلغت ثلاثة أرباعها أدت القلم برفق ، ولا تظهر الإدارة ، ثم تمر وأنت مديرٌ لقلمك حتى تختمها بحرف القلم في نهاية الدقة والتحديد ؛ وهذه صورتها :

راجعة

و

وأما المتعلقة : فتكون على صورة اللام المجموعة واللام المرسلية ؛ وهذه صفتها :

متعلقة

ح

النوع الثاني

قلم الثلث الخفيف

ويقال فيه خفيف الثلث، وهو الذي يكتب به في قطع النصف، وصورة كصورة الثلث الثقيل المتقدمة الذكر لا تختلف، إلا أنه أدق منه قليلا والطف مقادير منه بتر يسير .

قال الشيخ زين الدين عبد الرحمن بن الصائغ: والفرق بينه وبين الثلث الثقيل أن الثقيل تكون منتصباته ومبسوطاته قدر سبع نقط على ما في قامه، على ما تقدم، والثلث الخفيف يكون مقدار ذلك منه خمس نقط . فإن نقص عن ذلك قليلا، سمي القلم الأوّل .

القلم الرابع

قلم التوقيع

بالإضافة قلم إلى التوقيع، سمي بذلك لأن الخلفاء والوزراء كانت توقع به على ظهور النصوص، ويقال فيه قلم التوقيعات على الجمع أيضا، وقد يقال فيه التوقيع والتوقيعات بحذف المضاف إليه . ثم هو على نوعين :

النوع الأول

قلم التوقيع المطلق

وهو الذي يكتب به في قطع الثلث، وقد تقدم أن أول من اخترعه يوسف أخو إبراهيم السجزي، وأن ذا الرياستين الفضل بن هارون أعجب به، وأمر أن تحوز الكفاة السلطانية به دون غيره وسماه القلم الرياسي، ولعله إنما سمي الرياسي لما تقدم من اختصاص الكتب السلطانية به أخذًا من الرياسة، وقواعد حروفه وأوضاعه في الأصل قواعد قلم الثلث إلا أنه يخالفه في أمور .

أحدها - أن قَطَّته إلى التدوير أميل، بخلاف الثلث فإن قَطَّته إلى التحريف
أميل وذلك أن التوقيع أمتلاء حروفه على السواء بخلاف الثلث، فإن فيه تشعيرات
تحتاج إلى التحريف .

الثاني - أن حروفه إلى التقوير أميل من الثلث، وإن كان في الثلث ميل إلى
التقوير فإنه لا يبلغ في ذلك مبلغ التوقيع .

قال لى الشيخ عبد الرحمن المَكْتَبُ^(١) الشهير بابن الصائغ : ويكون في سطره
تقوير ما على نسبة تقوير حروفه .

قال الشيخ زين الدين شعبان في ألفيته : وتكون منتصباته مرقوسة كما في الثلث .

قال لى الشيخ زين الدين عبد الرحمن بن الصائغ المَكْتَبُ : ويجوز ترك الترويس
في بعض حروفه .

قال الشيخ زين الدين شعبان الآثاري : ويخبر فيه بين الطمس والفتح في العين
المتوسطة والفاء والقاف والميم والواو وعقدة اللام ألف المحققة . وخص الشيخ
زين الدين عبد الرحمن بن الصائغ طمس العين بالآخرة .

قال الشيخ زين الدين شعبان الآثاري : ويختص من الحروف الزائدة على الثلث
بالراء المقصورة والراء البتراء والراء المخطوفة والواو المقصورة والواو البتراء والواو المخطوفة،
والعين البتراء، وسيأتي ذكرها عند تشكيل الحروف فيما بعد إن شاء الله تعالى .

(١) قال فى الصحاح للجوهري : والمكتب (كمن) الذى يعلم الكتابة ، قال الحسن كان المصباح
مكتبا بالطائف يعنى معلما . وفى المصباح : كتبت الغلام تكتيبا : علمته الكتابة . (انتميه لسان)

حرف الألف

مركب

ا

محزون

ا

منفرد

ا

منطلق

ا

الباء

مبسوطة

ب

موقوفة

ب

مجمونة

ب

٥

مركبة مبتدأة . مركبة متوسطة

ب

مدغمة مبسوطة

ب

مدغمة مجمونة

ب

مركبة مبسوطة

ع

مركبة موقوفة

ع

١٠

الجيم

مرسلة

ح

مسبلة

ح

مجموعة

ح

رتقاء مفردة مرسلة

ح

رتقاء مقفورة مسبلة

ح

رتقاء مفردة مجموعة

ح

مركبة مبتدأة ملقزة

ح

رتقاء مبتدأة

ح

مركبة منوصلة

ح

مركبة مخنثة مرسلة

ح

مركبة مسبلة

ح

مجموعة

ح

السادس

مركبة مجموعة

عد

مخالفة

د

مفردة مجموعة

ر

مركبة مشعرة

هد

مركبة مخلوطة

حد

مركبة مخالفة

عد

السابع

مفردة مبسوطة

ر

مخطوطة

ر

مفردة

ر

مركبة مدغمة

عر

مركبة مبسوطة

حر

مفردة مدغمة

ر

مركبة مجموعة

صهر

مفردة مجموعة

ر

المعين

مخسوفة

س

مجموعة

س

مبسوطة

س

مبتدأة مركبة

ساحس

متوسطة

ساحس

مخسوفة

عسر

مطرقة مبسوطة

عسر

مطرقة مجموعة

عسر

مطرقة معلقة

عسر

مركبة مطرقة معلقة

عسر

مركبة متوسطة معلقة

ساحس

الصاد

مبسوطة

مجموطة

مخسوفة

ص ص ص

مطرقة محسوفة

منوسطة

مبتدأة

ص ص ص

مطرقة مبسوطة

مطرقة محسوفة

ص ص

الطاء

مركبة ملفوفة

مفردة موفوفة

مفردة مرصلة

ط ط ط

مبتدأة مبسوطة

منوسطة لقائمين

منوسطة لمبسوطين

طسمر لطا سطر

مطابقة موقونة

مطرفة مرسلنة

وط وطر

العين

مرسلنة

مسئلة

مجموعة

نعلية بينها متصبة

ع ع ع عا

نعلية بينها ما هو في حكم المتصبة

صادية بينها مبسوط

صادية بينها ما هو في حكم المسوط

ع ع ع عم

مرفقة مع الأفراد

مرفقة مع التركيب

ماع صالما حح

الفاء

بجموعه

ف

موقوفة

ف

ببسطه

ف

مبتدأه

ف

منوسطه

ف

منطرفه بجموعه

ف

منطرفه موقوفة

ف

منطرفه ببسطه

ف

القاف

مفردة مجموعة

ق

مخسوة

ق

مبسورة

ق

مطرفة مجموعة

ق

مطرفة مخسوة

ق

مطرفة مبسورة

ق

الكاف

مجموعة مفردة

ك

موترة

ك

مبسورة

ك

مشكولة مبتدأة

ك

متوسطة

ك

بأسوطة مبتدأة

ك

ملكه كهم هكذا
 مشكولة مشكولة مشكولة
 مشكولة مشكولة مشكولة

اسك على حل
 مشكولة مركبة مطرفة بمجموعة بزورقها
 منزول عليها
 مبسوطة

اللام

مسرودة يخرج منها نون على رأي ابن البواب يخرج منها فاف على طريقة باقوت

ل ل ل

أوياه على طريقة ابن العفيف مركبة مبتدأة وسطى مطرفة

ل ل ل ل ل

الميم

متندأة مشعرة

ما

سبيلة

م

مخطوة

مر

مفردة

م

مسبلة ملقزة

مم

مسبلة ملفوفة

مم

وسطى محققة

مما

وسطى مقلوبة

مما

۱۰

النون

وسطى

نن

مخلسنة

نر

مدعمة

نر

مفردة بجموعة

ن

مخلسنة

نن

مدعمة

نر

مركبة متلوة بجموعة

نن

۱۰

الماء

مفردة مربعة

لا

مفردة مثلثة

ه

مركبة مبتدأة ملتزمة

هلا

وجه الهمزة

هـ

رذيفة

هوا

عالمية

هالا

خطيرة

فر

محدودة

فره

مخففة

فره

مردوفة

فره

الواو

مبسوطة مفتوحة

و

مجموعه مفتوحة

و

مبسوطة مشددة

و

مجموعه مشددة

و

بشراء

و

محلوفة مشددة

و

منشورة

و

اللام ألف

مركبة مخففة

علا

مرشوفة معقدة

حلا

مخففة مفردة

لا

لا

الياء

مفردة مجموعة

ى

مركبة

كى

راجعة

ع

ابتداء ثم وسطى

لب

مركبة مجموعة

كى

مركبة مبسوطة

مى

مركبة راجعة

و

مركبة مخسوفة

مى

مركبة مبسوطة

ى

القلم الخامس

من الأقلام المستعملة بديوان الإنشاء

قلم الرقاع

بإضافة قلم إلى الرقاع، والمعنى أنه يُكْتَبُ به في الرقاع جمع رُقْعَةٍ، والمراد الورقة الصغيرة التي تكتب فيها المكاتبات اللطيفة والتخصّص وما في معناها، وهو الذي يكتب به في قطع العادة من المنصوري والقطع الصغير، وصوره في الأصل كصور حروف الثلث والتوقيع^(١) في الإفراد والتركيب إلا أنه يخالفه في أمور :

أحدها - أن قلمه أميل إلى التدوير من قلم التوقيع الذي هو أميل إلى التدوير من قلم الثلث .

قال لي الشيخ عبد الرحمن بن الصائغ المكتّيب : وتكون حلقة قلمه في البراية أفصر من الثلث والتوقيع .

الثاني - أن حروفه تكون أدقّ وألطف من حروف التوقيع .

الثالث - أن الترويس لا يقع في متصباته من الألف المفردة وأخواتها إلا في القليل، بخلاف الثلث والتوقيع فإن الترويس فيهما لازم .

الرابع - أنه يغلب فيه الطمس في العين المتوسطة والأخيرة، وكذلك الفاء، والقاف، والميم، والواو، وعقدة اللام ألف المحققة . أما الصاد والطاء والعين المفردة والمبتدأة فإنها لا تكون إلا مفتوحة .

الخامس - أنه يوجد فيه من الحروف ما لا يوجد في غيره كالألف المائلة إلى جهة اليمين على ما سيأتي ذكره في موضعه إن شاء الله تعالى .

(١) في الأصل : «الرقاع» والسياق يقتضي ما أثبتناه .

وهذه صورة حروفه إفراداً وتركيباً

الألف

مطلق مشمر محزف طالع

ا ر ا ا

—

الباء

مجموعة مدغمه مفردة مدغمه مبسوطة مفردة مرفوعة

ب ب ب ب

مبتدئة . وسطى . مطرفة مطرفة مرفوعة مطرفة مبسوطة

ب ب ب

الجيم

مفردة مجموعة

ج

مفردة مسبلة

ح

مفردة مرسله

ح

رتقاء مسبلة

ح

رتقاء مجموعة

ج

رتقاء مرسله

ح

وسطى مفتوحة

لحز

وسطى

حز

مبتدأ

حسد

مطرنة مجموعة

ج

مطرنة مسبلة

ح

مطرنة مرسله

ح

الدال

شجرة مفردة بمجموعة مخلفة مخلوقة

هد

د

د

د

مخطوطة

مخلفة

مركبة بمجموعة

مد

عد

مد

الراء

بتراب مفردة مخلوقة مخلفة بمجموعة

مر

ر

ر

ر

منطوقة

مدعمة

مخلفة

ر

مر

ر

السين

بجموعة

س

معلقة

س

مخسوة

س

مبسوطة

س

مبتدئة

سلعة

منوسطة

عسعة

مطرفة بجموعة

فس

مبسوطة

فس

مخسوة

فس

معلقة

فس

الصاد

بجموعه

ص

مبسوطة

ص

مخسوة

ص

أولى مركبة

صد

وسطى مركبة

صم

مطرفه بجموعه

ص

مطرفه مبسوطة

ص

مطرفه مخسوة

ص

الطاء

مرسلة	بوقوفة	مبدأة
ط	ط	طا
منوسطة	مطرقة مرسلة	مطرقة بوقوفة
حط	حط	عط

العين

مرسلة	مبداة	مجموعة
ع	ع	ع
مبدأة نعلبة	مبدأة صادية	منوسطة
عا	ع	ع
مطرقة مرسلة	مطرقة مسلة	مطرقة مجموعة
مع	مع	مع

الفاء

مبسوطة

ف

موقوفة

ف

مجموعة

ف

مطرقة مجموعة

مف

وسطى

مفل

أول مركبة

ف

مطرقة مبسوطة

مف

مطرقة موقوفة

مف

القاف

مبتدأ

ق

مبسوطة

ق

مخسوفة

ق

مفردة بمجموعة

ق

مبسوطة

قو

مطرقة مخسوفة

قو

مطرقة بمجموعة

قو

متوسطة

قف

الكاف

أول منكولة

كلا

مبسوطة

ك

موقوفة

ك

بمجموعة

ك

مركبة بمجموعة

لك

وسطى منكولة

لكم

لكر

أولى مبسوطة

كبر

مركبة مفتوحة

كبر

مركبة موقوفة

كبر

مشكولة مفصولة

كبر

مشكولة موصولة

كبر

وسطى مبسوطة

كبر

اللام

مبتدأ

لعه

مبسوطة

ل

موقوفة

ل

مفردة بمجموعة

ل

موقوفة

ل

مبسوطة

ل

مجموعة مركبة

ل

منوسطة

حلعه

الميم

مفردة معلقة	مخطوطة	مسبلة	مبتدأة مركبة
مر	مر	م	مس
وسطى مركبة	مطرقة معلقة	مركبة مسلة	مختمة عميقة
ممر	مهر	عم	ممر

النون

مجموعة	مدغمة مجموعة	مدشمة مبسرطة
ن	ن	ن
مبسوطة	مخورة	أول . وسطى
ن	ن	ن
مجموعة مركبة	مبسوطة مركبة	مخسوفة مركبة
ن	ن	ن

الماء

مدغمة	وجه الخبز	مدورة	مربعة	
هدرا	همي	ه	لا	
محدودة	مشقوفة صوتا	ملوزة	مشقوفة عرضا	ه
مس	طها	هه	حها	
مخلمة	منظمة	مخففة		
ور	و	ود		

الواو

مبسوطة مركبة	مجموعة مركبة	مبسوطة مفردة	مجموعة مفردة	
عو	فو	و	و	و

اللام ألف

مرفصلة

مخففة مركبة

مفردة

مخففة مفردة

فلا

حلا

لا

لا

الياء

مبتدأة . وسطى

راجعة

مخسوفة

مجموعة مفردة

يا

يا

يا

يا

راجعة مركبة مختممة

مخسوفة مركبة

مجموعة مركبة

يا

يا

يا

القلم السادس^(١) قلم الغبار

سُمِّيَ بذلك لدقته ، كأن النظر يضعف عن رؤيته لدقته كما يضعف عن رؤية الشيء عند ثوران الغبار وتغطيته له ، وهو الذي يكتب به في القطع الصغير من ورق الطير وغيره .

وبه تكتب بطائق الحمام التي تحمل على أجنحتها في ورق الطير . وبعضهم يسميه قلم الجناح لذلك ، وهو قلم ضئيل مولد من الرقاع والنسخ ، مفتح العقيد من غير ترويس فيه ، وينبغي أن تكون قطته مائة إلى التدوير لتفرعه عن الرقاع والنسخ .

وهذه صورة حروفه إفراداً وتركيباً

١٥ ا ا ر ر د د ر ر س س ص ص ط ط ع ع ف ف و و ك ك ل ل

ر ر و و لا لا لا لا ي ي

بسم الله الرحمن الرحيم

كُتِبَ لَنَا مِنْ عَمَلِ رَحْمَةِ اللَّهِ عِنْدَهُ لِيُعْصِمَنَا
لَا تُؤَخِّرْ عَمَلِ الْيَوْمِ لَعَدْفَتِ الْعَلِيلِ الْأَعْمَالِ
وَاللَّيْسَ مِنْهُ عَنِ سُلْطَانِهِمْ وَأَوْفَرِ الْعَوْدِ
بِالسَّانِ تَدْرِكُنِي وَأَنَا كَرُضْغَايْنِ مَحْمُولَةٍ فِي حَدِيثِ طَوْلِ

١٥'

(١) هو في الحقيقة سابع لكتابه على تخفيف الثلث فيما سبق في الكلام على فلم الثلث حيث نفسه الى

نوعين : ثقيل وحفيف . فلم يترك من الأعلام شيئاً كما قد يتوهم .

وهذه الصورة المصطلح عليها الآن : (وقد أجازوا فيها الفتح والطمس جميعاً)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 قَالَ الْأَمِيرُ الْمُؤْتَمِرُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ
 الْمَعْرُوفُ قُرُوصٌ وَالْأَيُّمِيُّ دُرُودٌ وَنَزَّوَانِي
 عَرَفَهُ صَاعٌ وَمِنْ قَاهِرِ الْحَقِّ قَهْرًا وَسَلَامٌ

الجملة السابعة

في كتابة البسمة

و بيان صورتها في كل قلم من الأقلام المستعملة
 في ديوان الإنشاء ؛ وفيها مهيعان

المهيع الأول

في ذكر قواعدٍ جامعةٍ للبسمة في جميع الأقلام ؛ وتشتمل على ثمان قواعد :
 الأولى — قد اتفق الكتاب على تطويل باء البسمة أكثر مما يطول به غيرها
 من الباءات التي في أول الكلمة . وسيأتي في الكلام على البسمة في المقالة الثالثة
 أنها طوّلت بدلا من الألف المحذوفة بينها وبين السين لكثرة تكرارها . وقد ذكر
 بعض المصنّفين في الخط أنها تكون بمقدار ثلثي ألف ذلك الخط .
 وقد سبق القول على مقدار ألف كل قلم فيما تقدم ؛ وهذا أصل يترتب
 عليه غيره .

الثانية — في البسمة خمس أخوات متساويات في الطول والانتصاب ، وهي :
 ألف الجلالة ، والألف واللام من الرحمن ، والألف واللام من الرحيم ؛ فكلها على
 مقدار واحد ، وقد سبق .

الثالثة - فيها أربع أخوات متساويات في الإرسال : وهي إرسالة الميم من بسم ، وإرسالة الراء من الرحمن ، وإرسالة الراء من الرحيم ، وإرسالة الميم من الرحيم .

الرابعة - فيها أربع أخوات متساويات في الضوء : وهي الميم من بسم ، والهاء من الجلالة ، والميم من الرحمن ، والميم من الرحيم .

الخامسة - فيها أختان متناسبتان في المقدار : وهما الهاء من الرحمن ، والهاء من الرحيم .

السادسة - أن لامات الجلالة تكون موازية من أعلاها للباء في أول البسمة إلا أن اللام الثانية من لامات الجلالة تكون أخفض من اللام الأولى بيسير .

قال ابن عبد السلام في الميزان : بحيث لا يُدرك ذلك إلا بتأمل . والذي ذكره الشيخ زين الدين الأثاري أنها تكون ناقصة عنها بقدر نقطة (يعنى من نُقط قلم كتابتها) وتكون الهاء أخفض من اللام الثانية مثل ذلك .

السابعة - أن يكون بين الباء والسين قدر ربيع ألف من ألفات ذلك الخط ، وتكون أسنان السين منها محددة الأطراف ، ويكون الأخذ من كل سين من أسنان السين من أعلاها آخذا فيها إلى أسفل مع التساوى من الأعلى وكذا من الأسفل ، بحيث إنه إذا خُطَّ خط من أسفل الباء إلى آخر السين لاصق بهما وقع على الاستقامة ، ثم يأخذ في مد السين من أعلى السنة الأخيرة منها ، وتكون أصابعه مقدمة وكُلوة يده مؤخره .

الثامنة - أن يكون البسط بين اللام الأولى والثانية منخفضا لا مستويا ، وكذلك ما بين اللام الثانية والهاء .

المهيع الثاني

في بيان صورة البسمة في كل قلم من الأقلام التي تستعمل

في ديوان الإنشاء

- قد تقدم أن الأقلام التي تستعمل في ديوان الإنشاء مما يكتب به كتابه ستة أقلام وهي : مختصر الطومار، وقلم الثلث الثقيل والخفيف، وقلم التوقيعات، وقلم الرقاع، وقلم الغبار، إلا أن المحقق لا بسمة له في ديوان الإنشاء، لأنه إنما يستعمل في كتابة طغرة كتاب على ما تقدم ذكره، ولا بسمة للطغرة .

- اللهم إلا أن يكتب مختصر الطومار على طريقة المحقق فتكتب البسمة فيه على طريقة المحقق، بخلاف قلم الغبار فإنه يكتب به في الملتطفات فيحتاج إلى البسمة وإن لم يحتاج إليها في البطائق .

- ولتعلم أن صورة البسمة في هذه الأقلام تختلف ما بين صورة واحدة لكل قلم فأكثر . وقد ذكر صاحب العناية الربانية صوراً من ذلك، وأنا أوردتها على الترتيب إن شاء الله تعالى .

- فأما بسمة قلم مختصر الطومار، فقد تقدم أن طريقته طريقة الطومار، وأن الطومار تارة يكتب على طريقة المحقق وهو الأكثر، وتارة يكتب على طريقة الثلث، وعليه عمل كتاب الإنشاء، وربما عملوا على طريقة المحقق، وحينئذ فإن كان المكتوب على طريقة المحقق فبسملته على طريقة المحقق مع امتلاء قلمه على حد قلم مختصر الطومار على ما تقدم بيانه .

وهذه صورة بسملة

بسملة

بسملة

على طريقة الثلث

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي

وأما قلم الثلث الثقيل وقلم الثلث الخفيف فطر يقنهما واحدة لأخلف بينهما إلا في رقة القلم وغلظه على ما تقدم بيانه في الكلام على أصل الأقسام . وللبسمة فيهما ثلاث صور :

الصورة الأولى - أن تكون الراء في الرحمن وفي الرحيم مخسوفة؛ وهذه صورتها :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الصورة الثانية - أن تكون الراء فيهما مجموعة والنون في الرحمن مجموعة؛ وهذه صورتها :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الصورة الثالثة - أن تكون الراء فيهما ممدومة والنون في الرحمن ممدومة؛ وهذه صورتها :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وأما بسملة قلم التوقيع فلها ثلاث صور :

الصورة الأولى - مختصرة من قلم الثلث فتكون كهي ، إلا أنها أدق قلما منها؛ وهذه صورتها :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الصورة الثانية - أن تكون الحاء فيها في الرحمن مقلوبة وفي الرحيم مألوفة؛ وهذه صورتها :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الصورة الثالثة - أن تكون الحاء فيها في الرحمن والرحيم مقلوبة؛ وهذه صورتها :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وأما بسملة قلم الرقاع، فإن السين تكون فيها بالتدريج، كل سنّ دون التي قبلها يسير، والكاتب فيها مخير بين وصل أسنانها وفصلها فصلا يسيرا. وقد أصطلحوا على أن تكتب الألف التي قبل الجلالة فيها متصلة بميم بسم، وتكون مثل الألف^(١) والصاعد في قلم الرقاع، ثم يجعل لها ذيل^٢ وتوصل بالجلالة، ولها ثلاث صور:

الصورة الأولى - أن تكون الراء فيها مدغمة، والحاء في الرحمن والرحيم مقالوبة، وهذه صورتها:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الصورة الثانية - أن تكون الراء فيها مدغمة والحاء رتقاء، وهذه صورتها:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الصورة الثالثة - أن توصل الألف بالجلالة من أعلاها، وهذه صورتها:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وأما بسملة الغبار [فلها صورة واحدة وهي هذه^(١)]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) زيادة يمتنضها السياق.

الجملة الثامنة

في وجوه تجويد الكتابة وتحسينها؛ وهو على ضربين

الضرب الأول

حسن التشكيل

- ٥ قال الوزير أبو علي بن مقلة : وتحتاج الحروف في تصحيح أشكالها إلى خمسة أشياء :

الأول - التوفية؛ وهي أن يوثق كل حرف من الحروف حظه من الخطوط التي يركب منها : من مقوس ومنحنٍ ومنسطح .

- ١٠ الثاني - الإتمام؛ وهو أن يعطى كل حرف قسمته من الأقدار التي يجب أن يكون عليها : من طول أو قصر أو دقة أو غلظ .

الثالث - الإكمال؛ وهو أن يوثق كل خط حظه من الهيئات التي ينبغي أن يكون عليها : من انتصاب، وتسطيع، وأنجاب، وأمتلاء، وتقويس .

- ١٥ الرابع - الإشباع؛ وهو أن يوثق كل خط حظه من صدر القلم حتى يتساوى به فلا يكون بعض أجزائه أدق من بعض ولا أغلظ إلا فيما يجب أن يكون كذلك من أجزاء بعض الحروف من الدقة عن باقية مثل الألف والراء ونحوهما .

الخامس - الإرسال؛ وهو أن يرسل يده بالقلم في كل شكل يجري بسرعة من غير احتباس يضرسه ولا توقف يرعشه .

الضرب الثاني

حسن الوضع

قال الوزير : ويحتاج إلى تصحيح أربعة أشياء :

الأول - الترصيف ؛ وهو وصل كل حرف متصل إلى حرف .

الثاني - التاليف ؛ وهو جمع كل حرف غير متصل إلى غيره على أفضل

ما ينبغي ويحسن .

الثالث - التسطير ؛ وهو إضافة الكلمة إلى الكلمة حتى تصير سطرا منتظما

الوضع كالمسطرة .

الرابع - التنصیل ؛ وهو مواقع المدّات المستحسنة من الحروف المتصلة .

وأعلم أن المدّ في الخطّ قديم ، فقد حكى أبو جعفر النحاس في "صناعة

الكتاب" : أن أهل الأنبار كانوا يكتبون المشق . وكأنه يريد أنهم كانوا على ذلك

في القديم ، فقد تقدم أن أول ما تعلم أهل الحجاز الخطّ من أهل الأنبار . على

أن صاحب "موادّ البيان" قد حكى أن جماعة من المحرّرين كانوا يكرهون المشق

لإفساده خطّ المبتدئ ودلالته على تهاون المنتهى .

قال : ولذلك كرهوا كتابة البسمة بغير سين مبيّنة ثم صارت كراهة ذلك سنة

وعرفا . والذي عليه حدّاق المحرّرين استعمال المدّ .

قال في "موادّ البيان" : وهذه المدّات تستعمل لأمرين : أحدهما أنها تحسّن

الخطّ وتفخّمه في مكان كما يحسّن مدّ الصوت اللفظّ ويفخّمه في مكان . الثاني أنها

ربما أوقعت ليم السطر إذا فضل منه مالا يتسع لجرف آخر ، لأن السطر ربما

ضاق عن كلمتين وفضل عن كلمة فتمدّت التي وقعت في آخر السطر لتقع الأخرى

في أول السطر الذي يليه .

وقال الشيخ عماد الدين بن العفيف : مواضع المدِّ أواخر السطور، وتكره إذا كانت سينا مدغمة .

قال في "مواد البيان" : فيجب على الكاتب أن يعرف أحكامها لئلا يوقعها في غير المواضع اللائقة بها فيشتبه الحرف بغيره ويفسد المعنى، مثل أن يوقع المدَّ في متعلم بين الميم والتاء فتشبهه بمستعلم، أو يوقع المدَّ في متسلم بين الميم والتاء فتشبهه بمستسلم . ثم قال : وبالجملية فالكلمة الأصلية أسماء كانت أو حرفاً أو فعلاً لا تخرج عن أربعة أصناف :

الصنف الأول

الثنائية

وهي إما أسماء مضاعفة أو أفعال أو حروف .
 فالأسماء : نحو نَدَّ، وضر، وِسْر، وشرَّ، وِظَل، وِطَل، وما أشبه ذلك .
 والأفعال : نحو قُل، وِكُل، وِقُم، وِعُد، وِثَم، وِسِر، ونحو ذلك .
 والحروف : نحو هل، وِبل، وِقط، وِقد، وِمد، وِعن، وِلو، وِلم، وِمس، وما، وما يجرى مجرى ذلك .

فأما الأسماء والأفعال الثنائية فقد ذكر في "مواد البيان" : أنه لا يحسن المدُّ في شيء منها إلا في سِر، وِشرَّ، من الأسماء وِسر من الأفعال لأن السين أو الشين وإن كان كل منهما حرفاً على حياله في صورة ثلاثة أحرف .

قال : وقد يحسن في نحو ظل، وِطلَّ، في بعض المواضع .

وأما الحروف الثنائية فقد ذكر في "مواد البيان" : أنه لا يحسن المدُّ فيها .

وحكى صاحب "منهاج الإصابة" : أن بعض الكتاب كان يمد في أواخر السطور مثل ما، وهل، وعن . ثم حكى عن أبي القاسم بن خلوف : أن ذلك لا يجوز في عن في أول السطر ولا في آخره .

الصنف الثاني

الثلاثية

قال في "مواد البيان" : والمد فيها على الأكثر قبيح لأنها لا تنقسم بقسمين متساويين . قال : ومنها ما أيسمخ في مده للضرورة كما إذا وقع في آخر سطر يحتاج إلى التميم فيمد كبيع وقطم ونحوهما . وعلى نحو من ذلك جرى صاحب "منهاج الإصابة" ثم قال : ويجوز أن تمد إذا كان ثالثها ألفا أو لاما .

وقال الشيخ عماد الدين بن العفيف : كان والدى يمد في الكلمة الثلاثية إذا كان أولها الجيم وأختاها، والطاء، والسين، والعين . قال في "مواد البيان" : ويذبحى إذا مد أن يتقدم الحرفان الأولان وتوضع المدة بينهما وبين الثالث . أما عسى، ومتى، وقتى، ونحوها فإنها لا تحمل المد بحال .

الصنف الثالث

الرباعية نحو محمد وجعفر

قال أبو القاسم بن خاوف : والمد فيه جائز بل المد فيه أحسن من القصر . قال في "مواد البيان" : ولا يجوز أن يقدم منها ثلاثة أحرف ويوقع المدة بينها وبين الحرف الرابع ولا بالعكس بل يوقع المد بين الحرفين الأولين والحرفين الآخرين فقط . قال : على أن منها ما لا يحسن المد فيه نحو : تغلب، وخبير، ومير .

الصف الرابع

الخامسة

نحو : مشتمل ، ومستقل ، ومسيطر ، ومنهين .

- وقد اختلف علماء الخط فيه على مذهبين : فذهب صاحب "مواد البيان" إلى أن المد فيها لا يحسن ، فإنها لا تنقسم بتسمين متساويين كما في الثلاثية ، وذهب أبو القاسم بن خلوف إلى أن المد فيها لازم ، لا يجوز تركه . ثم إذا مد فالذي ذكره في "مواد البيان" أن الأحسن أن يقدم حرفين ويوقع المد بينهما وبين الثلاثة الأحرف الأخر .

- أما ما كان زائدا على خمسة فقد ذكر صاحب "العناية الربانية" أنه يرجع فيه إلى الأصول . ويعتبر من السادسة^(١) فإنه مد فيا بعد السين من مسلمون و بعد التاء من معتبر .

قال في "مواد البيان" : ويصح المد فيما جاء من الأسماء والأفعال والحروف موصولا بضمير كناية مثل : كتبته ، وعلمته ، وفيه ، ومنه ، وعليه ، وإليه ، إذا وقعت المدة بين تمام الكلمة والضمير .

- قال : ومشق السين يحسن الخط في بعض المواضع ، ويقبح إذا وقعت طرفا نحو مشق السين من العباس والجنّاس ، وأدبج من ذلك مشقها إذا كانت موصولة بحرف واحد يتقدمها نحو يانس ، وعانس ، وجالس ، وناعس . وإذا توالى سينان أو سين وشين ، فالأحسن أن يفصل بينهما في الخط المحترق بمدة لطيفة نحو مسست وغششت ورششت .

(١) لعل الصواب من الثلاثى بالنايمين المثلثين .

قال أبو القاسم بن خلوف : ومن الحروف مالا يحسن المدُّ بعده إذا كان مبتدأ وهو الباء وأختاها ، والياء ، والفاء ، والقاف ، واللام ، وأما الكاف المشكولة فإنه لا يجوز مدُّ ما بعدها في ابتداء ولا توسط .

وقد ذكر الشيخ زين الدين شعبان الآثاري في ألفيته حروفاً يجوز مدُّها في مواضع : أحدها — الباء وأختاها ، فتمدُّ إذا كان بعدها دال مثل : بدر ، أو راء مثل : بر ، أو ميم مثل : تم ، أو هاء مثل : بهز ؛ وأنه ربما مدَّت إذا كان بعدها لام مثل : بل ، أو لام ألف مثل : بلا .

الثاني — الجيم وأختاها ، فتمدُّ إذا كان بعدها دال مثل : حداد ، أو راء مثل : حرير ، أو ميم مثل : حم ، أو هاء مثل : جهر .
الثالث — السين وأختها ، وتمدُّ إذا كان بعدها راء مثل : سر ، أو ميم مثل : سم ، أو هاء مثل : سهم .

الرابع ، والخامس — الصاد وأختها ، والطاء وأختها ، فلا يجوز مدُّ واحدٍ منها بحال .
السادس — العين وأختها ، فتمدُّ إذا كان بعدها دال مثل : عد ، أو راء مثل : عر ، أو ميم مثل : عم ، أو هاء مثل : عهن .

السابع ، والثامن ، والتاسع ، والعاشر ، والحادي عشر — الفاء ، والقاف ، واللام ، والميم ، والهاء ؛ فحكمتها حكم العين وأختها في جواز المدِّ فيما تقدم .

قال الشيخ عماد الدين بن العفيف : ولا يجوز الجمع بين مدتين في كلمة واحدة و"على" تمدُّ إذا كانت الياء معترقةً ، فإن كانت راجعة لم يجز المدُّ أصلاً ، لأنه يجتمع في كلمة ثلاثية مدتان .

قال في "موادِّ البيان" : ويقبَح أن تمدَّ حرفين توالى بينهما في سطر واحد ، وأن تُوقَعَ حرفين ممدودين في سطرين : أعلى وأسفل على تقابلي وتخاذ .

(١) الكلام فيما يجوز مده فإنبات هذا القسم مهو عن المقسم .

قال السمرى: وإن كان في آخر الكلمة ياء لم يحز المد قبل الياء. قال: ولذلك لا يجوز المد بعد السين في أسم موسى: ولا قبل السين في أسم عيسى.

قال الآثرى: وأجاز بعضهم مد العين منه بخلاف السين.

قال ابن العفيف: ولا تُدغم الواو والنون بعد مد أصلا في خفيف ولا ثقيل.

قال: ولا يحسن إدغام السين بعد الكاف المشكولة، ويجوز بعد اللام والميم.

قال في "مواد البيان": ويقبح أن تكتب ياء ان معطوفتان متقاربتان في سطر واحد.

قال الشيخ عماد الدين بن الشيرازى: وإذا توالى العراقات وكان فيها الياء وجب

أن تكون راجعة إلى ذات اليمين.

قال ابن أبي رقيبة: سألت الشيخ عماد الدين بن العفيف: هل يكون ذلك

في كل قلم؟ قال نعم! إذا تمكّن الكاتب من وضعها إلا في المحقق فإنه غير جائز.

قال السمرى: وإن أتت ياء ان متقاربتان مثل قول القائل "لى صلى" رد ياء

الأخرى من الكلمتين دون الأولى، وإن شئت عرقتهما جميعا، وهو اختيار الوزير

أبن مقله. قال: وترد الياء بعد الألف واللام مثل: إلى في خفيف الأرقام دون

ثقلها على الأحسن.

قال الآثرى: وإذا توالى حروف متشابهة كتبت القصير منه مقدما على الطويل

الصفحة الخامسة^(٢)

مراجعة فواصل الكلام

قال في "مواد البيان": وذلك بأن تميز الفصول المشتغل كل فصل منها على نوع من

الكلام عما تقدمه: لتعرف مبادئ الكلام ومقاطعها، فإن الكلام ينقسم فصولا أطوالا

(١) كذا في الضوء أيضا والمراد سواء اتصل المد بالياء أو كان فله في كلمته.

(٢) في نسخة من الضوء خامس، ولا بسادس، وأقتصر في الترجمة على ما بعدهما وهو المناسب.

وقصارا، فالطوال كتنقسم منشور المترسل إلى رسائله، ومنظوم الشاعر إلى قصائده .
ومثل هذا لا يحتاج إلى تفصيل ، لأنه لا يشكل الحال فيه في الرسالة أو القصيدة
بغيرها اتصالا وانفصالا .

والفصول القطار كأنقسام الرسالة إلى الفصول ، والقصيدة إلى الأبيات . ومثل
هذا قد يشكل ، فينبغي أن يُتميز تميزا يؤمن معه من الاختلاط ، فإن ترتيب الخط
يفيد ما يفيد ترتيب اللفظ . وذلك أن اللفظ إذا كان مرتبا تخلص بعض المعاني
من بعض ، وإذا كان مخلطا أشكلت معانيه ، وتعذر على سامعه إدراك محصوله .
وكذلك الخط إذا كان متميزا لفصول ، وصل معنى كل فصل منه إلى النفس على
صورته ، وإذا كان متصلا دعا إلى إعمال الفكر في تخايس أغراضه .

وقد اختلفت طرق الكُتاب في فصول الكلام الذي لم يُتميز بذكر باب أو فصل
ونحوه . فالنساخ يجعلون لذلك دائرة تفصل بين الكلامين ، وكُتاب الرسائل يجعلون
للتواصل بياضا يكون بين الكلامين من سبع أو فصل كلام ، إلا أن بياض فصل
الكلامين يكون في قدر رأس إبهام ، وفصل السجعتين يكون في قدر رأس مختصر .

قال في "مواد البيان" : وينبغي ألا تكون الجملة في آخر السطر والفاصلة في أول
السطر الذي يليه ، فإنه مُلبس لاتصال الكلام ، بل لا يجعل في أول السطر بياضا أصلا
لأنه يقبح بذلك لخروجه عن نسبة السطور ، ولا أن يُفصح بين السطر والذي يليه
إفساحا زائدا عما بين كل سطرين ، ولكن يُراعى ذلك من أول شروعه في كتابة السطر
فيقدر الخط بالجمع والمشق حتى يخلص من هذا العيب .

الصنف السادس

حسن التدبير في قطع الكلام ووصله في أواخر السطور وأوائلها
لأن السطور في المنظر كالفصول، فإذا قطع السطر على شيء يتعلّق بما بعده
كان قبيحا، كما إذا كتب بعض حروف الكلمة في آخر السطر وبعضها في أول
السطر الذي يليه .

ثم للفصل المستقبّح في آخر السطر وأول الذي يليه صنفان :

الصنف الأول

فصلٌ بعض حروف الكلمة الواحدة عن بعض، وتفريقها في السطر والذي يليه
مثل أن تقع معه لفظة "كتاب" في آخر السطر، فيكتب الكاف والتاء والألف
في آخر السطر، والباء في أول السطر الذي يليه؛ أو يقع في آخر السطر لفظ "مسرور"
فيكتب الميم والسين والراء فيه، والواو والراء الثانية في أول السطر الذي يليه
ونحو ذلك .

قال في "موادّ البيان" : وهو قبيح جدًا لأنه لا يجوز فصل الأسم عن بعضه .

قال : وأكثر ما يوجد ذلك في مصاحف العامة وخطوط الوراقين، والحامل لهم
على ذلك في الغالب هو ضيق آخر السطر عن الكلمة بكاملها؛ ومن هنا أحتاج
الكتاب إلى النظر في ذلك بالجمع والمشق من حين شروعه في كتابة أول السطر
على ما تقدم .

قال صاحب "منهاج الإصابة" : وإنما وقع مثل ذلك في المصاحف التي

كتبت في زمن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه لأنها كتبت بقلم جليل

مبسوط، فربما وقع في بعض الأماكن اللفظة فيقطعها في آخر السطر ويجعل باقيها
في السطر الثاني .

وعلى ذلك حمل ما روى أن عثمان رضى عنه . قال : ” إنَّ في المصحفِ لحناً ستقيمه العربُ بألسنتها “ إذ لا جائز أن يكون ذلك لحناً في اللفظ فقد أجمع الصَّحابةُ رضوانُ الله عليهم على أن ما بين دفتي المصحفِ قرءانٌ ، ومحالٌ أن يبتنعوا على لحن . على أن هذه الرواية غير مشهورة عن عثمان رضى الله عنه كما أشار إلى ذلك الشاطبي بقوله في الرائية :

وَمَنْ رَوَى سَتَيْمِ الْعُرْبِ أَلْسِنَهَا * لِحْنًا بِهِ قَوْلَ عَثْمَانَ فَمَا شَهْرًا

الصنف الثاني

فصل الكلمة التامة وصلتها

مثل أن يكتب ” وصل كتابك وأيدك الله “ مفصلات ، فيكتب ” وصل “ في آخر السطر و ” كتابك “ في أول الذي يليه ، أو يكتب ” أيدك “ في آخر سطر وأسم ” الله “ تعالى في أول الذي يليه ، وما جرى مجرى ذلك .

قال في ” مواد البيان “ : والأحسن تجنبه إذا أمكن ، فإن لم يمكن فيتجنب التبيح منه ، وهو الفصل بين المضاف والمضاف إليه ، كعبد الله و غلام زيد وما أشبه ذلك ، لأن المضاف والمضاف إليه بمنزلة الأسم الواحد ، والفصل بين الأسم وما يتلوه في النسب ، كقولك زيد بن محمد ، فلا يجوز أن يفصل بين الأسم والمنسوب إليه كما لا يجوز أن يفصل بين المضاف والمضاف إليه . قال : فإن كان المراد بلفظة ابن تثبيت البتوة كقولك لزيد ابن جاز قطع الابن عما تقدمه . وكأنه إنما امتنع ذلك لأن لزيد لا يستقل بنفسه فلا يدخله لابس بخلاف غلام زيد ونحوه . ثم قال : ومما يقبح فصله الفصل بين كل اسمين جعلوا أسما واحدا نحو : حضرموت ، وتابط شراً ، وذى يزن ، وأحد عشر .

قلت : وباب الخط وأقلامه وحسن تدبيره منسوع لا يسع استيفاءه .

الفصل الثالث

من الباب الثاني من المقالة الأولى

في لواحق الخط، وفيه مقصدان

المقصد الأول

في النقط، وفيه أربع جمل

الجملة الأولى

في مسيس الحاجة إليه

قال محمد بن عمر المدائني : ينبغي للكاتب أن يعجم كتابه ، ويبين إعرابه ، فإنه . متى أعراه عن الضبط ، وأخلاه عن الشكل والنقط كثر فيه التصحيف ، وغلب عليه التحريف . وأخرج بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنه أنه قال :
 « لكل شيء نور ، ونور الكتاب العجم » . وعن الأوزاعي نحوه .

قال أبو مالك الحضرمي : أي قلم لم تعجم فصوله ، استعجم محموله . ومن كلام بعضهم : « الخطوط المعجمة ، كالبرود المعلمة » .

ثم قد تقدم في الكلام على عدد الحروف أن حروف المعجم تسعة وعشرون حرفاً ، وقد وضعت أشكافاً على تسعة عشر شكلاً . فمنها ما يشترك في الصورة الواحدة منه الحرفان : كالدال والذال والراء والزاي ، والسين والشين . ومنها ما يشترك في الصورة الواحدة منه الثلاثة : كالباء والتاء والثاء ، والجيم والحاء والحاء . ومنها ما ينفرد بصورة واحدة كالألف . ومنها ما لا يلبس حالة الإفراد ، فإذا ركب ووصل نفيه التبس : كالنون والقاف ، فإن النون في حالة الإفراد منفردة بصورة ،

فإذا رُكبت مع غيرها في أول كلمة أو وَسَطِهَا، أشتبهت بالباء وما في معناها، والقاف إذا كانت منفردة لا تلبس، فإذا وصات بغيرها أولا أو وسطا ألتبست بالفاء، فأحتجج إلى مميز يُمَيِّزُ بعض الحُرُوف من بعض : من نقط أو إهمال ليزول اللَّبْس، ويذهب الأشتراك .

٥ قال الشيخ أنير الدين أبو حيان : ولذلك ينبغي أن القاف والنون إذا كتبا في حالة الإفراد على صورتها الخاصة بهما لا يُنْقَطَان، لأنه لا شبه بينهما ولا يُشْبَهُان غيرهما، فيكونان إذ ذاك كالكاف واللام . قال : ومنع بعض مشايخنا الأشتراك في صورة الحروف . وقال : الصورة والنقط مجموعهما دال على كل الحرف .

إذا تقرر ذلك فالنقط مطلوب عند خوف اللبس، لأنه إنما وُضِعَ لذلك، أما مع أمن اللبس فالأولى تركه لئلا يُظْلِمَ الخَطُّ من غير فائدة . ١٠
فقد حكى أنه عُرض على عبد الله بن طاهر خط بعض الكُتَّاب فقال :
ما أحسنه ! لولا أنه أكثر شؤنيته

وقد حكى محمد بن عمر المدائني أن جعفر المتوكل كتب إلى بعض عماله أن
أحص من قبلك من المدنيين وعرفنا ببلغ عددهم، فوقع على الحاء نقطة بجمع
العامل من كان في عمله منهم وخصاهم فماتوا غير رجالين أو واحد . ١٥

وقد حكى المدائني عن بعض الأدباء أنه قال : كثرة النقط في الكتاب سوء
ظن بالمكتوب إليه .

أما كُتَّاب الأموال فإنهم لا يرون النقط بحال، بل تعاطيه عندهم عيب
في الكتابة .

الجملة الثانية

في ذكر أول من وضع النقط

قد تقدم في الكلام على وضع الحروف العربية أن أول من وضع الحروف العربية ثلاثة رجال من قبيلة بولان على أحد الأقوال . وهم : ^(١) مرار بن مرة ، وأسلم بن يذرة ، وعامر بن جذرة ، وأن مرارا ^(١) وضع الصور ، وأسلم فصل ووصل ، وعامرا وضع الإعجام . وقضية هذا أن الإعجام موضوع مع وضع الحروف . وقد روى أن أول من نَقَطَ للمصاحف ووضع العربية أبو الأسود الدؤلي من تلقين أمير المؤمنين : "على كرم الله وجهه" . فإن أريد بالنقط في ذلك الإعجام ، فيحتمل أن يكون ذلك ابتداء لوضع الإعجام ، والظاهر ما تقدم ، إذ يبعد أن الحروف قبل ذلك مع تشابه صورها كانت عربية عن النقط إلى حين نَقَطَ المصحف . وقد روى أن الصحابة رضوان الله عليهم جردوا المصحف من كل شيء حتى من النقط والشكل . على أنه يحتمل أن يكون المراد بالنقط الذي وضعه أبو الأسود الشكل على ما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى .

الجملة الثالثة

في بيان صورة النقط وكيفية وضعه

قال الوزير أبو علي بن مقلة رحمه الله : وللنقط صورتان : إحداهما شكل مربع والأخرى شكل مستدير

قال : وإذا كانت نقطتان على حرف ، فإن شئت جعلت واحدة فوق أخرى ، وإن شئت جعلتهما في سطرٍ معاً ، وإذا كان يجوار ذلك الحرف حرفٌ يُنْقَطُ لم يبرز أن يكون النقط إذا اتسعت إلا واحدة فوق أخرى ، والعلة في ذلك أن النقط إذا كُنَّ

(٢) تقدم التنبيه عليه .

في سطر نخرجن عن حروفهن فوق اللبس في الأشكال ، فإذا جعل بعضها على بعض كان على كل حرف قسطه من النقط فزال الإشكال .

قلت : وإذا كان على الحرف ثلاث نُقط ، فإن كانت ناء جعلت واحدة فوق آنتين ، وإن كانت شينا فبعض الكُتاب ينقطه كذلك ، وبعضهم ينقطه ثلاث نقط سطرًا ، وذلك لسعة حرف الشين بخلاف الناء المثانيه .

أما السين إذا تقطت من أسفلها فإنهم ينقطونها ثلاثة سطرًا واحدًا .

الجملة الرابعة

فيما يختص بكل حرف من النقط وما لا تقط له

قد تقدم أن حروف المعجم ثمانية وعشرون حرفًا سوى اللام ألف ، وأن ذلك على عدد منازل القمر الثمانية والعشرين ؛ وأن المنازل أبدًا منها أربعة عشر فوق الأرض ، وأربعة عشر تحت الأرض ؛ ثم إنه لا بد أن يبقى مما فوق الأرض منزلة مخفية تحت الشفق ، فكانت الحروف المنقوطة خمسة عشر حرفًا بعدد المنازل المخفية : وهي الأربعة عشر التي تحت الأرض ، والواحدة التي تحت الشعاع ، إشارة إلى أنها تحتاج إلى الإظهار لاختفائها : وهي الباء ، والهاء ، والياء ، والجيم ، والخاء ، والذال ، والزاي ، والسين ، والضاد ، والطاء ، والغين ، والفاء ، والقاف ، والنون ، والياء ، آخر الحروف .

وكانت الحروف العاطلة ثلاثة عشر بعدد المنازل الظاهرة : وهي الألف ، والحاء ، والذال ، والراء ، والسين ، والصاد ، والطاء ، والعين ، والكاف ، واللام ، والميم ، والهاء ، والواو .

فأما الألف فإنها لا تُنْقَطُ لأفرادها بصورةٍ واحدة ، إذ ليس في الحروف ما يُشبهها في حالي الأفراد والتركيب .

وأما الباء فإنها تُنْقَطُ من أسفل لتخالف التاء المثناة من فوق ، والتاء المثناة في حالي الأفراد والتركيب ، والياء المثناة من تحت ، والنون في حالة التركيب ابتداءً أو وسطاً ونُقِطت من أسفل لئلا تلتبس بالنون حالة التركيب .

وأما التاء فإنها تُنْقَطُ بأثنين من فوق لتخالف ما قبلها وما بعدها من الصورتين في حالة الأفراد ، وتخالفهما مع الياء والنون حالة التركيب ابتداءً أو وسطاً .

وأما الناء فإنها تُنْقَطُ بثلاث من فوق لتخالف ما قبلها من الصورتين في الأفراد وتخالفهما مع النون والياء أيضاً في التركيب ابتداءً أو وسطاً .

وأما الجيم فإنها تنقط بواحدة من تحت لتخالف الصورتين بعدها .

وأما الحاء فإنها لا تُنْقَطُ ، ويكون الإهمال لها علامةً ، وحذاق الكتاب يجعلون لها علامة غير النقط ، وهي حاء صغيرة مكان النقطة من الجيم .

وأما الخاء فإنها تُنْقَطُ بواحدة من أعلاها لتخالف ما قبلها من الجيم والحاء .

وأما الدال فإنها لا تُنْقَطُ ولا تعلم ، ويكون ترك العلامة لها علامةً .

وأما الذال فتُنْقَطُ بواحدة من فوق فرقا بينها وبين أختها .

وأما الراء فإنها لا تنقط ولا تعلم ، ويكون الإهمال لها علامةً .

وأما الزاي فإنها تنقط بواحدة من فوق فرقا بينها وبين الراء .

وأما السين فإنها لا تُنْقَطُ ، وتكون علامتها الإهمال كغيرها ، وبعض الكتاب

ينقطها بثلاث نقط من أسفلها .

وأما الشين فإنها تنقُط بثلاث من فوق فَرَقاً بينها وبين أختها، فإن كانت مدغمة فلا بد من جَرَّة فوقها ؛ ثم إن كانت مُحَقَّقة فاللائق التأسيس بنقطتين وجعل نقط ثالث من أعلاهما ؛ وإن كانت مدغمة فالأولى جعل الثلاث نقط سطرا واحدا .
وأما الصاد فإنها لا تنقُط ؛ نعم حُذِّق الكُتَّاب يجعلون لها علامة كالحاء ، وهي صَاد صغيرة تحتها .

وأما الضاد فإنها تنقُط بواحدة من أعلاها فَرَقاً بينها وبين أختها .
وأما الطاء فإنها لا تُنقُط لكن لها علامة كالصاد والحاء ، وهي طاء صغيرة تحتها .
وأما الظاء فإنها تنقُط بواحدة من فوقها فَرَقاً بينها وبين أختها .
وأما العين فإنها لا تُنقُط ، ولها علامة كالحاء ، والصاد ، والطاء ، وهي عَيْن صغيرة في بطنها .

وأما الغين فإنها تنقُط بواحدة فَرَقاً بينها وبين أختها .
وأما الفاء فمذهب أهل الشرق أنها تنقُط بواحدة من أعلاها ، ومذهب أهل الغرب أنها تنقُط بواحدة من أسفلها .
وأما القاف فلا خلاف بين أهل الخط أنها تنقُط من أعلاها إلا أن مَنْ نَقَطَ الفاء بواحدة من أعلاها نقط القاف بأثنين من أعلاها ليحصل الفرق بينهما ، ومنْ نَقَطَ الفاء من أسفلها نقط القاف بواحدة من أعلاها .

وقد تقدم من كلام الشيخ أثير الدين أبي حيان رحمه الله عن بعض مشايخه :
أن القاف إذا كتبت على صورتها الخاصة بها ينبغي ألا تُنقُط إذ لا شبه بينهما
وذلك في حالتى الإفراد والتطرف أخيرا .

- وأما الكاف فإنها لا تنقط ، إلا أنها إذا كانت مشكولة عُلِّمت بشكالة ، وإن كانت معزاة رسم عليها كاف صغيرة مبسوطة لأنها ربما أَلْتَبَسَتْ باللام .
- وأما اللام فإنها لا تُنْقَط ولا تَعَلَّم ، وترك العلامة لها علامة .
- وأما الميم فإنها لا تنقط ولا تعلم أيضا لأنفرادها بصورة .
- وأما النون فإنها تنقط بواحدة من أعلاها ، وكان ينبغي اختصاص النقط بحالة التركيب ابتداءً أو وسطاً لالتباسها حينئذ بالباء ، والتاء ، والناء أوائل الحروف ، والياء آخر الحروف ، بخلاف حالة الإفراد والتطرف في التركيب أخيراً فإنها تختص بصورة فلا تتبس كما أشار إليه الشيخ أنير الدين أبو حيان رحمه الله ، إلا أنها غلبت فيها حالة التركيب فروعيت .
- وأما المهاء فإنها لا تنقط بجميع أشكالها ، وإن كثرت ، لأنه ليس في أشكالها ما يلتبس بغيره من الحروف .
- وأما الواو فإنها لا تنقط وإن كانت في حالة التركيب تقاربُ الفاء ، وفي حالة الإفراد تقارب القاف ، لأن الفاء لا تشابهها كل المشابهة ، ولأن القاف أكبر مساحةً منها .
- وأما اللام ألف فإنها لا تنقط لأنفرادها بصورة لا يشابهها غيرها .
- وأما الياء فإنها تنقط بنقطتين من أسفلها ، وإن كانت في حالة الإفراد والتطرف في التركيب لها صورة تخصها ، لأنها في حالة التركيب في الابتداء والتوسط تشابه الباء ، والتاء ، والناء ، والنون ، فيحتاج إلى بيانها بالنقط لتغليب حالة التركيب على حالة الإفراد كما في النون ، وربما نقطها بعض الكُتَّاب في حالة الإفراد بنقطتين في بطنها ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

المقصد الثاني

في الشكل ؛ وفيه خمس جمل

الجملة الأولى

في اشتقاقه ومعناه

قال بعض أهل اللغة : هو مأخوذ من شكل الدابة ، لأن الحروف تُضبط بقيد
فلا يلتبس إعرابها كما تُضبط الدابة بالشكال فيمنعها من الهروب . قال أبو تمام :
تري الأمر معجوماً إذا كان معجماً • لَدَيْهِ وَمَشْكُولًا إِذَا كَانَ مَشْكُولًا

الجملة الثانية

في أول من وضع الشكل

وقد اختلفت الرواية في ذلك على ثلاث مقالات ، فذهب بعضهم إلى أن
المبتدئ بذلك أبو الأسود الدؤلي ، وذلك أنه أراد أن يعمل كتاباً في العربية يقوم
الناس به ما فسد من كلامهم ، إذ كان ذلك قد فشا في الناس .

فقال : أرى أن أبتدئ بإعراب القرآن أولاً ، فأحضر من يمسك المصحف ،
وأحضر صبغاً يخالف لون المداد . وقال للذي يمسك المصحف عليه : إذا فتحت
فأى فأجعل نقطة فوق الحرف ، وإذا كسرت فأى فأجعل نقطة تحت الحرف ،
وإذا ضممت فأى فأجعل نقطة أمام الحرف ، فإن أتبعت شيئاً من هذه الحركات
غنة (يعنى تنويناً) فأجعل نقطتين . ففعل ذلك حتى أتى على آخر المصحف .

وذهب آخرون : إلى أن المبتدئ بذلك نصر بن عاصم الليثي ، وأنه الذي
نحسها وعشَّرها .

وذهب آخرون : إلى أن المبتدئ بذلك يحيى بن يعمر .

قال الشيخ أبو عمرو الداني رحمه الله : وهؤلاء الثلاثة من جلة تابعي البصريين .

وأكثر العلماء على أن أبا الأسود جعل الحركات والتنوين لا غير، وأن الخليل
 ابن أحمد هو الذي جعل الهمز والتشديد و الروم والإشمام .^(١) ^(٢) ^(٣) ^(٤)

الجملة الثالثة

في الترغيب في الشكل والترهيب عنه

- ٥ وقد اختلفت مقاصد الكُتَّاب في ذلك، فذهب بعضهم إلى الرغبة فيه، والحث عليه، لما فيه من البيان والضبط والتقيد .
- قال هشام بن عبد الملك : أشكوا قرائن الآداب ، لثلاث تندر عن الصواب .
 وقال علي بن منصور : حلوا غرائب الكلم بالتقيد ، وحصنوها عن شبه
 التصحيف والتحرير .

- ١٠ ويقال : إجمام الكُتُب يمنع من استعجابها، وشكلها يصونها عن إشكالها،
 ولله التائل :

وكان أحرف خطه شجر * والشكل في أغصانه ثمر

وذهب بعضهم إلى كراهته ، والرغبة عنه .

- ١٥ قال سعيد بن حميد الكاتب : لأن يُشكل الحرف على القارئ أحب إلى من أن يُعاب الكاتب بالشكل . ونظر محمد بن عباد إلى أبي عبيد وهو يقيد البسمة فقال :
 لو عرفت ما شكلته . وقد جرد الصحابة رضوان الله عليهم المصحف حين جمعوا
 القراءان من النقط والشكل وهو أجدر بهما ، فلو كان مطلوباً لما جردوه منه .

(١) في الأصل : «الهمزة» والتصويب عن كتاب المقنع في رسم المصحف لأبي عمرو الداني .

(٢) في الأصل : «عن» والتصويب عن كتاب المقنع أيضا .

(٣) الروم : حركة مختلطة مختلفة لضرب من التخفيف وهي أكثر من الإشمام لأنها تسمع .

٢٠ (٤) الإشمام : ضم الشفتين كما يريد النطق بضممة إشارة إلى أن الحركة المحذوفة ضمة من غير أن يظهر
 لذلك أثر في النطق .

قال الشيخ أبو عمرو الداني: وقد وردت الكراهة بنقط المصاحف عن عبد الله ابن عمر، وقال بذلك جماعة من التابعين .

وأعلم أن كتاب الديونة لا يعرجون على النقط والشكل بحال ، وكتاب الإنشاء منهم من منع ذلك محاشاة للمكتوب إليه عن نسبه للجهل بأنه لا يقرأ إلا ما نُقِط أو سُكِل ، ومنهم من ندب إليه ، للضبط والتقييد كما تقدم .

والحق التفريق في ذلك بين ما يقع فيه اللبس ويتطرق إليه التحريف لعلاقته أو غرابته ، وبين ما تسهل قراءته لوضوحه وسهولته .

وقد رخص في نقط المصاحف بالإعراب جماعة : منهم ربعة بن عبد الرحمن ، وابن وهب . وصرح أصحابنا الشافعية رضي الله عنهم بأنه يُندب نقط المصحف وشكاه ؛ أما تجريد الصحابة رضوان الله عليهم له من ذلك فذلك حين ابتداء جمعه حتى لا يدخلوا بين دفتي المصحف شيئاً سوى القرآن ، ولذلك كرهه من كرهه .

وأما أهل التوقيع في زماننا فإنهم يرغبون عنه خشية الإطلام بالنقط والشكل إلا ما فيه إلباس على ما مر ، وأهل الديونة لا يرون بشيء من ذلك أصلاً ويعتدون ذلك من عيوب الكتابة وإن دعت الحاجة إليه ؛ والله سبحانه وتعالى أعلم .

الجملة الرابعة

فيما ينشأ عنه الشكل ويترتب عليه

وأعلم أن الشكل جار مع الإعراب كينما جرى ، فينقسم إلى السكون (وهو الجزم) ، وإلى الفتح (وهو النصب) ، وإلى الضم (وهو الرفع) ، وإلى الجزر (وهو الخفض) .

أما السكون فلأنه الأصل . وأما الحركات الثلاث فقد قيل إنها مشاكسة للحركات الطبيعية : فالرفع مشاكس لحركة الفلك لأرتفاعها . والجزر مشاكس لحركة

الأرض والماء لانتخاضها، والنصب مشا كل لحركة النار والهواء لتوسطها، ومن ثم لم يكن في اللغة العربية أكثر من ثلاثة أحرف بعدها ساكن إلا ما كان معدولا . فسبحان من أتقن ما صنع ! .

ثم الذى عليه أكثر النحاة أن الحركات الثلاث مأخوذة من حروف المد واللين وهى الألف، والواو، والياء، اعتمادا على أن الحروف قبل الحركات والثاني مأخوذ من الأول. فالفتحة مأخوذة من الألف إذ الفتحة علامة النصب في قولك : رأيت زيدا، ولقيتُ عمرا، وضربت بكرا، والألف علامة النصب في الأسماء المعتلة المضافة^(١) كقولك : رأيت أباك، وأكرمت أخاك، ويكون إطلاقا للروى المنصوب كقولك : المذهب، وأنت تريد المذهب، فلما أشبعت الفتحة نشأت عنها الألف، والكسرة مأخوذة من الياء لأنها أختها ومن مخرجها، والكسرة علامة الخفض في قولك : مررت بزيدا، وأخذت عن زيد حديثا، والياء علامة الخفض أيضا في الأسماء المعتلة المضافة^(١) كقولك : مررت بأبيك وأخيك وذى مال، والضممة من الواو لأنها من مخرجها : من الشفتين، وهى علامة الرفع في قولك : جاءنى زيد، وقام عمرو، وخرج بكر، والواو علامة الرفع في الأسماء المعتلة المضافة^(١) كقولك : جاءنى أخوك وأبوك وذو مال .

١٥ وذهب بعض النحاة إلى أن هذه الحروف مأخوذة من الحركات الثلاث، الألف من النتحة، والواو من الضمة، والياء من الكسرة اعتمادا على أن الحركات قبل الحروف، بدليل أن هذه الحروف تحدث عند هذه الحركات إذا أشبعت، وأن العرب قد استغنت في بعض كلامها بهذه الحركات عن هذه الحروف اكتفاء بالأصل عن الفرع : لدلالة الأصل على فرعه .

٢٠ (١) أى الأسماء الخمسة أو الستة على الخلاف .

وذهب آخرون إلى أن الحروف ليست مأخوذةً من الحركات ، ولا الحركات مأخوذة من الحروف ، اعتماداً على أن أحدهما لم يسبق الآخر ، وصححه بعض النحاة .

الجملة الخامسة

في صور الشكل ومَحَالِّ وضعه على طريقة المتقدمين والمتأخرين
 ٥ وأعلم أن المتقدمين [يملون^(١)] في [شكل^(١)] غالب الصور إلى النقط بلون يخالف لون الكتابة .

وقال الشيخ أبو عمرو الداني رحمه الله : وأرى أن يستعمل للنقط لوانان :
 الحمرة والصفرة ، فتكون الحمرة للحركات ، والتنوين ، والتشديد ، والتخفيف ،
 والسكون ، والوصل ، والمد ، وتكون الصفرة للهمزة خاصة .

١٠ قال : وعلى ذلك مصاحف أهل المدينة . ثم قال : وإن استعملت الخضرة للابتداء بالفتات الوصل على ما أحدثه أهل بلدنا ، فلا أرى بذلك بأساً . قال :
 ولا أستجيز النقط بالسواد لما فيه من التغيير لصورة الرسم . وقد وردت الكراهة لذلك
 عن عبد الله بن مسعود وعن غيره من علماء الأمة .

وأما المتأخرون فقد أحدثوا لذلك صوراً مختلفة الأشكال لمناسبة تخص كل
 ١٥ شكل منها ، ومن أجل اختلاف صورها وتباين أشكالها رخصوا في رسمها بالسواد .
 ويتعلق بالمقصود من ذلك سبع صور :

الأولى

علامة السكون

والتقدمون يجعلون علامة ذلك جرةً بالحمرة فوق الحرف ، سواء كان الحرف
 ٢٠ المسكن همزة كما في قولك : لم يَسَأْ ، أو غيرها من الحروف كالذال من قولك : أذهب

(١) زيادة بنضها السياق . (٢) في الأصل : « استعمل النقط لوانين » والتصويب من

كتاب المقنع في رسم المصحف لأبي عمرو الداني .

أما المتأخرون : فإنهم رسموا لها دائرة تشبه الميم إشارة إلى الجزم إذ الميم آخر حرف من الجزم ، وحذفوا عملاقة الميم أستخفافا ، وسموا تلك الدائرة بجزمة ، أخذوا من الجزم الذى هو لقب السكون ، ويحتمل أن يكونوا أتوا بتلك الدائرة على صورة الصفر فى حساب المنود ونحوهم إشارة إلى خلو تلك المرتبة من الأعداد لأن الصفر هو الخالى ، ومنه قولهم : " صفر اليدى " بمعنى أنه فقير ليس فى يديه شىء من المال . وحذائق الكتاب يجعلونها جيا لطيفة بغير عملاقة إشارة إلى الجزم .

الثانية

علامة الفتح

أما المتقدمون فإنهم يجعلون علامة الفتح نُقْطَةً بالحمرة فوق الحرف . فإن أتبع حركة الفتح تنوينا ، جعلت نقطتين ، إحداهما للحركة ، والأخرى للتوين . والمتأخرون يجعلون علامتها ألفا مضطجعة . لما تقدم من أن الألف علامة الفتح فى الأسماء المعقلة ورسموها بأعلى الحرف موافقة للمتقدمين فى ذلك ، وسموا تلك الألف المضطجعة نصبة أخذوا من النصب ، ويجعلون حالة التنوين خطتين مضطجعتين من فوقه كما جعل المتقدمون لذلك نقطتين ، وعبروا عن الخطتين بنصبتين . قال الشيخ عماد الدين بن العفيف رحمه الله : ويكون بينهما بقدر واحدة منهما .

الثالثة

علامة الضم

أما المتقدمون فإنهم يجعلون علامة الضمة نُقْطَةً بالحمرة وسط الحرف أو أمامه ، فإن لحق حركة الضم تنوين ، رسموا ذلك نقطتين : إحداهما للحركة ، والأخرى للتوين على ما تقدم فى الفتح .

وأما المتأخرون فإنهم يجعلون علامة الضيعة واوا صغيرة ، لما تقدم أن الواو من علامة الرفع في الأسماء المعتلة ، وسموها رفعة لذلك ، وسموها بأعلى الحرف ولم يجعلوها في وسطه كيلا تشين الحرف ، بخلاف المتقدمين لمخالفة اللون والطافة النقطة . فإن لحق حركة الضم تنوينٌ رسموا لذلك واوا صغيرة بخطِّة بعدها : الواو إشارة للضم ، والخطِّة إشارة للتنوين ، وعبروا عنهما برفعتين . وبعضهم يجعل عوض الخطِّة واوا أخرى مردودة الآخر على رأس الأولى .

الرابعة

علامة الكسر

والمتقدمون يجعلون علامة الجزة نقطة بالجزة تحت الحرف . فإن لحق حركة الكسر تنوين رسموا لذلك نقطتين .

والمتأخرون جعلوا علامة الكسر شظيةً من أسفل الحرف إشارة إلى الياء التي هي علامة الجر في الأسماء المعتلة على ما مر ، وسموا تلك الشظية خفضةً ، أخذاً من الخفض الذي هو لقب الكسر ، ولم يخالفوا بينها وبين علامة النصب لاختلاف محلها . فإن لحق حركة الكسر تنوين رسموا له خطين من أسفله : إحداهما للحركة ، والأخرى للتنوين .

الخامسة

علامة التشديد

والمتقدمون اختلفوا : فذهب أهل المدينة أنهم يرسمون علامة التشديد على هذه الصورة [$\sqrt{\frac{11}{8}}$] ولا يجعلون معناها علامات الإعراب بل يجعلون علامة الشد مع

الفتح فوق الحرف ، ومع الكسر تحت الحرف ، ومع الضم أمام الحرف .

(١) الزيادة من كتاب الفتح في رسم المصحف . ومحلها بياض في الأصل والنص .

قال الشيخ أبو عمرو الداني رحمه الله : وعليه عامة أهل بلدنا . قال : ومنهم من يجعل مع ذلك نقطة علامة للإعراب ، وهو عندى حسن .

- وعامة أهل الشرق على أنهم يرسمون علامة التشديد صورة شين من غير عرافة على هذه الصورة (٥) كأنهم يريدون أول شديد ، ويجعلون تلك العلامة فوق الحرف أبدا ويعربونه بالحركات . فإن كان مفتوحا جعلوا مع الشدة نقطة فوق الحرف علامة الفتح ، وإن كان مضموما جعلوا مع الشدة نقطة أمام الحرف علامة الضم ، وإن كان مكسورا جعلوا مع الشدة نقطة تحت الحرف علامة الكسر . وعلى هذا المذهب أمتقر رأى المتأخرين أيضا ، غير أنهم يجعلون بدل النقط الدالة على الإعراب علامات الإعراب التي أصطلحوا عليها من النصب ، والرفعة ، والخفضة . فيجعلون النصب والرفعة بأعلى الشدة ، ويجعلون الخفضة أسفل الحرف الذي عليه الشدة . وبعضهم يجعلها أسفل الشدة من فوق الحرف . ولا فرق في ذلك بين أن يكون المشدد من كلمة واحدة أو من كلمتين كالإدغام من كلمتين .

السادسة

علامة الهمزة

- والمقدمون يجعلونها نقطة صفراء ليخالفوا بها نقط الإعراب كما تقدم في كلام الشيخ أبي عمرو الداني رحمه الله : ويرسمونها فوق الحرف أبدا ، إلا أنهم يأتون معها بنقط الإعراب الدالة على السكون والحركات الثلاث بالهمزة على ما تقدم . ونسواء في ذلك كانت صورة الهمزة واوا أو ياء أو ألفا ، إذ حق الهمزة أن تلازم مكانا واحدا من السطر ، لأنها حرف من حروف المعجم . والمتأخرون يجعلونها عينا بلا عرافة ، وذلك لقرب مخرج الهمزة من العين ، ولأنها تمتحن بها كما سيأتي .

ثم إن كانت الهمزة مصورة بصورة حرف من الحروف، فإن كانت الهمزة ساكنة، جعلت الهمزة من أعلى الحرف مع جزمة بأعلاها . وإن كانت مفتوحة، جعلت بأعلى الحرف أيضا مع نصبة بأعلاها . وإن كانت مضمومة، جعلت بأعلى الحرف مع رفعة بأعلاها . وإن كانت مكسورة، جعلت بأسفل الحرف مع خفضة بأسفلها . وربما جعلت بأعلى الحرف والخفضة بأسفله .

وقد اختلف القدماء من النحويين في أيّ الطرفين من اللام ألف هي الهمزة . فحكى عن الخليل بن أحمد رحمه الله أنه قال : الطَّرْفُ الأوَّلُ هو الهمزة، والطَّرْفُ الثاني هو اللام .

قال الشيخ أبو عمرو الداني رحمه الله : وإلى هذا ذهب عامة أهل النقط ، وأستدلوا على صحة ذلك بأن رسم هذه الكلمة كانت أولا لاما مبسوطة في طرفها ألف على هذه الصورة " لا " كنحو رسم ما أشبه ذلك مما هو على حرفين من سائر حروف المعجم مثل " يا ، وها " وما أشبههما إلا أنه أستثقل رسم ذلك كذلك في اللام ألف خاصة لأعتدال طرفيه لمشابهة كتابة الأعاجم فحسن رسمه بالتضفير فضم أحد الطرفين إلى الآخر فأيهما ضم إلى صاحبه كانت الهمزة أولى ضرورة . وتعتبر حقيقة ذلك بأن يُؤخذ شيء من خيط ونحوه فيضفر ويخرج كل واحد من الطرفين إلى جهة ، ثم يقام الطرفان فيتبين من الوجهين أن الأوَّل هو الثاني في الأصل ، وأن الثاني هو الأوَّل لا محالة في التضفير .

وأبضا فقد اتفق أهل صناعة الخط من الكُتَّاب القدماء وغيرهم على أنه يُرسم الطَّرْفُ الأيسر قبل الطَّرْفِ الأيمن ، ولا يخالف ذلك إلا من جهل صناعة الرسم إذ هو بمنزلة من ابتداء برسم الألف قبل الميم في " ما " وشبهه مما هو على حرفين ،

فثبت بذلك أن الطرف الأول هو الهمزة، وأن الطرف الثاني هو اللام، إذ الأول في أصل القاعدة هو الثاني، والثاني هو الأول على ما مر؛ وإنما اختلف طرفاها من أجل التفسير.

وخالف الأحنس، فزعم أن الطرف الأول هو اللام، والطرف الثاني هو الهمزة، وأستشهد لذلك بأن ما نلظ به أولا هو المرسوم أولا وما نلفظ به آخر هو المرسوم آخر، ونحن إذا قرأنا لانت ولأنه ونحوهما لفظنا باللام أولا ثم بالهمزة بعدها. وبارعه في ذلك الشيخ أبو عمرو الداني. والحق أن ذلك يختلف باختلاف اللام ألف على ما رتبته متأخرو الكتاب الآن. ففى المضفورة على ما تقدم، وفى المصورة بهذه الصورة "لا" بالعكس.

- ١٠ وإن كانت الهمزة غير مصورة بحرف من الحروف كالمهمزة فى جزء وخبء؛ جعلت العلامة فى محل الهمزة من الكلمة مع علامة الإعراب : من سكون، وفتح، وضم، وكسر. فإن عرض للهمزة مع حركة من الحركات الثلاث تنوين، جعل مع الهمزة علامة التنوين : من نصبتين أو رفعتين أو خفضتين على ما مر فى غير الهمزة.
- قال الشيخ أبو عمرو الداني رحمه الله : وتمتحن الهمزة فى موضعها من الكلام بالعين، حيث وقعت العين وقعت الهمزة مكانها، وسواء كانت متحركة أو ساكنة
- ١٥ لحنها التنوين أو لم ياحقها، فنقول فى آمنوا عامنوا، وفى وءاتى المال وعاتى المال، وفى مستهزئين مستهزعين، وفى خاسئين خاسعين، وفى مبرءون مبرعون، وفى متكئون متكعون، وفى ماء ماع، وفى سوء سوع، وفى أولياء أولباع، وفى تنوء تنوع، وفى لتنوء لتنوع، وفى أن تبوءا أن تبوعا، وفى تبوء تبوع، وفى بين شاطيئ من شاطع، وكذلك ما أشبهه حيث وقع فالقياس فيه مطرد.
- ٢٠

السابعة

علامة الصلة في الفات الوصل

أما المتقدمون فإنهم رسموا لها جزة بالحركة في سائر أحوالها، وجعلوا محلها تابعا للحركة التي قبل ألف الوصل . فإن وليها فتحة كما في قوله تعالى : "تَتَّقُونَ الَّذِي" جعلت الصلة جزة حمراء على رأس الألف على هذه الصورة (آ) وإن وليها كسرة كما في قوله تعالى : "رَبِّ الْعَالَمِينَ" جعلت الصلة جزة حمراء تحت الألف على هذه الصورة (ا) وإن وليها ضمة كما في قوله تعالى : "تَسْتَعِينُ أَهْدِنَا" جعلت الصلة جزة حمراء في وسطها على هذه الصورة (+) . فإن لحق شيئا من الحركات التنوين جعلت الصلة أبدا تحت الألف ، لأن التنوين مكسور للساكنين ما لم يأت بعد الساكن الواقع بعد ألف الوصل ضمة لازمة نحو قوله تعالى : "فَتَيَّلاَ أَنْظُرُ" و"عُيُونِ أَدْخُلُوهَا" . قال بعضهم : بضم التنوين فتجعل الجزة على ذلك في وسط الألف .

وأما المتأخرون [فإنهم رسموا لذلك صادا لطيفة إشارة إلى الوصل^(١)] وجعلوها بأعلى الحرف دائما ولم يراعوا في ذلك الحركات ، آكتفاءً باللفظ .

تنبيه

قد تقدم في ...^(٢) ... الأول من الهجاء أن اللفظ قد يتعين في الهجاء إلى الزيادة والنقصان ، ولا شك أن الشكل يتغير بتغير ذلك ، ونحن نذكر من ذلك ما يختص بالهجاء العرفي دون الرسمي باعتبار الزيادة والنقص .

(١) الزيادة عن "ضوء الصبح" ومحلها باض بالأصل .

(٢) باض والأصل .

أما الزيادة، فمثل أولئك، وأولو، وأولات ونحوها .

قال الشيخ أبو عمرو الداني : وسبيلك أن تجعل علامة الهمزة نقطة بالصفرة في وسط ألف أولئك وأولو وأولات، وتجعل نقطة بالحمرة أمامها في السطر لتدل على الضمة . قال : وإن شئت جعلتها في الواو الزائدة، لأنها صورتها، وهو قول عامة أهل النقط . هذه طريقة المتقدمين .

أما المتأخرون ، فإنهم يجعلون علامة الهمزة على الواو وهو مخالف لما تقدم من اعتبار الهمزة بالعين فإنها لو امتحنت بالعين ، لكان لفظها عولتك وكذلك البواقي .

وأما النقص فمثل النبيّن إذا كتبت بياء واحدة، وهؤلاء، وياء ادم إذا كتبنا بحذف الألف بعد الراء في هؤلاء والألف الثانية في ياء ادم فترسم علامة الهمزة من النقطة الصفراء وحركتها على رأى المتقدمين، وصورة العين على رأى المتأخرين قبل الياء الثانية في النبيين . وتجعل ذلك على الألف الثانية في ياء ادم لأنها صورتها وعلى الواو في هؤلاء لأنها صورتها .

ووراء ما تقدم من الشكل أمور تتعلق بالإدغام، والإظهار، والإخفاء، والإقلاب، والمد وغيرها : من متعلقات القراءة ايس هذا موضع ذكرها، والله أعلم .

فائدة

قال الشيخ عماد الدين بن العفيف رحمه الله : ولا بد من تناسب الشكل والنقط وتناسب البياضات في ذلك للحروف .

الفصل الرابع

من الباب الثاني من المقالة الأولى
في الهجاء ؛ وفيه مقصدان

المتصد الأول

في مصطلحه الخاص ؛ وهو على ضربين

الضرب الأول

المصطلح الرسمي

وهو ما أصطلح عليه الصحابة رضوان الله عليهم في كتابة المصحف عند جمع القرآن الكريم ، على ما كتبه زيد بن ثابت رضي الله عنه ، ويسمى الأصطلاح السلفي أيضا ، ونحن نورد منه ما جر إليه الكلام ، أو وافق المصطلح العرفي .

الضرب الثاني

المصطلح العروضي

وهو ما أصطلح عليه أهل العروض في تقطيع الشعر ؛ وأعتادهم في ذلك على ما يقع في السمع دون المعنى ، إذ المعتد به في صنعة العروض إنما هو المنطق ، لأنهم يريدون به عدد الحروف التي يقوم بها الوزن منحركا وساكتا فيكتبون التنوين نونا ، ولا يرعون حذفها في الوقف ، ويكتبون الحرف المدغم بحرفين ، ويحذفون اللام وغيره مما يدغم في الحرف الذي بعده ؛ كالرحمن والذاهب والضارب ، ويعتمدون في الحروف على إجراء التفعيل ، فنسب لتقطع الكلمة بحسب ما يقع من تبين الأجزاء كما في قول الشاعر :

سُنْدِي لَكَ الْإِيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا * وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ

فيكتبونه على هذه الصورة :

سُنْدِي، لَكَ الْإِيَّامُ، مَّا كُنْتُ، تَجَاهِلًا * وَيَأْتِي، بِكَ الْأَخْبَارِ، مَنْ لَمْ، تُزَوِّدِ

المتنصّد الثاني

في المصطلح العام

وهو ما أصطلح عليه الكتاب في غير هذين الاصطلاحين .

وهو المقصود من الباب، وفيه جمانان

الجملة الأولى

في الإفراد، والحذف، والإثبات، والإبدال، وفيه مُدْرَكَان

المُدْرَكُ الْأَوَّلُ

في بيان الأصل المعتمد في ذلك، وما يكتب على الأصل

وأعلم أن الأصل في الكتابة مطابقة المنطوق المفهوم، وقد يزيدون في وزن

الكلمة [ما ليس في وزنها ليفصلوا بالزيادة بينه وبين المشبه له، وينقصون من

الكلمة^(١)] عما هو في وزنها استخفافا واستغناء عما أبقى عما أنتقص إذا كان فيه دليل

على ما يحذفون، كما أن العرب تتصرف في الكلمة بالزيادة والنقصان، ويحذفون ما لا يتم

الكلام في الحقيقة إلا به استخفافا وإحازا إذا عرف المخاطب ما يقصدون .

قال ابن قتيبة: وربما تركوا الأشتباه على حاله، ولم يفصلوا بين المتشابهين

وأكتفوا بما يدل عليه من متقدم أو متأخر: كقولك للرجل الواحد: بغزوا،

(١) الزيادة "عراديب الكاتب" و"ضو الصبح"

والأثنين ان يغسروا ، وللجميع ان يغزوا بالواو والألف في الجميع من غير تفريق بين الواحد والأثنين والجمع ، وبِقْوَه على أصله .

إذا علمت ذلك ، فالمكتوب على المصطلح المعروف هو على قسمين :

القسم الأول

ما له صورة تخصه من الحروف ؛ وهو على ضربين

الضرب الأول

ما هو على أصله المعترف به ذوات الحروف وعددها بتقدير الابتداء بها

والوقوف عليها ، سواء بقي لفظه على حاله أم انقلب النطق به إلى حرف آخر

فيكتب لفظ "إمهي" بغير نون بعد الألف ، وإن كان أصله أنمحي على وزن

أنفعل من المحو ، لأن الإدغام من كلمة واحدة ؛ بخلاف ما إذا كان الإدغام من

كلمتين ؛ فيكتب لفظ "من مال" بنون في من مفصلاً من ميم مال وإن كانت

النون الساكنة تدغم في الميم .

ويكتب لفظ خنق مصدر خنق ولفظ أنت وما أشبهها بنون ، وإن كانت النون

محمّاة في القاف من خنق وفي التاء من أنت . وكذلك حالة التركيب نحو من كافر .

ويكتب عنبر وما أشبهها بنون أيضاً وإن كانت النون الساكنة تنقلب عند

الباء ميماً ، وكذلك في حالة التركيب نحو من تعد . ويكتب مثل أضرّبوا القوم

و يغزو الرجل بواو ، وكذلك كل ما فيه حرف مذ حذف لساكن يليه لأنه إو لا ألتفاه

الساكنين لثبتت هذه الواو لفظاً . ويكتب أنا بألف بعد النون وإن كانت

في وصل الكلام لا إشباع في الفتحة لأن الوقف عليه بألف . ومن أجل ذلك

(١) في المصباح أن فعل خنق من ناب فتل ومصدره ككنف ويسكن للتخفيف .

كتبت ﴿ لَكِنَّا هُوَ اللهُ ﴾ بألف بعد النون في لئنا إذ أصله لئنا . ويكتب المتون المنصوب مثل زيدا وعمرا من قولك : رأيت زيدا وضربت عمرا بالألف لأنه يوقف عليه بالألف بخلاف المتون المرفوع والمجرور نحو جاء زيد ومررت بزيد ، إذ الوقف عليه بحذف نون التنوين وإسكان الآخر على الصحيح . وتكتب إذا المنونة بالألف على رأى المازني رحمه الله ومن تابعه ، لأن الوقف عليها بالألف لضعفها ، والمبرد والأكثر على أنها تكتب بالنون . قال الأستاذ ابن عصفور : وهو الصحيح ، لأن كل نون يوقف عليها بالألف كتبت بالألف وما يوقف عليها نفسها كما توصل كتبت بالنون وهذه يوقف عليها بالنون ، وأيضا فإنها إذا كتبت بالنون كانت فرقا بينها وبين إذا الطرفية لئلا يقع الإلباس . وفصل الفراء فقال : إن ألغيت كتبت بالألف ، وإن أعملت كتبت بالنون لتوئتها . ويحكي عن أبي العباس محمد بن يزيد أنه كان يقول : أشتهى أن أكوي يد من يكتب إذن بالألف لأنها مثل أن وأن ، ولا يدخل التنوين في الحروف .

ويكتب نحو لئسفا بالألف لأن الوقف عليها بالألف ، وكذلك يكتب اضربا زيدا ولا تضربا عمرا بالألف على رأى من ادعى أنه الأكثر ، ووجهه بأن النون الخفيفة تنقلب ألفا إذا كان ما قبلها مفتوحا في الوقف .

وذهب بعضهم إلى أنها تكتب بالنون تشبيها لنونه بنون الجمع نحو اضربن للجمع المذكور به جزم الشيخ أنير الدين أبو حيان . ووجهه بأنه لو كتب بالألف لالتبس بأمر الاثنين ونهيهما في الخط ، وإن كنت إذا وقفت عليه وقفت بالألف ، فلم تراع حالة الوقف في ذلك ، لأن الوقف منع من اعتباره ما عرض فيه من كثرة

(١) أى تشبيها لنون التوكيد التى فى الفعل المسند إلى المفرد بنون التوكيد التى فى الفعل المسند إلى الجمع .

الإلباس، لأنهم لو أرادوا (على الوقف بالألف) كتابته بالألف، كثر اللبس بالوقف والخط، فتجنبوا ما كثر به الإلباس. ويكتب كل أسم في آخره ياء نحو قاضى وغازى وداعى وحادى وسارى ومُشْتَرَى ومُهْتَدَى ومُسْتَدْعَى ومُفْتَرَى في حالتى الرفع والجر بغير ياء، كما في قولك: جاء قاضٍ ومررت بقاضٍ، وكذا في الباقيات، وفي حالة النصب بالياء مع زيادة ألف بعدها كما في قولك: رأيتُ قاضياً وغازياً وداعياً وما أشبهه.

وإن كان جمعاً، فإن كان غير منصرف كُتِبَ في حالتى الرفع والخفض بغير ياء على ما تقدم.

فِيكْتَبُ في الرفع هؤلاء جوارٍ وغواشٍ وسوارٍ ودواعٍ، وفي الخفض مررت بجوارٍ وسوارٍ وغواشٍ ودواعٍ بغير ياء في الحالتين.

ويكتب في النصب بالياء إلا أنه لا تزد الألف بعدها، فتكتب رأيت جوارى وسوارى ودواعى.

فإذا دخلت الألف واللام في جميع هذه الأسماء، أثبتت فيها الياء سواء المنصرف وغير المنصرف، فيكتب هذا الداعى والغازى والقاضى والمستدعى وهؤلاء الجوارى والسوارى والدواعى بالياء في الجميع.

قال ابن قتيبة: وقد يجوز حذفها، وليس بمستعمل إلا في كتابة المصحف. ويكتب نحو: ره أمرًا بالرؤية، ولم يره نفيًا للرؤية، وِقِه أمرًا بالوقاية، ولم يقه نفيًا لذلك وما أشبهه بالهاء وإن كانت الهاء تسقط منه حالة الدُّرَج، لأن الوقف عليها بالهاء. وكذلك قولهم: ^أيِّمه أتيت، وتجيء منه جئت، لأن الوقف على ما الاستفهامية بعد حذف ألفه بالهاء فيكتب بالهاء، بخلاف ما إذا وقعت ما المحذوف أتمها بعد

(١) في الأصل والصورة: «مه أت» والسياق يفغضى ما أئناه.

الجار نحو : حَتَّامٌ وَالْأَمَّ وَعَلَّامٌ ، فإنه لا تلحقها الهاء لشدة الأتصال فلا تكتب بالهاء .
وتكتب تاء التانيث في نحو : رحمة ونعمة ونقمة وقسمة وخدمة وطلحة وقمحة بالهاء ،
لأن الوقف عليها بالهاء على الصحيح ، وبعضهم يتف عليها بالتاء ، وهي لغة قليلة
فتكتب بالتاء موافقةً للوقف . وقد وقع في رسم المصحف الكريم مواضع من ذلك
نحو قوله تعالى : ﴿ أَفَبِعَمَلِهِ يَكْفُرُونَ ﴾ كتبوا أَفَبِعَمَلْتِ بالتاء ، والأكثر ما تقدم .

قال ابن قتيبة : وأجمع الكُتَّابُ على كتابة السَّلَامُ عليك ورحمت الله وبركاته
في أول الكتاب وآخره بالتاء . قال : فإن أضمت تاء التانيث إلى مضمرة ، صارت تاء
فتكتب شَجَرَتِكَ وناقَتِكَ ورحمَتِكَ وما أشبهه بالتاء .

أما أخت و بنت ، و جمع المؤنث السالم مثل : قائمات وصائمات وتائبات ، وتاء
التانيث الساكنة في آخر الفعل نحو : قامت وقعدت ، وما أشبه ذلك ، فإنه يكتب
جميع ذلك بالتاء لأن الوقف عليها بالتاء .

قال ابن قتيبة : وهَيَّاتٌ يوقف عليها بالهاء والتاء ، والإجماع على كتابتها بالتاء
ثم اللفظ الذي يكتب على نوعين :

النوع الأول

أن يكون آسما لحرف من حروف الهجاء ؛ وهو على وجهين :

الوجه الأول

أن يكون آسما فاصرا على الحرف لم يُسمَّ به غيره ؛ وله حالان :

أحدهما - أن يقصد آسم ذلك الحرف لا سماء فيكتب الملفوظ به نحو : جيم

إذا سئل كتابته فيكتب جيم وياه وميم .

الثاني - أن يقصد مساه لا آسمه فيجب الأفتصار في الكتابة على أول حرف في الكلمة، ويكتب بصورة ذلك الحرف مثل : ق ن ص، ولذلك كتبت الحروف المفتوح بها السور على نحو ما كتبوا حروف المعجم . وذلك لأنهم أرادوا أن يضعوا أشكالا لهذه الحروف لتمييزها، فهي أسماء مدلولاتها أشكال خطية، ولو لم يضعوا لها هذه الأشكال الخطية، لم يكن للخط دلالة على المنطوق . ولو أفتصروا على كتبها على حسب النطق ولم يضعوا لها أشكالا مفردة لتمييزها لم يمكن ذلك، لأن الكتابة بحسب النطق متوقفة على معرفة كل حرف حرف وشكل كل حرف غير موضوع، فأستحال كتبها على حسب النطق . ألا ترى أنك إذا قيل لك : آ كتب جيم، عين، فاء، راء؛ وإنما تكتب هذه الصورة "جعفر" والمملفوظ بلسان الأمر بالكتابة جيم والمكتوب ج . ولو كان تصوير اللفظ بصور هجائه، لكان المكتوب "جيم" كالمملفوظ على قياس غيره من الألفاظ .

ويشهد لذلك ما حكى أن الخليل رحمه الله قال يوما لطلبته : كيف تنطقون بالجيم من جعفر؟ فقالوا جيم فقال : إنما نطقتم بالاسم ولم تلتفظوا بالمسئول عنه، ثم قال : الجواب جه لأنه المسمى من الكتاب (يريد جيم مفتوحة، وإنما أتى فيها بالهاء ليتمكن الوقف عليها) .

الوجه الثاني

ألا يكون الاسم قاصرا على الحرف بأن يسمى به غيره أيضا كما إذا سُمي رجل بقاف أو ياسين، فالكتاب فيه مذهبان :

أحدهما - أن تكتب صورة الحرف هكذا ق و يس

والثاني - أن يكتب المملفوظ به هكذا "قاف" و "ياسين" وهو اختيار أبي عمرو بن الحاجب رحمه الله .

النوع الثاني

الآ يكون أسما لحرف من حروف المعجم ، وهو على وجهين أيضا

الوجه الأول

أن يكون له معنى واحد فقط

فيكتب هكذا (زيد) إذا طلب كتابة زاي ، ياء ، دال .^(١)

الوجه الثاني

أن يكون له أكثر من معنى واحد

فيكتب بحسب القرينة كما إذا قيل لك : أكتب شعرا فإن دات القرينة على أن المراد هذا اللفظ كتب هكذا (شعرا) وإلا فيكتب ما ينطبق عليه الشعر إذ هو معنى الشعر .

الضرب الثاني

ما تغير عن أصله ، وهو على ثلاثة أنواع

النوع الأول

ما تغير بالزيادة . والزيادة تقع في الكتابة بثلاثة أحرف

الحرف الأول

الألف ، وتزداد في مواضع

(منها) تزداد بعد الميم في مائة فتكتب على هذه الصورة (مائة) فرقا بينها وبين منه وإنما كانت الزيادة من حروف العلة دون غيرها لأنها تكثر زيادتها ، وكان حرف العلة ألفا لأنها تشبه الهمزة ، ولأن الفتحة من جنس الألف . ولم تكن الزيادة ياء ، لأنه يستقل في الخط أن يُجمع بين حرفين مثلين في موضع مأمون فيه اللبس .

(١) عبارة الضوء : فان كان له معنى (أى واحد) كتب على هذه الصورة "زيد" وهي أوفخ .

ألا ترى إلى كتابتهم خَطِيئَةً على وزن فَعِيْلَة بياء واحدة واو كتبت على صيغة لفظها، لوجب أن تكتب بياءين ياء ابشاء فَعِيْلَة، وياء هي صورة الهمزة . ولم تكن الزيادة واوا لأستثقال الجمع بين الياء والواو، وجُعِلَ الفرق في مائة ولم يجعل في منه لأن مائة أسم ومنه حرف والأسم أحمل للزيادة من الحرف . ولأن المائة محذوفة اللام بدليل قولهم : أمأيت الدراهم ، فجعل الفرق في مائة بدلا من المحذوف مع كثرة الاستعمال ؛ ثم اختلف في المنى منه فقيل لا يزداد في مائتين لأن موجب الزيادة اللبس ولا لبس في التثنية، والراجح الزيادة كما في الإفراد، لأن التثنية لا تغير الواحد عما كان عليه .

أما في حالة الجمع ، فقد آتفقوا على منع الزيادة فكتبوا ” مئتين ومئات “ بغير ألف بعد الميم ، لأن جمع التكسير يتغير فيه الواحد، وجمع السلامة ربما تغير فيه أيضا فغلبت .

قال الشيخ أنير الدين أبو حيان رحمه الله : وقد رأيت بخط بعض النحاة ”مأة“ على هذه الصورة بألف عليها نبرة الهمزة دون ياء . قال : وكثيرا ما أكتبُ أنا ”مئة“ بغير ألف كما تكتب ”فئة“ لأن كُتِبَ مائة بالألف خارج عن القياس . فالذي اختاره أن تكتب بالألف دون الياء على وجه تحقيق الهمزة، أو بالياء دون الألف على وجه تسهيلها .

(ومنها) تراد بعد واو الجمع المتطرفة في آخر الكلمة إذا اتصلت بفعل ماضٍ أو فعل أمر مثل ضَرَبُوا وأَضْرَبُوا وما أشبههما، فنكتب بألف بعد الواو . وسمى ابن قتيبة هذه الألف ألف الفصل لأنها تفصل بين الفعل كي لا تلتبس الواو في آخر الفعل بواو العطف . فإنك لو كتبت أوردوا وصدروا مثلا بغير ألف ثم اتصلت بكلام

(١) اول الألف لأنها تفصل بين الفعل وما بعده من الكلام .

بعدها، ظن القارئ أنها واو العطف . ولما فعلوا ذلك في الأفعال التي تنقطع واؤها عن الحرف كالفعالين المتقدمين ، فعلوا ذلك في الأفعال التي تتصل واؤها بالحرف قبلها نحو كانوا وبنوا ليكون حكم هذه الواو في جميع المواضع واحدا . أما إذا لم تنفع طرفا في آخر الكلام نحو : صربوهم وكألوهم ووزبوهم ، لم تلحق به الألف . فلو اتصلت واو الجمع المذكورة بفعل مضارع نحو : لن يضر بوا ولن يذهبوا . فذهب بعض البصريين أنه لا تلحقها الألف . ومذهب الأحنس لحوقها كالماضي والأمر . ولو اتصلت بأسم نحو : ضاربوهم وضاربو زيد . فذهب البصريين أنها لا تلحق بل يجعل الأسم نلو الواو . ومذهب الكوفيين أنها تلحق فيكتبون ضاربوا زيد وقد نلوا عمرو وهموا بألف بعد الواو في الجمع ، والراجح الأول .

(ومنها) زادها الفراء في بدعو وبعزو في المفرد حالة الرفع خاصة تشبيها بواو الجمع وأطلق ابن فنيبة النقل عن بعض كتاب زمانه بأنها لا تلحق في مثل ذلك ، لأن العلة التي أدخلت هذه الألف لأجلها في الجمع لا تلزم هنا ، لأنك إذا كتبت الفعل الذي تتصل واوه به من هذا الباب مثل : أنا أرجو وأنا أدعو ، لم تشبه واوه واو العطف أيضا إلا بأن تربل الكلمة عن معناها ، لأن الواو من نفس الفعل لا تفارقه إلا في حال جزمه ، والواو في صدرها ، ووردوا واو جمع مكثف بنفسه يمكن أن يجعل للواحد وتوهم الواو عاطفة لشيء عليه . قال : وقد ذهبوا مذهبها . غير أن متقدمي الكتاب لم يزالوا على إلحاق ألف الفصل هذه الواوات كلها ليكون الحكم في كل موضع واحدا .

قال الشيخ أنير الدين أبوحيان . وقصّل الكسائي في حالة الصب فقال : إن لم يتصل به ضمير نحو [لن يدعو كتب بألف ، وإن اتصل به ضمير نحو] لن يدعوك ، كتب بغير ألف فرقا بين الحالين .

(١) زيادة بنفسها السياق

(ومنها) تزداد شذوذاً بعد الواو المبدلة من الألف في الربوفتكتب بالفاء بعد الواو على هذه الصورة (الربوا) تنبيهاً على أن الأصل يكتب بالألف . ووجه الشذوذ أنه من ذوات الواو فكان قياسه أن يكتب بالألف .

وقد زبدت في مواضع من المصحف ، كما في قوله تعالى : ﴿إِنْ أَمْرًا هَلَكًا﴾ تنبيهاً على أنه كان ينبغي أن تكون صورة الهمزة ألفاً على كل حال ولا يعتد بالضم والكسرة إذ اللغة الأصلية فيها إنما هي فتح الراء دائماً ، والقياس كتابته بصورة الحركة التي قبل الهمزة ، وكذلك كتبوا "لَا أَوْضَعُوا" بزيادة ألف بعد اللام ألف ، وذلك مختص برسم المصحف الكريم دون غيره فلا يقاس عليه ، والله أعلم .

الحرف الثاني

الواو ، وتزداد في مواضع أيضاً

(منها) تزداد في عمرو بعد الراء إذا كان علماً في حالتى الرفع والجر فرقا بينه وبين عمراً . وكانت الزيادة واوا ولم تكن ياء لئلا يلتبس بالمضاف إلى ياء المتكلم ، ولا ألفاً لئلا يلتبس المرفوع بالمنصوب . وجعلت الزيادة في عمرو دون عمراً ، لأن عمراً أخف من عمراً من حيث بناؤه على فعل ومن حيث انصرافه . أما في حالة النصب فلا تزداد فيه الواو ويكتب عمرو بألف وعمراً لا يكتب بألف لأنه لا ينصرف ، وكذلك المحلى باللام كالعمرو والمضاف كعمره والواقع قافية شعر كقول الشاعر :

إِنَّمَا أَنْتَ فِي سُلَيْمٍ كَوَاوٍ * أَلِحْتُمْ فِي الْمِجَاءِ ظُلْمًا يِعْمَرِ

وكذلك عمراً واحداً عمُور الأسان : وهو اللحم الذى بينها ، وما هو بمعنى المصدر مثل قولهم : لعمراً الله لا تزداد فيه الواو إذ لا لئس . ولم يفرقوا في الكناية بين عمراً العلم وعمراً جمع عمرة لأنهما ليسا من جنس واحد فلا يلتبان .

(ومنها) تزداد في أولئك بين الألف واللام فرقا بينها وبين إليك إذ حذفوا ألف أولئك الذي بعد اللام لكثرة الاستعمال فالتبست بإليك، وكانت الواو أولى بالزيادة من الباء، لمناسبة ضمة الهمزة؛ ومن الألف؛ لا اجتماع صورتى الألف، وهم يحذفون الواحدة، إذا اجتمعت صورتاها، وجعلت الزيادة في أولئك دون إليك، لأن الأسم أحمل للزيادة من الحرف ولأن أولئك قد حذف منه الألف فكان أولى بالزيادة لتكون كالعوض من المحذوف .

قال ابن الحاجب : وحملوا أولى عليه مع عدم اللبس كما حملوا مائتين على مائة . (ومنها) تزداد في أولى وفي أولو بين الألف واللام، أما في أولى فللتعريف بينها وبين إلى، وأما في أولو فبالحمل على أولى بالياء، صرح به الشيخ أبو عمرو بن الحاجب، وقاله الشيخ أنير الدين أبو حيان بجنا وأدعى أنه لم يظفر في تعليقه بنص . قال : وحمل التانيث في أولات على التذكير في أولى .

(ومنها) تزداد في أوتى تصغير أحي بين الألف والياء، والتغيير يأنس بالتغيير . وجعلت الزيادة واوا لمناسبة ضمة الهمزة كما في أولئك ونحوه . وأكثر أهل الخط لا يزيدونها لأن التصغير فرع عن التكبير وليس ببناء أصلي .

الحرف الثالث

الياء المشناة تحت

وتزداد في مواضع من رسم المصحف الكريم فيكتبون قوله تعالى : ﴿بَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ بياء بين الألف والداد من قوله : ﴿بِأَيْدٍ﴾ . وقوله تعالى : ﴿مَنْ نَبَأِ الْمُرْسَلِينَ﴾ بياء بعد الألف، من نبأ، وقوله تعالى : ﴿مَنْ مَلَأَهُ﴾ و ﴿مَنْ مَلَأَهُمْ﴾ بياء قبل الياء فيهما . وهذا مما يجب الاتقياد إليه في المصحف اقتداءً بالصحابة .

رضوان الله عليهم . أما في غير المصحف فيكتب بأياء واحدة لأن الهمزة فيه أول كلمة فتصور ألفا كغيرها من الهمزات الواقعة أولاً على ما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى . ويكتب من نبي ومن ملئه ومن ملئهم بغير ياء لأن الهمزة في نبي وملائ أخيرة بعد فتحة فتصور ألفا كما في نحو : كلا وخطياً ، وكذلك إذا أضيف إليه الضمير . وذهب بعضهم إلى أنها تكتب في هذا ياء على ما يناسب حركتها سواء أضيفت نحو : من كئنه أو لم تضاف نحو من الكلي .

قال بعضهم : والأقبس أن يكتب ياء مع الضمير المتصل نحو : من خطئه لأنها صارت معه كالترسطة ويكتب ألفا إذا تطرفت نحو : من خطياً اعتباراً بما يؤول إليه في التحميف ؛ والله أعلم .

النوع الثاني

ما بغير بالنقص

والنقص ينفع في الكتابة على وجهين :

الوجه الأول

مألاً يختص بحرف من الحروف ، وهو المدغم

فيكتب كل مشدد من كلمة واحدة حرفاً واحداً نحو : شد ومد وآذ كر ومقرز وآفشعز فيكتب بدال واحدة في شد ومد وآذ كر ، وراء واحدة في مقرز وآفشعز وإن كان في اللفظ حرفان ، فإن الحرف المدغم فيما بعده هو متلفظ به ساكناً مدعماً ، فكان قياسه أن تكتب له صورة بحسب الطوق ، لكنه لما أدغم صُغف بالإدغام ، إذ صار اللفظ به وبالمدغم فيه نطقاً واحداً فافتصر في الكتابة على حرف واحد ولم يجعل للأول صورة اختصاراً . وسواء كان المدغم إدغاماً مثل نحو : رد ، أو مقارب نحو :

أطجع أصله أضطجع . وأجروا نحو : قَنَّتْ مجرى ما هو من كلمة واحدة وإن كان من كلمتين لشدة اتصال الفعل بالفاعل مع كون الحرفين مثلين .

قال الشيخ أبو عمرو بن الحاجب رحمه الله : وكذلك نحو : مِمَّ وَعَمَّ^(١) .

الوجه الثاني

ما يختص بحرف من الحروف

ويختص ذلك في خمسة أحرف :

الحرف الأول

الألف، وتحذف في مواضع

(منها) تحذف مع لام التعريف إذا دخلت عليها لام الجزأ ، فيكتب للقوم

- ١٠ وللغلام وللناس بلامين متواليين من غير ألف ، بخلاف ما إذا دخلت عليها باء الجزأ فإنها لا تُحذف ، فيكتب بالقوم وبالغلام وبالناس بألف بين الباء واللام . وإن كان في أول الكلمة ألف ولام من نفس الكلمة ليستا اللتين للتعريف نحو الألف واللام في الألفاء والآلثفات والآلباس . ثم دخلت لام الجزأ أو باؤه ثبتت الألف ، فيكتب بالآلثاقنا والآلثاقنا والآلباس الأمر على والآلباسه ، فإن أدخلت ألف التعريف ولامه على الألف واللام اللتين من نفس الكلمة للتعريف ولم تصل الكلمة بلام الجزأ وبائه لم تحذف شيئاً ، فيكتب الآلثاق والآلثاق والآلباس بالفين^(٢) ولامين ، وكذلك إذا وصلتهما بلام الجزأ أو بائه ، فيكتب بالآلثاق والآلثاق والآلباس والآلثاق والآلباس .

(ومنها) تُحذف بعد اللام الثانية من لفظ الله تعالى ، وبعد الميم من الرحمن إذا

- ٢٠ دخلت عليها الألف واللام ، فيكتب الله بلامين بعدهما هاء على هذه الصورة "الله"

(١) في الأصل : «وعم وإلام» والسياق يفنصى حذف كلمة «وإلام» لأنها ليست من الباب .

(٢) في الأصل «الامين» والسياق يفنصى ما أنبناه .

وإن كانت المدة بعد اللام الثانية توجب ألفاً بعدها، ويكتب الرحمن بنون بعد الميم على هذه الصورة "الرحمن" وإن كانت المدة على الميم توجب ألفاً بعدها، لأنه لا التباس في هذين الأسمين، ولكثرة الاستعمال. فلو تجزدا عن الألف واللام كتبنا بالألف كما قالوا: لاه أبوك، يريدون لله أبوك، فحذفوا حرف الجزر والألف واللام وكتبوه بالألف. وكقولك: رحمان الدنيا والآخرة فيكتبونه بالألف.

(ومنها) تحذف بعد اللام من السلام في عبد السلام وفي السلام عليكم، فيكتبان على هذه الصورة: "عبد السلم" و"السلم عليكم".

(ومنها) تحذف بعد اللام من ملائكة فتكتب على هذه الصورة: "ملائكة". قال أحمد بن يحيى: لأنه لا يشبه لفظ مثله، ولكثرة الاستعمال.

(ومنها) تحذف بعد الميم من سموات، فتكتب على هذه الصورة: "سموات". قال الشيخ أثير الدين أبو حيان: وعلة الحذف فيه علة الحذف في الملائكة من كثرة الاستعمال وعدم الشبه. وأما الألف الثانية منه وهي التي بعد الواو، فإنها لا تحذف، لأنها دليل الجمع، ولأنها لو حذفت لاجتمع في الكلمة حذفان، وقد كتبت في المصحف بحذف الألفين جميعاً فيجب الانقياد إليه في المصحف خاصة.

(ومنها) محذف بعد اللام في أولئك، وبعد الذال من ذلك فيكتبان على هذه الصورة: "أولئك" و"ذلك". فلو تجزدا أولاً وذا عن حرف الخطاب وهو الكاف، كتبنا بالألف فيكتبان على هذه الصورة: "أولاء" و"ذا".

(ومنها) تحذف بعدها التنبيه إذا اتصلت بذا التي للإشارة وكانت خالية من كاف الخطاب في آخر الكلمة؛ فتحذف من هذا وهذه وهؤلاء، فيكتب الجميع بغير ألف، فإن اتصلت بأسم الإشارة الكاف نحو ذاك أمتنع الحذف، فيكتب بألف

(١) أي وأولاء كما يؤخذ من التثنية.

- بعد الهاء على هذه الصورة "ها ذاك" ولا يضر اختلاف حرف الخطاب بالنسبة للإفراد والجمع والتذكير والتأنيث . وأما تا وتي في الإشارة بتاً للذكر وتي للتؤنث ، فإن الألف لا تحذف معهما إذا اتصلت بهما ها التنييه ، فيكتب هاتا وهاتى وهاتان .
- وذكر أحمد بن يحيى : أنها حذفت من هاتم وهانا وهانت أيضا ، فتكتب بألف واحدة بعد الهاء في جميع ذلك . قال : وهو القياس ؛ وكان الأصل أن تكتب بالفين على هذه الصورة : هاتم وهانا وهانت ؛ ثم تلى الهمزة . ودليل أن ألفها قد حذفت من ها التنييه في غير اتصالها بذا وما والها من رسم المصحف في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم في النور ﴿ آيَةَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ وفي الزحرف ﴿ يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ﴾ وفي الرحمن ﴿ آيَةَ الثَّقَلَانِ ﴾ .
- قال ابن قتيبة : ويكتب أيها الرجل وأيها الأمير بالألف وإن كان قد كتب في القرآن الكريم بالألف وغير الألف لاختلافهم في الوقف عليها .
- (ومنها) تحذف من ثمانية عشر وثمانى نساء ، بخلاف ما إذا حذفت الياء منها نحو ثمان عشرة وعندى من النساء ثمان فإنه لا تحذف الألف ، بل تكتب على هذه الصورة : "ثمان عشرة وعندى من النساء ثمان" لأنه قد حذفت منه الياء فلو حذفت الألف ، لتوالى الحذف فيكثر ؛ فمثل قول الشاعر :
- وَلَقَدْ شَرِبْتُ ثُمْنِيًّا وَثُمْنِيًّا * وَثَمَانَ عَشْرَةَ وَأَثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعًا
- يكتب الأولان بغير ألف والثالثة بالألف . وفي ثمانين وجهان : أحدهما إثبات الألف بعد الميم فيها ، لأنه قد حذفت منه الياء إذ الياء في ثمانين ليست ياء ثمانية ، لأنها حرف الإعراب المنقلب عن الواو في حالة الرفع ، فلو حذفت الألف أيضا لتوالى فيه الحذف . والوجه الثانى الحذف ، لأن الياء منه كأنها لم تحذف بدليل أنه

(١) كذا في الضوء أيضا ولعله سهواً أو سبق فلم فإن تارتى للتؤنث كما هو واضح .

قد عاقبها بياء أخرى فهما لا يجتمعان ، فكأن الياء موجودة إجراء للمعاقب مجرى المعاقب . وإذا قلت ثمانون بالواو ، فحكه حكم ثمانين بالياء في جواز الوجهين .

(ومنها) تحذف بعد اللام من ثلاث فيكتب على هذه الصورة : "ثَلث" سواء كانت مشرقة ، نحو عندي ثَلث من البَطِّ ، أو مضافة نحو ثَلث نساء ، أو مركبة نحو ثَلث عشرة امرأة ، أو معطوفة نحو ثَلث وثلاثون حارية ، وحكم ثلثة بالناء كذلك في جميع الصور .

وكذلك تحذف أيضا من ثلاثين وثلاثون بالياء والواو ، فيكتبان على هذه الصورة : "ثَلثين" و "ثَلثون" .

فأما ثَلَاث المعدول كما في قوله تعالى : ﴿ مَثْنَى وَثُلَاثَ ﴾ . فقال الشيخ أبو الدين أبو حيان رحمه الله : لم أقف فيه على نقل . قال : والذي اختاره أن يكتب بالألف لوجهين : أحدهما أنه لم يكثر كثرة ثَلث ، وثلاثة ، وثلاثين ، وثلاثون . والثاني أنها لو حذفت لآتتبت بثَلث الذي ليس بمعدول .

قال ابن قاسم رحمه الله : وقد ذكر في "المُقْبَع" ^(١) أنه محذوف في الرسم .

(ومنها) تحذف من - يا - التي للنداء إذا اتصلت بهمزة نحو يا أحمد ، يا إبراهيم يا أبا بكر ، يا أبانا ، فتكتب على هذه الصورة : يا أحمد ، يا إبراهيم ، يا أبا بكر ، يا أبانا . ثم الأظهر أن المحذوف هو ألف يا لا صورة الهمزة .

وقال أحمد بن يحيى : المحذوف صورة الهمزة لا الألف من يا نعم إذا كانت الهمزة المتصلة بيا كهمزة آدم أمتنع الحذف ، وكتبت بالثين على هذه الصورة : يا آدم ، لأنهم قد حذفوا ألفا من آدم لتوالي اليقين ، وحرف النداء مع المتأدى كالقلم الواحدة بدليل أنه لا يجوز الفصل بينهما فلو حذفت الألف من يا لآجمع فيا هو كالقلم الواحدة حذف اليقين .

(١) هو كتاب « المقنع في رسم المصحف » للإمام أبي عمرو الداني ، وتوجد منه نسخة مخطوطة

مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٦٣ قراءات .

أما إذا لم يل يا همزة البتة نحو: يا زيد، ويا جعفر، فالذى يستعمله الكتاب فيه إثبات الألف في يا . وفي كلام أحمد بن يحيى تجوز كتابته بغير ألف أيضا، توجيها بأنهم جعلوا يا مع ما بعدها شيئا واحدا، إذ أقاموا يا مقام الألف واللام بدليل أنهم لا ينادون ما فيه ألف ولا م، فلا يقولون يا الرجل .

- ٥ (ومنها) تحذف من الحارث إذا كان عالما ودخلت عليه الألف واللام، فيكتب على هذه الصورة: الحرث . أما إذا عرى عن الألف واللام، فإنه يثبت فيه الألف لكلا يلتبس بحرب بالياء الموحدة إذ قد سمي به، وإنما امتنع اللبس مع الألف واللام لأنهما إنما يدخلان من الأعلام على ما كان صفة إذا أريد به معنى التفاؤل وحرث ليس بصفة فام يدخل عليه وإن كانا قد دخلا على بعض المصادر كالعلاء . وكذلك إذا كان حارث اسم فاعل من الحرث فإنه يكتب بالألف أيضا .
- ١٠ كما إذا عرى عن الألف واللام .

- (ومنها) تحذف مما كثر استعماله من الأعلام الزائدة على ثلاثة أحرف إذا لم يحذف منها شيء، سواء كان ذلك العلم من اللغة العربية نحو: مالك، وصالح، وخالد، أو من اللغة العجمية نحو: إبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، وهارون، وسليمان، فتكتب على هذه الصورة: ملك، وصلح، وخلد، وإبراهيم، وإسماعيل، وهرون، وسليمان .
- ١٥ بخلاف ما إذا لم يكثر استعماله كحاتم، وجابر، وحامد، وسالم، وطاوت، وجالوت، وهاروت وماروت، وهامان وقارون، فإنها لا تحذف ألفها .

- وقد حذف في بعض المصاحف من هاروت، وماروت، وهامان، وقارون، فكتبت على هذه الصورة: هروت، ومروت، وهمس، وقرون .
- ٢٠ قال الشيخ أثير الدين أبو حيان رحمه الله: وذكر بعض شيوخنا أن إثباتها في نحو: صالح، وخالد، ومالك جيد .

وقال أحمد بن يحيى : يجوز فيه الوجهان ، وهو قضية كلام ابن قتيبة .

أما إذا كان العلم الذي كثر استعماله على ثلاثة أحرف فما دونها نحو : ^(١) هالة ولام ، فإنه لا تحذف ألفه ، وكذلك إذا حذف منه شيء غير الألف نحو : إسرائيل وداود ، لأنهم قد حذفوا من إسرائيل صورة الممزة ، ومن داود الواو فأمتنع حذف الألف لئلا يتوالى الحذف .

ويلتحق بذلك في الإثبات ما لو خيف بالحذف التباسه : كعاصر ، وعبّاس ، فلا تحذف منه الألف أيضا ، لأنه لو كتب بغير ألف ، لالتبس عاصر بعمر ، وعباس بعبس .

(ومنها) تحذف استحسانا مما كثر استعماله ، مما في آخره الألف والنون نحو

شعبان ، وعثمان وما أشبههما ، فيكتبان على هذه الصورة "شعبن" و"عثمن" ١٠

قال الشيخ أنير الدين أبو حيان رحمه الله : إلا أنهم لم يحذفوا ألف عمران والإثبات في نحو : شعبان حسن أيضا .

قال ابن قتيبة : فأما شيطان ، ودهقان ، فإثبات الألف فيهما حسن . وكان

القياس إذا دخلت عليهما الألف واللام أن يكتبتا بغير ألف ، إلا أن الكتاب ^{١٥}
مجمعون على ترك القياس في ذلك .

(ومنها) تحذف من كل جمع على وزن مفاعل أو وزن مفاعيل ، إذا لم يحصل

بالحذف التباس الجمع فيه بالواحد لموافقته له في الصورة ، بحيث لا يقع اللبس مثل خواتم ودوانق في وزن مفاعل ، ومحاريب وتمائيل وشياطين في وزن مفاعيل

(١) في الأصل والضوء : «هالة وأوس ولام» وهو لا يتفق والسياق .

تُحذف الألف فيكتب على هذه الصورة : خواتم ، ودوانق ، ومحاريب ، وتمائيل ،
وشياطين ، ودهاقين . إذ المفرد منها خاتم ، ودانق ، ومحراب ، وتمثال ، وشيطان ،
ودهقان ، وهي لا تشابه صور الجمع فيها . بخلاف ما إذا كان يلتبس فيه الجمع بالواحد ،
مثل : مساكين في وزن مفاعيل جمع مسكين فإنه يكتب بالألف لثلاثا يلتبس بالواحد .
فلو كان الحذف يؤدي إلى موافقته للواحد في الصورة لكنه في غير موضع المفرد .
نحو : ثلاثة دراهم ، ودراهم جياذ ، ودراهم معدودة ، حذفت منه الألف وكتب على
هذه الصورة : ثلاثة دراهم ، ودراهم جياذ ، ودراهم معدودة ، لأنه لا يلتبس حينئذ .
بخلاف عندي دراهم ونحوه فإنه لو حذفت الألف منه لالتبس بدرهم المفرد .

ثم الحذف في مفاعل ومفاعيل على ما تقدم إنما هو على سبيل الجواز ، وإلا
فالإثبات أجود .

وشرط بعض المغاربة في جواز الحذف شرطا ، وهو ألا تكون الألف فاصلا
بين حرفين متماثلين ، فلا تحذف الألف من نحو : سكاكين ، ودكاكين ، ودنانير ،
لثلاثا يجتمع مثلان في الخط وهو مكروه في الخط ككراهته في اللفظ .

وقد كتبت في المصحف مساكين ، ومساكينهم بغير الف على هذه الصورة :
١٥ مسكين ومسكينهم ، وإن كان اللبس موجودا .

قال الشيخ أثير الدين أبو حيان رحمه الله : وإنما كتبنا كذلك لأنهما قد قرئتا
بالإفراد فكتبنا على ما يصلح فيهما من القراءة . كما كتبوا ﴿ وَمَا يُجَادِعُونَ ﴾ بغير
ألف على هذه الصورة ﴿ وَمَا يُجَادِعُونَ ﴾ لأنه يصلح لقراءة يجادعون من الثلاثي .
(ومنها) تحذف الألف الأولى مما كان فيه ألفان ، مما جمع بالألف والتاء

٢٠ المزيدتين نحو : صالحات ، وعابدات ، وقانتات ، وذاكرات ، فتكتب على هذ
الصورة : "صالحات ، وعابدات ، وقانتات ، وذاكرات" .

وكذلك تحذف من صفات جمع المذكر السالم نحو: الصالحين، والقانتين، فيكتب على هذه الصورة: "الصالحين" و"القانتين" وإن لم يكن فيه ألف أخرى حملا على المؤنث.

وقال بعض المغاربة: إن كان مع ألف الجمع ألف أخرى كالتساوت، والصالحات، فيختار حذف ألف الجمع وإبقاء الأخرى. وثبت في المصحف بحذف الألفين جميعا على هذه الصورة: "سوت، وصلحت" وكذلك سياحات، وغيايات. وإن كان ليس فيه ألف أخرى فالخيار إثبات الألف كالمسلمات، وثبت أيضا في المصحف محذوف الألف على هذه الصورة: مسلمت.

قال: وتحذف أيضا في جمع المذكر السالم من الصفات المستعملة كثيرا: كالشاكركين، والصادقين، والخاسرين، والكافرين، والظالمين، وما أشبهها في كثرة الاستعمال فتكتب على هذه الصورة: "الشكرين، والصدقين، والخسرين، والكافرين، والظلمين".

نعم إن خيف اللبس فيما جمع بالألف والتاء مثل طالحات، أمتنع الحذف لأنه لو حذفت الألف منه، لآلتبس بطلحات جمع طلحة. وكذلك لو خيف اللبس فيما جمع بالواو والنون، نحو حاذرين، وفارحين، وفارحين. فلو حذفت الألف منه، لآلتبس بحذرين، وفريهين، وفريهين؛ وهما مختلفان في الدلالة، لأن فاعلا من هذا النوع مذهب به مذهب الزمان، وفعل يدل على المبالغة لا على الزمان.

وكذلك لو كان مضعفا مثل شابات، والعادين، فلا يجوز فيه حذف الألف لأنه بالإدغام نقص في الخط إذ جعلوا الصورة للمدغم والمدغم فيه شكلا واحدا. ولذلك كتبوا في المصحف: الضالين والعادين بالألف. وقد أجرى مجرى المضعف في الإثبات ما بعد ألفه همزة نحو: الخائنين. وقد حذفت ألفه في بعض المصاحف

فكتب على هذه الصورة: "الخئين". ويتعين الإثبات أيضا فيما هو معتل اللام مثل: دانيات حملا على دأين، كما حذف من الصالحين حملا على الصالحات، ومثل: الرامين لأنه قد حذف منه لام الفعل. وحمل ما جمع بالألف والتاء عليه كما حمل الصالحين على الصالحات في حذف الألف، وإن كانت العلة فيهما مفقودة.

قال ابن قتيبة: وكذلك ما كان من ذوات الياء والواو لا يجوز فيه حذف الألف نحو: هم القاضون، والرامون، والساعون، لأنهم حذفوا الياء لالتقاء الساكنين لما استنقلوا ضمة في الياء بعد كسرة فسكنوا ثم حذفوا الياء، فكروا أن يحذفوا الألف أيضا لثلا يخلوا بالكلمة.

(ومنها) تحذف إحدى الألفين مما اجتمع فيه ألفان مثل: آدم، وأزر، وآمين.

وأمين، وأتين، وأنفا، ووراءك، وقراءة، وبرأة، وشئان، وشبهه، فتكتب على هذه الصورة: "آدم، وأزر، وآمن وآمين، وآتين، وأنفا، ووراءك، وقراءة، وبرأة، وشئان" فلو أنفتح الأول منهما كما في قرأ لفعل الآتين من القراءة، كتب بالفين على هذه الصورة: (قرأ) لثلا يلتبس بفعل الواحد، إذ المفرد تقول فيه قرأ فتكتبه بألف واحدة. وذهب قوم إلى أنه في التثنية يكتب أيضا بألف واحدة مسندا إلى ألف الآتين، وبه قال أحمد بن يحيى. والذي عليه المتأخرون وهو الأجود عند ابن قتيبة ما تقدم.

(ومنها) تحذف إحدى الألفات مما اجتمع فيه ثلاث ألفات، مثل برآت جمع

براءة، ومساآت جمع مساءة، فتكتب بالفين فقط على هذه الصورة: "برآت" و"مساآت" لأنها في الجمع ثلاث ألفات. فلو حذفوا آنتين، أخلوا بالكلمة.

(ومنها) تحذف من أول الكلمة في الاستفهام في اسم، أو فعل، نحو: الله أذن

لكم؟ السحر إن الله سيبطه؟ الذكرين حرم أم الأنثيين؟ أبصطفى البنات على

الْبَيْنِ ؟ الرجل في الدار؟ اسمك زيد أم عمرو؟ فكتب بآلف واحدة على هذه الصورة : اللَّهُ؟ السَّحْرُ؟ الذَّكْرَيْنِ؟ الرجل؟ آسَمَكُ؟ آآَنُ؟ .

ثم مذهب أحمد بن يحيى ، وعليه جرى ابن مالك رحمه الله . أنه لا فرق بين المكسورة، والمضمومة . والذي ذهب إليه المغاربة أنها تكتب بالثين ، إحداهما ألف الوصل ، والأخرى همزة الاستفهام .

قال الشيخ أبو عمرو بن الحاجب رحمه الله : وجاز في نحو: الرجل ، الأمران ، ورسمت في المصحف بآلف واحدة نحو : الذكرين ، آآن .

(ومنها) تحذف من ما الاستفهامية إذا دخل عليها حرف من حروف الجزاء نحو: عَمَّ تَسْأَلُ؟ وَفِيمَ تَتَفَكَّرُ؟ وَفِيمَ فَرِقْتَ؟ وَفِيمَ تَكَلَّمْتَ؟ وَفِيمَ عَلِمْتَ؟ وَحَتَّى تَنْقَضُ؟ وَعَلَّامٌ تَدَّابُّ؟ فتكتب كلها بغير ألف في آخرها فرقا بينها وبين ما الموصولة ، ويصير حرف الحرك كأنه عوض من الألف المحذوفة ، وكان الحذف من الاستفهامية دون الموصولة لأن آخرها منتهى الأسم ، والأطراف محل التغيير . بخلاف الموصولة ، لأنها متوسطة من حيث إنها تحتاج إلى صلة .

وحكى الكوفيون ثبوتها في الاستفهامية أيضا ، والله أعلم .

تذنيب

نحذف الهمزة المصوّرة بصورة الألف في أربعة مواضع .

الأول - تحذف بعد الباء من بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، فتكتب بغير ألف على هذه الصورة "بسم" . والقياس إثباتها كما تكتب بآيها بالألف لكنها حذفت لكثرة الاستعمال ، أما في غير بسم الله الرحمن الرحيم ، فظاهر كلام ابن مالك أنها لا تحذف ، فتثبت في بِسْمِ رَبِّكَ ، وفي بِأَسْمِ اللَّهِ ، مفردا .

وقال بعضهم : إن كان مضافا إلى لفظ الله تعالى وليس متعلقا بالباء ملفوظا به ،
حذفت وإلا فلا ، فتثبت في بآسم ربك لأنه غير مضاف إلى لفظ الله تعالى ، وفي نحو
قولك : تبركت بأسم الله ، لأن متعلقه ملفوظ به .

وقال الفراء في قوله تعالى : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا ﴾ إن شئت أثبت

وإن شئت حذفت ، فمن أثبت قال : ليست مبتدأ بها ، وليس معنا الرحمن الرحيم ،
ومن حذف ، قال : كان معنا الرحمن الرحيم في الأصل ، فحذفت في الاستعمال . فإن
أضفت الأسم إلى الرحمن أو القاهر ونحوه ، فقال الكسائي : تحذف ، وقال الفراء :
لا يجوز أن تحذف إلا مع الله لأنها كررت معه ، فإذا عدوت ذلك أثبت الألف .

الثاني - تحذف بين الفاء والواو ، وبين همزة هي فاء الفعل من وزن الكلمة ،

مثل قولك : فأت وأت ، لأنهم لو أثبتوا لها صورة الألف ، لكان ذلك جمعا بين الفين :
إحداهما صورة همزة الوصل ، والأخرى صورة الهمزة التي هي فاء الفعل ، مع أن الواو
والفاء شديدتا الاتصال بما بعدهما لا يوقف عليهما دونه ، وهم لم يجعوا بين الفين
في سائر هجائهم إلا على خلاف في المتطرفة كما مر ، لأن الأطراف محل التغييرات
والزيادة ، فذلك حذفوها في نحو : فأذن ، وأتمن فلان ، وعليه كتبوا ﴿ وَأَمْرٌ أَهْلَكَ ﴾
فلو كانت الهمزة بين غير الفاء والواو وبين الهمزة التي هي فاء الفعل ثبتت ، نحو آئتو
و ﴿ الَّذِي أَوْتَمِنَ ﴾ . ﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ أُنْذِنَ لِي ﴾ وكذلك لو كانت آبتداء والهمزة
فاء الفعل ، نحو أُنْذِنَ لِي ، أَوْتَمِنَ فلان ، ثبتت أيضا ، أو ليست فاء ، نحو : ثم أضرب ،
وأضرب ، فاضرب . وكذلك في ﴿ وَأَنْتُمْ الْبُيُوتِ ﴾ .

الثالث - تحذف في ابن وأبنة مما وقع فيه ابن مرادا صفة بين علمين ، غير

مفصول ، فيكتب نحو جاء فلان بن فلان ، أو فلانة بنت فلان بغير ألف في ابن وأبنة .
ولا فرق في ذلك بين أن يكون العلمان اسمين ، نحو هذا أحمد بن عمر ، أو كنيين ،

نحو: هذا أبو بكر بن أبي عبدالله، أو لقبين، نحو: هذا نبت بن بطة، أو أسما وكنية،
نحو: هذا زيد بن أبي قحافة، أو لقباً وأسماً، نحو: هذا أنف الناقة بن زيد، أو كنية
والقباً، نحو: هذا أبو الحارث بن نبت، أو لقباً وكنية، نحو: هذا بدر الدين بن أبي بكر.
فهذه سبع صور: تسقط فيها الألف من ابن ولا تسقط فيما عداها، فلو قلت

هذا زيد أبك، وابن أخيك، وابن عمك، ونحو ذلك مما ليس بصفة بين علمين،
أثبتت فيه الألف. وكذلك إذا كان خبراً كقولك: أظن زيدا ابن عمرو، وكأن نكراً
ابن خالد، وإن زيدا ابن عمرو، فتثبت الألف في الجميع. ومنه في القرآن الكريم:
(وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ) كتبنا في المصحف
بالألف. ولو ثبت الألف، ألحقت فيه الألف صفة كان أو خبراً، فتكتب: قال
عبد الله، وزيد أبنا محمد كذا وكذا، وأظن عبد الله وزيدا ابني محمد فعلاً كذا بالألف.
وكذلك إذا ذكرت ابناً بغير اسم، فتكتب: جاء ابن عبد الله بالألف أيضاً. وحكم
أبنة مؤنثاً في جميع ما ذكر حكم الألف، تقول: جاءت هند بنت قيس، فتحذف الألف.
وشروط الأستاذ أبو الحسن بن عصفور أن يكون مذكراً فلا تسقط من أبنة.

ونقل أحمد بن يحيى عن أصحاب الكسائي: أنه متى كان منسوباً إلى اسم أبيه
أو أمه أو كنية أبيه أو أمه وكان نعتاً، حذفوا الألف فلم يُجزه في غير الاسم والكنية
في الأب والأم. قال: وأما الكسائي فقال: إذا أضفت إلى اسم أبيه أو كنية أبيه،
وكانت الكنية معروفة بها كما يعرف باسمه، حاز الحذف، لأن القياس عنده الإثبات
والحذف استعمال! فإذا عدى الاستعمال، رُجع إلى الأصل.

وحكى ابن جنّي عن مناخري الكُتّاب: أنهم لا يحذفون الألف مع الكنية،
تقدمت أو تأخرت. قال: وهو مردود عند العلماء على قياس مذاهم.

(١) في الأصل: «نما ليس له صيغة» وفي الضوء: «مما ليس بين نلين» والسياق يقتضي ما أنبتناه.

والآلف تحذف من الخَطِّ في كل موضع يحذف منه التنوين وهو حُذِفَ مع الكُنْي .

- الرابع - تحذف من كل مُعَرَّف بالآلف واللام إذا دخلت عليه لامُ الأبتداء، نحو: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾ أو لامُ الجزاء، نحو للدار ألف ساكن غيرك؛ وقياسها الإثبات كما أثبتوها في لأبنك قائم، ولأبيك مال؛ وسبب حذفها التباسها بلا النافية .

وذهب بعضهم: إلى أنها لا تحذف مع لام الأبتداء فرقا بينها وبين الجزاء . ولم يحذفوها من نحو: مررت بالرجل؛ والله أعلم .

الحرف الثاني

١٠ اللام، وتحذف في مواضع

(منها) تحذف من الذي للزومها، فكأنها ليست منفصلة، وكذلك تحذف من جمعه وهو الذين لأنه يشبه مفردة في لزوم البناء، ولنظ الواحد كأنه باق فيه، ولم يحذفوه من المثني كما في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا آرِنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا﴾ فكتبوه بلامين فرقا بينه وبين الجمع . وإنما أختصت التثنية بالإثبات، لأنها أسبق من الجمع، واللبس إنما حصل بالجمع .

١٥

(ومنها) تحذف من التي للزومها كما تقدم، ومن تثنيها وهي التان، وجمعها: وهي الآتي لأنهما لا يلتسان، بخلاف تثنيه الذي وحروفه .

وقال أحمد بن يحيى: كتبوا الآتي (التي) واللائي (التي) وأسقطوا الآما من أولها وألغا من آخرها . قال: وهذا للاستعمال لأنه يقل في الكلام مثله، ويدل عليه ما قبله وما بعده، ولو كتب على لفظه كان أولى .

٢٠

قال الشيخ أثير الدين أبو حيان رحمه الله : والذي عهدناه من الكتاب أنه

لا تحذف الألف لثلاثا يلبس بالمفرد .

(ومنها) تحذف من الليل والليالة على أجود الوجهين ، فيكتبان بلام واحدة

على هذه الصورة : " اللَّيْلُ وَاللَّيْلَةُ " : لأن فيه اتباع المصحف ؛ وأجاز بعضهم

كاتبه بلامين . قال أبو حيان : وهو القياس .

(ومنها) تحذف من [اللَّعِبُ]^(١) ونحوه ، مما دخل عليه لام الجزر فيكتب بلامين

وإن كان في اللفظ ثلاث لامات .

(ومنها) قال أحمد بن يحيى : يكتب الطيف بلام واحدة ، لأنه قد عُرف

بذف ، وهذا بخلاف اللهُو ، واللَّعِبِ ، واللَّعْبَةِ ، واللاعِبين ، واللَّغُو ، واللُّؤُوءِ ،

واللَّاتِ ، واللَّهْم ، واللَّهَبِ ، واللَّوامة ، فإنها لا تحذف منها اللام .

قال ابن قتيبة : وكل اسم كان أوله لاماً ثم أدخلت عليه لام التعريف ، كتبت

بلامين ، نحو : اللهم ، واللبن ، واللحم ، والنجم ، وما أشبه ذلك . وإن كانوا قد اختلفوا

في الليل والليالة لموافقة المصحف كما تقدم .

الحرف الثالث

النون ، وتحذف في مواضع

١٥

(منها) تحذف مِنْ عَنْ إِذَا وَصَلَتْ بِمَنْ أَوْ مِمَّا ، فتكتب عَمَّنْ وَعَمَّا وَعَمَّ .

(ومنها) تحذف مِنْ مِنْ الْجَارِ إِذَا وَصَلَتْ بِمَنْ أَوْ مَا ، فتكتب مِمَّنْ وَمِمَّا .

(ومنها) تحذف مِنْ إِنْ إِذَا وَصَلَتْ بِمَنْ ، فتكتب إِمَّنْ .

(ومنها) تحذف مِنْ أَنْ الْمَفْتُوحَةَ إِذَا وَصَلَتْ بِمَا ، فتكتب أَلَّا .

(١) زيادة ينتهزها السياق .

الحرف الرابع

الواو ، وتحذف في مواضع

- (منها) تحذف لأمن اللبس ، مثل ما كتبوا من قوله تعالى : ﴿يَدْعُ الدَّاعِ﴾ .
- ﴿ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ ﴾ بغير واو في يدعو ويحو ، لأن ذكر الداع في الأول ، وذكر الله تعالى في الثاني يمنع أن يكون الفاعل جماعةً فلا يحصل اللبس ، بخلاف قولك لا تضربوا الرجل ، فإنه لو حذف لالتبس الجمع فيه بالواحد .
- (ومنها) تحذف مما توالي فيه واوان في كلمة واحدة ، مثل : داوود ، وطاوس ، ورؤوس ، ويستون ، ويلون ، وأووا إلى الكهف ، ويسوا ، وتبرؤوا ، وجأؤوا ، وبأؤوا ، وأسأؤوا ، ويؤوده ، ويؤوس ، وفادرؤوا ، ومبرؤون ، فيكتب بواو واحدة .
- وكتب بعضهم طاووس ونحوه بواوين على الأصل ، والقياس الأقتصار على واو واحدة كراهة اجتماع المثليين .
- وآستنى ابن عصفور من ذلك موضعاً ، وهو ألا يؤدي إلى اللبس ، نحو : قؤل وصؤل على وزن فعول فإنه يلتبس بقولٍ وصؤلٍ ، وأختره أحمد بن يحيى .
- (ومنها) تحذف مما توالي فيه ثلاث واوات في كلمتين ككلمة ، مثل : ليسوءوا ، وينوءون ، فنكتب ليسوءوا ، وينوءون ، بواوين فقط ، ويكتب لوؤوا ، وأجتوؤوا ، وألتوؤوا ، بواوين ، لأنه لو حذف إحدى الواوين لالتبس الجمع بالمفرد
- ووقع في المصحف كتابة يستون ، ويلون ، بواو واحدة ، وذلك لأن في يستون ونحوه أجمع واوان وضمة ، فناسب الحذف ، وفي لوؤوا رؤوسهم . ونحوه أنتج ما قبل الواو فناسب الإثبات .
- (ومنها) تحذف للجزم كما في قولك : لم يَغْدُ ، فتحذف الواو علامة للجزم ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

الحرف الخامس

الياء ، وتحذف في مواضع

(منها) للجزم كما في قولك : لم يتَّض ، فتحذف الياء من آخره علامة للجزم .

(ومنها) تحذف لمراعاة الفواصل ، نحو قوله تعالى : ﴿ وَاللَّيْلُ إِذَا يَسِيرٌ ﴾ بغير ياء

في آخرها لمراعاة ما قبله من قوله : ﴿ وَالْفَجْرُ ﴾ .

(ومنها) تحذف فيما توالى فيه ياءان أو ثلاثة : فَتَكْتُبُ النَّبِيْنَ ، وَخَاسِيْنَ ،

وَخَاطِيْنَ . وَإِسْرَائِيْلَ . وما أشبه ذلك بياءين فقط ، وإن كان في اللفظ ثلاث ياءات .

(ومنها) تحذف لأمن اللبس : فَتَكْتُبُ قَارِيْنَ جَمْعَ قَارِيٍّ بِيَاءٍ وَاحِدَةٍ ، فَرَقًا بَيْنَهَا

وَبَيْنَ قَارِيْنَيْنِ تَثْنِيَةِ قَارِيٍّ فَإِنهَا تَكْتُبُ بِيَاءَيْنِ .

(ومنها) تحذف مدة ضمير الغائب مثل قولك : ضربه ، فتكتبه بغير واو ، وإن

كنت تلفظ به لأنك إذا وقفت حذفها ووقفت على الهاء ساكنة ، وكذلك مدة

ضمير الغائبين ، مثل قولك : ضربهم في لغة من وصل الميم ، وكذلك حذفها إذا

وليت الكاف ، نحو : ضربكم زيد ولكم في لغة من وصل الميم بواو وبياء ، لأنه

إذا وقف حذف الصلوة ، والله أعلم

النوع الثالث

ما يُغَيَّرُ بِالْبَدَلِ

والحروف التي يدخلها البدل ثلاثة أحرف : الألف ، والواو ، والياء ، والألف

والياء أكثرهما تعاقبا .

فتنوب الياء عن الألف في ثلاثة محال :

(١) لعل في العبارة سقطا والأصل يكتب بياء فقط وإن كان في اللفظ بياءين وبياءين فقط وإن كان الخ .

(٢) تعلق هذا بالحرف الرابع أكثر منه بالخامس .

الحل الأول

الاسم، وهو ثلاثة أحوال

- الحال الأول - أن تكون الألف فيه رابعة فصاعداً، نحو: المَعزى،
 والمُسْتَدْعَى، والحُبْلَى، والمرضى، والمَلْهَى، والمدعى، والمُشْتَرَى، ومِثْلَى، ومَثْنَى،
 وكذلك أَعْمَى، وأَعشى، وأظْمَى، وأقْنَى، وأذْنَى، وأَعْلَى، ومَعَانَى، ومُنَادَى، وما
 أشبه ذلك، فتكتب الألف في جميع ذلك ياءً سواء كان منقلبا عن واو أو منقلبا عن
 ياء، لأنك إذا ثنيته ثنيته بالياء؛ ومن ثم كتبت ياويلتى، وياحسرتنى، وياأسفنى،
 بالياء إشعاراً بأنها مما تمال أو تقلبها عند التثنية ياء، إلا فيما قبلها ياء نحو: الدنيا،
 والعُلْبَا، والقُصْبَا، وهُدْيَا، ومَعْيَا، ومَحْيَا، وعام حَيًّا ورُؤْيَا، وسُقْيَا، فإنك لا تكتب
 الألف فيها ياءً كراهة أن تجتمع ياءان في الخط. نعم يغتفر ذلك في نحو: يحيى ورثى
 ١٠ علمين، للفرق بين يحيى علما وبينه فعلا وبين رثى علما وبينه وصفاً، وكان البدل
 في العلم دون الوصف والفعل لأن الفعل والصفة أنقل.

قال ابن قتيبة: وأحسبهم أتبعوا في يحيى رسم المصحف^(١)

- فلو كان مهموزاً، نحو: مستقراً ومستنبئاً، أو قبل آخره ياء نحو: خطايا، وزوايا،
 ١٥ وركابياً، والحوايا، والحيا، وما أشبهه كتب بالألف.

- الحال الثاني - أن تكون الألف فيه ثالثة، فإن كانت مبدأة عن ياء، نحو: قتي،
 ورحى، وسوى، والهدى، والمدى للفاية، والهوى لهوى النفس، وندى الأرض،
 وندى الجود، وحى الدابة، والكرى: النوم، والقذى، والأذى، والحنى: حَسُّ
 القول، والضنى: المرض، والردي: الهلاك، والطوى: الجوع، والأسى: الحزن،
 ٢٠ والعمى: في القلب والعين، والحنى: جنى الثمرة، والصدى: العطش، والشرى:

(١) كذا في الضوء أيضاً وليس مما نخر فيه.

في الجسد، والضوى : الهزال، وللثرى : التراب الندي، والجوى : داء في الجوف،
والسرى : [سَيْر] الليل، والسلى : سلى الناقة، ومنى : المكان المعروف، والمدى^(١)
الغاية، والصدى : اسم طائر يقال إنه ذكر البوم، والنسى : عرق في الفخيد، وطوى :
وَادٍ، والوغي : الحرب، والوحي : العجل، والورى : الخلق، والدرى : الناحية
وأنا في ذرى فلان، والمعنى واحد الأمعاء، والحجى والنهى : العقل، والحشى واحد
الأحشاء، وما أشبه ذلك كتب بالياء .

وإن كانت منقلبة عن واو، نحو عصا، ومنا للقدرة، ورجا لحاف البر، والقنا
في الأنف، والرما والقرا للظهور، والعشا في العين، والقفا : قفا الإنسان، والصفا :
ميلك للرجل، ووطا جمع وطاة، و[لها جمع] لهاة، والفلا جمع فلاة، كنب بالالف .
وتفترق الواو من الياء فيه بطرق أقربها التثنية تقول في الأول : قبان، ورحيان،
وسويان .

قال ابن قتيبة : فلو ورد عليك اسم قد نثي بالواو والياء عممت على الأكثر
الأعم . وذلك نحو رحي، فإن من العرب من يقول : رحوت الرحاء، ومنهم من يقول :
رحيت، قال : وكتبها بالياء أحب إلى لأنها اللفظة العالية .

وكذلك أرضا، من العرب من يقول في تثنيته : رضيان، ومنهم من يقول .
رضوان، قال : وكتبته بالالف أحب إلى، لأن الواو فيه أكثر، ونحو عن الرضوان،
وكذلك الحكم في مترى، لأنها لو نثي بها ونثي، لتلت متيان، فيعلم أنه من ذوات
الياء . ونقول في الثاني : سموان وسموان ورجوان، فيعلم أنه من ذوات الواو .
فإذا أشكل عليك شيء فلم تعلم أهو من ذوات الواو أو من ذوات الياء^(٢)، فقل
خسا بالياء المعجمة والسين المهملة، كتبته بالالف لأنه من الأصل

(٢) الرباده عن صوره الصحيح

(١) تقدم فهو ممكن

وهم من يكتب الباب كد بالألف على الأصل وهو أسهل للأُكَّاب. وعلى تقدير
كتبتها بالياء فلو كان منونا فالمختار عندهم أنها تكتب بالياء أيضا، وهو قياس المبرد،
وقياس المازني أن يكتب بألف إذ هي ألف التنوين عنده في جميع الأحوال .
وقاس سيويه المنصوب^(١) بالألف لأنه للتنوين فقط .

- قال ابن قتيبة : وتعتبر المصادر بأن يرجع فيها إلى المؤنث ، فما كان في المؤنث
بالياء كتبت بالياء ، نحو : العمى ، والظمى ، لأنك تقول : عمياء وظمياء ، وما كان
مؤنث فيه بالواو كتبت بالألف ، نحو : العشا في العين ، والعنا وهو كثرة شعر
الوجه ، والعنا في الأنف ، لأنك تقول : عشواء ، وقنواء ، وعشواء .
- قال : وكل جمع ايس بين جمعه وبين واحده في الهجاء إلا الهاء من المقصور،
نحو الحصى ، والقطاء ، والنوى ، فما كان جمعه بالواو كتبت بالألف ، وما كان جمعه
بالياء كتبت بالياء .

وكتبت لدى بالياء لأنقلابها ياء في لَدَيْكَ .

- وأما كلاً ، فالصحيح من مذهب البصريين أنها تكتب بالألف ، لأن ألفه عن واو .
ومن زعم أنها عن ياء كالمعى ، كتبت بالياء . وأجاز الكوفيون كتبها بالياء وهو خطأ
على مذهبهم ، لأن الألف عندهم للتثنية ، وألف التثنية لا يجوز أن تكتب ياء لئلا
يلتبس المرفوع بغيره . وقياس كلنا عند البصريين أن تكتب ياء ، وشذ كاتبها بالألف .
- قال ابن قتيبة : والذي أستحبه أن تُكتب كلاً وكنّا في حال الرفع بالألف ،
وفي حالتى الجز والنصب بالياء . فإذا قلت : أتانى كلاً الرجلين أو كُنّا المرأتين ، كتبت
بالألف . وإذا قلت : رأيت كلى الرجلين أو كلتى المرأتين كتبت بالياء . لأن العرب
قد فرقت بينهما في اللفظ فقالوا : رأيت الرجلين كليهما ، ومررت بالرجلين كليهما ،
ومررت بالمرأتين كليهما . وقالوا : جاءنى الرجلان كلاهما ، والمرأتان كلتاها .

(١) لعله المنصوب فقط فقال يكتب بالألف الخ . (٢) أى مع المكنى كما هى عبارة ابن قتيبة .

وتتري إن لم تنون ، فالنهما للتأنيث ، وإن تونت فهي للإلحاق ؛ وقياسها
أن تكتب بالياء . ومن زعم أنه فعل ، فالفه بدل التنوين كألف صبرا ، فهو قياسه .
ووقع في كلام ابن البادس أن تتری في الخط بياء ، وهو خلاف المعروف .

تنبيه

لو اتصل الأسم الذي يكتب بالياء بضمير متصل ، نحو : رحاك ، وقفاك ،
وملهاك ، ومرعاك ، فقبل يكتب بالياء بحال عدم اتصالها ، فيكتب على هذه
الصورة : رحيك ، وقفيك ، وملهيك ، ومرعيك .

قال الشيخ أثير الدين أبو حيان رحمه الله : واختيار أصحابنا فيه بالألف إذا اتصل
به ضمير خفض أو ضمير نصب ، سواء كان ثلاثيا أم أزيدا ، إلا إحدى خاصة فإنها
تكتب بالياء حال اتصالها بضمير الخفض ، نحو من إحداهما كحالها دون الاتصال .

وأختلفوا إذا اتصلت بياء تأنيث تنقلب هاء في الوقف ، فذهب البصريون
إلى كتابتها ألفا ، نحو الحصاة ، واختار الكوفيون كتابتها بالياء نحو الحصية .

الحال الثالث — أن تكون الألف فيه ثانية ، نحو ما وذا إذا كانا اسمين ،
فيكتب بالألف على صورة النطق به

المحل الثاني

الفعل ، وله حالان

الحال الأول — أن تكون الألف فيه رابعة فصاعداً ، نحو : أعطى ، وأستعلى ،
وتداعى ، وتعادى ، وأستدنى ، وما أشبهه ، فتكتبه كله بالياء إلا أن يكون مهموزا ، نحو :
أخطأ ، وأنبا ، وتخطأ ، وأستنبا ، فإنه يكتب بالألف ، وكذلك إذا كان قبل آخره ياء ،
نحو : استجيا ، وتحايا ، وأعيا ، وتعايا ، وأستعيا ، وما أشبهه ، فإنك تكتبه بالألف .

ووقع في بعض المصاحف : ﴿ نَحْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ﴾ بالألف في آخر نحشى ،
وفي بعض المصاحف بالياء .

الحال الثاني - أن تكون الألف نالثةً ، فترده إلى نفسك ، فإن ظهرت فيه
الواو فأكتبه بالألف ، نحو قولك : عدا ، ودعا ، ومحا ، وغزا ، وسلا ، وعلا من العلو .
لأنك تقول : عدوت ، ودَعَوْتُ ، ومحوت ، وغزوت ، وسلوت ، وعلوت . وشذَّ زكى ،
فكتب بالياء وإن كان من ذوات الواو ، لأنه من زكى يزكو ، إلا أن العرب يُملون
الأفعال ذوات الواو . وإن ظهرت فيه الياء فأكتبه بالياء ، نحو قولك : قضى ،
ومشى ، وسعى ، وعسى ، لأنك تقول : قضيت ، ومشيت ، وسعيت ، وعسيت ،
ويجوز كتابته بالألف أيضا .

تنبيه

لو اتصل بالفعل ضمير متصل ، نحو : رماه ، وجزاه ، ورعاه ، فقبل يكتب على حاله
بالياء ، فيكتب على هذه الصورة : رميه ، وجزيه ، ورعيه ، والصحيح كتابته بالألف .
قال ابن قتيبة : وكل ما لحفته الزيادة من الفعل لم تنظر إلى أصله ، وكتبته كله
بالياء ، فكتب أغزى فلان فلانا ، وأدنى فلان فلانا ، وألهى فلان فلانا بالياء . وهو
من غزوت ، ودنوت ، ولهوت ، لأنك تقول فيه : أغزيت ، وأدنت ، وألهيت .
وكذلك تكتب يُغزى ، ويُدنى ، ويُلهى ، على البناء لماسم يسم فاعله بالياء ، لأنك تقول
في تثنيته : يُغزيان ، ويُدنيان ، ويُلهيان .

المحل الثالث

بعض الحروف

وأعلم أن الحرف الذي في آخره ألف في اللفظ إنما يكتب ألفاً على صورة لفظه ،
نحو : ما ، ولا ، وإلا ، وما أشبهها ، وأستثنوا من ذلك أربع صور فكتبوها بالياء .

إحداها — بلى، قال بعض النحاة : لإمالتها ، وقال سيبويه : لأنه إذا سمي بها وثبت قيل بليان كما يقال في متى مَتَّان .

الثانية — إلى، وكتبت بالياء ، لأنها تُرَدُّ إلى الياء في قولهم : إليك .

الثالثة — على، وكتبت بالياء لأنها تُرَدُّ إلى الياء أيضا في قولهم : عليك .

قال ابن قتيبة : وكان القياس فيها وفي إلى أن تكتب بالألف لعدم جواز الإمالة فيهما .

الرابعة — حتى، وكتبت بالياء حملا على إلى ، لكونهما بمعنى الانتهاء والغاية،

ولأنه قد روى فيها الإمالة عن بعض العرب فروعى حكمها .

تنبیه

لو وليت ما الاستفهامية حتى، أو إلى، أو على، كُتِبَ بالألف على هذه الصورة:

حَتَّامٌ، وإلام، وعلَّامٌ، لأنها شديدة الاتصال بما الاستفهامية بدليل أن ما بعدها لا يوقف عايه إلا بذكرها معه، فكان الألف وقعت وسطا فصارت كحال ما كتب بالياء إذا اتصل بضمير خفض أو ضمير نصب، فإنه يكتب بالألف .

قال الشيخ أبو عمرو بن الحاجب رحمه الله : فإن وصل في حَتَّامٌ وإلى الهاء

الجائرة، فلك أن تجريها على الاتصال ولا تتعدَّ بها، ولك أن تعتدَّ بها وترجع الألف

في حتى، وإلى، وعلى، إلى أصلها، فكتبت بالياء يعني على هذه الصورة حتى مه،

وإلى مه، وعلى مه .

فائدة

قد يُكْتَبُ بالياء ما هو من ذوات الألف للجائرة كما في قوله تعالى : (وَالضُّحَى

وَالْبَلَدِ بِأَنْتَ حِينَئِذٍ تَكُنُ مَا وَعَدَّكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى) فَإِنَّ الضُّحَى ونحوه قياسه عند البصريين

أن يكتب بالألف لأنه من ذوات الواو ، ولكنه كتب بالياء لمجاورة سجي ، وسجى وإن كان من ذوات الواو أيضا ، كتب بالياء لمجاورة قلى الذى هو من ذوات الياء ، فسجى مجاور ، والضحى مجاور المجاور .

- وأما الواو فقد نابت عن الألف فى مواضع من رسم المصحف الكريم ، وهى :
- ٥ الصلاة ، والزكاة ، والحياة ، والنجاة ، ومِسْكَاة ، ومِنَاة ، فكتب على هذه الصورة :
- الصلوة ، والزكوة ، والحياة ، والنجوة ، ومنوة ، ومِسْكَوة . فمنهم من كتبها كذلك فى غير المصحف أيضا أتباعا للسلف فى ذلك ، ومنهم من كتبها بالألف وهو القياس ، ووجه أن رسم المصحف متبع فى القرآن خاصة ، ولا يكتب شئ من نظائر ذلك إلا بالألف . كالفناة ، والقطاة ، أقتصارا على ما ورد به الرسم السلفى .
- ١٠ قال ابن قتيبة : وقال بعض أهل الإعراب : إنهم كتبوا هذه الكلمات بالواو على لغات الأعراب ، وكانوا يميلون فى اللفظ بها إلى الواو شيئا . وقيل : بل كتبت على الأصل ، إذ الأصل فيها واو ، لأنك إذا جمعت قلت : صلوات ، وزكوات ، وحيوات : وإنما قلت ألفا ، لما أنفتحت وأنفتح ما قبلها .
- قال : ولولا اعتباد الناس لذلك فى هذه الأحرف الثلاثة ، أى الصلاة ، والزكاة ، والحياة ، لكان من أحب الأشياء إلى أن تكتب كلها بالألف . وجمعوا فى الربا ١٥ بين العوض والعوض منه ، فكتبوه بواو وألف بعدها على هذه الصورة : الربوا . وفى بعض المصاحف : ((وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبَاً))^(١) بألف بغير واو ، وما سواه فلا خلاف فيه .

تنبیه

- لو اتصل بشئ مما أبدلت ألفه واوا ضمير، نحو صلواتهم، وزكاتهم، وحياتك، ونجاته، ومِسْكَاته، ورباه، كتبت بالألف دون الواو، والله أعلم .
- ٢٠

(١) فى الأصل والضوء : « دون الباء » والصواب ما أثبتناه .

القسم الثاني

ما ليس له صورة تخصه

وهو الهمزة، إذ تقع على الألف والواو والياء، وعلى غير صورة، ولها ثلاثة أحوال:

الحال الأول

أن تكون في أول الكلمة

فتكتب ألفاً ماى حركة تحركت، من فتحة مثل: أحمد، وأيوب، وأحد؛
أو ضمة نحو: أخذ، وأكرم، وأوحى، وأولئك، أو كسرة نحو: إبراهيم، وإسماعيل،
وإسحق، وإئتمد، وإيل، وإذ، وإذا وإلى، وإلا، وإما، سواء في ذلك همزة القطع
مثل: أكرم، وهمزة الوصل مثل: اتخذ، والهمزة الأصلية مثل: أمرى، والهمزة
الزائدة مثل: إشاح. وذلك لأن الهمزة المبتدأة لا تخفف أصلاً من حيث إن التخفيف
يقربها من الساكن، والساكن لا يقع أولاً، فجعلت لذلك على صورة واحدة.
وأختصت الألف بذلك دون الياء والواو حيث شاركت الهمزة في المخرج، وفارقت
أختيها في الحفّة، ولا فرق في ذلك بين أن تكون الهمزة مبدأة كما في الصور المذكورة،
أو تقدمها لفظ آخر، نحو: (سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ) وَفِيَّيْ، وأفانت، وبأنه، وكأنه
وكأين، وبإيمان، وإيلاف، ولبيامام، وسأترك، ولأقطن، ومررت بأحمد،
وجئت لأكرمك، وأكتحلت بالإئتمد، إلا فيما شذ من ذلك، نحو هؤلاء، وأبنؤم،
وإين، وإيلاً، ويومئذ، وحينئذ، وما أشبهها، فإنه كان القياس أن تكتب الهمزة
فيها ألفاً لأنها وقعت أولاً، لكنهم خالفوا فكتبوا همزة هؤلاء، وأبنؤم بالواو،
وإن كانت في الحقيقة مبدأة بدليل أن ها حرف تنبيه وهو منمصل عن أسم
الإشارة. وكذلك ابن أسم أضيف إلى الأم، لكنهم شبهوها بهمزة لؤم، فكتبوها

بالواو، وراعوا في ذلك كثرة لزومها، الإشارة، وعدم انفكاك آبنوم الواقع في القرآن، فكانها صارت همزة متوسطة . وكتبوا همزة لئن، ولئلا، وحينئذ، ويومئذ، وما أشبهها ياء وإن كانت أول كلمة، وكان القياس أن تكتب بالألف . أما لئن، فلأن أصلها لائن بلام ألف ونون . وأما لئلا، فلأن أصلها لائن، بلام ألف ونون منفصلة من لا، بدليل أنهم إذا لم يجيئوا بعدها بلا، كتبوها لائن، نحو جئت لأن تقرأ، لكنهم جعلوا اللام مع أن كالشيء الواحد . وكذلك حينئذ، ويومئذ، فإن الأصل أن يفصل الظرف المضاف للجملة التي بقي منها إذ المنونة تنوين العوض وأن يكتب بالألف، لكن جعل الظرف مع إذ كالشيء الواحد، فوصل بإذ، وجعلت صورة الألف ياء كما جعلوها في يئس . وكذلك الحكم في كل ظرف أضيف إلى ما ذكر، سواء المفرد، كالأمثلة المذكورة، والجمع نحو أزمانئذ . وسيأتي الكلام على ما يتعلق من ذلك في الفصل والوصل إن شاء الله تعالى .

الحال الثاني

أن تكون متوسطة؛ ولها حالتان

الأولى — أن تكون ساكنة، فلا يكون ما قبلها إلا متحركا وتكتب بحركة ما قبلها . فإن كان ما قبلها مفتوحا، كتبت ألفا نحو : رأس، وكأس، وبأس، ويأس، وضأن، وشأن، ودأب، وتأمرو، وتأكل . وإن كان ما قبلها مضموما، كتبت واوا، نحو : مؤمن، ونؤمن، وتؤوي، وتؤتى، ومؤتى، ويؤفك، وما أشبهها . وإن كان ما قبلها مكسورا، كتبت ياء، نحو : برء، وذئب، وبئس، وأبئهم، ونبئنا، وجئت، وجئنا، وشئت، وشئنا، ولمائت، وما أشبهها .

الثانية — أن تكون الهمزة متحررة؛ والنظر فيها باعتبارين :

ومنهم من يجعل صورتها على حسب حركتها، فيكتب المرأة، والكمة، ويسام،
بالألف، ويكتب يسيم بالياء، ويكتب يلوم بالواو. وأستثنى بعضهم من ذلك
ما إذا كان بعدها حرف علة نحو: سؤل، ومشوم فلم يجعل لها صورة أصلا،
وإذا كان مثل: رءوس يكتب بواو واحدة فلا صورة لها. وكذلك الموءودة
في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ﴾ على ما كتبت في المصحف بواو واحدة
لا يجعل لها صورة.

الاعتبار الثاني — أن يكون ما قبلها متحركا فينظر، إن كانت مفتوحة مفتوحا
ما قبلها، كتبت ألفا نحو: سأل، ورأيت، وراؤك، وبدأكم، وأنشأكم، وقرأه،
وليقرأه، وشبه ذلك. إلا إن كان بعدها ألف فلا صورة لها نحو: مأل ومآب.
وذهب بعضهم إلى أنها تصور ألفا فتكتب بالفين. وإن كانت مفتوحة مكسورا
ما قبلها نحو: خاضعة، وناشئة: وليبطن، وموطئا، وخائئا، وينشئكم، وشائئك،
صورت يمانس ما قبلها (وهو المكسرة) فتصويرا. وإن كانت مفتوحة مضمومة
ما قبلها نحو: الفسراد، والسؤال، ويؤده إليك، ويؤلف، ومؤجلا، ومؤذن،
وهزرا، وشبهه، صورتها يجانس ما قبلها. وإن كانت مضمومة، مضمومة ما قبلها،
نحو: نؤم، كصبر جمع صبور، أو مضمومة، مفتوحا ما قبلها نحو: لؤم، كتبت
بالواو في السلتين، إلا إن كان بعدها في الصورتين واو نحو: رءوس، ونؤم،
وإن كانت مضمومة، مكسورا ما قبلها نحو: يستهزون، وأنشئكم، ولا ينشئك،
وسنقرئك، كتبت بواو على مذهب سيبويه، وواو بعدها على مذهب الأخفش.

(١) أي فلا صورة لها. (٢) هذا خاص بنحو يستهزون وبقرون.

الحال الثالث

أن تكون الهمزة آخرًا، ولها حالتان أيضا

[الحالة الأولى]

أن يكون ما قبلها ساكنا، والنظر فيها باعتبارين

٥. الاعتبار الأول - أن يكون ما قبلها صحيحا، فتحذف الهمزة وتلقى حركتها على

ما قبلها ولا صورة لها في الخط نحو: جزء، وخبء، ودفء، والمرء، وملء . سواء

في ذلك حالة الرفع والنصب والجر . وقيل : إن كان ما قبل الساكن مفتوحا ،

فلا صورة لها . وإن كان مضموما ، فصورتها الواو ، وإن كان مكسورا ، فصورتها

الياء مطلقا . وقيل : إن كان مضموما أو مكسورا فعلى حسب حركة الهمزة ،

١٠. فيكتب الجزء ، والدفء ، بالواو في الرفع وبالألف في النصب وبالياء في الجر .

وإن كان شيء من ذلك منصوبا متونا فيكتب بألف واحدة ، هي البدل من التنوين .

وقيل : يكتب بالفين ، إحداهما صورة الهمزة ، والأخرى صورة البدل من التنوين .

الاعتبار الثاني - أن يكون ما قبلها معتلا ، فينظر إن كان حرف العلة زائدا للذء ،

فلا صورة لها نحو نبيء ، ووضوء ، وسماء ، والسوء ، والمسيء ، وقراء ، وشاء ، ويشاء ،^(١)

١٥. والماء ، وجاء ، إلا إن كان متونا منصوبا ، فيكتبه البصريون بالفين ، والكوفيون

وبعض البصريين بواحدة ، وهذا إذا كان حرف العلة ألفا نحو : سماء : الألف الواحدة

حرف العلة ، والأخرى البدل من التنوين . فإن اتصل ما قبله ألتب بضمير مخاطب

أو غائب ، فتصور الهمزة واوا رفعا نحو : هذا سماءك ، وياء جرا نحو : نظرت إلى

سمائك ، وألفا واحدة هي ألتب نضبا نحو : رأيت سماءك . أما إذا كان حرف

٢٠. (١) هذه الألفاظ الأربعة ليس فيها مدزاند وامله مصحف وأصله [وينا رأسا والمساء وخباء الخ] ، فابحرو .

العلة ياء أو واو نحو : رأيت وصووا ، فيكتب بألف واحدة . وإن كان خرف
العلة غير زائد للبدء ، فلا صورة للهمزة في الخط .

الحمالة الثانية

أن يكون ما قبل الهمزة متحركاً

- ١٠ فتكتب صورة الهمزة على حسب الحركة قبلها . فإن كانت الحركة فتحة ،
رسمت ألفاً نحو : بدأ ، وأنشأ ، ومن سبأ نبأ ، والملا ، ويستهبأ ، على البناء للمفعول ،
وينشأ كذلك ، ورأيت أمراً وما أشبهه . وإن كانت كسرة رسمت ياء نحو : قرئ ،
وأستهبئ ، وأكل أمرئ ، ومن شاطئ ، ويستهبئ ، على البناء للمفعول ، وبرئ
وصررت بأمرئ . وإن كانت ضمة ، رسمت واوا نحو : أمرؤ ، والأؤؤ ، وما أشبه
ذلك ، إلا في مثل النبا إذا كان منصوباً متوناً فقبل : يكتب بالعين نحو : سمعت
نبا ، وقيل : بواحدة وهو الأولى . وإن اتصل بها ضمير ، فعلى حسب الحركة قبلها
كحالتها إذا لم يتصل بها ضمير . وقيل : إن كان ما قبلها مفتوحاً فبألف ، نحو : لن يقرأ ،
إلا أن تكون هي مضمومة فبواو ، إن قلنا بالتسهيل بين الهمزة والواو ، وبالياء إن
قلنا بإبدالها ياء ، وقيل : إن أنضم ما قبلها أو أنكسر ، فكما قبل الاتصال بالضمير ،
فتجعل صورتها على حسب الحركة قبلها . وإن أنفتح ما قبلها وأنفتحت فبالألف ،
نحو : لن يقرأ ، وكذلك إذا أنفتح ما قبلها ومكنت نحو : لم يقرأ ، ولم ينبا ،
وأقرأ ، وإن نشأ وما أشبهه . وإن أنفتح ما قبلها وأنضمت فبالواو ، نحو : يقرؤ .
وقيل : بالواو والألف كما كتبوا في المصحف : ﴿ قُلْ مَا يَعْْبُؤْا ﴾ و ﴿ نَبِؤْا الْخُصْمِ ﴾
و ﴿ يَبْدُؤْا الْخَلْقَ ﴾ ﴿ أَوْ مَنْ يُنْشِؤْا ﴾ بواو وألف في الجميع . أو أنكسرت وبالياء ،
نحو : من المقرئ ، وقيل بها وبألف كما كتبوا في المصحف : ﴿ مِنْ نَبِئِ الْمُرْسَلِينَ ﴾
بألف وياء .

تنبيه

- قد تقدم في الحذف أن همزة الوصل تحذف في بعض مواضع وتثبت فيما عداها .
 فحيث ثبتت ، كتبت بحسب حالها إذا ابتدئ بها . فإن كانت يبتدأ بها مضمومة ،
 كتب ما يليها واوا إن كانت همزة أو واوا مبدلة منها ، نحو : أوئمن فلان ، وقات لك
 أوامر فلانا بكذا ، وإن كانت يبتدأ بها مكسورة ، كتب ما يليها ياء إن كانت همزة
 أو ياء مبدلة منها ، نحو : أئذن لي يا زيد ، ائت القوم ، ائت عليهم كذلك وإن كان
 النطق بها واوا بضم ما قبلها ، نحو : ﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِّي ﴾ تكتبه ياءً على الهمزة
 في الابتداء بها ، ويستثنى فاء اِفعال من نحو يوجل مثل يؤسن فإنها تكتب واوا
 بعد الواو والفاء كما في قولك فآوجل ، وآوجل . يكتبان بإثبات ألف الوصل ،
 والواو بعدها ولم يكتبوها على ابتداء الهمزة . أما بعد غير الواو والفاء ، فإنها تكتب
 بحسب الابتداء بها ، نحو : قلت لها آيجلي ، أوثم آيجلي ، وقلت لكم آيجلوا ، فإنك
 تلفظ به واوا وتكتبه ياء للانفصال ، وإن كانت قبلها كسرة كانت ياء لفظاً وخطاً ،
 نحو : قلت لك آيجلي ، وكذلك إذا ابتدئ بهمزة الوصل ، نحو : آيجلي يا هند .
- وأعلم أنه إذا وقعت همزة أستفهام وبعدها همزة قطع صورت همزة القطع
 بعدها بحانس حركتها . فإن كانت الحركة فتحة كتبت ألفاً ، نحو : أسجد ، وإن
 كانت الحركة ضمة كتبت واوا ، نحو : أوئزل ، وإن كانت الحركة كسرة كتبت ياء ،
 نحو : أئتك لأنها إذا خُففت بالبدل كان إبدال المفتوحة ألفاً ، وإبدال المضمومة
 واوا ، وإبدال المكسورة ياء . وقد تحذف المفتوحة خطأ فتكتب بألف واحدة ،
 نحو : أسجد كما في رسم المصحف .
- وآختلف في الساقطة من الهمزتين والحالة هذه ، فقيل الثانية ، وهو قول أحمد
 ابن يحيى ، وقيل الأولى وهو قول الكسائي .

فلو كانت ثلاث ألفات في اللفظ، نحو قوله تعالى: (أَلِهْتَنَا خَيْرٌ) فقال أحمد ابن يحيى: تكتب بواحدة.

وآختلف في الثابتة، فذهب الفراء وثعلب وآبن كيسان إلى أنها الاستفهامية لأنها حرف معنى. وحكى الفراء عن الكسائي: أنها الأصلية، وحكاها آبن السيد عن غير الكسائي وحكى عنه أنها ألف الجمع.

وقد تكتب غير المفتوحة ألفاً، نحو قوله: أإنك، لأن الألف هي الأصل، والهمزة حرف زائد لمعنى كالواو والفاء فلا يعتد به، لكنه قليل، والله أعلم.

الجملة الثانية

في حالة التركيب والفصل والوصل

وأعلم أن الأصل فصل الكلمة من الكلمة، لأن كل كلمة تدل على معنى غير معنى الكلمة الأخرى، فكما أن المعنيين متميزان فكذلك اللفظ المعبر عنهما يكون متميزاً. وكذلك الخط النائب عن اللفظ يكون متميزاً بفصله عن غيره. ويستثنى من ذلك مواضع كتبت على خلاف الأصل:

(منها) أن تكون الكلمتان كشيء واحد، وذلك في أربعة مواضع:

الموضع الأول - أن تكون الكلمتان قد رُكبتا تركيب مزج، مثل: بعلبك، لبدل على أن التركيب الذي يُعتبر فيه وصل الكلمة بالأخرى هو تركيب المزج، وهو أن يتحد مدلول اللفظين. بخلاف ما إذا رُكبتا تركيب إسناد، نحو: زيد قائم، أو تركيب إضافة، نحو: غلام زيد، أو تركيب بناء، لم يتحد فيه مدلول اللفظين، نحو: خمسة عشر، وصباح مساء، وبين بين، وحيص بيص، فإن هذا كله يكتب مفصلاً لا تخاط فيه كلمة بأخرى.

(١) لعله يفتقر.

الموضع الثاني - أن تكون إحدى الكلمتين لا يبدأ بها في اللفظ ، نحو الضمائر البارزة المتصلة ، ونون التوكيد ، وعلامة التانيث والذمئية والجمع في لغة أكلوي البراعيت ، وغير ذلك مما لا يمكن أن يبدأ به ، فكل هذا يكتب متصلا وإن كان من كلمتين .

الموضع الثالث - أن تكون إحدى الكلمتين لا يوقف عليها ، وذلك ما كان نحو باء الجتر ، وفاء العطف ، ولام التأكيد ، وفاء الجزاء ، فإن هذه الحروف لا يوقف عليها . فلما امتزجت في اللفظ امتزجت في الخط فتكتب متصلة ، وإن كانت في الحقيقة كلمتين .

الموضع الرابع - أن تكون الكلمة مع الأخرى كشيء واحد في حال قاما فتصحب لها الاتصال غالبا ، مثل : بعلبك ، إذا أعرب إعراب المضاف والمضاف إليه ، فإن هذا الإعراب يقتضي أن تفصل إحدى الكلمتين من الأخرى ، لأن الإعراب قد فصلهما . أما إذا أعرب إعراب ما لا يصرف فلا يصح فيه الفصل أصلا ، لأن اللفظ الثاني منتهى الأتم ، فهو مهرد في المعنى وفي اللفظ .

وكتبوا لئلا مهموزة وغير مهموزة بالياء (وكان القياس أن تكتب بالألف) كما تكتب لأن إذا كانت اللام مكسورة بالألف فكذلك إذا زيدت عليها لا ، إلا أن الناس أتبعوا رسم المصحف ، وكذلك لئن فعلت كذا تكتبه بالياء أتباعا للمصحف ، وإن كان القياس أن يكتب بالألف . وسيأتي الكلام على وصل لا بأن فيما بعد إن شاء الله تعالى

(ومنها) توصل من الجازة وهي المكسورة الميم بما بعدها بعد حذف النون منها على ما تقدم في موضعين .

الموضع الأول - توصل يمين المفتوحة الميم مطلقا ، سواء كانت موصولة ، نحو : أخذت الدرهم يمين أحذته منه ، أو موصوفة كما في المثال المذكور فإنها فيه تحمل

المعنيين جميعا، أو استفهامية، نحو: **مِمَّنْ** أنت؟ أو شرطية، نحو: **مِمَّنْ** تأخذ درهما
أخذ منه، وإنما وصلت بها لأجل اشتباهها خطأ إذ لو كتبتا **مِنْ** من لكانتا
مشتبهتين في الصورة، فأدغمت نون **مِنْ** في ميم **مِمَّنْ** ونزلت منزلة المدغم في الكلمة
الواحدة، فلم يجعل له صورة بل حذف مع كته متصلا، وقد تقدم الكلام
على ذلك في الحذف. هذا هو المشهور الراجح.

وقال الأستاذ ابن عصفور: إن كانت من استفهامية، كتبت مفصولة على قياس

ما هو من المدغمات على حرفين.

الموضع الثاني - توصل بعد حذف النون أيضا بما، إذ كانت موصولة، نحو:

عجبتُ مما عجبتَ منه، أو استفهامية، نحو: **مِمَّ** هذا الثوب؟ أو زائدة كما في قوله تعالى:

﴿مِمَّا خَطَايَاهُمْ أُغْرِقُوا﴾. أما إذا كانت شرطية، نحو: **مِنْ** ما تأخذ أخذًا، أو موصوفة،

نحو: **أَكَلْتُ** من ما **أَكَلْتُ** منه، فإن القياس يقتضى أن تكون مفصولة.

وقال الأستاذ أبو الحسن بن عصفور: إذا كانت ما غير استفهامية، كتبت **مِنْ**

معها، وقضيته أنها لا تكتب متصلة إلا في حالة الاستفهام فقط، وتكتب منفصلة
فيما عداها.

قال الشيخ أنير الدين أبو حيان رحمه الله: والأول أصح لأن علة الوصل في **مِمَّنْ**

منفردة في **مِمَّا**، وهي التباس اللفظين خطأ.

(ومنها) توصل عن **بِمَا** بعدها بعد حذف النون منها على ما تقدم، في موضعين:

الموضع الأول - توصل **بِمِمَّنْ** الموصولة غالبا، نحو: **رَوَيْتُ عَنْ رَوَيْتَ عَنْهُ**،

ويجوز فصلها، فتفصل عن **مِنْ** وتثبت النون في **عَنْ**، وأما **مِنْ** غير الموصولة،

فالتقياس فصلها، فتكتب في الاستفهام عن **مِنْ** تسأل؟ وفي الشرط، عن **مَنْ** ترض

أرض عنه، فتفصل عن **مِنْ** على ما مر.

وزعم ابن قتيبة أن عن مَنْ تكتب موصولة بكل حال، سواء الموصولة وغيرها كما تكتب عم وعمما موصولة من أجل الإدغام . وزعم غيره أنه لا يؤثر الإدغام في ذلك لأنهما كلمتان إلا في نحو : عما قليل لزيادتها .

الموضع الثاني - توصل بما الاستفهامية، كما في قوله تعالى: (عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ) وتحذف الألف من ما على ما تقدم في الحذف .

(ومنها) توصل مع بما إذا كانت زائدة، وتقطع إذا كانت موصولة، قاله ابن قتيبة .
(ومنها) توصل في بمن في موضعين :

الموضع الأول - توصل بمن الاستفهامية دائما، نحو قولك : فيمن تفكر؟ ولكن لا تحذف الياء منها كما حذف النون من عن ومن، إذ لا إدغام هنا .

الموضع الثاني - توصل بما إذا كانت موصولة في الغالب، نحو: فكَّرتُ فيما فكَّرتُ فيه، ولا تستنط الياء على ما مر . ويجوز في هذه الحالة فصلها، فتفصل "في" عن "ما"، وتكتب على هذه الصورة "في ما". وكذلك توصل بما إذا كانت استفهامية، نحو قوله تعالى: (فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا) ولا تحذف ياءها كما تقدم .

أما مع إذا اتصلت بما أو بمن، فإنها تكتب منفصلة . قاله ابن قتيبة .

قال بعض النحاة : أظن سبب ذلك قلة الاستعمال، وإلا فما الفرق بين مع وبين في . قال : وقد يمكن أن يفرق بينهما في الأسمية، فإن في لا تكون إلا حرفا، ومع إن تحركت كانت أسما، وإن سكنت، بخلاف الأصح الأسمية، وأيضا فإنها تنفصل مما بعدها .

(ومنها) توصل الحروف النواصب للأسم، الروافع للخبر، إذا دخلت على ما الزائدة

نحو: وإنما وكأنما وليتا، فتكتب إنَّ وكأنَّ وليتَ متصلات بما، نحو: إنما فعلت كذا،

وإنما كلمتُ أخاك، وإنما أنا أخوك، وكأنما وجهه قمر، وليتا هذا الشيء لي،

ونحو ذلك . فإن كانت ما موصولة ، كتبت مفصولة ، نحو : **إِنَّ مَا قَلَّتْ لِحْقًا ، وَكَأَنَّ مَا حَدَّثَتْ صَحِيحًا ،** وليت ما لك لي . على أنه قد جاء في القرآن كثير من ذلك متصلا . وزعم بعضهم أنه لم يأت في القرآن مفصولا إلا قوله تعالى في الأنعام : **(إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآئٍ)** . وقد كتبوا في المصحف : **(إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٍ)** في الطور وغيره متصلا ، وكذلك : **(إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدًا سَاحِرٍ)** . مع رفع كيد ونصبه ، وإن كانت ما موصولة في الموضعين .

(ومنها) توصل قل بما إذا دخلت عليها ، نحو : **قَلَمًا أَلَيْتُكَ مِائَةَ مَرَّةٍ** .

(ومنها) توصل إن الشرطية بلا إذا دخلت عليها بعد حذف النون ، نحو : **(إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنَّ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ)** .

(ومنها) توصل إن الشرطية بما إذا جاءت بعدها بعد حذف النون ، نحو : **(وَإِنَّمَا تَخَافَنَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٌ)** . وإنما حذف النون في هذه وما قبلها لإدغامها كما في **مَا وَعَمَّا وَنَحْوَهُ** .

(ومنها) توصل أين بما ، نحو : **(أَيْنَمَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ)** . لأن ما إذا دخلت على أين صارت جازمة إذ تقول : أين تكون أكون ، فترفع النون ، فإذا دخلت عليها ما ، قلت : أينما تكن أكن بخزمت ، فصارت أين وما كأنها كلمة واحدة . فإن كانت ما موصولة ، فصلت نحو : أين ما اشتريت ، تريد أين الذي اشتريت .

ولم يصلوا متى بما بل كتبوها منفصلة عنها ، إذ لو وصلت للزم قلب الياء ألفا كما في **نَحَامٍ ، فَكَتَبَ مَتَامَ فَيَتَعَدَّرُ إِدْرَاكَهَا** .

(ومنها) توصل حيث أيضا بما ، نحو : **(وَحَيْثُمَا كُنْتُمْ فَوَآؤُوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ)** . كما تقدم في أين .

(ومنها) توصل كل بما المصدرية، إذا دخلت عليها، نحو: كَلَّمَا جِئْتَنِي أَحْسَنْتُ
إِلَيْكَ . فإن كانت زكرة منعوتة كتبت مفصولة، نحو: كَلُّ مَا تَفْعَلُ حَسَنٌ ، وكَلُّ
مَا كَانَ مِنْكَ حَسَنٌ .

قال ابن قتيبة: وكَلُّ مَنْ مَقْطُوعَةٌ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَمَكَانٍ .

٥ (ومنها) توصل هل بِلا، وتحذف إحدى اللامين على هذه الصورة (هَلَّا فَعَلْتَ)
وتقطعها من بل، فتكتب (بَلْ لَا تَفْعَلْ) .

قال ابن قتيبة: والفرق بينهما أن لا إذا دخلت على هل تغير معناها، فكانها
معها كلمة واحدة، وإذا دخلت على بل لم تغير المعنى تقول: بل تَفْعَلْ، وبل
لا تَفْعَلْ، كما تقول: كي تَفْعَلْ، وكي لا تَفْعَلْ .

١٠ (ومنها) توصل بين بما الزائدة، نحو: بَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ، وَبَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي .

(ومنها) توصل أيُّ بما إذا كانت ما زائدة كما في قوله تعالى حكاية عن موسى
عليه السلام: (أَيُّمَ الْأَجَايِنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ) وكما تقول: أَيُّمَ الرَّجُلَيْنِ
لَقِيتَ فَكَرَمٌ . فإن كانت ما موصولة قطعت فتكتب أيُّ ما تراه أَوْفَقُ، أيُّ ما عندك
أَفْضَلُ، مَقْطُوعَةٌ .

١٥ (ومنها) يُوَصَّلُ يَوْمٌ وَحِينَ بِإِذٍ مِنْ قَوْلِكَ يَوْمَئِذٍ وَحِينَئِذٍ، وَكَانَ الْقِيَاسُ الْفَصْلُ،
عَلَى مَا تَقَدَّمَ فِي الْهَمْزَةِ .

(ومنها) توصل لَيْنٌ وَلَيْنًا وَإِنْ كَانَ كُلُّ مِنْهُمَا كَلِمَتَيْنِ . إذ الأصل لَيْنٌ وَلَيْنٌ لَا
وَقَدْ تَقَدَّمَ بَيَانُ كِلَيْهِمَا بِالْيَاءِ دُونَ الْأَلْفِ، لِكَوْنِهِمْ جَعَلُوهُ مَعَ مَا بَعْدَهُ كَالشَّيْءِ الْوَاحِدِ

٢٠ (ومنها) توصل أن المفتوحة بلا إذا دخلت عليها بعد حذف النون على أحد
الأقوال فتكتب على هذه الصورة (أَلَا) (والثاني): تفصل منها وتثبت النون، فتكتب على

- هذه الصورة : (أن لا يقوم) . و (الثالث) : يُفَصَّلُ بَيْنَ أَنْ تَكُونَ مَخْفَفَةً عَنِ الثِقِيلَةِ ، فَتَكْتُبُ مَفْصُولَةً نَحْوُ : عَلِمْتَ أَنْ لَا يَقُومُ زَيْدٌ ، وَعَلِمْتَ أَنْ لَا ضَرَرَ عِنْدَكَ ، .
التقدير أنه لا يقوم وأنه لا ضرر عندك ولذلك ثبتت في قوله تعالى : ﴿ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ﴾ أو ناصبة للفعل فتقدر كتبها متصلة على اللفظ وتحذفها في الخط ، نحو : يعجبني ألا تقوم ، وهو قول الأخفش وابن قتيبة واختيار ابن السيد .
- (والرابع) : التفصيل بين أن تدغم بَغْنَةً ، فَتَكْتُبُ مَفْصُولَةً ، أَوْ بغير غَنَّةٍ فَيَنْوِي الْإِتِّصَالَ ، وتحذف خطأ . ويروى عن الخليل ، وأستحسنه بعض الشيوخ : وقد وقع في القرآن مواضع متصلة ومواضع منفصلة فيجب اتباعها اقتداء بالسلف . وقد وقع في المصحف وصل مواضع القياس فصلها ، فيجب وصلها في المصحف اتباعا لرسمه ، وتوصل في غيره في الغالب أو في بعض الأحوال .
- ١٠ (ومنها) وصلت بئس بما في موضعين :
- أحدهما - ﴿ بِئْسَمَا أَشْتَرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ ﴾ في البقرة .
والثاني - ﴿ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي ﴾ في الأعراف .
- (ومنها) وصلت نعم بما للإدغام . وحكى ابن قتيبة فيه الفصل والوصل .
- ٥٥ (ومنها) وصلت إن بلم مع حذف النون للإدغام في قوله تعالى : ﴿ قَالِمٌ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ ﴾ في هود ، بخلاف التي في القصص فإنها كتبت مفصولة بإثبات النون .
- (ومنها) وصلت أن بلن مع حذف النون للإدغام في سورة الكهف في قوله : ﴿ أَلَنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴾ .
- (ومنها) وصلت أم بمن في نحو قوله تعالى : ﴿ أَمْ مِنْ هُوَ قَائِلٌ ﴾ .
- ٥٠ قال حمد بن عيسى : كل ما في القرآن من ذكر أم فهو موصول إلا أربعة مواضع :

في النساء : (أُمُّ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَيَكِلًا) . وفي التوبة : (أُمُّ مَنْ أَسَسَ بُيَاتَهُ) .
وفي الصافات : (أُمُّ مَنْ خَلَقْنَا) . وفي فصلت : (أُمُّ مَنْ يَأْتِي آمِنًا) .

(ومنها) وصلت كي بلا في نحو : كَجَلًا وَكَجَلًا في أربعة مواضع في المصحف :
(لِكَلًا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ) في آل عمران . و (لِكَلًا يَعْلَمُ بَعْدَ عِلْمٍ شَبِيحًا) في الحج .
و (لِكَلًا يَكُونُ عَلَيْكَ حَرَجٌ) في الأحزاب . و (لِكَلًا تَأْسُوا) في الحديد .
وما عداها فهو مقطوع كما في أول الأحزاب .

ووجه ابن قتيبة المقطوع بأنك تقول : أتيتك كي تفعل وكي لا تفعل ، كما تقول :
حتى تفعل وحتى لا تفعل فيختلف المعنى باللفظ والإثبات فيه .

الفصل الخامس

من الباب الثاني من المقالة الأولى

فما يُكْتَبُ بالظاء ، مع بيان ما يقع الاشتباه فيه مما يُكْتَبُ بالضاد ،
وإنما خصت الظاء بالذكر دون الضاد لقلّة وقوع الظاء وكثرة وقوع الضاد ،
وخصّ ما يكتب بالظاء بالذكر دون ما يكتب بالذال المعجمة ، لأن الدال والذال
في صورة الكتابة واحد ، فلا يظهر خطأ الكاتب فيه ، بخلاف الظاء والضاد ، فإن
شكّلهما مختلف فيظهر خطأ الكاتب وعوّاره فيه ، فلذلك وقعت العناية بالتنبيه على
ما يكتب بالظاء دون ما يكتب بالذال المعجمة .
وقد أوردته على حروف المعجم ليقترب تناوله
حرف الألف

فيه — اظله الشيء : إذا عشيّه ؛ أما أصله من الضلال إذا ضلّ دابته إذا ندت ،

فبالضاد .

حرف الباء

فيه - بهَّظَه الأمرُ : إذا أتعبه . وفيه ، البَطْرُ ، وهو اللَّحْمَةُ المتدلية من فرج المرأة ، التي تُقَطَّعُ بِالْحَتَّانِ .

حرف التاء المثناة فوق

فيه - التَّقْرِيطُ ، وهو المدح ، والتَّامُّظُ ، وهو تحريك الشفتين بعد الأكل .
لأبتلاع ما حصل بين الأسنان .

حرف الجيم

فيه - الجَوَاطُ ، وهو الجاني المتكبر ، أو الأَكُولُ ، والجُحُوظُ ، وهو نُتُو العين ونُدُورها ، ومنه أبو عثمان الجاحظُ ، وجَحَظَةُ البرمكي .

حرف الحاء المهملة

فيه - الحِنَظُ ، وهو ضدُّ النَّبِيَانِ ، والحَنِيفَةُ ، وهي المَوْجِدَةُ ، والحِظُّ ، وهو الغنى والنصيب . ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَدُو حِظِّ عَظِيمٍ ﴾ . وقوله : ﴿ لِلدَّكْرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَى ﴾ . أما الحِصُّ بمعنى الحث فإنه بالضاد . ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَخْشَى عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴾ . والحِطْوَةُ ، وهي الرفعة ، والحِظْرُ ، وهو المنع . ومنه قوله تعالى : ﴿ كَلَّا بَعْدَ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ . وقوله : ﴿ كَنَهَشِمِ الْمُحْتَظِرِ ﴾ . وفي معناه الحِظِيرُ ، وهو المحوِّط من قصب ونحوه . أما الحِضُورُ خلاف الغيبة فإنه بالضاد ، والحِظْلُ ، وهو السَّيَاتُ المرء المعروف .

حرف الشين المعجمة

فيه - الشَّيْطِيَّةُ ، وهي القِطْعَةُ من الشيء ، والشَّطَّاطُ ، وهي عِيدَانُ لِيَطَافُ بِمِجْمَعِهَا الْعِدْلَانُ ، والشَّطْفُ ، وهو خُسُونَةُ العيش ، والشُّوَاظُ ، وهو لَهَبُ النَّارِ .

ومنه قوله تعالى : ﴿رُسُلٌ عَلَيْكَ سُورَاتٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٍ﴾ . والشَّيْظُ ، وهو الفرس الطويل الظهر ، والشَّيْظِيُّ ، وهي أطراف الجبال .

حرف الظاء المعجمة

- فيه - الظَّنُّ ، بمعنى التخمين والشك ، والظَّنَّةُ ، وهي التهمة . أما الضَّنُّ بمعنى البخل فإنه بالضاد ، وعلى المعنيين قرئ قوله تعالى : ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ .
- بالضاد والظاء ، لانتجاء المعنيين في النبي صلى الله عليه وسلم إذ ليس يتجبل ولا منهم ، وفيه ظَلَّ يفعل كذا : إذا فعله نهأرا . ومنه قوله تعالى : ﴿فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾ . وقوله : ﴿فَظَلَّمْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ ، وقوله : ﴿وَإِنظُرْ إِلَى إِلْمِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾ .
- أما ضَلَّ من الضلال ، خلاف الهدى ، وضلَّ الشيءُ : إذا ضاع ، فالبضاد . وفيه الظُّلُّ ، خلاف الحرِّ حيثما وقع وما يُسْتَقُّ منه ، والظُّمُّ وما يتشعب منه ، والظَّلام وما يتفرع منه ، والظَّلم (بفتح الظاء) وهو ماء الأسمان ، والظُّلْمُ ، وهو ذكْر النعام ، والظُّبِيُّ : واحد الطِّبَاءِ ، والظُّبِيَّةُ الأنثى منه ، والظُّبِيَّةُ : حياءُ الناقة ، والظُّبَةَ ، وهو حدُّ السيف ، والظُّرْفُ ، وهو الوعاء الحسن ، والظُّعْنُ ، وهو السفر . ومنه قوله تعالى : ﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾ . والظُّرَابُ ، وهي الميضاب . أما الضَّرَابُ مصدر ضاربتُه فإنه بالضاد ، والظُّعِينَةُ ، وهي المرأة ، والظُّلْفُ ، وهو للبقر والغنم كالحافر للخيل ، والظُّلْفُ ، وهو نزاهة النفس ، والظُّفْرُ ، واحد الأظفار ، والظُّفْرُ ، وهو النصر . أما ضَفْرُ الشعر ونحوه بالضاد ، والظُّرُّ ، وهي المُرِضْعَةُ ، والظُّهْرُ ، وهو العضو المعروف . أما الضَّهْرُ ، وهو صخرة في الجبل يخالف لونها لونه فإنه بالضاد ، والظُّهَيْرُ ، وهو المَعِينُ ، والظُّهْبَةُ ، وهي وسط النهار ، والظُّمًا ، وهو العطش ، والظُّرَارُ جمع ظُرٌّ ، وهو الغليظ من الأرض . أما الضَّرِيرُ بمعنى الأعمى فبالضاد ،

والظربان ، وهي دويبة منتنة الريح ، والظلع ، وهو العمز يقال : ناقة ظالع إذا عمزت في المنى . أما الضلع واحد الأضلاع فإنه يكتب بالضاد ، ومنه قولهم : فرس ضايع .

حرف العين المهملة

فيه - العظم ، وهو معروف ، والعظمة ، وهي الكبرياء وما تصرف منها ، وعظه الدهر وعظته الحرب . أما العضم بالأسنان فبالضاد ، والعظم^(١) ، وهو الشدة ، ومنه تعاضل الجراد والكلاب في السفاد . أما العضم بمعنى المنع فإنه بالضاد ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ ﴾ . وكذلك قولهم : أعضل الأمر إذا صعّب . ومنه الداء العضمال ، وسوق عكاظ ، وهو سوق كان يقام للعرب في الجاهلية ، وأصل العكيط الحبس .

حرف الغين المعجمة

فيه - الغيظ بمعنى الحنق وما تفرع عنه ، أما غاض الماء بمعنى غار ، والغیضة ، وهي منبت الشجر في الماء بالضاد ، والغیظ وما تصرف منه

حرف الفاء

فيه - الفظاظة ، وهي القسوة ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَليظَ القلبِ ﴾ . أما أنفضاض الجمع بالضاد ، ومنه قوله تعالى : ﴿ لَا تَنْفُضُوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ . وكذلك أنفضاض البكر والكاتب ، والفظيع ، وهو الشنيع ، وفاظ الرجل إذا مات . أما فيض الإناء والدمع بمعنى السيلان بالضاد ، ومن ثم جاز أن يكتب فاظت نفسه بالفاء على معنى ماتت نفسه ، ويجوز أن يكتب بالضاد على معنى سألت نفسه .

(١) كذا في الضو. أيضا بالفاء المشاة . وفي اللسان مادة (ع ض ل) : « وأصل العضم المنع

والشدة » أي بالضاد السابقة ، ولم يذكر بهذا المعنى في مادة (ع ظ ل) .

المقالة الثانية

في المسالك والممالك ؛ وفيها أربعة أبواب

الباب الأول

في ذكر الأرض على سبيل الإجمال

وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول

(في معرفة شكل الأرض ، وإحاطة البحر بها ، وبيان جهاتها الأربع ، وما أشتمت عليه من الأقاليم الطبيعية ، وبيان موقع الأقاليم العرفية من الأقاليم الطبيعية ، وذكر حدودها الجامعة لها ، ومعرفة طريق استخراج جهة كل بلد ، وفيه طرفان) .

الطرف الأول

في شكل الأرض ، وإحاطة البحر بها

أما شكل الأرض فقد تقرر في علم الهيئة أن الأرض كُرِّيَّة الشكل والماء مُحِيط بها من جميع جهاتها إلا ما أفضته العناية الإلهية من كشف أنبلاها لوقوع العبارة فيه ؛ وقيل هي مُسَطَّحة الشكل ؛ وقيل كالترس ؛ وقيل كالطبل . والتحقيق الأول وبكل حال فالماء مُحِيط بها من جميع جهاتها كما تقدم .

قال في "تقويم البلدان" : وأحواله معلومة في بعض المواضع دون بعض ، فمن المعلوم الحال الجانب الغربي ويسمى بحر أوقيانوس (بهمزة مضمومة بعدها واو ساكنة ثم قاف مكسورة ثم ياء مشناة تحت مفتوحة ثم ألف بعدها نون ثم واو ثم سين مهملة) .

(١) : هذه الفقرة تناسب الكلام على البحار وقد ذكرها هناك .

ثم للأرض أربع جهات :

الأولى - المشرق ؛ سميت بذلك لشروق الشمس منها ؛ ويقال لها الشرق أيضا .

الثانية - المغرب ؛ سميت بذلك لغروب الشمس فيها ؛ ويقال لها الغرب أيضا .

الثالثة - الشمال (بفتح الشين) وهي التي إذا استقبلت المشرق كانت على شمالك ^(١)

ويقال لها الشام أيضا ، لأن الشام كانت في جهة الشمال عن بلاد العرب فسميت

الجهة به ؛ وأهل مصر يسمون هذه الجهة : البحرية ، لكونها جهة البحر الرومي ،

أو تسمية لها بأسم الرياح التي تهبُّ منها ، فقد سبق أنهم يسمون الرياح التي تهبُّ من

الشمال البحرية ، لأنها يسارها في البحر كيف كان .

الرابعة - الجنوب (بفتح الجيم) وهي التي إذا استقبلت المشرق كانت على جانبك

الأيمن ولم يُسمَّ بالأيمن كما سُمِّيَ بمقابلته بالشمال ، لأنه لما ذكر الشمال لم يبق إلا الجانب

الأيمن فاستغني عن ذكره ؛ وأهل مصر يسمون هذه الجهة : القبليّة ، لوقوعها في جهة

قبليتهم ولذلك يبدؤون بها في التحديد ، وإن كان الأصل الابتداء بالشرق ، لأن منه

مبدأ حركة النّلك .

ثم سُكِّرت الأرض يقسمها خط في وسطها بنصفين : نصف جنوبي ، ونصف

شمالِي ؛ ويسمى هذا الخط خط الاستواء ، لأستواء الليل والنهار عنده في جميع فصول

السنة ؛ ويقاطعه خط آخر يقسمها بنصفين : نصف شرقي ونصف غربي ؛ وتصير

الأرض به أربعة أرباع ، ويسمى هذا الخط خط نصف النهار لمسامتة الشمس له

في نصف النهار ، وكلُّ من هذين الخطين مقسوم بمائة وثمانين درجة ، كل درجة

ستون دقيقة . وسيأتي تقدير ذلك بالأميال والفراسخ والمراحل والبُرد في الكلام على

بُعد ما بين البلدان فيما بعد إن شاء الله تعالى .

(١) في الأصل : «المغرب» وكوخطا .

وأعلم أن كُلاً ما بُعد عن أقصى العِمارة في المغرب إلى جهة المشرق يعبر عنه عند علماء الهيئة والميقات بالطول؛ وقد اختلف في ابتداء ذلك : فالقدماء ابتدؤوه من جزائر البحر المحيط تُعرف بالخالدات، يأتي الكلام عليها في جملة جزائر البحر المحيط، والمحققون على ابتداء ذلك من ساحل البحر المحيط الغربي الذي هو أقصى العِمارة الآن، وبينهما عشر درج، ونهاية العِمارة في المشرق موضع يُقال له كُنْدُر؛ ومنتصف ما بين الابتداء والنهاية الشرقية يسمى قبة أرين، ويعبر عنه بقبة الأرض؛ وهي على بعد رُبْع الدَّور من المبدأ الغربي، ويختلف الحال فيه باختلاف الابتداء من الجزائر الخالدات أو من الساحل. وما بُعد عن خط الأستواء المقدم ذكره يعبر عنه بالعرض؛ فإن كان في جهة الجنوب فالعرض جنوبي، وإن كان في جهة الشمال فالعرض شمالي. ويعتبر الطول والعرض في الأمكنة من البلدان وغيرها بالدرج والدقائق على ما سيأتي بيانه فيما بعد إن شاء الله تعالى.

ثم النصف الجنوبي من الأرض لا عِمارة فيه إلا فيما قارب خط الأستواء في بعض بلاد الزنج والحبشة، وما والى ذلك مما لا يزيد عرضُه على ثلاث درج فيما أورده السلطان عماد الدين صاحب حماه في "تقويم البلدان" أو ست عشرة درجة وخميس وعشرين دقيقة فيما ذكره إسحاق الحارثي وغيره. وأكثر المعمور إنما هو في النصف الشمالي؛ والعِمارة فيه فيما بين خط الأستواء إلى نهاية ست وستين درجة ونصف درجة في العرض؛ وما وراء ذلك إلى نهاية الشمال خراب لا عِمارة فيه، وغالب العِمارة واقع بينا يجاوز عرضُه عشر درج إلى حدود الخمسين درجة، وما وراء ذلك في جهة الجنوب إلى خط الأستواء، وفي جهة الشمال إلى حد العِمارة غالبه جبال وقفار؛ وغالب العِمارة في الطول من ساحل البحر المحيط الغربي إلى تسعين درجة فما دونها.

الطَّرَفُ الثَّانِي

فَمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ الْأَرْضُ مِنَ الْأَقَالِيمِ الطَّبِيعِيَّةِ

قد قَسَمَ الحَكَمَاءُ المَعْمُورَ إِلَى سَبْعَةِ أَقَالِيمٍ مُمْتَدَّةٍ مِنَ المَغْرِبِ إِلَى المَشْرِقِ فِي عُرُوضٍ قَلِيلَةٍ تَتَشَابَهُ أَحْوَالُ البِقَاعِ فِي كُلِّ إِقْلِيمٍ مِنْهَا ، ثُمَّ ائْتَفَقُوا فِي تَرْتِيبِهَا بِحَسَبِ العَرْضِ ، فَقَوْمٌ جَعَلُوا أِبْتَدَاءَ الْأَوَّلِ مِنْهَا خَطَّ الْأَسْتَوَاءِ ، وَآخِرَ السَّابِعِ مِنْتَهَى العِمَارَةَ فِي الشَّمَالِ وَهُوَ سِتُّ وَسِتُونَ دَرَجَةً عَلَى مَا تَقَدَّمَ .

قال في "تقسيم البلدان" : والذي عليه المحققون أن آبتداء الإقليم الأول حيث العَرَضُ اثْنَا عَشْرَةَ دَرَجَةً وَثَلَاثًا دَرَجَةً ، وَمَا وَرَاءَ ذَلِكَ إِلَى خَطِّ الْأَسْتَوَاءِ خَارِجٌ عَنِ الإِقْلِيمِ الْأَوَّلِ فِي جِهَةِ الجَنُوبِ ، وَآخِرَ الإِقْلِيمِ السَّابِعِ حَيْثُ العَرْضُ خَمْسُونَ دَرَجَةً وَثَلَاثَ دَرَجَةٍ ، وَمَا وَرَاءَ ذَلِكَ إِلَى نِهَايَةِ العُمُرَانِ فِي الشَّمَالِ خَارِجٌ عَنِ الإِقْلِيمِ السَّابِعِ إِلَى الشَّمَالِ فَيَكُونُ مِنَ العِمْرَانِ مَا لَمْ يَدْخُلْ فِي الإِقَالِيمِ السَّبْعَةِ ، وَعَلَيْهِ وَقَعَ التَّرْتِيبُ فِي هَذَا الكِتَابِ .

الإقليم الأول - مبدؤه حيث العَرَضُ اثْنَا عَشْرَةَ دَرَجَةً وَثَلَاثًا دَرَجَةً كَمَا هُوَ مَذْهَبُ المَحْقِقِينَ عَلَى مَا تَقَدَّمَ ، وَوَسَطُهُ حَيْثُ العَرْضُ سِتُّ عَشْرَةَ دَرَجَةً وَنِصْفٌ وَثَمَنُ دَرَجَةٍ ، وَآخِرُهُ حَيْثُ العَرْضُ عِشْرُونَ دَرَجَةً وَرَبْعٌ وَثَمَنُ دَرَجَةٍ ، فَتَكُونُ سَعْتُهُ سَبْعَ دَرَجَاتٍ وَثَلَاثِي دَرَجَةً وَثَمَنُ دَرَجَةٍ .

الإقليم الثاني - مبدؤه حيث العَرَضُ عِشْرُونَ دَرَجَةً وَرَبْعٌ وَثَمَنُ دَرَجَةٍ ، وَوَسَطُهُ حَيْثُ العَرْضُ أَرْبَعٌ وَعِشْرُونَ دَرَجَةً وَثَلَاثًا دَرَجَةً ، وَآخِرُهُ حَيْثُ العَرْضُ سَبْعٌ وَعِشْرُونَ دَرَجَةً وَنِصْفٌ دَرَجَةٍ ، فَتَكُونُ سَعْتُهُ بِالتَّقْرِيبِ سَبْعَ دَرَجٍ وَثَلَاثَ دَقَائِقٍ .

الإقليم الثالث - مبدؤه حيث العرض سبع وعشرون درجة ونصف درجة؛
ووسطه حيث العرض ثلاثون درجة وثلاثا درجة؛ وآخره حيث العرض ثلاث
وثلاثون درجة ونصف وثمان درجة بالتقريب؛ [فتكون سعته ست درجات وثمان
درجة بالتقريب^(١)].

الإقليم الرابع - مبدؤه حيث العرض ثلاث وثلاثون درجة ونصف وثمان
درجة؛ ووسطه حيث العرض ست وثلاثون درجة ونحو سدس درجة؛ وآخره
حيث العرض تسع وثلاثون درجة إلا عشرا؛ فتكون سعته خمس درجات
وسبع عشرة دقيقة بالتقريب.

الإقليم الخامس - مبدؤه حيث العرض تسع وثلاثون درجة؛ ووسطه
حيث العرض إحدى وأربعون درجة وربع درجة؛ وآخره حيث العرض ثلاث
وأربعون درجة وربع وثمان درجة؛ فتكون سعته أربع درجات وربع وثمان وعشر
درجة بالتقريب.

الإقليم السادس - مبدؤه حيث العرض ثلاث وأربعون درجة وربع
وثمان درجة؛ ووسطه حيث العرض خمس وأربعون درجة وعشر درجة؛ وآخره
حيث العرض سبع وأربعون درجة ونحو خمس درجة؛ فتكون سعته ثلاث درجات
ونصف وثمان ونحو خمس درجة.

الإقليم السابع - مبدؤه حيث العرض سبع وأربعون درجة ونحو خمس درجة؛
ووسطه حيث العرض ثمان وأربعون درجة ونصف وربع وثمان درجة؛
وآخره حيث العرض خمسون درجة وثلاث درجة؛ فتكون سعته ثلاث درجات
وثمان دقائق.

(١) الزيادة عن تقويم البلدان والضرورة.

وأما أطوال هذه الأقاليم فإنها تختلف في الطول والقصْر باعتبار القُرب من خط الأستواء والبعيد عنه ؛ فكلمًا قُرب الإقليم من خط الأستواء كان أكثر طولًا من الذي يليه : ضرورة أن أوسع الكُرّة وسَطُها وما بعده من الجانبين يفضّر شيئًا فشيئًا .

فطول الإقليم الأول - من ابتدائه من ساحل البحر المحيط الغربي إلى ساحل البحر المحيط الشرق فيما ذكره في "تقويم البلدان" مائة وأثنان وسبعون درجة وسبع وعشرون دقيقة .

- وطول الإقليم الثاني - مائة وأربع وستون درجة وعشرون دقيقة .
- وطول الإقليم الثالث - مائة وأربع وخمسون درجة وخمسون دقيقة .
- وطول الإقليم الرابع - مائة وأربع وأربعون درجة وسبع عشرة دقيقة .
- وطول الإقليم الخامس - مائة وخمس وثلاثون درجة وأثنان وعشرون دقيقة .
- وطول الإقليم السادس - مائة وست وعشرون درجة وسبع وعشرون دقيقة .
- وطول الإقليم السابع - مائة وتسع عشرة درجة وثلاث وعشرون دقيقة .

الفصل الثانى

من الباب الأول من المقالة الثانية

في البحار التي يتكرر ذكرها بذكر البلدان في التعريف بها والسفر إليها، وفيه طرفان:

الطرف الأول

في البحر المحيط

٥

وهو المستدير بالقدر المكشوف من الأرض . وأحواله معلومة في بعض المواضع دون بعض .

فن المعلوم الحال منه الجانب الغربي، ويسمى بحر أوقيانوس، وفيه الجزائر الخالدات المتقدم ذكرها في الكلام على الأطوال .

١٠ و يأخذ في الأمتداد من سواحل بلاد المغرب الأقصى من زقاق سبتة الذي بين الأندلس وبرّ العدوّة إلى جهة الجنوب حتى يتجاوز صحراء لمتونة، وهي بادية البربر بين طرف بلاد المغرب من الجنوب وبين طرف بلاد السودان من الشمال، ثم يمتدّ جنوباً على أرض خراب غير مسكونة ولا مسلوكة حتى يتجاوز خط الاستواء المتقدم ذكره إلى الجنوب .

١٥ قال الشريف الإدريسي : وماؤه هناك ثخين غليظ شديد الملوحة، لا يعيش فيه حيوان، ولا يسلك فيه مركب .

ثم يعطف إلى جهة الشرق وراء جبال القمر التي منها منابع نيل مصر الآتى ذكرها، فيصير البحر المذكور جنوبياً عن الأرض، ويمتدّ شرقاً على أرض خراب وراء بلاد الزنج، ثم يمتدّ شرقاً وشمالاً حتى يتصل ببحر الصين والهند، ثم يأخذ مشرقاً حتى يسامت نهاية الأرض الشرقية المكشوفة، وهناك بلاد الصين، ثم ينعطف

٢٠

في شرق الصين إلى جهة الشمال ويصير في جهة الشرق عن الأرض ، ويمتد شمالا على شرق بلاد الصين حتى يتجاوز حد الصين ، ويسامت سدّ ياجوج وماجوج ، ثم ينعطف ويستدير على أرض غير معلومة الأحوال ، ويمتد مغربا ويصير في جهة الشمال عن الأرض ، ويسامت بلاد الروس ويتجاوزها ، ثم ينعطف غربا وجنوبا ويستدير على الأرض ويصير في جهة الغرب منها ، ويمتد على سواحل أمم مختلفة من الكُفَّار حتى يسامت بلاد رومية من غربها ، ثم يمتد جنوبا ويتجاوز بلاد رومية ويسامت البلاد التي بينها وبين الأندلس ، ويتجاوزها إلى سواحل الأندلس ، ويمتد على غربي الأندلس جنوبا حتى يجاوزه وينتهي إلى زُقاق سبّنة الذي وقعت البداية منه .

الطَّرَفُ الثَّانِي

في البحار المنبثّة في أقطار الأرض ، ونواحي الممالك ، وما بها من الجزائر المشهورة ، وهي على ضربين

الضرب الأول

الخارج من البحر المحيط وما يتصل به

والمشهور منه ثلاثة أبحر :

البحر الأول

الخارج من البحر المحيط الغربي إلى جهة الشرق

وهو (بحر الروم) وأضيف إلى الروم لسكنى أممهم عليه من شماليه ، ويعبر عنه

بالبحر الرومي أيضا ، وقد يعبر عنه بالبحر الشامي ، لوقوع سواحل الشام عليه من

شرقية . ومخرجه من المحيط من بحر أوقيانوس المتقدم ذكره بين الأندلس وبرّ العدوّة

١٠

١٥

٢٠

من بلاد المغرب، ويُسمى هناك بحر الزقاق، وربما قيل زقاق سبتة، لمجاورته لها على ما سيأتي؛ وهو هناك في غاية الضيق .

قال الشريف الإدريسي: والثابت في الكتب القديمة أن سبته عشرة أميال ولكنه آتسع بعد ذلك .

قال ابن سعيد: وهو في زماننا ثمانية عشر ميلا .

قال في "الروض المعطار": ويذكر أنه كان عليه قنطرة عظيمة بين الأندلس وساحل طنجة من بر العدو، مبنية بالحجارة، لا يعلم لها نظير في معمور الأرض، يتر عليها الناس والدواب من جانب إلى جانب، وأن البحر قبل الفتح الإسلامي بمائة سنة طمى فأغرق القنطرة؛ وربما ظهرت لأهل المراكب تحت الماء . قال: والناس يقولون إنه لا بُدَّ من ظهورها قبل فناء الدنيا .

ويبتدئ هذا البحر من أول بحر الزقاق المقدم ذكره، ويمتد على (سواحل الغرب) إلى حدود الديار المصرية فيمتر على مدينة (طنجة) حيث الطول ثمان درج، والعرض خمس وثلاثون درجة ونصف؛ ثم يعطف جنوبا وشرقا إلى مدينة (سلا) . ثم يمتد شرقا وشمالا إلى مدينة (سبتة) ويمتد كذلك حتى يسامت مدينة (فاس) قاعدة المغرب الأقصى على بُعد منه؛ ثم يمتد إلى حدود مدينة (تلمسان) قاعدة الغرب الأوسط؛ ثم يأخذ شرقا بميلة إلى الشمال حتى يصير عند (الجزائر) فُرْضة بجاية، ويمتد حتى يسامت (بجاية) .

ثم يمتد حتى يجاوز مدينة (مرسى الحرز) الذي به مغاص المرجات شرق قسنطينة: آخر مملكة بجاية من الشرق، ثم يتجاوز مملكة بجاية إلى أول حدود إفريقية، ويمتد في سمت وسط المشرق حتى يقابل مدينة (تونس) قاعدة إفريقية من شمالها، ويدخل منه خور إلى تونس المذكورة .

ثم يمتد بعد أن يتجاوز تُونِس نحو تسعين ميلا شرقا نصفاً، ثم يعطف جنوباً حتى يصير له دخلة كبيرة في الجنوب؛ وفي فَمِ هذه الدخلة حيث يعطف البحر عن الشرق إلى الجنوب جزيرة (قَوْصَرَة) مقابلة لجزيرة صقلية .

ثم يمتد في الجنوب إلى قريب من مدينة (سوسة)؛ ثم يشرق إلى سوسة المذكورة ثم يأخذ شرقاً وجنوباً إلى مدينة (المهديّة)؛ ثم يمتد شرقاً وجنوباً حتى يتجاوز مدينة (صَفَاقِس)، ويمتد حتى يجاوز جزيرة (جربة)؛ ثم يعطف شمالاً ويصير للبر الجنوبي دخلة في البحر، ويمتد شرقاً وشمالاً حتى يبلغ مدينة (طرابلس) وهي آخر مدن إفريقية؛ ثم يمتد شرقاً حتى يجاوز حدود إفريقية عند طول إحدى وأربعين درجة، ثم يمتد شمالاً على سواحل (برقة) الآتي ذكرها في جملة نواحي الديار المصرية إلى (طامينا) ثم ينعطف إلى جهة الشمال، ويكون للبر في البحر دخلة إلى (رأس أوثان) وهو جبل داخل في البحر، ثم يشرق من رأس أوثان (إلى رأس تَنْبِي) وهو جبل في البحر قبالة رأس أوثان من جهة الشرق؛ ثم يعطف إلى الجنوب ويمتد جنوباً حتى يسامت (عقبة برقة) وهي أول حدود الديار المصرية، على ما يأتي ذكره في تحديدها .

ثم يمتد على سواحل مصر، ويمتد شرقاً وجنوباً إلى مدينة (الإسكندرية) من قواعد الديار المصرية .

ثم يأخذ شرقاً إلى عند مَصَبِّ فرقة النيل الشرقية، ويأخذ مشرقاً إلى (رشيد) [عند مصب فرقة النيل الغربية، ويمتد كذلك إلى مدينة (دمياط) عند مصب فرقة النيل الشرقية، ويأخذ شرقاً إلى الطينة^(١)] ثم إلى (الفرما) ثم إلى (العريش) ثم إلى (رَح) وهي منزلة في طرف رمل الديار المصرية من جهة الشام على مرحلة من

(١) الزيادة عن الضوء .

غَزْرَة ، حيث الطُّول نحو ستِّ وخمسين درجة ونصف والعرضُ اثنتان وثلاثون درجة ؛ ومن هنا ينقطع تشريقه .

- ثم ينعطف و يأخذ شمالاً على (سواحل الشام) الآتى ذكرها فى الكلام على المملكة الشامية فيمتد إلى مدينة (غَزْرَة) ، ثم إلى (عَسْقَلان) ، ثم إلى (يَافَا) ميناء الرملة من أعمال الصَّفقة الساحلية من دمشق ؛ ثم إلى (قَيْسَارِيَّة) . (بفتح القاف) وهى مدينة خراب تعدّ من جُند فلسطين ، كانت من أمّهات المُدن ، ثم إلى (عَثَلِيث) من أعمال صَفد ، ثم إلى (عَكَا) من أعمالها ، ثم إلى (صُور) من أعمالها ، ثم إلى (بَيْرُوت) من أعمال الصَّفقة الشمالية من دمشق ، ثم إلى (جُبَيْل) وهى مدينة قديمة خراب ، ثم إلى (أَنْفَة) من أعمال طرابلس ، ثم إلى مدينة (طرابلس) ، ثم إلى (أَنْطَرطُوس) من أعمالها ، ثم إلى (بَلْنِيَّاس^(١)) من أعمالها ، ثم إلى (جَبَلَة) من أعمالها ، ثم إلى (الَلَذِيَّة) من أعمالها ، ثم إلى (السُّوَيْدِيَّة) ميناء أنطاكية من أعمال حَلَب ، ثم يأخذ البحر غرباً بشمال (إِيَّاس) ، مدينة الفتوحات الجاهانية ، ثم إلى (المَصْبِيصَة) ثم إلى (أذنة) ثم إلى (طَرَسُوس) ثم يمتد شمالاً بغرب حتى يجاوز حدود بلاد الأرمن ؛ ويمتد على سواحل بلاد الروم التى هى الآن بيد البركان الآتى ذكرها فى مكاتبات ملوكهم إلى (الْكُرْك) . (بضم الكاف وسكون الراء المهملة)
- وهى بلدة بساحل بلاد المسلمين هى الآن بيد صاحب قبرس ، ثم يمرّ شمالاً إلى (العَلَايَا) ، ويقابلها من البرّ الآخر (دِمِيَّاط) من سواحل الديار المصرية تقريباً ؛ ثم يمرّ إلى (أَنْطَالِيَّة) ، ثم إلى (بِلَاط) ، ثم إلى (طنفزاو) ، ثم إلى (إِيَّاس أوق) ، ثم إلى (مَغْنِيْسِيَا) ، ثم إلى مدينة (ابزو) وهى بلدة على فم الخليج القسطنطينى من الشرق ، وبها يعرف الخليج فيقال فم ابزو ، ويقابلها من البرّ الآخر غربى مدينة الإسكندرية ، فيما بينها وبين بَرَقَة ؛ ثم يجاوز الخليج المذكور ، ويمتد مغرباً بميلة

(١) قال فى معجم البلدان : (بضم بين وسكون النون) . وفى القاموس : (بلنياس كسر طراط) فاعل فيه لغتين .

إلى الجنوب على سواحل الروم والفرنجة، فيمتر على بلاد المرآ، وهي مملكة أولها
فم الخليج القسطنطيني المتقدم ذكره من جانبه الغربي . كانت في الأيام الناصرية
(آبن قلاوون) مشتركة بين صاحب القسطنطينية وبين طائفة الكيتلان من الفرنج،
وقد فتحها الآن آبن عثمان وأستملكها من الروم .

ثم يأخذ بين الغرب والجنوب حتى يجاوز بلاد (الملفجوط) وهم جنس من الروم
لهم لسان ينفردون به . ويقابلها من البر الآخر شرقاً برقة، ثم يمتد في الغرب إلى بلاد
إقلىرس، ثم إلى بلاد الباسليسة، وهي امرأة ملكت هذه البلاد بعد السبعائة فعرفت بها .
ويقابلها من البر الآخر أوساط برقة . وبآخر هذه المملكة من جهة الغرب
(جُون البنادقة) وهو خليج يخرج من بحر الروم هذا، ويمتد غرباً بشمال حتى
يصير طرفه غربى رومية، وعلى طرفه مدينة (البندقية) ومن فمه إلى منتهاه نحو
سبعائة ميل، ثم يجاوز فم الخور المذكور إلى مملكة بولية، وأولها فم خور البنادقة
من الجانب الغربي، ويقابلها من البحر الآخر (طلميثا) فرضة برقة المتقدمة الذكر،
ثم يمتد في الغرب إلى بلاد (قلقرية) من جملة مملكة بولية المتقدمة الذكر .

ويقابلها من البر الآخر بلاد أطرابلس من بلاد إفريقية، ثم يمتد إلى ساحل
(رومية)، المدينة المعظمة المشهورة .

ويقابلها من البر الآخر شرقاً تونس من إفريقية . ثم ينقطع تغريبه ويأخذ
جنوباً حتى يجاوز سواحل بلاد رومية المذكورة إلى بلاد التسقان، وهم جنس من
الفرنج وبلادهم معروفة بنبات الزعفران .

ويقابلها من البر الآخر مدينة تونس : قاعدة إفريقية المتقدمة الذكر، ويمتد
في الجنوب إلى بلاد (بيزة) وهي بلدة على الركن الشمالى من جزيرة الأندلس إليها
ينسب الفرنج البيازنة والحديد البيزانى .

ويقابلها من البر الآخر (مَرَسِي الحَرَز) آخر مملكة بِجَايَة من الشرق على ما تقدم ذكره . ثم يمتد إلى بلاد (جَنَوَة) الآتي ذكرها في الكلام على البلاد الشمالية، ثم يأخذ غربا إلى جبل البُرت ، وهو الجبل الفاصل بين جزيرة الأندلس وبين الأرض الكبيرة ذات الأمم المختلفة ، ثم ينقطع تغريبه ويعطف مشرقا ويدخل الركن الشرقي من الأندلس فيه ، ويمتد في الشرق ، ويستدير على الركن المذكور، ثم يعطف غربا ويمتد على (سواحل الأندلس) إلى مدينة (بَرَشْلُونَة) ثم إلى مدينة (طَرطُوشَة) .

قال في "الروض المعطار" : ويقابلها من البر الآخر مدينة بجاية .

قال في (تقويم البلدان) : وعرض البحر بينهما ثلاثة مجار، ثم يمتد كذلك بين الغرب والجنوب إلى مدينة بلنسية ، ثم يعطف غربا إلى دانية ، ثم يمتد غربا بجنوب إلى مدينة مالقة ثم يمتد إلى الجزيرة ، وهي مقابلة لساحل سبنة وطنجة حيث وقع الأبتداء .
وسياتي الكلام على ضبط ما لم يُضبط من البلاد على ساحل هذا البحر بالحروف مع ذكر صفاتها عند التعرض لذكرها في الكتاب في مواضعها إن شاء الله تعالى .
وطول هذا البحر من البحر المحيط إلى ساحل الشام فيما يُذكر ألف فرسخ ومائة وسبعون فرسخا ، وغاية عرضة في بعض الأماكن ستمائة ميل .

وأما ما يتصل بالبحر الرومي المتقدم الذكرفبحر نييطش^(١) (بنون مكسورة وياء مثناة تحت ساكنة وطاء مهملة مكسورة وشين معجمة في الآخر) . وهو المعروف في زماننا ببحر القريم ، لتركب بلاد القريم على ساحله ، ويعرف أيضا بالبحر الأرمني ، لتركب بعض بلاد أرمينية على بعض سواحه ، وربما قيل فيه البحر الأسود ، وهو متصل ببحر الروم المذكور من شماليه ، ويتركب عليه من آخره (بحر مانيطش) بزيادة لفظ "ما" في أوله وبقاى الضبط على ما تقدم وهو المعروف في زماننا ببحر الأزق ،

(١) ورد في معجم البلدان لياقوت « بنطس » بضم الطاء والسين المهملة ، وذكر مؤلفه أنه وجده هكذا بخط أبي الريحان البيروني .

لتركب بلاد الأزق على ساحله الشرقى وليس وراءه بحر متصل به ، ولذلك يُعبر عنه بعضهم بجيرة ما نيطش ، وهو يصب في بحر نيطش ، وبحر نيطش يصب في بحر الروم ؛ ولذلك تُسرع المراكب في سيرها من القريم إلى بحر الروم ، وتبطن في سيرها من بحر الروم إلى القريم لاستقبالها جريان الماء .

وأول بحر نيطش المذكور مما يلي بحر الروم . (الخليج القسطنطيني) المتقدم ذكره في تحديد بحر الروم ، وهو خليج ضيق للغاية بحيث يرى الإنسان صاحبه من البر الآخر .

قال ابن سعيد : وطول هذا الخليج نحو خمسين ميلا .

وذكر في "تقويم البلدان" عن بعض المسافرين أن طوله سبعون ميلا وأتصاله بالبحر الرومى من جانبه الشمالى ، ويمتد شمالا (على سواحل بلاد الروم) من البر الشرقى

منه إلى (قلعة الجرون) ، وهى قلعة خراب على ساحل هذا الخليج مقابل القسطنطينية .

ويمتد من الجرون شمالا بميلة يسيرة إلى الشرق إلى مدينة كربي على خليج القسطنطينية

على القرب من الجرون المذكورة ؛ ثم يمتد شرقا بشمال إلى مدينة (كترى) وهى

آخر مدن القسطنطينية التى على هذا الساحل ، ثم يمتد إلى مدينة (كينولى) وهى بلدة

على الخليج القسطنطيني ، ثم يأخذ بين الشمال والغرب ، ويكون للبر دخلة في البحر إلى

جهة الغرب ، وعلى طرف هذه الدخلة فرضة (سنوب) من سواحل الروم الآتى ذكرها

في مكاتبات ملوك الكفر ، ثم يأخذ في الاتساع إلى مدينة (سامسون) ، وهى بلدة

من سواحل بلاد الروم ، ثم يأخذ مشرقا إلى مدينة (طرابزون) ، وهى فرضة للروم بهذا

الساحل ، ثم يمتد شمالا بميلة إلى مدينة (سُخوم) ، وهى مدينة على ثلاثة أيام عن طرابزون

شرقا بشمال ، وبينها وبين بلاد الكرج يوم واحد ، ويقال إنها من بلاد الكرج ؛ ثم يمتد

شرقا بشمال إلى مدينة (أبخاس) وهى مدينة في جبل على ساحل البحر على القرب

من سُخوم ؛ ثم يتضيق البحر مغربا ويضيق من البر الآخر حتى يتقارب البران ويصير

الماء بينهما مثل الخليج ، وهو مصب بحر ما نيطش في بحر نيطش ، وعلى جانب هذا الخليج مدينة (الطامان) من سواحل الروم ، وهي حد بلاد الروم ، من مملكة بركة المشتملة على القيرم ، ودشت القبجاق ، والسراي ، وخوارزم على ما سيأتي بيانه في مكاتبات القانات ، ثم يأخذ في الاتساع شرقا وشمالا وغربا وبصير كالبركة ، ويمتد على سواحل الأزق الآتي ذكرها في مكاتبات حاكمها إلى مدينة (الشقراق) وهي أول بلاد الأزق ، ومنها ينتهي تشريقه ، ثم يعطف إلى الشمال ويأخذ إلى مدينة (الأزق) ثم يستدير من الأزق حتى بصير إلى الغرب ، وينتهي إلى الخليج الذي بين بحر نيطش وبحر مانيطش المتقدم ذكره .

وهناك مدينة الكرش من بلاد الأزق ، مقابل مدينة الطامان المتقدمة الذكر من البر الآخر ، ثم يمتد على سواحل القيرم الآتية الذكر في مكتبة حاكمها ، فيمتد إلى مدينة (الكفا) فرضة القيرم .

ويقابلها من البر الآخر مدينة (طرابزون) المتقدمة الذكر ، ثم يمتد كذلك إلى مدينة صوداق ، وهي فرضة بلاد القيرم أيضا .

ويقابلها من البر الآخر مدينة (سامسون) المتقدمة الذكر ، ثم يأخذ في الانضمام جنوبا ويعطف مشرقا بحيث يكون للبردخلة في البحر ، ويمتد على سواحل بلاد البلغار إلى مدينة (صاري كمان) من بلاد البلغار ، وبينها وبين صلفات مدينة (القيرم) خمسة أيام .

ويقابلها من البر الآخر مدينة (سنوب) المتقدمة الذكر ، ثم يأخذ في الاتساع غربا بميلة إلى الجنوب ويمتد كذلك إلى مدينة (أقجا كمان) من بلاد البلغار ، ثم يأخذ جنوبا ويمتد على (سواحل بلاد القسطنطينية) إلى بلدة صقجي ، وعندها يصب نهر طنا (بطاء) مهملة مضمومة بعدها نون وألف) وهو نهر عظيم بقدر

بمجموع دجلة والفُرات ، ثم يتضايق ويأخذ شرقاً حتى ينتهي إلى أول الخليج القُسطنطيني المتقدم ذكره ، ثم يأخذ جنوباً ويتقارب البران ويمتد كذلك إلى مقابل مدينة كربى المتقدمة الذكر ، ثم يمتد كذلك إلى مدينة (القُسطنطينية) قاعدة ملك الروم الآتى ذكرها في مكتبة ملكها .

ويقابلها من البر الآخر قلعة الجحرون المتقدمة الذكر، ثم يمتد حتى يصب في بحر الروم حيث وقع الأبتداء . وسيأتى الكلام على ضبط ما لم يضبط من البلاد التى على ساحل هذا البحر المتقدمة الذكر مع ذكر صفاتها عند الكلام على مكاتبات ملوكها وحكامها إن شاء الله تعالى .

ويجمر نيطش المتقدم ذكره على القرب من الخليج القُسطنطيني جزيرة (مرمر) الآتى ذكرها عند الكلام على مكتبة ملكها في جملة ملوك الكفر إن شاء الله .

البحر الثاني

الخارج من المحيط الشرقى إلى جهة الغرب

وهو بحر يخرج عند أقصى بلاد الصين الشرقية الجنوبية مما يلي خط الأستواء حيث لا عرض ، وقيل : على عرض ثلاث عشرة درجة في الجنوب ، ويمتد غرباً بشمال على (سواحل بلاد الصين) الجنوبية ، ثم على المفاوز التى بين الصين والهند حتى ينتهى إلى (جبال قامرون) الفاصلة بين الصين والهند .

قال ابن سعيد : ومدينة الملك بها في شرقها ، ثم يجاوز (جبال قامرون) المذكورة ويمتد على سواحل بلاد (الهند) من الجنوب ، ويمتد على (سفالة الهند) وهى سوقارة ، ويمتد حتى ينتهى إلى آخر الهند ، ثم يمتد على مفازة السند الفاصلة بينه وبين البحر ، ويمتد حتى ينتهى إلى فم بحر فارس الخارج من هذا البحر إلى جهة الشمال على ما سيأتى ذكره إن شاء الله تعالى .

- ويجاوزه إلى بلاد اليمن فيمتر على (ساحل مهرة) : أول بلاد اليمن ، ويمتد من شماليها على سواحل اليمن من جنوبه حتى ينتهي إلى مدينة (عدن) فرضة اليمن ، ثم يمر من عدن إلى الشمال بميلة إلى الغرب نحو مجرا حتى ينتهي إلى (باب المنذب) وهو فرضة بين جبلين ، ويخرج منه ويمتد غربا بميلة إلى الشمال اثني عشر ميلا ، ثم يعطف شمالا ويمتد على سواحل اليمن الغربية إلى (علايقة) فرضة مدينة (زبيد) ، ثم يمتد شمالا أيضا إلى مدينة (حلي) من أطراف اليمن من جهة الحجاز ، وهي المعروفة بحلي ابن يعقوب ، ثم يمتد شمالا على (ساحل الحجاز) إلى (جدة) ، فرضة على بحر القلزم ، ثم يمتد شمالا إلى (المخفة) ميقات الإحرام لأهل مصر ، ثم يمتد شمالا بميلة إلى الغرب حتى يتصل بساحل (ينبع) ، ثم يأخذ بين الغرب والشمال حتى يجاوز (مدين) الآتي ذكرها في كور مصر القديمة ، ويمتد شمالا بجنوب حتى يقارب (أيلة) الآتي ذكرها في كور مصر القديمة أيضا ، ثم يعطف إلى الجنوب حتى يجاوز أيلة المذكورة إلى مكان يعرف (برأس أبي محمد) ويكون للبر دخلة في البحر في جهة الجنوب ، ثم يعطف شمالا حتى ينتهي إلى فرضة (الطور) وهي مكان حط وإقلاع لمراكب الديار المصرية ، وما يصل إليها من اليمن وغيرها ، ويمتر في الشمال حتى يصل إلى فرضة (السويس) وهي مكان حط وإقلاع للديار المصرية أيضا ، وعنده ينتهي بر العرب ببحر القلزم ويتدئ بر العجم .

وهناك يقرب هذا البحر من بحر الروم على ما تقدم ذكره في الكلام على أصل هذا البحر .

- ثم من السويس يعطف إلى الجنوب على ساحل مصر ، ويمتد موازيا لبلاد الصعيد حتى ينتهي إلى مدينة (القلزم) التي ينسب إليها هذا البحر الآتي ذكرها في الكلام على كور مصر القديمة ، ويقابلها من بر الحجاز أيلة ، ثم يأخذ عن القلزم جنوبا بميلة إلى الشرق حتى يسامت فرضة الطور المتقدم ذكرها ، وتصير فرضة الطور بين أيلة

والقلزم غربى الدخلة المتقدم ذكرها، ثم يمتد كذلك حتى ينتهى إلى (القصير)،
 فُرْضَة قُوص؛ ثم يتسع فى جهتي الجنوب والشرق حتى يكون اتساعه تسعين ميلاً،
 وتسمى تلك القطعة المتسعة بِرِكَة الغرندل، وهى التى أغرق الله تعالى فيها فرعون؛
 ثم يأخذ جنوباً بميلة يسيرة إلى الغرب إلى (عَيْذَاب)، فُرْضَة قُوص أيضاً. ويقابلها
 من برّ الحجاز جُدَّة، فُرْضَة مكة المشرفة؛ ثم يمتد فى سمت الجنوب على (سواحل
 بلاد السودان) حتى يصير عند (سَوَاكِن) من بلاد البجاة؛ ثم يمتد كذلك حتى يحيط
 (بجزيرة دَهْلَك) وهى جزيرة قريبة من ساحل هذا البحر الغربى، وأهلها من الحبشة
 المسلمين. ويقابلها من البرّ الآخر جنوبى حَلِيّ ابن يعقوب من بلاد اليمن، ويمتد
 حتى يصل إلى رأس (جبل المندب) المتقدم ذكره.

وهناك يضيق البحر حتى يرى الرجل صاحبه من البرّ الآخر.

ويقال: إنه بقدر رميتى مَمَم؛ وترى جبال عدن من جبال المندب فى وقت
 الصحو، ثم يتجاوز باب المندب ويأخذ شرقاً وجنوباً، ويتسع قليلاً قليلاً ويمر على
 بقية سواحل الحبشة حتى يمر بمدينة (زَيْلَع) من بلاد الحبشة المسلمين.
 ويقابلها عدن من برّ اليمن، وهى عن عدن فى الغرب بميلة إلى الجنوب، ثم يمر
 إلى مدينة مَقْدِشُو^(١)؛ ثم يمتد كذلك حتى ينتهى إلى (خليج بربراً) الخارج من بحر الهند
 فى جانبه الجنوبى على ما سياتى ذكره إن شاء الله تعالى.

ويتجاوز فم هذا الخليج ويمتد على (سواحل بلاد الزنج) حتى ينتهى إلى آخرها؛
 ثم يمتد على (سواحل بلاد الواق واق) على أماكن مجهولة حتى ينتهى إلى مبدئه من
 البحر المحيط الشرقى. على أنه فى تقويم البلدان لم يتعرض لساحل هذا البحر
 الجنوبى فيما هو شرقى باب المندب لعدم تحققه.

(١) فى تقويم البلدان [بكر الدال] وفى معجم البلدان [بفتح الدال] بهما لغتان.

وأعلم أن هذا البحر يسمّى في كل مكان بأسم ما يسامته من البلدان، أو باسم بعض البلدان التي عليه . فيسمى فيما يقابل بلاد الصين : بحر الصين ، وفيما يقابل بلاد الهند إلى ما جاورها إلى بلاد اليمن شرقاً باب المندب : بحر الهند ، وفيما دون باب المندب إلى غايته في الشمال والغرب : بحر القلزم ، نسبة إلى مدينة القلزم المتقدمة الذكر في ساحل الديار المصرية .

قال في "تقويم البلدان" : وطول هذا البحر من طرف بلاد الصين الشرقيّ إلى القلزم ألفان وسبعمائة وثمانية وأربعون فرسخاً بالتقريب ، ومقتضى كلام ابن الأثير في "عجائب المخلوقات" أن طوله أربعة آلاف وتسعمائة وستة وستون فرسخاً وثلثان ، فإنه قد ذكر أن طول بحر الصين والهند إلى باب المندب أربعة آلاف وخمسمائة فرسخ ، ثم ذكر أن طول بحر القلزم ألف وأربع مائة ميل ، وهي أربعمائة وستة وستون فرسخاً وثلثان وبين الكلامين بون .

وكلام صاحب تقويم البلدان أقرب إلى الصواب . فإنه أستخرجه من نصريب الدرّج وأستخرج أميالها وفراسخها . وبآخر بحر القلزم من الذراع الآخذ إلى جهة السويس على ميل من مدينة القلزم موضع يعرف (بدنّب التمساح) يتقارب بحر القلزم وبحر الروم فيما بينه وبين الفرما حتى يكون بينهما نحو سبعين ميلاً فيما ذكره ابن سعيد .

قال في "الروض المعطار" : وكان بعض الملوك قد حفره ليوصل ما بين القلزم وبحر الروم فلم يأت له ذلك لأرتفاع القلزم وأنخفاض بحر الروم ، والله تعالى قد جعل بينهما حاجراً كما ذكر تعالى في كتابه . قال : ولما لم يأت له ذلك أحتر خليجاً آخر مما يلي بلاد تينيس وديمياط وجرى الماء فيه من بحر الروم إلى موضع يعرف بقيعان (؟) .

فكانت المراكب تدخل من بحر الروم إلى هذه القرية، وتدخل من بحر القلزم إلى ذنب التماسح فيقرب ما في كل بحر إلى الآخر، ثم آرتدم ذلك على طول الدهر. وقد ذكر ابن سعيد أن عمرو بن العاص كان قد أراد أن يخرق بينهما من عند ذنب التماسح المتقدم ذكره فنهاه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وقال : إِذَنْ يَتَخَطَّفُ الرُّومُ الْجُجَّاجَ .

وذكر صاحب "الروض المعطار" أن الرشيد هم أن يوصل ما بين هذين البحرين من أصل مصب النيل من بحر بلاد الحبشة وأقاصي صعيد مصر فلم يأت له قسمة ماء النيل، فرام ذلك مما يلي بلاد الفرماء فقال له يحيى بن خالد : إن تم هذا نُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَكَّةَ ، وَأَحْتَجُّ عَلَيْهِ بِمَنْعِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَعُمَرُ ابْنُ الْعَاصِ مِنْ ذَلِكَ ، فَأَمْسَكَ عَنْهُ .

ويتفرع من البحر الهندي بجران عظيمان مشهوران، وهما (بحر فارس، والخليج البربري) .

فأما بحر فارس، فهو بحر ينبعث من بحر الهند المتقدم ذكره من شماليه، ويمتد شمالاً بميل إلى الغرب غربي (مفازة السند) الفاصلة بينه وبين بحر الهند، ثم على غربي بلاد السند، ثم على أرض (مكران) من نواحي الهند، ويخرج منه من آخر مكران خور يمتد شرقاً وجنوباً على ساحل مكران والسند حتى يصير السند غربية، ثم ينطفئ آخره على (ساحل بلاد كرمان) من شماليها حتى يعود إلى أصل بحر فارس، فيمتد شمالاً حتى ينتهي إلى مدينة (هرموز) وينتهي إلى آخر كرمان فيخرج منه خور يمتد على ساحل كرمان من شماليها، ثم يرجع من آخره على ساحل بلاد فارس من جنوبيها حتى يتصل بأصل بحر فارس، ويمتد شمالاً ثم يعطف ويمتد منتربا إلى (حصن ابن عمارة) من بلاد فارس، وقيل من بلاد كرمان، وهو اليوم خراب؛

- ثم يمتد مغرباً في جبال منقطعة ومفاوز إلى مدينة (سِيرَاف) ، ثم يمتد كذلك إلى (سِيف البحر) بكسر السين ، وهو ساحل من سواحل فارس ، فيه مزارع وقرى مجتمعة ؛ ثم يمتد إلى (جَنَابَةَ) من بلاد فارس ، ثم يمتد إلى (سِينِيز) من بلاد فارس ، وقيل من الأهواز ؛ ثم يمتد إلى مدينة (مَهْرُوبَانَ) من سواحل خوزستان ، وقيل من سواحل فارس ، وهي فُرْضَةُ (أَرْجَانَ) وما والاها ، ثم يمتد مغرباً بميلة يسيرة نحو الشمال إلى مدينة (عَبَادَانَ) من أواخر بلاد العِراق من الشرق على القرب من البَصْرَةِ عند مَصَبِّ دِجْلَةِ في هذا البحر ، ثم ينعطف ويمتد جنوباً إلى (كَاطِمَةَ) وهي جَوْنٌ على ساحل البحرين مما يلي البصرة على مسيرة يومين منها ؛ ثم يمتد إلى (القَطِيف) من بلاد البَحْرَيْنِ ثم يمتد كذلك إلى مدينة (عُمَانَ) فُرْضَةُ بلاد البحرين ، وإليها تنتهي مراكب السند والهند والزَّنج ، ويخرج على القرب منها عن يمين المُقْلَع من ساحلها في جهة الغرب بحرُ بِلَادِ (الشَّحْرِ) من اليمن أيضاً ، وإليها ينسب العنبر الشَّحْرِيُّ الطَّيِّبُ كما تقدم ذكره في النوع الخامس فيما يحتاج إليه من نفيس الطيب ؛ ثم يمر على سواحل (مَهْرَةَ) من شرق بلاد اليمن حتى ينتهي إلى مبدئه من بحر الهند .

قال في "تقويم البلدان" : وبفم هذا البحر ثلاثة أجبل يخشاها المسافرون ، يقال لأحدها كُسَيْرٌ ، والثاني عُوَيْرٌ ، والثالث ليس فيه خير .

١٥

قال ابن الأثير في "عجائب المخلوقات" : وطول هذا البحر أربع مائة فرسخ وأربعون فرسخاً ، وعمقه ثمانون باعاً .

وأما الخليج البربري ، فهو ينبعث من بحر الهند المتقدم ذكره في جنوبي جبل المندب المتقدم الذكر ، ويمتد في جنوبي بلاد الحبشة ، وياخذ غرباً حتى ينتهي إلى مدينة بربرا (ببائن موحدتين مفتوحتين وراءين مهملتين الأولى منهما ساكنة)

٢٠

وهي قاعدة الزغوة من السودان، حيث الطول ثمان وستون درجة، والعرض ست
درج ونصف .

قال في "تقويم البلدان": وطوله من المشرق الى المغرب نحو خمسمائة ميل .

قال الشريف الإدريسي: وموجه كالجبال الشواهد ولكنه لا ينكسر. قال:

يركب فيه إلى جزيرة قبلو، ويقال قبله، وهي جزيرة للزنج في هذا البحر .

قال في "القانون": وطولها اثنتان وخمسون درجة، وعرضها في الجنوب

ثلاث درج .

قال الإدريسي: وأهلها مسلمون .

البحر الثالث

الخارج من المحيط الشمالي، المعروف ببحر برديل

(بفتح الباء الموحدة وسكون الراء المهملة وكسر الدال المهملة وسكون الياء المشناة

تحت ولام في الآخر) .

قال ابن سعيد: ويقال له بحر برطانية أيضا، وهو بحر يخرج من شمالي الأندلس

ويأخذ شرقا إلى خلف جبل الأبواب الفاصل بين الأندلس والأرض الكبيرة،

ويقرب طرفه الشرقي حتى يبقى بينه وبين بحر الروم المتقدم ذكره أربعون ميلا،

وهناك مدينة (برديل) التي يضاف البحر إليها .

الضرب الثاني

من البحار المنبثة في أقطار الأرض ما ليس له اتصال بالبحر المحيط

وهو بحر الخزر (بفتح الخاء والزاي المعجمين ، وراء مهملة في الآخر) .

ويسمى بحر جرجان لوقوع مدينة جرجان على ساحله ، وبحر طبرستان لوقوع ناحية طبرستان على ساحله أيضا ، وهذا البحر بحر ملح منفرد عن البحار لا اتصال له بغيره البتة .

قال ابن حوقل : وهو مظلم التعر ، ويقال : إنه متصل ببحر نييطش من تحت الأرض .

قال المسعوي : وهو غلط لا أصل له ، ولم أدر من أين أخذه قائله ، أمّن طريق الحيس ، أم من طريق الاستدلال والقياس .

- قال الشريف الإدريسي : وهو مدور الشكل إلى الطول ، وقيل مثلث الشكل كالقلع ، وعلى ساحله الجنوبي بلاد الجليل والديلم ، وعلى جانبه الشرقي بلاد جرجان والمفاضة التي بين جرجان وخوارزم ، وعلى جانبه الشمالي بلاد الترك والخزر وجبال سياه كوه ، وعلى جانبه الغربي بلاد إيلاق وجبال الفتيق ، وأبتدأوه من جهة الغرب عند مدينة (باب الحديد) المعروف باب الأبواب من بلاد آران ، حيث الطول ست وستون درجة والعرض نحو إحدى وأربعين درجة على القرب من دريند شروان ، ثم يمتد جنوبا من باب الحديد أحدا وخمسين فرسخا ، وهناك مصب نهر الكرفيه ، ثم يمتد مشرقا بانحراف إلى الجنوب ستة عشر فرسخا ، فيمتر على أراضي موقان من عمل أردبيل من أذربيجان ، ثم يمتد جنوبا وشرقا حتى تبلغ غايته في الجنوب حيث العرض سبع وثلاثون درجة قبالة مدينة (آمل) قسبة طبرستان ، ثم ينعطف ويمتد شرقا حتى يجاوز بلاد الجليل إلى مدينة آبسكون ، وهي فرضة جرجان ، ثم يمتد إلى نهايته في الشرق حيث الطول ثمانون درجة والعرض نحو أربعين عند مدينة جرجان ، وهي في الشرق منه قريبة من ساحله ، ثم ينعطف ويمتد شمالا وغربا حتى يبلغ نهايته في الشمال حيث العرض نحو خمسين درجة ، والطول تسع وسبعون

درجة ، وفي شماليه وغربيه يصب نهر إتل^(١) الذي عليه مدينة السراى قاعدة مملكة
أزبك الآتى ذكرها في مكتبة قانهم إن شاء الله تعالى .
قال في " تقويم البلدان " : وليس في هذا البحر جزيرة مسكونة .

الفصل الثالث

من الباب الأول من المقالة الثانية

في كيفية استخراج جهات البلدان والأبعاد الواقعة بينها، وفيه طرفان

الطرف الأول

في كيفية استخراج جهات البلدان

إذا كنت في بلد وأردت أن تعرف جهة بلد آخر عن البلد الذي أنت فيه ، فالذى أطلقه
كثير من المصنفين أنك تعرف طول البلد الذي أنت فيه وعرضه ، وطول البلد الآخر
وعرضه ، وتقابل بين الطولين وبين العرضين ، فإن كان ذلك البلد أعرض من بلدك
مع مساواته له في الطول ، فهو عنك في جهة الجنوب . وإن كان أطول من بلدك
مع مساواته له في العرض ، فهو عنك في جهة الشرق . وإن كان أقل طولاً مع
مساواته في العرض ، فهو عنك في جهة الغرب . وإن كان أطول وأعرض من
بلدك ، فهو عنك بين الشرق والشمال . وإن كان أقل طولاً وعرضاً ، فهو عنك
بين المغرب والجنوب . وإن كان أقل طولاً وأكثر عرضاً ، فهو عنك بين الجنوب
والشمال . وإن كان أكثر طولاً وأقل عرضاً ، فهو عنك بين الشرق والجنوب .
والذى ذكره المحققون من علماء الهيئة أن البلد إذا كان أطول من بلدك مع
مساواته له في العرض ، يكون عنك في جهة الشرق بميلة إلى الشمال . وإذا كان أقل

(١) إتل (على وزن إبل) : نهر يبلاد الروس بأسم قرية هناك .

- طولا مع مساواته له في العرض ، يكون في جهة الغرب بميلة إلى الشمال أيضا .
 وإذا كان أقل طولا وعرضا ، يكون بين المغرب والجنوب على ما تقدم ، إلا أن يقل
 الفصل بينهما بأن يكون أقل من درجة ، فإنه يحتمل أن يكون كذلك وأن يكون
 على وسط المغرب . وإذا كان أقل طولا وأكثر عرضا فإنه يكون بين المشرق
 والمغرب على ما تقدم ، إلا أن يقل الفصل بينهما فيحتمل أن يكون كذلك وأن يكون
 على وسط المشرق .

الطرف الثاني

في معرفة الأبعاد الواقعة بين البلدان

- قد تقدم أن الأطوال والعروض في الأمكنة والبلدان تعتبر بالدرج والدقائق
 وأن الدرجة مقسومة بستين دقيقة ، ثم الذي حققه القدماء كبطليموس صاحب
 المجسطى وغيره تقدير الدرجة بستة وستين ميلا وثلاثي ميل ، وبه أخذ أكثر المتأخرين
 وعليه العمل . وما وقع لأصحاب الرصد المأمون مما يخالف ذلك ينقص عشر درج
 مما لا تعويل عليه .

- وقد نقل علاء الدين بن الشاطر من المتأخرين في "زيج" عن القدماء أنهم قدروا
 الدرجة بالتقريب بعشرين فرسخا ، وبستين ميلا ، وبمئتي ألف وأربعين ألف ذراع ،
 وبخمس مائة برد ، وبمسير يومين .

- وقدر الشافعي رضي الله عنه ذلك بمسير يومين بالأيام المعتدلة دون ليا لهما ،
 وقدر السير بالسير المعتدل ، وتقدير الدرجة كما بين القسطاط وديمياط ، فإن عرض
 ديمياط يزيد على عرض القسطاط بدرجة وكسري سير على ما سيأتي ذكره .
 فإذا أردت أن تعرف كم بين البلد الذي أنت فيه وبين بلد آخر على الخط المستقيم ،
 فلك حالتان :

الحالة الأولى — أن يكون ذلك البلد على سمت بلدك الذي أنت فيه في الطول أو العرض، فأنظر كم درجة بينهما بالزيادة والنقص فأضربه في ست وستين، وهو ما لكل درجة من الأميال، فما خرج من الضرب فهو بُعد ما بينهما من الأميال على الخط المستقيم، فأعتبره بما شئت من المراحل والفراخ والبرد على ما تقدم بيانه .

الحالة الثانية — ألا يكون ذلك البلد على سمت بلدك الذي أنت فيه .

فطريقك أن تقابل بين عرض بلدك وطوله، وبين عرض البلد الآخر وطوله، وتنظر كم فضل ما بين الطولين وبين العرضين، وهو ما يزيد أحد الطولين أو أحد العرضين على الآخر فتضرب كلاً من فضل الطولين وفضل العرضين في مثله، وتجمع الحاصل من الضربين فما كان خذ جذره، وهو القدر الذي إذا ضربته في مثله حصل عنه ذلك العدد، فما بلغ فهو مقدار ما بين بلدك والبلد الآخر من الدرج، فأضربه في ست وستين وثلاثين على ما تقدم، فما بلغ فهو أميال . فأعتبره بما شئت من المراحل والفراخ والبرد على ما تقدم .

مثال ذلك — أن الفسطاط طوله خمس وخمسون درجة، وعرضه ثلاثون

درجة ودمشق طولها ستون درجة، وعرضها ثلاث وثلاثون درجة ونصف درجة،

ففضل ما بين طوليهما خمس درج، وفضل ما بين عرضيهما ثلاث درج ونصف

درجة، فتضرب فضل ما بين الطولين، وهو خمس درج في مثله يبلغ خمسا وعشرين،

وتضرب فضل ما بين العرضين، وهو ثلاث ونصف في مثله يبلغ اثني عشر وربعاً،

فتجمع ما حصل من الضربين، وهو خمس وعشرون وأثنا عشر وربع ويكون سبعا

وثلاثين وربعاً نخذ جذرها يكن ستاً ونصف سُدس تقريباً، وهو ما بين الفسطاط

ودمشق من الدرج، فأضربه في ست وستين وثلاثين، وهي ما للدرجة الواحدة من

الأميال يكن أربعاً وخمسة أميال وثلاث سُدس ميل، فإذا أعتبرت كل أربعة

وعشرين ميلاً بمرحلة على ما تقدم ، كانت سبع عشرة مرحلةً تقريباً ، وهو القدر الذى بين القُسطَاطِ وِدِمَشَقَ على الخط المستقيم .

أما الطرق المسلوكة إلى البُلدان على التعاريح بسبب البحار والجبال والأودية وغيرها ، فإنها تقتضى الزيادة على ذلك .

- وقد ذكر أبو الرِّيحان البيرونى في كتابه "القانون" : أن زيادة التعريح على الأستواء يكون بقدر الخمس تقريباً . فإذا كان بين البلدين أربعون ميلاً على الخط المستقيم كانت بحسب سير السائر خمسين ميلاً .

قلت : وفيه نظر لطول بعض التعاريح على بعض فى الزيادة بالبحار والجبال عن الخط المستقيم على ما هو مشاهد فى الأسفار .

- اللهم إلا أن يريد الغالب كما تقدم بين القُسطَاطِ وِدِمَشَقَ ، فقد مرّ أن بينهما على الخط المستقيم سبع عشرة مرحلة بالتقريب ، فإذا أضيف إليها مثل خمسها ، وهو ثلاثة وخمسان ، كانت عشرين مرحلة ، وهو القدر المعتاد فى سيرها بالسير المعتدل .

وأعلم أن أطوال البُلدان وعُرُوضها قد وقع فى الكتب المصنفة فيها كتاب "الأطوال" المنسوب للفرس . و"رسم المعمور" المترجم للامون من اللغة اليونانية .

- و"الزيجات" وغير ذلك اختلاف كثير وتباين فاحش . وممن صرح بذلك أبو الريحان البيرونى فى كتابه "القانون" فقال عند ذكرها : ولم يتبها لى تصحيح جميعها ، وقد صححت ما أمكن منها .

قال فى "تقويم البُلدان" : إلا أن معرفة ذلك بالتقريب خير من الجهل بالكلية .

الباب الثاني

من المقالة الثانية

في ذكر الخلافة ومن وليها من الخلفاء، ومقرّاتهم في القديم والحديث، وما أنطوت عليه الخلافة من الممالك في القديم، وما كانت عليه من الترتيب، وما هي عليه الآن، وفيه فصلان

الفصل الأول

في ذكر الخلافة ومن وليها من الخلفاء : من خلفاء بني أمية بالشام، وخلفاء بني العباس بالعراق، وخلفاء الفاطميين بمصر، وخلفاء بني أمية بالأندلس

أما الخلافة، فسيأتي في المقالة الخامسة في الكلام على الولايات أن المراد بها خلافة النبي صلى الله عليه وسلم بعده في أمته . ولذلك كان يقال لأبي بكر الصديق رضي الله عنه : خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن الراجح أنه لا يجوز أن يقال في الخليفة خليفة الله إلى تمام القول فيما سيأتي ذكره هناك، إن شاء الله تعالى .

وأما من وليها من الخلفاء، فعلى أربع طبقات :

الطبقة الأولى

الخلفاء من الصحابة رضوان الله عليهم

وأولهم : " أبو بكر الصديق رضي الله عنه " ببيع بالخلافة في اليوم الذي مات فيه النبي صلى الله عليه وسلم، على ما سيأتي ذكره في الكلام على البيعات من المقالة الخامسة إن شاء الله تعالى .

وبقي حتى توفّي لتسع ليال بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة ودفن مع النبي صلى الله عليه وسلم، في حجرة عائشة رضي الله عنها .

وبويع بعده "عمر بن الخطاب رضى الله عنه" فى اليوم الذى مات فيه أبو بكر رضى الله عنه بعد أن عهد له بالخلافة، وتوفى يوم السبت سلخ ذى الحجة الحرام سنة ثلاث وعشرين بطعنة أبي لؤلؤة : غلام المغيرة بن شعبة ، ودفن مع النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر رضى الله عنه .

٥ وفى أيامه فتحت الأمصار : ففتحت دمشق على يد خالد بن الوليد وأبي عبيدة ابن الجراح ، وتبعها فى الفتح سائر بلاد الشام ففتحت بيسان ، وطبرية ، وقيسارية ، وفلسطين ، وعسقلان ، وبعبك ، وحمص ، وحلب ، وقنسرين ، وأنطاكية ، وسار إلى بيت المقدس فى خلال ذلك ، ففتحه صلحا .

١٠ وفتح من بلاد الجزيرة الفراتية : الرقة ، وحران ، والموصل ، ونصيبين ، وآمد ، والرها .

وفتح من العراق : القادسية ، والمدائن ، على يد سعد بن أبي وقاص ، وزال ملك الفرس ، وأنهزم ملكهم يزيد جرد إلى فرغانة من بلاد الترك .
وفتحت أيضا كور دجلة ، والأبله ، على يد عتبة بن غزوان .
وفتحت كور الأهواز على يد أبي موسى الأشعري .

١٥ وفتحت نهاوند ، وإصطخر ، وأصبهان ، وتستر ، والسوس ، وأذربيجان ، وبعض أعمال خراسان .

وفتحت مصر ، والإسكندرية ، وأنطابلس ، وهى بركة ، وطرابلس الغرب ، على يد عمرو بن العاص .

وبويع بالخلافة بعده "عثمان بن عفان رضى الله عنه" لثلاث بقين من

٢٠ المحرم سنة أربع وعشرين ؛ وقتل بالمدينة ثمان عشرة ليلة خلت من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين ، وقيل يوم الأضحى ، وقيل غير ذلك .

وبويع بالخلافة بعده "عليّ كرم الله وجهه" يوم قتل عثمان ، وقتل اسبغ عشرة ليلة خلت من رمضان سنة أربعين من الهجرة بالعراق ، ودفن بالنجف على الصحيح المشهور .

وبويع بالخلافة لابنه "الحسن" بالكوفة من العراق يوم قتل أبيه ، وسلم الأمر لمعاوية لخمس بقين من ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ، وقيل في ربيع الآخر ، وقيل في جمادى الأولى ، ولحق بالمدينة فأقام بها إلى أن توفى بها في ربيع الأول سنة تسع وأربعين ، وقيل ست وخمسين .

الطبقة الثانية

خلفاء بني أمية

أولهم: "معاوية بن أبي سفيان" كان أميراً على الشام في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، واستمر بها إلى أن سلم الحسن إليه الأمر ، فأستقل بالخلافة وبقى حتى توفى بدمشق مستهل رجب الفرد سنة ستين من الهجرة ، وقيل في النصف من رجب ، وهو أول من رتب أمور الملك في الإسلام .

وقام بالأمر بعده ابنه "يزيد" بالعهد من أبيه ، وبويع له بعد وفاته في رجب سنة ستين ، وتوفى لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة أربع وستين .

وقام بالأمر بعده ابنه "معاوية" وبويع له بالخلافة في النصف من شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين ، فأقام بالخلافة أربعين يوماً ، وقيل ثلاثة أشهر ، وقيل عشرين يوماً .

وقام بالأمر بعده "مروان بن الحكم" وبويع له بالخلافة بالحجابة في رجب سنة أربع وستين ، ثم جدت له البيعة في دى القعدة من السنة المذكورة ، وتوفى بالطاعون بدمشق في شهر رمضان سنة خمس وستين .

وقام بالأمر بعده آبنه "عبد الملك" بالعهد من أبيه؛ وبويع له بالخلافة في الثالث من شهر رمضان المذكور، وتوفى بدمشق منتصف شوال سنة ست وثمانين .
وقام بالأمر بعده آبنه "الوليد" بالعهد من أبيه؛ وبويع له بالخلافة يوم موت أبيه، وتوفى بدمشق في منتصف جمادى الآخرة سنة ست وتسعين .

وقام بالأمر بعده أخوه "سليمان بن عبد الملك" وبويع له يوم موت أخيه الوليد، وكان أبوه قد عهد أن يكون هو الخليفة بعد أخيه الوليد، وتوفى بدابق لعشر خلون من صفر سنة تسع وتسعين .

وقام بالأمر بعده ابن عمه "عمر بن عبد العزيز" بعهد له؛ وبويع له بالخلافة يوم موته، وتوفى بخصرة لخمس وقيل لست بقين من رجب سنة إحدى ومائة .

وقام بالأمر بعده "يزيد بن عبد الملك بن مروان" بعهد من أخيه سليمان أن يكون له الأمر من بعد عمر بن عبد العزيز، وقيل : بعهد من أبيه أن يكون له الأمر بعد أخيه سليمان، ولكنه سلم لابن عمه عمر؛ وبويع له يوم موت عمر، وتوفى بجزلان لخمس بقين من شعبان سنة خمس ومائة .

وقام بالأمر بعده أخوه "هشام بن عبد الملك" بعهد من أخيه يزيد؛ وبويع له بالخلافة في يوم موته، وتوفى بالرصافة لست خلون من ربيع الأول سنة خمس وعشرين ومائة .

وقام بالأمر بعده "الوليد بن يزيد بن عبد الملك" بويع له بالخلافة لثلاث خلون من ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة، وقتل لليتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ست وعشرين^(١) .

(١) أي فكانت خلافته سنة واحدة وشهرين .

وقام بالأمر بعده ابنه "يزيد" المعروف بالناقص؛ سمي بذلك لنقصه الجند ما كان زادهم يزيد؛ بويع له بالخلافة يوم قتل الوايد، وتوفي بدمشق لعشر بقين من ذى الحجة من السنة المذكورة .

وقام بالأمر بعده أخوه "إبراهيم بن الوليد" بويع له بالخلافة بعد وفاة أخيه في ذى الحجة المذكور، فمكث أربعة أشهر، وقيل أربعين يوماً ثم خلع نفسه .

وقام بالأمر بعده "مروان بن محمد بن مروان بن الحكم الجعدي" بتسليم إبراهيم بن الوليد الأمر إليه؛ وفي أيامه ظهرت دعوة بني العباس، وقصدته جيوشهم فهرب إلى مصر، فأدرك وقتل بقرية يقال لها بؤصير من الفيوم، وبزواله زالت دولة بني أمية .

الطبقة الثالثة

خلفاء بني العباس بالعراق

وأول من قام بالأمر منهم بعد خلفاء بني أمية "السفاح" وهو أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس؛ عم النبي صلى الله عليه وسلم؛ بويع له بالخلافة بالكوفة لثلاث عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومائة، وتوفي بالأندلس لثلاث عشرة ليلة خلت من ذى الحجة سنة ست وثلاثين ومائة .

وقام بالأمر بعده أخوه "المنصور" أبو جعفر عبد الله؛ بويع له بالخلافة يوم موت أخيه السفاح، وتوفي بطريق مكة وهو محرم بالحبس سنة ثمان وخمسين ومائة، ودفن بالحجون .

وقام بالأمر بعده ابنه "المهدي" أبو عبد الله محمد؛ بويع له بالخلافة يوم مات أبوه بطريق مكة وهو يومئذ ببغداد، وتوفي بمسبذان في المحرم سنة تسع وستين ومائة .

وقام بالأمر بعده ابنه "الهادي" أبو محمد موسى؛ بويع له بعد أبيه يوم موته وهو غائب^(١)، فسار إلى بغداد ودخلها بعد عشرين يوماً. وتوفي لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة سبعين ومائة .

(١) كان متياً بجزان يحارب أهل طبرستان بعسكر أبيه

وقام بالأمر بعده "الرشيد" أبو محمد هرون بن المهدي ، بويغ له بالخلافة ليلة مات أخوه الهادي ، وتوفي ليلة السبت لثلاث خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة .

وقام بالأمر بعده ابنه "الأمين" أبو عبدالله محمد ، ويقال أبو موسى ، ويقال أبو العباس ، بالعهد من أبيه هرون الرشيد ، وبويغ له صبيحة الليلة التي توفي فيها أبوه الرشيد ، وقتل لخمس بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة .

ثم قام بالأمر بعده أخوه "المأمون" أبو العباس ، ويقال أبو جعفر عبدالله ، بالعهد له من أبيه الرشيد أن يكون له الأمر بعد أخيه الأمين ، وبويغ له بالخلافة يوم قتل أخيه الأمين ببغداد وهو غائب ، وبويغ له البيعة العامة لخمس بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة ، وتوفي بأرض الروم ليلة بقيت من رجب ، وقيل لثمان خلون منه سنة ثمان عشرة ومائتين ، ودفن بطرسوس .

وقام بالأمر بعده أخوه "المعتصم بالله" أبو إسحاق محمد بن هرون الرشيد ، بويغ له بالخلافة يوم موت أخيه المأمون وهو يومئذ بطرسوس ، فسار إلى بغداد ، فدخلها مستهل رمضان سنة ثمان عشرة ومائتين ، وتوفي بسامرا لثمان عشرة ليلة مضت من ربيع الأول سنة سبع وعشرين ومائتين .

وقام بالأمر بعده ابنه "الواثق بالله" أبو جعفر هرون ، بويغ له بالخلافة يوم موت أبيه ، وتوفي بسر من رأى لست بقين من ذي الحجة سنة اثنين وثلاثين ومائتين .

وقام بالأمر بعده أخوه "المتوكل على الله" أبو الفضل جعفر ، بويغ له بالخلافة يوم موت أخيه الواثق ، وقتل لثلاث خلون من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين .

وقام بالأمر بعده آبنه "المستنصر بالله" أبو جعفر محمد ، ببيع له بالخلافة صبيحة قتل أبيه المتوكل ، وتوفى بسامراً لثلاث خلون من ربيع الآخر ، وقيل لخمس خلون من ربيع الأول سنة ثمان وأربعين ومائتين .

وقام بالأمر بعده "المستعين بالله" أبو العباس أحمد بن المعتصم بالله المتقدم ذكره ، ببيع له بالخلافة في اليوم الثاني من موت المستنصر ، وخلع نفسه لأربع خلون من ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين ومائتين ، وجهاز إلى واسط ، فقتل بها في آخر رمضان من السنة المذكورة .

وقام بالأمر بعده "المعتز بالله" أبو عبدالله محمد ، وقيل أبو الزبير بن المتوكل على الله المتقدم ذكره ، ببيع له ببغداد حين خلع المستعين نفسه ، وبايعه المستعين فيمن بايع ، وخلع لثلاث بقين من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين ، ثم قتل بعد ذلك .

وقام بالأمر بعده "المهتدي بالله" أبو عبد الله ، ويقال أبو جعفر محمد بن الواثق بالله المتقدم ذكره ، ببيع له بالخلافة بعد ليلتين من خلع المعتز بالله ، وقتل لأربع عشرة ليلة خلت من رجب سنة ست وخمسين ومائتين ، وكان يقال هو في بني العباس مثل عمر بن عبد العزيز في بني أمية .

وقام بالأمر بعده "المعتمد على الله" أبو العباس ، ويقال أبو جعفر أحمد ابن جعفر المتوكل المتقدم ذكره ، ببيع له بالخلافة يوم قتل المهتدي بالله ، وتوفى لإحدى عشرة ليلة بقيت من رجب سنة تسع وسبعين ومائتين .

وقام بالأمر بعده "المعتضد بالله" أبو العباس أحمد بن الموفق ، طلحة بن جعفر المتوكل ، ببيع له بالخلافة يوم قتل المعتمد على الله ، وتوفى ببغداد لسبع وقيل لثمان بقين من شهر ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين .

- وقام بالأمر بعده آبنه "المكتفى بالله" أبو محمد على؛ بويع له بالخلافة يوم موت أبيه المعتضد وهو غائب بالرقة، وكتب إليه بذلك فأخذ البيعة على من عنده وسار إلى بغداد، فدخلها لثمان خلون من جمادى الأولى من سنته، وتوفى ببغداد لثلاث عشرة ليلة، وقيل لثنتى عشرة ليلة خلت من ذى القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين.
- ٥ وقام بالأمر بعده أخوه "المقتدر بالله" أبو الفضل جعفر بن المعتضد بالله المتقدم ذكره، وخُلع لعشر بقين من ربيع الأول سنة ست وتسعين ومائتين .
- و بويع "المرتضى بالله" أبو محمد عبدالله بن المعتز، فأقام يوماً وليلة ثم اضطرب عليه الأمر فأختفى، وعاد الأمر إلى المقتدر فظفر بأبن المعتز فصادره، ثم أخرج من دار السلطان ميتاً لليلتين خلتا من ربيع الآخر من السنة المذكورة، ثم خلع المقتدر بالله نفسه؛ و بويع بالخلافة أخوه القاهر بالله أبو منصور محمد بن المعتضد فأقام يومين، ثم عاد الأمر إلى المقتدر بالله وبقى حتى قُتل لثلاث خلون من شوال سنة عشرين وثلثمائة .
- ١٠ وقام بالأمر بعده أخوه "القاهر بالله" المتقدم ذكره، لليلتين بقينا من شوال سنة عشرين وثلثمائة، ثم خلع وسُملت عيناه لست خلون من جمادى الأولى سنة اثنين وعشرين وثلثمائة .
- ١٥ وقام بالأمر بعده ابن أخيه "الراضى بالله" أبو العباس أحمد بن المقتدر بالله المتقدم ذكره، وتوفى لست عشرة ليلة خلت من ربيع الأزل سنة تسع وعشرين وثلثمائة .
- وقام بالأمر بعده أخوه "المتقى بالله" أبو إسحاق إبراهيم بن المقتدر بالله المتقدم ذكره؛ بويع له بالخلافة لعشر بقين من ربيع الأول سنة تسع وعشرين وثلثمائة .
- ٢٠ وخُلع وسُملت عيناه لعشر بقين من صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة .

وقام بالأمر بعده ابن عمه "المستكفي بالله" أبو القاسم عبد الله بن المكتفي بالله المتقدم ذكره ؛ بويج له بالخلافة يوم خلع المتق بالله بمشاركته له ، ثم خلع وسملت عيناه في جمادى الآخرة سنة أربع وثلاثين وثلثمائة .

وقام بالأمر بعده ابن عمه "المطيع لله" أبو القاسم ، ويقال أبو العباس الفضل ابن المقدر بالله المتقدم ذكره ، بويج له بالخلافة يوم خلع المستكفي ، وخلع نفسه منها للعجز بالمرض في الثالث عشر من ذى القعدة سنة ثلاث وستين وثلثمائة .

وولى الخلافة بعده ابنه "الطائع لله" أبو بكر عبد الكريم ؛ بويج له بالخلافة يوم خلع أبيه المطيع لله ، وقُبِضَ عليه لآثتى عشرة ليلة بقيت من شعبان سنة إحدى وثمانين وثلثمائة فخلع نفسه .

وقام بالأمر بعده "القادر بالله" أبو العباس أحمد بن إسحاق ؛ بويج له بالخلافة يوم خلع الطائع ، وكان غائبا بالبطائح فأحضر ، وجددت له البيعة ببغداد في شهر رمضان من السنة المذكورة ، وتوفى حادى عشر ذى الحجة سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة .

وقام بالأمر بعده ابنه "القائم بأمر الله" أبو جعفر عبد الله ، بالعهد من أبيه ، وجددت له البيعة بعد موت أبيه ، توفى ثالث عشر شعبان سنة سبع وستين وأربعمائة .

وقام بالأمر بعده ابنه "المقتدى بأمر الله" عبد الله [بن] ذخيرة الدين محمد ابن القائم بأمر الله المتقدم ذكره ، وتوفى بغاة في الخامس والعشرين من المحرم سنة سبع وثمانين وأربعمائة .

وقام بالأمر بعده ابنه "المستظهر بالله" أبو العباس أحمد ؛ بويج له بالخلافة بعد وفاة أبيه ، وتوفى سادس عشر ربيع الآخر سنة اثنتى عشرة وخمسمائة .

(١) كذا في العقد المرید (ج ٣ ص ٥٧) والجوم الزاهرة (ج ٣ ص ٢٧٣) أيضا . وفى حياة الحيوان (ج ١ ص ١١٥) : «أبو العباس» .

(٢) ليست هذه الكلمة في العقد ولا في حياة الحيوان وهي قليلة الجدوى كما ترى .

وقام بالأمر بعده ابنه "المسترشد بالله" أبو منصور الفضل ؛ بويغ له بالخلافة بعد وفاة أبيه المستظهر، وقتل في قتال الباطنية سبع عشر ذى القعدة سنة تسع وعشرين وخمسمائة .

وقام بالأمر بعده ابنه "الراشد بالله" أبو جعفر المنصور، بالعهد من أبيه، ووجدت له البيعة يوم قتله، وخلق في منتصف ذى القعدة سنة ثلاثين وخمسمائة .
وقام بالأمر بعده "المقتنى لأمر الله" أبو عبد الله محمد بن المستظهر المتقدم ذكره؛ بويغ له بالخلافة يوم خلق الراشد بالله، وتوفى ثانی ربيع الأول سنة خمس وخمسين وخمسمائة .

وقام بالأمر بعده ابنه "المستنجد بالله" أبو المظفر يوسف؛ بويغ له بالخلافة يوم وفاة أبيه المقتنى، وتوفى تاسع ربيع الآخر سنة ست وستين وخمسمائة .
وقام بالأمر بعده ابنه "المستضيء بالله" أبو محمد الحسن؛ بويغ له بالخلافة يوم وفاة أبيه المستنجد من أقاربه بيعة خاصة، وفي عشره بيعة عامة، وتوفى ثانی ذى القعدة سنة خمس وسبعين وخمسمائة .

وقام بالأمر بعده ابنه "الناصر لدين الله" أبو العباس أحمد؛ بويغ له بالخلافة يوم موت أبيه المستضيء، وتوفى أول شوال سنة اثنتين وعشرين وستمائة .
وقام بالأمر بعده ابنه "الظاهر بأمر الله" أبو نصر محمد؛ بويغ له بالخلافة يوم موت أبيه الناصر، وتوفى رابع عشر رجب سنة ثلاث وعشرين وستمائة .

وقام بالأمر بعده ابنه "المستنصر بالله" أبو جعفر المنصور؛ بويغ له بالخلافة يوم موت أبيه الظاهر، وتوفى اعشر خلون من جمادى الأولى سنة أربعين وستمائة .
وقام بالأمر بعده ابنه "المستعصم بالله" أبو أحمد عبد الله؛ بويغ له بالخلافة يوم موت أبيه المستنصر بالله، وقتله شوالاً كوميك التتار في العشرين من المحرم

(١) أى عاشر ربيع الآخر التالى للبيعة الخاصة الواقعة في التاسع

سنة ست وخمسين وثمانئة . وبقتله أنقضت الخلافة العباسية من بغداد ؛ وهو الثامن والثلاثون من حلفاء بني العباس ببغداد إذا عدت خلافة ابن المعتز، وحسبت خلافة القاهر أولاً وثانياً خلافةً واحدة .

الطبقة الرابعة

خلفاء بني العباس بالديار المصرية من بقايا بني العباس

وأول من قام بأمر الخلافة بها "المستنصر بالله" أبو القاسم أحمد بن الظاهر بالله أبي نصر محمد المتقدم ذكره . وذلك أنه لما قتل التتر المستعصم المتقدم ذكره، وبقيت الخلافة شاغرة نحواً من ثلاث سنين ونصف ثم قدم جماعة من عرب الحجاز إلى مصر في رجب سنة تسع وخمسين وثمانئة أيام الظاهر بيبرس ، ومعهم المستنصر المذكور ، وذكروا أنه خرج من دار الخلافة ببغداد لما ملكها التتر ، فعقد الملك الظاهر له مجلساً حضره جماعة من العلماء ، منهم الشيخ عز الدين بن عبد السلام شيخ الشافعية ، وقاضى التضادة تاج الدين ابن بنت الأعرز الشافعى ، وهو يومئذ قاضى الديار المصرية بمفرده ، وشهد أولئك العرب بنسبه ، ثم شهد جماعة من الشهود على شهادتهم بحكم الاستفاضة ، وأثبت ابن بنت الأعرز نسبه ، ثم بايعه الملك الظاهر بالخلافة وأهل الحل والعقد ، وأهتم الملك الظاهر بأمره ، وأستخدم له عسكرياً عظيماً ، وتوجه الملك الظاهر إلى الشام وهو صحبته بجهزه من هناك بعسكره إلى بغداد طمعا أن يستولى عليها وينتزعها من التتار ، فخرج إليه التتار قبل أن يصل ببغداد فقتلوه ، وقتلوا غالب عسكره في العشر الأول من المحرم سنة ستين وثمانئة . فكانت خلافته دون السنة ؛ وهو أول خليفة لقب بلقب خليفته قبله ، وكانوا قبل ذلك يلقبون بالقاب مرتجلة .

وقام بالأمر بعده "الحاكم بأمر الله" أبو العباس أحمد بن حسين بن أبي بكر
 ابن الأمير أبي علي القبيّ ابن الأمير حسن بن الراشد بالله أبي جعفر المنصور المتقدم
 ذكره في الخلفاء ببغداد. قديم مصر سنة تسع وخمسين وستمائة، وهو ابن خمس عشرة
 سنة في سلطنة الظاهر بيبرس، وقيل إن الظاهر بعث من أحضره إليه من بغداد،
 وجلس له مجلسا عاما أثبت فيه نسبه، وبايعه بالخلافة في سنة ست وستين وستمائة،
 وأشركه معه في الدعاء في الخطبة على المنابر، إلا أنه منعه التصرف والدخول
 والخروج. ولم يزل كذلك إلى أن ولي السلطنة الملك الأشرف خليل بن المنصور
 قلاوون. فأسكنه بالكبش بخط الجامع الطولوني. فكان يخطب أيام الجمعة في جامع
 القلعة ويصل. ولم يطلق تصرفه إلى أن تسلط المنصور لاجين، فأباح له التصرف
 حيث شاء وأركبه معه في الميادين، وتوفي في شهر سنة إحدى وسبعائة.

وقام بالأمر بعده ابنه "المستكفي بالله" أبو الربيع سليمان بالعهد من أبيه
 الحاكم، وبويج له بالخلافة يوم موت أبيه، واستقر على ما كان عليه أبوه من الركوب
 والنزول وركوب الميادين مع السلطان إلى أن أعيد السلطان الملك الناصر محمد بن
 قلاوون إلى السلطنة المرة الثانية بعد خلع الملك المظفر بيبرس الجاشنكير في شهر
 سنة تسع وسبعائة، فحصل عند السلطان منه وحشة، فجهزه إلى قوص ليقيم بها،
 وبقى بقوص حتى توفي في سنة أربعين وسبعائة.

وولى الخلافة بعده ابنه "المستعصم بالله" أبو العباس أحمد بعهد من أبيه
 المستكفي بأربعين شاهدا بمدينة قوص، ودعى له على المنابر في العشر الأخير من
 شوال سنة أربعين وسبعائة.

ثم خلفه الناصر محمد بن قلاوون، وبايع بالخلافة "الواثق بالله" أبا إسحاق إبراهيم
 ابن الحاكم بأمر الله المتقدم ذكره، وأمر بأن يدعى له على المنابر، وتحمل له راية

الخلافة ، بفرى الأمر على ذلك . وكان قد هم بمبايعته بعد موت المستكفي فلم يتم له . فلما توفي الملك الناصر في العشرين من ذي الحجة سنة إحدى وأربعين وسبعمائة ، أعيد المستعصم بالله أحمد المتقدم ذكره إلى الخلافة بعد خلع الواثق إبراهيم ، وبقي حتى توفي رابع شعبان سنة ثمان وأربعين وسبعمائة .

• ثم ولى الخلافة بعده أخوه "المعتضد بالله" أبو الفتح أبو بكر بن المستكفي بالله أبي الربيع سليمان سابع عشر شعبان سنة ثمان وأربعين وسبعمائة ، وتوفي عاشر جمادى الأولى سنة ثلاث وستين وسبعمائة .

وولى الخلافة بعده ابنه "المتوكل على الله" أبو عبدالله محمد بن المعتضد بالله المتقدم ذكره بالعهد من أبيه المعتضد ، وأستقر له الأمر بعد وفاة أبيه يوم الخميس ثاني عشر جمادى الأولى سنة ثلاث وستين وسبعمائة ، وبقي حتى خلعه الأمير أيوب أتاك العساكر في سلطنة الملك المنصور على بن الأشرف شعبان بن حسين .

وولى الخلافة مكانه "المستعصم بالله" أبو يحيى زكريا بن الواثق إبراهيم المتقدم ذكره ، فأقام في الخلافة دون ثلاثة أشهر . ثم أعيد المتوكل على الله محمد بن أبي بكر إلى الخلافة ثانيا في أواخر المحرم أو أوائل صفر سنة تسع وسبعين وسبعمائة ، وأستمر حتى قبض عليه الظاهر برقوق وأعتقله بقلعة الجبل في مستهل شهر رجب سنة خمس وثمانين وسبعمائة .

وولى الخلافة مكانه "الواثق بالله" أبو حفص عمر بن الواثق بالله إبراهيم المتقدم ذكره ، فبقي حتى توفي في العشر الأول من شوال سنة ثمان وثمانين وسبعمائة ، فأعاد الظاهر برقوق المستعصم بالله زكريا المتقدم ذكره ثانيا إلى الخلافة ، والمتوكل على الله في الأعتقال والناس لا يرون في كل ذلك الخليفة غيره .

- ثم عن الملك الظاهر برقوق بعد ذلك فأطلق المتوكل على الله من الاعتقال ،
وأكرمه وأحسن إليه في ثاني جمادى الأولى سنة إحدى وتسعين وسبعمائة ، وبقى
في الخلافة حتى توفي سابع عشرى شهر رجب الفرد سنة ثمان وثمانمائة .
- وولى الخلافة بعده أبوه "أبو الفضل العباس ولقب المستعين بالله"
وبقى في الخلافة على سنين من تقدمه من الخلفاء العباسيين بالديار المصرية من قصور
أمره على العهد إلى السلطان والدعاء له على المنابر قبل السلطان إلى أن قبض على
الناصر فرج بن برقوق بالشام في الثاني عشر من ربيع الأول من سنة خمس عشرة
وثمانمائة ، فأستقل بالأمر واستبد به ، وأجمع له أمر الخلافة : من ضرب اسمه على
السكة في الدنانير والدرهم والدعاء له على المنابر بمفرده ، والعلامة على التقاليد والتواقيع
والمكاتب وغيرها ، وفوض أمر تدير دولته للأمر "شيخ" وكتب له تفويض
في ورق ، عرضة ذراع ونصف بذراع البر ، يزيد عما كان يكتب فيه للسلطين
نصف ذراع بقلم مختصر الطومار .
- وكان المتولى لأمر كتابته المقر الشمسى محمد العمري عين أعيان كتاب التدست
الشريف بالأبواب الشريفة السلطانية ، ونائب كاتب السر . وسيأتي ذلك في الكلام
على التواقيع في المقالة الخامسة إن شاء الله تعالى .

وأما مقرات الخلفاء ، فهي أربع مقرات :

المقرّة الأولى

- المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام والتحية والإكرام
كانت مقرّة الخلفاء الراشدين إلى حين أنقراضهم ، وذلك أن مبدأ النبوة كان
بمكة ثم هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، وأقام بها حتى توفى في الثالث عشر
من ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة .

(١) المشهور أن وفاته يوم الاثنين الثاني عشر الخ ولكن في العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٤٨ طبع بولاق)

لثلاث عشرة خلت من ربيع الأول "ولعل المؤلف أعتمده .

ثم كان بعده في الخلافة أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، ثم الحسن إلى حين سلم الأمر لمعاوية، وإنما كان مقام علي والحسن بالعراق زمن القتال بينهما وبين معاوية.

المقرّة الثانية

الشام

وهي دار خلفاء بني أمية إلى حين أنقراضهم

قد تقدم أن معاوية كان أميراً على الشام قبل الخلافة، ثم استقل بالأمر حين سلم إليه الحسن، وبقى في الشام هو ومن بعده إلى حين أنقراض خلافتهم، فقتل مروان ابن محمد على ما تقدم ذكره. وكانت دار إقامتهم دمشق، وإن نزلوا غيرها فليس لإقامة.

المقرّة الثالثة

العراق

وهي دار خلفاء بني العباس

وكان أول مبايعة السفّاح به بالكوفة على ما تقدم، ثم بنى بعد ذلك بالأندلس مدينةً وسماها الهاشمية ونزلها. فلما ولي أخوه أبو جعفر المنصور الخلافة بعده بنى بغداد وسكنها وصارت منزلاً لخلفاء بني العباس بعده إلى حين أنقراض الخلافة منها بقتل التتر المستعصم آخر خلفائهم بها.

المقرّة الرابعة

الديار المصرية

وهي دار الخلافة الآن

وقد تقدم سبب انتقال الخلافة إليها بعد أنقراضها من بغداد في الكلام على من

ولي الخلافة من الخلفاء، فأغنى عن إعادته هنا.

وقد تقدم أن الحاكم بأمر الله ثانی خلفاتهم بمصر أسكنه الأشرف خليل بن قلاوون بالكبش بخط الجامع الطولوني . أما الآن فاستقرت دار الخلافة بخط المشهد النفيسي بين مصر والقاهرة، ولا أخلى الله هذه المملكة من آثار النبوة .

الفصل الثاني

من الباب الثاني من المقالة الثانية

فيما أنطوت عليه الخلافة من الممالك في القديم، وما كانت عليه

من الترتيب، وما هي عليه الآن

أما ما أنطوت عليه من الممالك، فأعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قد فتح مكة وما حول المدينة من القرى تكبير ونحوها .

١٠ وفتح خالد بن برمكة من الشام في خلافة أبي بكر رضي الله عنه، وهي أول فتح فتح بالشام، ثم كانت الفتوح الكثيرة في خلافة عمر رضي الله عنه، ففتح بلاد الشام، وكور دجلة والأبلة، وكور الأهواز، وإصطخر، وأصبهان، والسوس، وأذربيجان، والرّي، وجرجان، وقزوين، وزنجان، وبعض أعمال خراسان، وكذلك فتحت مصر، وبرقة، وطرابلس الغرب .

١٥ ثم فتح في خلافة عثمان رضي الله عنه : كرمان، وسجستان، وندسابور، وفارس، وطبرستان، وهرارة، وبقية أعمال خراسان . وفتحت أرمينية، وحران، وكذلك فتحت إفريقية، والأندلس، وسد الإسلام ما بين المشرق والمغرب، وكانت الأموال تُجنى من هذه الأقطار النائية والأمصار الشاسعة، فتحمل إلى الخليفة، وتوضع في بيت المال بعد تكفية الجيوش وما يجب صرفه من بيت المال . ولم يزل الأمر على ذلك إلى أثناء خلافة بني العباس، ما عدا الأندلس فإن بقايا خلفاء بني أمية استولوا

٢٠

عليه حتى يقال : إن الرشيد كان يستلقي على ظهره ويبظر إلى السحابة مازة يقول :
 ” أذهبي إلى حيث شئتِ يأتيني خراجك ” ثم اضطرب أمر الخلافة بعد ذلك
 وتفاصر شأنها وأستبدت أكثر أهل الأعمال بعمله من خلافة الرازي على ما سيأتي
 ذكره في الكلام على ترتيب الخلافة فيما بعد إن شاء الله تعالى .

وأما ترتيب الخلافة ، فله حالتان :

الحالة الأولى

ما كان عليه الحال في الزمن القديم

اعلم أن الخلافة لأبتداء الأمر كانت جارية على ما ألف من سيرة النبي صلى الله
 عليه وسلم : من خشونة العيش ، والقرب من الناس ، وأطراح الخيلاء ، وأحوال
 الملوك ، مع ما فتح الله تعالى على خلفاء السلف من الأقاليم ، وجبي إليهم من الأموال
 التي لم يفز عظماء الملوك بجزء من أجزائها . ونأهيك أنهم فتحوا عدة من الممالك العظيمة
 التي كانت يضرب بها المثل في عظم قدرها ، وارتفاع شأن ملوكها ، من ممالك المشرق
 والمغرب . حتى ذكر عظماء الملوك عند بعض السلف فقال : ” إنما الملك الذي يأكل
 الشعير ويعس على رجله بالليل ماشيا وقد فتحت له مشارق الأرض ومغاربها ”
 يريد عمر بن الخطاب رضي الله عنه . ولم يزل الأمر على ذلك إلى أن سلم الحسن
 رضي الله عنه الأمر لمعاوية ؛ وإلى ذلك الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم :
 ” الخلافة في أمي ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك ” فكان آخر الثلاثين خلافة الحسن .
 فلما سلم الحسن رضي الله عنه لمعاوية بعد وقوع الاختلاف وتباين الآراء ، اقتضى
 الحال في زمانه إقامة شعار الملك ، وإظهار أبهة الخلافة ، فأخذ في ترتيب أمور الخلافة
 على نظام الملك لما في ذلك من إرهاب العدو وإخافته . بل كان ذلك شأنه وهو

أمير بالشام قبل أن يلي الخلافة. حتى حكى صاحب "العقد" وغيره أن أمير المؤمنين
 عمر بن الخطاب رضي الله عنه قدم الشام في خلافته، وهو راكب على حمار، ومعه
 عبد الرحمن بن عوف، ومعاوية أميراً على الشام، فخرج معاوية لملاقاته في موكب
 عظيم، فلقبه في طريقه في خوف من القوم فلم يشعر به وتعداه طالبا له، ثم عرف
 ذلك فيما بعد، فرجع وسلم على أمير المؤمنين عمر، ومشى الى جانبه، فلم يلتفت إليه
 وطال به ذلك، فقال له عبد الرحمن بن عوف: أتعبت الرجل يا أمير المؤمنين،
 فالتفت إليه حينئذ، وقال: أنت صاحب الموكب الآن مع ما يبلغني من وقوف
 ذوى الحاجات بيالك؟ - فقال: يا أمير المؤمنين: إنا بأرض يكثر فيها جواسيس
 العدو فاحتاج أن أظهر لهم من أهبة الملك والسلطان ما يزعمهم، فإن أمرتني به،
 آثمت، وإن نهيتني عنه، آتيت - فقال: إن كان ما قلت حقاً، فإنه لرأى
 أديب! وإن كان غير حق، فإنه لخدعة أريب. لا أمرك ولا أنك - فقال
 عبد الرحمن: لحسن يا أمير المؤمنين! ما صدر به هذا الفتى عما أوردته فيه -
 فقال: لحسن مصاديره وموارده جشمناه ما جشمناه.

فلما صارت الخلافة إليه، زاد في حسن الترتيب وإظهار الأبهة، وأخذ الخلفاء
 بعده في مضاعفة ذلك والاحتفال به حتى أمست الخلافة في أغبي ما يكون من ترتيب
 الملك، وفاقته في ذلك الأكاسرة والقباصرة. بل أضمحلت في جانب الخلافة سائر
 الممالك العظام، وأنطوى في ضمنها ممالك المشارق والمغرب، خصوصاً في أوائل
 الدولة العباسية في زمن الرشيد ومن والاه.

حتى يحكى أن صاحب عمورية من ملوك الروم كانت عنده شريفة مأسورة
 في خلافة المعتصم فعذبها، فصاحت وأعتصمها! فقال لها: لا يأتى المعتصم
 لخلاصك إلا على أبلق. فبلغ ذلك المعتصم، فنادى في عسكره بركوب الخيل البلق،

وخرج وفي مقدمة عسكره أربعة آلاف أبلق، وأتى عموريةً فحاصرها وخلص الشريفة، وقال : أشهدى لى عند بمدك المصطفى صلى الله عليه وسلم أنى جئت لخلاصك، وفي مقدمة عسكرى أربعة آلاف أبلق .

وقد حكى ابن الأثير فى تاريخه : أنه لما وصلت رُسُلُ ملك الروم إلى بغداد فى سنة خمس وثلثمائة فى خلافة المقتدر ، رُتِبَ من العسكر فى دار الخلافة مائة وستون ألفاً ما بين راكب وراجل ، ووقف بين يدى الخليفة سبعمائة حاجب ، وسبعة آلاف خادم خصي : أربعة آلاف بيض وثلثة آلاف سُود ، ووقف الغلمان الجبرية الذين هم بمثابة مماليك الطباق الآن بالباب ، بتمام الزينة والمناطق المحلاة ، وزينت دار الخلافة بأنواع الأسلحة ، وغرائب الزينة ، وغُشِيَتْ جُدْرانُها بالستور ، وفرشت أرضها بالبسط ، وكان عدة البسط آتنين وعشرين ألف بساط ، وعدة الستور المعلقة ثمانية وثلاثين ألف ستر ، منها اثنا عشر ألف ستر من الديباج المذهب ، وكان من جملة الزينة شجرة من الذهب والفضة بأغصانها وأوراقها ، وطيور الذهب والفضة على أغصانها ، وأغصانها تمايل بحركات موضوعة ، والطيور تُصَفِّرُ بحركات مرتبة ، وألقيت المراكب والديباب فى دجلة بأحسن زينة . وكان هناك مائة سبع مع مائة سبع ، الى غير ذلك من الأحوال الملوكية التى يطول شرحها .

هذا مع تفهقر الخلافة وأنحطاط رتبها يومئذ . ولم تزل الخلافة قائمة على ترتيب واحد فى النفقة والجرايات والمطابخ وإقامة العساكر إلى آخر أيام الرضى بالله . فلما ولى المُتقى لله ، تقاصر أمر الخلافة وتناقص ، وقنع الخلفاء من الخلافة بالدعاء على المنابر وضرب أسهم على الدنانير والدرهم ، وربما خطب الواحد منهم بنفسه ، ومع ذلك فكان الخليفة هو الذى يولى أرباب الوظائف من القضاة وغيرهم ، وتكتب عنه العهود والتقاليد وغيرها لا يشاركه فى ذلك سلطان .

وأما شعار الخلافة :

فمنها " الخاتم " : والأصل فيه ما ثبت في الصحيح " أن النبي صلى الله عليه وسلم قيل له : إن الملوك لا يقرءون كتابا غير مختوم فأتخذ خاتما من ورق ، وجعل نقشه محمد رسول الله " فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لبسه أبو بكر بعده ثم لبسه عمر بعد أبي بكر ، ثم لبسه عثمان بعد عمر ، فوقع منه في بر فلم يقدر عليه .
ه
وأتخذ الخلفاء بعد ذلك خواتيم ، لكل خاتم نقش يخصه ، وبقي الأمر على ذلك إلى انقراض الخلافة من بغداد .

ومنها " البردة " وهي بردة النبي صلى الله عليه وسلم التي كان الخليفة يلبسها في المواكب .

قال ابن الأثير : وهي شملة مخططة ، وقيل كساء أسود مربع فيه صغرى وقد
١٠
أختلف في وصولها إلى الخلفاء .

فحكى الماوردي في الأحكام السلطانية عن أبان بن تغلب أن النبي صلى الله عليه وسلم كان وهبها لكعب بن زهير حين أتمدهه بقصيدته التي أرتط : " بآنت سعاد " فأشترها منه معاوية . والذي ذكره غيره أن كعبا لم يسمع بيعها لمعاوية ، وقال : لم أكن لأوثر بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا . فإما مات كعب
١٥
أشترها معاوية من ورثته بعشرة آلاف درهم .

وحكى الماوردي أيضا عن حمزة بن ربيعة أن هذه البردة كان النبي صلى الله عليه وسلم أعطها لأهل أيلة أمانا لهم ، فأخذها منهم عبد الله بن خالد بن أبي أوفى وهو عامل عليهم من قبيل مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية وبعث بها إليه ، وكانت في خزانته حتى أخذت بعد قتله . وقيل أشترها أبو العباس السفاح ، أول
٢٠
خلفاء بني العباس بثلاثة دینار .

- ومنها "القَضِيب" : وهو عُود كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأخذه بيده .
 قال الماوردي : وهو من تَرَكَة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي هي صدقة .
- قلت : وكان القَضِيب والبردَةُ المتقدِّمًا الذِكرُ عند حلفاء بني العباس ببغداد إلى أن أنترعهما السلطان سنجر السُّجُوفِيّ من المنرشِد بالله ، ثم أعادهما إلى المقتضى عند ولايته في سنة خمس وثلاثين وخمسمائة . والذي يظهر أنها بقيت عندهم إلى أنقضاء الخلافة من بغداد سنة ست وخمسين وستمائة فإن مقدار ما بينهما مائة وإحدى وعشرون سنة ، وهي مدة قريبة بالنسبة إلى ما تقدم من مدتهما .
- ومنها "ثياب الخلافة" : وقد ذكر السلطان عماد الدين صاحب حَمَاة في تاريخه في الكلام على ترجمة الملك السعيد إسماعيل أحد ملوك بني أيوب بإيمانه أنه كان به هَوَجٌ ، فأدعى أنه من بني أمية ولبس ثياب الخلافة ، ثم قال : وكان طول الكم يومئذ عشرين شهرًا ، فيحتمل أنه أراد زمن بني أمية ، وأنه أراد زمن بني أيوب .
- ومنها "اللون" في الأعلام والحلج ونحوها .
- وكان شعار بني أمية من الألوان الخُضْرَاءُ ، فقد حكى صاحب حَمَاة عن الملك السعيد إسماعيل المتقدم ذكره : أنه حين ادعى الخلافة وأنه من بني أمية لبس الخُضْرَاءَ ، وهذا صريح في أنه شعارهم .
- أما أبو العباس فشعارهم السُّوَادُ ، وقد اختلف في سبب اختيارهم السُّوَادَ ، فذكر القاضي الماوردي في كتابه "الحاوي الكبير" في الفقه : أن السبب في ذلك أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في يوم حُتَيْبٍ ويوم الفَتْحِ عقد لعنه العباس رضي الله عنه رايةً سوداء .

وحكى أبو هلال العسكري في كتابه "الأوائل" : أن سبب ذلك أن مروان ابن محمد آخر خلفاء بني أمية حين أراد قتل إبراهيم بن محمد العباسي - أول القائمين من بني العباس بطلب الخلافة قال لشيعته : لا يهولنكم قتلي ، فإذا تمكنتم من أمركم فاستخلفوا عليكم أبا العباس يعني السفاح ، فلما قتله مروان ، لبس شيعته عليه السواد ، فلزمهم ذلك وصار شعاراً لهم .

ومن غريب ما وقع مما يتعلق بذلك ما حكاه ابن سعيد في "المغرب" أن الظافر الفاطمي أحد خلفاء مصر لما قتله وزيره عباس ، بعث نساء الخليفة شعورهن طي الكُتب إلى الصالح طلائع بن رزيك ، وهو يومئذ وال بمنية بنى خصيب^(١) ، فحضر إليهم وقد رفع تلك الشعور على الرماح ، وأقام الرايات السود إظهاراً للحرب على الظافر ، ودخل القاهرة على ذلك ، فكان ذلك من الفأل العجيب ، وهو أن مصر انتقلت إلى بني العباس بعد خمسة عشرة سنة ، ورفعت راياتهم السود بها .



وأما تولية الملوك عن الخلفاء ، فكان الحال فيه مختلفا باعتبار السلطان بمحضرة الخلافة وغيره . فإن كان الذي يوليه الخليفة هو السلطان الذي بمحضرة الخلافة ، كبنى بويه وبنى سلجوق وغيرهم ، فقد حكى ابن الأثير وغيره أن السلطان طغرل بك ابن ميكائيل السلجوقي لما تقلد السلطنة عن "القائم بأمر الله" في سنة تسع وأربعين وأربعمائة ، جلس له الخليفة على كرسي ارتفاعه عن الأرض نحو سبعة أذرع ، وعليه البردة ، ودخل عليه طغرل بك في جماعة ، وأعيان بغداد حاضرون ، فقبل طغرل بك الأرض ويد الخليفة ، ثم جلس على كرسي نصب له ، ثم قال رئيس الرؤساء وزير الخليفة عن لسان الخليفة : "إن أمير المؤمنين قد ولأك جميع ما ولأه الله تعالى من

(١) وتعرف بمنية ابن الخصيب ، ومنية أبي خصيب ، نسبة إلى الخصيب بن عبد الحميد صاحب خراج ممر في عهد الخليفة هارون الرشيد العباسي . وهي المعروفة اليوم بـ «المنيا» عاصمة الإقليم المعروف باسمها .

بلاده، ورد إليك أمر عباده، فأتق الله فيما ولّك، وأعرف نعمته عليك“ ثم خلع على طغرل بك سبع جبات سود بزيق واحد، وعمامة سوداء، وطوق بطوق من ذهب، وسور بسوارين من ذهب وأعطى سيفاً بغلاف من ذهب، ولقبه الخليفة، وقرئ عهده عليه فقبل الأرض ويد الخليفة ثانياً وأنصرف، وقد جهّز له فرس من إصطبلات الخليفة بمركب من ذهب مقندس فركب وأنصرف إلى داره، وبعث إلى الخليفة خمسين ألف دينار، وخمسين مملوكاً من الترك بنحوهم وسلاحهم مع ثياب وغيرها. ولعل هذا كان ترتيبهم في لبس جميع ملوك الحضرة.

وإن كان الذي يوليه الخليفة من ملوك النواحي البعيدة عن حضرة الخليفة كلوك مصر إذ ذاك ونحوهم، جهّز له التشریف من بغداد صحبة رسول من جهة الخليفة، وهو جبة أطلس أسود بطراز مذهب وطوق من ذهب يجعل في عنقه، وسواران من ذهب يجعلان في يديه، وسيف قرابه ملبس بالذهب، وفرس بمركب من ذهب، وعلم أسود مكتوب عليه بالبياض اسم الخليفة ينشر على رأسه، كما كان يبعث إلى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ثم أخيه العادل. فإذا وصل ذلك إلى سلطان تلك الناحية، لبس الخلعة والعمامة، وتقلد السيف وركب الفرس وسار في موكبه حتى يصل إلى محل ملكه. وربما جهّز مع خلعة السلطان خلع أخرى لولده أو وزيره أو أحد من أقاربه بحسب ما يقتضيه الحال حينئذ.

وآخر من وصلت إليه الخلعة والطوق والتقليد من ملوك بني أيوب من بغداد الناصر يوسف بن العزيز بن السلطان صلاح الدين عن المستعصم في سنة خمس وخمسين وستمائة.

وأما الوظائف المعتبرة عندهم ، فعلى ضربين :

الضرب الأول

وظائف أرباب السيوف ؛ وهي عدة وظائف

منها "الوزارة" في بعض الأوقات دون بعض .

- ٥ وقد ذكر القضاعي وغيره أن أول من لُقّب بالوزارة في الإسلام ، أبو سلمة حفص بن سليمان الخلال وزير أبي العباس السفّاح أول خلفاء بني العباس ، ولم يكن ذلك قبله ، ثم جرى الأمر على ذلك في اتخاذ الخلفاء الوزراء إلى انقراض الخلافة ببغداد بقتل التار المستعصم في سنة ست وخمسين وستمائة ، ووزيره يومئذ مؤيد الدين بن العلقمي ، وقتله هولاء كوميك التار بعد قتل المستعصم لما لأنه على المستعصم مع التار ، وهو آخر وزراء الخلافة ببغداد .

١٠

ومنها "الحجّابة" : وكان موضوعها عندهم حفظ باب الخليفة والأستئذان للداخلين عليه ، لا التصدي للحكم في المظالم كما هو الآن .

وقد ذكر القضاعي في "تاريخ الخلائف" ما يقتضى أن الخلفاء لم تزل تتخذ الحجّاب من نَدَن الصّدّيق رضى الله عنه فمن بعده ، خلا الحسن بن علي فإنه لم يكن له حاجب .

١٥

ومنها "ولاية المظالم" : وموضوعها قوّد المظالمين إلى التناصف بالرّهبة ، وزجر المتنازعين عن التجاؤد بالهيبه . كما قاله الماوردي في "الأحكام السلطانية" وهي شبيهة بانجوبية الآن في هذا المعنى ؛ وكانت عندهم من أعلى الوظائف وأرفعها رتبة لا يتولّاها إلا ذوو الأقدار الجليّة ، والأخطار الحفيلة .

٢٠

ومنها "النقابة على ذوى الأنساب" : كالتالبيين والعباسيين ومن في معناهم ، كما في نقابة الأشراف الآن بالديار المصرية وأعمالها ؛ وكانت لديهم من

وظائف أرباب السيوف، ولذلك استُصِحِبَ هذا المعنى في نقيب الأشراف الآن، فيكتب في القباية الأميرية، وإن كان من أرباب الأقلام على ماسياتي ذلك في كتابة توقيعه إن شاء الله تعالى .

الضرب الثاني

- وظائف أرباب الأقلام، وهي نوعان : دينية وديوانية .
- فأما الديوانية – فجلُّها ”الوزارة“ إذا كان الوزير صاحب قلم . وقد مرّ القول في ابتداء وزارة الخلفاء وانهائها في الكلام على وزارة أرباب السيوف في الضرب الأول .
- وأما الدينية – فمنها ”التمضاء“ وكانت ولاية القضاء عن الخليفة تارة تكون عامة لبغداد وأعمالها، وتارة قاصرة على بغداد أو أحد جانبيها .
- ومنها ”الحسبة“ وأمرها معروف .
- ومنها ”ولاية الأوقاف“ والنظر عليها .
- ومنها ”الولاية على المساجد“ والنظر في أمر الصلاة .
- ومن الوظائف الخارجة عن حضرة الخلافة لأرباب السيوف الإمارة على الجهاد، والإمارة على الحج وغيرها .
- ومن الوظائف الخارجة عن الحضرة لأرباب الأقلام ولاية قضاء النواحي، والحسبة بها إلى غير ذلك من ولايات زعماء الذمة وغيرهم .

الحالة الثانية

- ما صار إليه الأمر بعد انتقال الخلافة إلى الديار المصرية عند استيلاء التار على بغداد لما بايع الملك الظاهر بيبرس البندقداري في سنة تسع وخمسين وستمائة .

”المستنصر بن الظاهر“ أول الخلفاء بمصر على ما تقدم ذكره وكتب له عهد عنه بالسلطنة من إنشاء القاضي محي الدين بن عبد الظاهر، وعمل له السلطان الذهليز وآلات الخلافة ورتب له الجمدارية، وأستخدم له عسكريا عظيما وجهزه إلى بغداد للاستيلاء عليها فقتله التتار على ما تقدم .

- ٥ ثم لما بايع الظاهر أيضا الإمام ”الحاكم بأمر الله“ ثاني خلفائهم أيضا في سنة تسع وخمسين وستمئة على ما تقدم ذكره، بقي مدة، ثم أشركه معه في الدعاء في الخطبة على المبار في سنة ست وستين وستمئة، إلا أنه منعه من التصرف والدخول والخروج . ولم يزل كذلك إلى أن ولي السلطنة الملك الأشرف ”خليل بن المنصور قلاوون“ فأطلق سبيله ، وأسكنه في الكباش على القرب من الجامع الطولوني، وكان يخطب أيام الجمع بجامع القلعة إلى أن ولي السلطنة الملك المنصور حسام الدين لاجين، فأباح له التصرف والركوب إلى حيث شاء، وبقى الأمر على ذلك إلى أن ولي الخلافة ”المستعصم بالله“ أبو العباس أحمد بن المستكفي بالله أبي الربيع سليمان المرة الثانية بعد موت الملك الناصر محمد بن قلاوون، ففوض إليه السلطان نظر المشهد النفيسى وأستقر بأيدي الخلفاء إلى الآن .

- ١٥ والذي أستقر عليه حال الخلفاء بالديار المصرية أن الخليفة يفوض الأمور العامة إلى السلطان ، ويكتب له عهد بالسلطنة ويدعى له قبل السلطان على المنابر إلا في مصلى السلطان خاصة في جامع مصلاه بقلعة الجبل المحروسة ، ويستبد السلطان بما عدا ذلك : من الولاية والعزل وإقطاع الإقطاعات حتى للخليفة نفسه، ويستأثر بالكتابة في جميع ذلك .

- ٢٠ قلت : ولم يزل الأمر على ذلك إلى أن قبض على السلطان الملك الناصر فرج ابن الظاهر برقوق بالشام في أوائل سنة خمس عشرة وثمانمئة على ما تقدم ذكره ،

فاستقل الإمام "المستعين بالله" خليفة العصر بأمر الخلافة: من الكتابة على العهود ومناشير الإقطاعات، والتقاليد، والتوافيع، والمكاتبات وغيرها، وأُفرد بالدعاء على المنابر، وضرب اسمه على الدنانير والدرهم والطرز على ما تقدم ذكره في الكلام على ترتيب الخلفاء، وهيئته في لبسه عند ركوبه بالمدينة في المواكب أو غيرها.

فعمامته مدورة لطيفة عليها رَفْرَفٌ من خَلْفِهِ تقدير نصف ذراع في ثلث ذراع مرسل من أعلى عمامته إلى أسفلها، وفوق ثيابه كاملة ضيقة الكُمَّ مفرجة الذيل من خلف وتحتها قباء ضيق الكُمَّ.

أما تقليده السلطان السلطنة، فالذي رأيت في بعض التواريخ في عهد الإمام الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد بن أبي الربيع سايان، إلى السلطان الملك المنصور أبي بكر بن الملك الناصر محمد بن قلاوون بعد مبايعة الحاكم المذكور عند موت أبيه في سنة اثنتين وأربعين وسبعائة: أنه طلع القضاة والأمراء إلى القلعة واجتمعوا بدار العدل، وجلس الخليفة على الدرجة الثالثة من التخت، وعليه خِلمة خضراء، وعلى رأسه طرحة سوداء مرقومة بالبياض، وخرج السلطان من القصر إلى الإيوان من باب السر على العادة، فقام له الخليفة والقضاة والأمراء، وجاء السلطان بفلس على الدرجة الأولى من التخت دون الخليفة، ثم قام الخليفة فقرأ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ إلى آخر الآية، وأوصى السلطان بالرفق بالرعية، وإقامة الحق، وإظهار شعائر الإسلام ونصرة الدين، ثم قال: "فوضت إليك جميع أمر المسلمين، وقدتك ما تقلدته من أمور الدين". ثم قرأ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ إلى آخر الآية، ثم أتى الخليفة بخِلمة سوداء وعمامة سوداء مرقومة الطرف بالبياض، فألبسها السلطان وقلده سيفه، ثم أتى بالعهد المكتوب عن الخليفة للسلطان فقرأه القاضي علاء الدين بن فضل الله كاتب السر إلى آخره. فلما فرغ من قراءته، تناوله الخليفة

فكتب عليه ما صورته - فؤضت إليه ذلك - وكتب - أحمد بن عم محمد
صلى الله عليه وسلم - وكتب القضاة الأربعة شهادتهم بالتولية ، ثم أتى بالسياط
على العادة .

وأخبرني من حضر تقليد السلطان الملك الناصر فرح بن الظاهر برفوق عن
الإمام المتوكل على الله أبي الفتح محمد المشار إليه فيما تقدم : أنه حضر الخليفة
وشيخ الإسلام سراج الدين البقيني^(١) ، والقضاة الأربعة وأهل العلم ، وأمرء الدولة
إلى مقعد بالإصطبلات السلطانية يعرف بالحزافة ، وجلس الخليفة في صدر المكان
على مقعد مفروش له ، ثم أتى السلطان وهو يومئذ حدث ، بجلس بين يديه ،
وسأله شيخ الإسلام عن بلوغه الحلم فأجاب بالبلوغ ، فخطب الخليفة خطبه . ثم
خاطب السلطان بتفويض الأمر إليه على نحو ما تقدم ذكره ، ثم أتى الخليفة بخلع
سوداء وعمامة سوداء ، مرقومة فوقها طرحة سوداء مرقومة ، ثم جلس الخليفة
في مكانه الذي كان جالسا فيه ، ونُصِبَ للسلطان كرسيٌّ إلى جانب مقعد الخليفة
بجلس عليه ، وجلس الأمراء والقضاة حوله على قدر منازلهم ، وقد استقرت جائزة
تقليد السلطنة للخليفة ألف دينار مع قماش سكندري .

أما حضوره يجلس السلطان في عامة الأيام ، عند حضوره إلى السلطان اسلام
أو مهم أو غير ذلك ، فقد أخبرني بعض جماعة الخليفة أن الإمام المتوكل المتقدم
ذكره كان إذا حضر إلى مجلس السلطان الظاهر ، قام له ، وربما مشى إليه
خطوات وجلس على طرف المقعد وأجلس الخليفة إلى جانبه .

(١) القضاة الأربعة في ذلك الوقت هم : القاضي الشافعي صدر الدين محمد المذاهبي ، والقاضي الحنفي
جمال الدين يوسف المنطلي ، والقاضي المالكي ولي الدين عبد الرحمن بن خلدون ، والقاضي الحنبلي
برهان الدين إبراهيم بن نصر الله العسقلاني .

الباب الثالث

من المقالة الثانية

في ذكر مملكة الديار المصرية ومضافاتها، وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول

في مملكة الديار المصرية ومضافاتها، وفيه طرفان

الطرف الأول

في الديار المصرية، وفيه اثنا عشر مقصدا

المقصد الأول

في فضلها ومحاسنها

أما فضلها فقد ورد في الكتاب والسنة ما يشهد لها بالفضيلة، ويقضى لها بالفخر قال تعالى: ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ﴾ يريد بالقوم بني إسرائيل، وبالارض أرض مصر، ووصفها بالبركة إما بمعنى الفضل كما في قوله تعالى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ﴾. وإما من الحُصْبِ وَسَعَةِ الرِّزْقِ بَدَائِلِ قَوْلِهِ تَعَالَى مَخْرَجًا عَنِ قَوْمِ فِرْعَوْنَ: ﴿ فَأَخْرَجْنَا هُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَنَقَامٍ كَرِيمٍ وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَآكِهِينَ ﴾. وقال جل وعز: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا مِصْرَ بُيُوتًا وَأَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً ﴾ فامر بالعبادة في بيوتها إشارة إلى شرف أرضها ورفعة قدرها.

وقد ذكر الله تعالى اسمها في غير موضع من كتابه العزيز في ضمن قصص الأنبياء عليهم السلام . فقال تعالى إخبارا عن يوسف عليه السلام : ﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ ﴾ وفي موضع آخر : ﴿ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴾ وقال حكاية عن فرعون لعنه الله : ﴿ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي ﴾ وفي معناه قوله تعالى خطابا لبني إسرائيل : ﴿ اهْبِطُوا مِصْرَ فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ ﴾ على قراءة الحسن والأعمش مصر غير مصروف .

قال القضاعي : وكذلك قراءة من قرأ ﴿ اهْبِطُوا مِصْرًا ﴾ مصروفا بناء على أن مصر مذكر سمي به مذكرا فلم يمنع الصرف فيه ، والتصريح بذكرها دون غيرها من الأقاليم دليل الشرف والفضل .

وقد ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ” إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ بِلَادًا يُدْكِرُ فِيهَا الْقِيرَاطُ فَاسْتَوْصُوا بِأَهْلِهَا خَيْرًا فَإِنَّ لِأَهْلِهَا نَسَبًا وَصِهْرًا “ أراد بالنسب هاجر أم إسماعيل عليه السلام ، وكان بعض ملوك مصر قد وهبها لزوجته سارة . وأراد بالصهر مارية أم إبراهيم ، ولد النبي صلى الله عليه وسلم ، كان المقوقس قد أهداها للنبي صلى الله عليه وسلم في جملة هديته .

ويروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ” إِذَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِصْرَ فَاتَّخِذُوا بِهَا جُنْدًا كَثِيفًا ، فَذَلِكَ خَيْرُ جُنْدِ الْأَرْضِ ، قِيلَ : وَلِمَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : لِأَنَّهُمْ فِي رِبَاطٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ “ .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ” مِصْرُ أَطْيَبُ الْأَرْضِينَ تَرَابًا وَعَجْمُهَا أَكْرَمُ الْعَجْمِ نِسَابًا “ .

ويقال في التوراة : ” مِصْرُ خَزَائِنُ اللَّهِ ، فَمَنْ أَرَادَهَا بِسُوءٍ قَسَمَهُ اللَّهُ “ .
وقال عمرو بن العاص رضى الله عنه ” وَلا يَهْدِي مِصْرَ حَامِعَةٌ تَعْدِلُ الْخِلَافَةَ “ .

ومن كلام كعب الأحبار : ” مصرُ بلد معاقٍ من التمن ، فمن أرادها بسوء
كبه الله على وجهه “ .

ووصفها الكندي فقال : ” جبلُّها مقدس ، ونيلها مبارك ، وبها الطور الذي
كلم الله تعالى عليه موسى عليه السلام “ .

٥ قال كعب الأحبار : ” كلم الله تعالى موسى من الطور الى طوى “ وفي التوراة
” وادٍ مقدس أفيح “ يريد وادي موسى عليه السلام .

ودخلها جماعة من الأنبياء عليهم السلام ، منهم إبراهيم ، ويعقوب ، ويوسف ،
وإخوته عليهم السلام .

١٠ ونقل في ” الروض المعطار “ عن الجاحظ أن عيسى بن مريم عليه السلام
ولد بها بكورة^(١) أهناس الآتي ذكرها في كور مصر المقدسة ، وأن نخلة مريم كانت
بأهناس قائمة إلى زمانه . وذكر أيضا أن موسى عليه السلام ولد بها بمدينة أسكر
شرق النيل ، وهي الآن قرية من الأعمال لإطفيحية الآتي ذكرها في أعمال
الديار المصرية .

١٥ وبها سجن يوسف عليه السلام بمدينة بؤصير الخراب من الأعمال الجيزية على
القرب من البدرشين .

قال القضاعي : أجمع أهل المعرفة من أهل مصر على صحة هذا المكان ،
وأن الوحي كان ينزل عليه به ، وسطحه معروف بإجابة الدعاء .

سأل كافور الإخشيدى الإمام أبا بكر بن الحداد الفقيه الشافعي عن موضع
يستجاب فيه الدعاء ، فأشار عليه بالدعاء على سطح هذا السجن .

٢٠ قال القضاعي : وعلى التراب منه مسجد موسى عليه السلام ، وهو مسجد مبارك .

(١) ابن أحمد عليه كتب الدين والنار يخ أنه ولد بشرية بنت لحم ببلاد فلسطين وليس بمصر .

وبسفع المقطم بالقرافة الصغرى قبر (يهودا ورؤبيل) من إخوة يوسف عليه السلام .

وقد روى أنه دخلها من الصحابة رضوان الله عليهم ما يزيد على مائة رجل ، ودُفن بقرافتها جماعة منهم فيما ذكره ابن عبد الحكم عن ابن لهيعة خمسة نفر ، وهم : عمرو بن العاص ، وعبد الله بن حذافة ، وأبو بصرة الغفاري ، وعقبة بن عامر الجهني ، وعبد الله بن الحارث الزبيدي وهو آخرهم موتاً .

قال القضاعي : وذكر غير ابن لهيعة أن مسلمة بن مخلد الأنصاري أيضا مات بها ، وهو أميرها .



١٠ أما محاسنها ، فلا شك أن مصر مع ما أشتمت عليه من الفضائل ، وحفت به من المآثر أعظم الأقاليم خطراً ، وأجلها قدراً ، وأخفها ماء ، وأطيبها تربة ، وأخفها ماء ، وأخصبها زرعاً ، وأحسنها ثماراً ، وأعدلها هواءً ، وألطفها ساكناً .
ولذلك ترى الناس يرحلون إليها ، وفوداً ، ويفدون عليها من كل ناحية ، وقل أن يخرج منها من دخلها ، أو يرحل عنها من وبلجها ، مع ما أشتمت عليه من حسن المنظر ، وبهجة الرويق لا سيما في زمن الربيع ، وما يسدونها من الزروع التي تملأ العين وسامة وحسناً ، وتروق صورة ومعنى .

١٥ قال المسعودي : وصف الحكماء مضر فقالوا : ثلاثة أشهر لؤلؤة بيضاء ، وثلاثة أشهر مسكة سوداء ، وثلاثة أشهر زمردة خضراء ، وثلاثة أشهر سبيكة حمراء .
فاللؤلؤة البيضاء ، زمان النيل ، والمسكة السوداء ، زمان نضوب الماء عن أرضها والزمردة الخضراء ، زمان طلوع زروعها ، والسبيكة الحمراء ، زمان هيج الزرع وأكثاله .
٢٠ وقد قيل : لو ضرب بينها وبين غيرها من البلاد سور ، لفني أهلها بها عما سواها ولما احتاجوا إلى غيرها من البلاد . وذاهيك ما أخبر الله تعالى به عن فرعون

مع عتوه وتجرده وأدعائه الربوبية بأفتخاره بملكها بقوله : ﴿ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ
وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ .

قال ابن الأثير في "عجائب المخلوقات" : وهي إقليم العجائب ، ومعدن الغرائب ،
كان أهلها أهل ملك عظيم ، وعز قديم ، وإقليمها أحسن الأقاليم منظرًا ، وأوسعها
خيرًا ، وفيها من الكنوز العظيمة ، ما لا يدخله الإحصاء . حتى يقال إنه ما فيها
موضع إلا وفيه كنز .

قلت : أما ما ذكره أحمد بن يعقوب الكاتب في كتابه في "المسالك والممالك"
من ذمه مصر بقوله : هي بين بحر رطب عفين كثير البحارات الرديئة ، يولد الأذواء
ويُفسد الغذاء ، وبين جبل وبر يابس صلد ، لشدة يسه لا تثبت فيه خضراء ،
ولا تنفجر فيه عين ماء ، فكلام متعصب خرق الإجماع ، وأتى من سخيف القول
بما تنفر عنه القلوب وتمجه الأسماع ، وكفى به تقيصة أن دم النيل الذي شهد العقل
والنقل بتفضيله ، وغض من المقطم الذي وردت الآثار بتشريفه .

المقصد الثاني

في ذكر خواصها وعجائبها ، وما بها من الآثار القديمة
أما خواصها ، فمن أعظمها خطرًا معدن الرمرد الذي لا نظيره في سائر أقطار
الأرض ، وهو في مغارة في جبل على ثمانية أيام من مدينة قوص ، يوجد عروقًا
خضراء في تطابق حجر أبيض ، وفضله الدبالي ، وهو أقل من الفليل . بل
لا يكاد يوجد .

ولم يزل هذا المعدن يستخرج منه الرمرد إلى أثناء الدولة لناصرية "محمد بن

٢٠ قلاوون" فأهمل أمره وترك .

قال في "مسالك الأبصار": وجميع ملوك الأرض وأهل الآفاق تستمد منه .
وقد مرّ القول عليه في جملة الأحجار الملوكية في أواخر المقالة الأولى .

- وأعظم خطراً منه وأرفع شأنًا اللسان الذي تسميه العامة البلسم ، وهو نبات يزرع ببقعة مخصوصة بأرض المطرية من ضواحي القاهرة على القرب من عين شمس ، ويسقى من بئر مخصوصة هناك ، يقال إن المسيح عليه السلام أغتسل بها حين قدمت به أمه إلى مصر ، والنصارى تزعم أنه حفرها بعقبه وهو طفل ، حين وضعته أمه هناك .

ومن خاصتها أن اللسان لا يعيش إلا بمائها ولا يوجد في بقعة من بقاع الأرض غير هذه البقعة .

- ١٠ قال ابن الأثير في "عجائب المخلوقات" : وطول هذه الأرض ميل في ميل ، وشأنه أنه يُفصد في شهر كيهك من شهور القبط ، ويجمع ما يسيل من دهنه ويصفى ويطبخ ويحمل إلى خزانة السلطان ، ثم ينقل منه قدر معلوم إلى قلاع الشام والبيارستان ليستعمل في بعض الأدوية ، وملوك النصارى من الحبشة والروم والفرنج يستهدونه من صاحب مصر ويهادونه بسببه ، لما يعتقدونه فيه من أثر المسيح عليه السلام في البئر ، وله عليهم بذلك اليد الطولى والمينة العظمى ، لا يساويه عندهم ذهب ولا جوهر .

قال في "مسالك الأبصار": والنصارى كافة تعتقد فيه ما تعتقد ، وترى أنه لا يتم تنصر نصراني حتى يوضع شيء من هذا الدهن في ماء المعمودية عند تغطيسه فيها .
وبها معدن النظرون ، وهو منها في مكانين .

- ٢٠ أحدهما — بركة النظرون التي بالجبل الغربي غربى عمل البحيرة الآتى ذكره

في جملة أعمالها المستقرة، وهي من أعظم المعادن وأكثرها متحصلاً على حفارة
النظرون وقلة ثمنه .

قال في "التعريف" : لا يعرف في الدنيا بركة صغيرة يُستغلُّ منها نظيرها ،
فإنها نحو مائة فدّان تغل نحو مائة ألف دينار .

والثاني - مكان بالخطّارة من الشرقية ، ولا يبلغ في الجودّة مبلغ البركة الأولى ،
ولا يبلغ في المتحصّل قريبا من ذلك

وبها أيضا معدن الشّبّ على القرب من أسوان ، وهو من المعادن الكثيرة
المتحصّل أيضا إلى غير ذلك من الخواص .

وبها معدن النّفط على ساحل بحر القلزم ، يسيل دهنه من أعلى جبل قليلا قليلا
ويترى إلى أسفله فيتحصّل في ديار قد وضعها له الأتولون ، وتأتي العرب فتحمله
إلى خزائن السلاح السلطانية .



وأما عجائبها، فكثيرة

(منها) جبل الطير شرقي النيل ، مقابل مئبة أبي خصيب ، فيه صدع يأتي إليه
جنس البواقير من الطير، وهو المعروف بالبح في يوم من السنة فيضيعون مناقيرهم في ذلك
الصدع واحدا بعد واحد حتى يتعاق منها واحد في ذلك الصدع فيتركونه ويذهبون .

قال ابن الأثير في "عجائب المخلوقات" : قال أبو بكر الموصلي : سمعت من أعيان
تلك البلاد أنه إذا كان العام مخصبا ، يُقبض على طائرين ؛ وإن كان متوسطا ،
يقبض على طائر واحد ؛ وإن كان جدبا ، لم يقبض على شيء .

(ومنها) مكان بالجبل الشرقي عن النيل ، على القرب من أنصنا به تلال رمل إذا
صعد إلى أعلاها وكسح الرمل إلى أسافلها سمعت له أصوات كالرعد ، يسمع من
البر الغربي من النيل .

وقد أخبرني بعض أهل تلك البلاد أنه إذا كان الذي صعد على ذلك المكان جُبًا أو كانوا جماعة فيهم جنب، لم يسمع شيء من تلك الأصوات لو كسح الرمل. (ومنها) مكان بالجبل المذكور على القرب من إنجيم به تلال رمل إذا كسحها الإنسان من أعلى إلى أسفل، عادت إلى ما كانت عليه وارتفع الرمل من أسفلها إلى أعلاها.

قال في "الروض المعطار": وعلى النيل جبل يراه أهل تلك الناحية من أنتهى سيفه وأولجه فيه وقبض على مقبضه بيديه جميعا، اضطرب السيف في يديه وأرتعد فلا يقدر على إمساكه ولو كان أشد الناس، وإذا حُدَّ بحجارة هذا الجبل سيكين أو سيف لا يؤثر فيه حديد أبدا، وجذب الإبر والمسأل أشدَّ جذبا من المغناطيس، ولا يبطل فعلها بالثوم كما يبطل المغناطيس، أما الحجر نفسه فإنه لا يجذب.

قال التميمي: وجبل زماهير الساحرة يقال إن فيه خلقة من الجبل ظاهرة مشرفة على النيل لا يصل إليها أحد يلوح فيها خط مخلوق "باسمك اللهم". وعلى القرب من الطور عين ماء في أجمة رمل يسع الماء من وسطها فورات لطيفة وينبسط ماؤها حولها نحو الذراع، ثم يغوص في الرمل فلا يظهر له أثر، ولا يعرف أحد إلى أين يذهب، وهي على ذلك مدى الدهور والأيام لا ينقطع نبعها، ولا يجتمع ماؤها في مكان يدركه الصر، وعنائها أكثر من أن تذكر.

المقصد الثالث

في ذكر نيلها ومبدئه وأنهاؤه، وزيادته ونقصه، وما تنهى إليه زيادته.

وما تصل إليه في النقص وقاعدته

أما ابتداءه وأنهاؤه، فاعلم أن ابتداءه من أول الخراب الذي هو جنوبي خط الاستواء المقدم ذكره، ولذلك عسر الوقوف على حقيقة خبره.

وقد ذكر الحكماء أنه ينحدر من جبل القمر، إما (بفتح القاف والميم كما هو المشهور، وإما بضم القاف وسكون الميم) كما نقله في "تقويم البلدان" عن ضبط ياقوت في "المشترك" وأبن سعيد في "معجمه".

قال في "رسم المعمور" ^(١) وطرفه الغربي عند طول [ست وأربعين] ونصف وعرض إحدى عشرة ونصف في الجنوب، وطرفه الشرق حيث الطول إحدى وستون درجة ونصف والعرض بحاله. قال في الرسم: ولونه أحمر. وذكر الطوسي أنهم شاهدوه على بُعد، ولونه أبيض لما غلب عليه من الثلج. وأعرضه في "تقويم البلدان" بأن عرض إحدى عشرة في غاية الحرارة لاسيما في الجنوب لحضيض الشمس. قال بطليموس: والنيل ينحدر من الجبل المذكور من عشرة مسيلات، بين كل مسيلين منها درجة في الطول المقدم بيانه، والغربي منها، وهو الأول عند طلوع ثمان وأربعين درجة، والثاني عند طلوع تسع وأربعين، وعلى ذلك حتى يكون العاشر منها عند طلوع سبع وخمسين، كل مسيل منها نهر، ثم تجتمع العشرة وتصب في بطيحتين كل خمسة منها تصب في بطيحة، ثم يخرج من كل واحدة من البطيحتين أربعة أنهار، ثم تنفرع إلى ستة أنهار، وتسير الستة في جهة الشمال حتى تصب في بحيرة مدورة عند خط الاستواء تعرف ببجيرة كوري، فيفترق النيل منها ثلاث فرق. وفرقة تأخذ شرقا وتذهب إلى مقدشو من بلاد الحبشة المسلمين على ساحل البحر الهندي مقابل بلاد اليمن. وفرقة تأخذ غربا وتذهب إلى النكور وغانة من مملكة مالي من بلاد السودان، وتمت حتى تصب في البحر المحيط الغربي عند جزيرة أوليل وتسمى نيل السودان.

(١) الزيادة عن كتاب رسم المعمور من البلاد للعلامة محمد بن موسى بن شاكر الخوارزمي أحد الإخوة الثلاثة المعروفين ببني موسى المتوفى سنة ٢٥٩ هـ المطبوع من الجزء الخاص بإفريقية.

وفرقة تأخذ شمالاً - وهي نيل مصر - فيمر في الشمال على بلاد زغاوة ، وهي أول ما يلقى من بلاد السودان .

ثم يمتز على بلاد النوبة حتى ينتهي إلى مدينتها دُنُّلَّة الآتى ذكرها في الكلام على ممالك السودان .

٥ ثم يمتز شمالاً بميلة إلى الغرب إلى طول إحدى وخمسين ، وعرض سبع عشرة على حاله .

ثم يمتز مغرباً بميلة قليلة إلى الشمال إلى طول اثنتين وثلاثين ، وعرض تسع عشرة . ثم يرجع مُشرقاً إلى طول إحدى وخمسين .

١٠ ثم يمتز في الشمال إلى الجنادل ، وهو الجبل الذي ينحدر عليه النيل بين منتهى مراكب النوبة في أنحدارها ومراكب مصر في صُعودها ، حيث الطول ست وخمسون درجة ، والعرض اثنتان وعشرون درجة .

ثم يمتز شمالاً إلى مدينة أسوان الآتى ذكرها في أعمال الديار المصرية على القرب من الجنادل المقدمة الذكر .

و يمتز شمالاً بميلة إلى الغرب إلى طول ثلاث وخمسين ، وعرض أربع وعشرين . ثم يُشرق إلى طول خمس وخمسين .

١٥ ثم يأخذ في الشمال حتى ينتهي إلى مدينة الفُسطاط الآتى ذكرها في قواعد مصر المستقرة .

و يمتد في جهة الشمال أيضاً حتى يصير بالقرب من قرية تسمى شَطْنُوف^(١) من قرى مصر ، من عمل منوف فيفترق بفرقتين : فرقة شرقية وفرقة غربية . فأما الفرقة الشرقية ، فتتمز في الشمال حتى تأتي على قرية تسمى المنصورة من عمل المرتاحية ،

(١) كذا ضبطه بافوت بالعبارة ، وقال في الفاموس : "شطوف كحلزون" .

فتشعب شعبتين وتمر الغربية منهما، وهي العظمى إلى دمياط من شرقها، ونصب في بحر الروم حيث الطول ثلاث وخمسون درجة وخمسون دقيقة، والعرض إحدى وثلاثون وخمس وعشرون دقيقة، وتمر الشرقية منهما على أشموم طناح، من غربها حتى تجاوز بلاد المنزلة، وتصب في بحيرة شرق دمياط حتى بحيرة تنبس حيث الطول أربع وخمسون درجة وثلاثون دقيقة .

وأما الفرقة الغربية، فتمر من شطونف المقدم ذكرها حتى تأتي بالقرب من قرية تسمى بأبي نصابة من عمل البحيرة، فتشعب شعبتين، الغربية منهما، وهي العظمى تأخذ شمالا بين عمل البحيرة من شرقها وبين جزيرة بني نصر من غربها، والشرقية تأخذ شمالا أيضا بين جزيرة بني نصر من شرقها، وبين عمل الغربية من غربها . ويسمى هذا البحر بحر أبيار، ويمتد حتى يلتقى مع الفرقة الغربية عند قرية تسمى القرسق من الغربية بالقرب من مدينة أبيار المنسوب إليها البحر المقدم ذكره، ويصير شعبة واحدة ويمتد حتى يصب في البحر الرومي غرب قرية تسمى رشيد حيث الطول ثلاث وخمسون، والعرض إحدى وثلاثون .

ومن هذه الفرقة يتفرع خليج صغير يدخل إلى بحيرة نسروره الآتي ذكرها في جملة البحيرات، ويتفرع من كل فرقة من هذه الفرق وما يليها من أعلى النيل حلجان يأتي ذكر المشهور منها فيما بعد إن شاء الله تعالى .

وأما زيادته ونقصه، فقد اختلف في مدد زيادته، فقل المسعودي عن العرب أنه يستمد من الأنهار والعيون . ولذلك تعبض الأنهار والعيون عند زيادته . وإذا غاض زادت، ويؤيده ما روى القضاعي بسنده إلى عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال : "إن نيل مصر سبب الأنهار، سخر الله له كل نهر بين

(١) كذا ضبطها الثعلبي بما يأتي وأخو بها إمامه وكذلك يافوت إلا أنه حذف منها إمامه : نسرور .

المشرق والمغرب أن يمّده، فأمدته الأنهار بمائها، وبخر الله له الأرض عيوناً فاتهمى جريه إلى ما أراد الله، فأوحى الله إلى كل منها أن يرجع إلى عنصره“ .

ويقال عن أهل الهند : زيادته ونقصه بالسيول، ويعرف ذلك بتوالي الأنواء وكثرة الأمطار، ورُكود السحاب .

- وقالت القبط : زيادته من عيون في شاطئه رأها من سافر وحق بأعاليه، ويؤيده
- مارواه القضاة بسنده إلى يزيد بن أبي حبيب ”أن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه قال لكعب الأحبار أسألك بالله! هل تجمد لهذا النيل في كتاب الله عز وجل حبراً؟ قال : إى والله! إن الله عز وجل يوحى إليه في كل عام مرتين، يوحى إليه عند خروجه فيقول إن الله يأمرك أن تجرى ما كتب الله له، ثم يوحى إليه بعد ذلك فيقول : يأنيل إن الله يأمرك أن تنزل، فيترل“ . ولا شك أن جميع الأفعال المتقدمة فرع لهذا القول، وهو أصل لجمعها .

- وبكل حال فإنه يبدأ بالزيادة في الخامس من بثونه من شهر القبط . وفي ليلة
- الثاني عشر منه يوزن الطين، ويعتبر به زيادة النيل بما أجرى الله تعالى المادة به، بأن يوزن من الطين الجاف الذى يعلوه ماء النيل زنة ستة عشر درهماً على التحجير، ويرفع في ورقة أو نحوها ويوضع في صندوق أو غير ذلك، ثم يوزن عند طواع الشمس
- فهما زاد اعتبرت زيادته كل حبة خروب بزيادة ذراع على الستة عشر درهماً .
- وفي السادس والعشرين منه يؤخذ قاع البحر وتقاس عليه قاعدة المقياس التى تبنى عليها الزيادة .

- وفي السابع والعشرين ينادى عليه بالزيادة، ويحسب كل ذراع ثمانية وعشرين أصبعا إلى أن يكمل آثنى عشر ذراعاً، فيحسب كل ذراع أربعاً وعشرين أصبعا، فإذا وفى ستة عشر ذراعاً، وهو المعبر عنه بماء السلطان، كسر خليج القاهرة،

وهو يوم مشهود، وموسم معدود؛ ليس له نظير في الدنيا؛ وفيه تكتب البشارات
بوفاء النيل إلى سائر أقطار المملكة، وتسير بها البرد، ويكون وفاؤه في الغالب
في مسرى من شهور القبط، وفيها جلُّ زيادته .

وفي النيروز، وهو أول يوم من توت يكثر قطع الخُلجان والترع عليه، وربما
أضطرب لذلك ثم عاد .

وفي عيد الصليب، وهو السابع عشر من توت المذكور يقطع عليه غالب
بقية الترع .

وقد حكى القضاة عن ابن عفير وغيره عن القبط المتقدمين أنه إذا كان
الماء في آثني عشر يوماً من مسرى آثني عشر ذراعاً، فهي سنة ماء، وإلا فالماء
ناقص، وإذا تمَّ الماء ستة عشر ذراعاً قبل النيروز فالماء يتم، ثم غالب وفائه
يكون في النصف الأول من مسرى، وربما وفي في النصف الثاني منها، وقد
يتأخر عن ذلك .

وفي الثامن من بابه يكون نهاية زيادته .

ورأيت في تاريخ النيل أنه تأخر وفاؤه في سنة ثمان وسبعمائة إلى تاسع عشر
بابه فوفي ستة عشر ذراعاً، وزاد أصبعين بعد ذلك في يومين : بكل يوم أصبع بعد أن
آستسنى الناس أربع مرات، وهذا مما لم نسمع به في دهر بن الدهور .

وقد جرت عادته أنه من حين ابتداء النداء بزيادته في السابع والعشرين من
بؤنه إلى آخر أبيب تكون زيادته خفيفة ما بين أصبعين فما حركها إلى نحو
العشرة، وربما زاد على ذلك . فإذا دخلت مسرى، آستتت زيادته وقويت،
فيزيد العشرة فما فوقها، وربما زاد دون ذلك . وأعظم ما تكون زيادته على القرب
من الوفاء حتى ربما بلغ سبعين أصبعاً .

ومن العجيب أنه يزيد في يوم الوفاء سبعين أصبعا مثالا، ثم يزيد في صبيحة يوم الوفاء أصبعين فما حولهما، ويتم على ذلك . وله في آخر بابيه زيادة قليلة يعبر عنها بصبة بابيه لما ينصب إلى النيل من ماء الأملاق .

وقد ذكر عبد الرحمن بن عبد الله بن الحكم وغيره : أنه لما فتح المسلمون مصر أتى أهلها إلى عمرو بن العاص حين دخل شهر بثونة، فقالوا : أيها الأمير إن لينا هذا سنة لا يجرى إلا بها، وهو أنه إذا كان اثنا عشر من هذا الشهر عمدنا إلى جارية يكر من أبويها فأرضيناها فيها، وزيناها بأفضل الزينة، وألقيناها فيه . فقال : هذا مما لا يكون في الإسلام، فأقاموا أيب ومسرى وهو لا يزيد قليلا ولا كثيرا . فلما رأى عمرو ذلك كتب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه يعرفه ذلك، فكتب إليه أن أصبت، وكتب رقة إلى النيل فيها :

من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل مصر .

أما بعد، فإن كنت تجرى من قبلك، فلا تجر؛ وإن كان الله الواحد القهار الذى يُجريك، فنسأل الله أن يُجريك .

وبعث بها إليه، فالتاها في النيل، وقد تهبأ أهل مصر لتفروج منها، فأصبحوا يوم الصليب، وقد بلغ في ذلك اليوم ستة عشر ذراعا .

ويروى أنه وقع مثل ذلك في زمن موسى عليه السلام، وهو أن موسى عليه السلام دعا على آل فرعون، فحبس الله عنهم النيل حتى أرادوا الجلاء، فرغبوا إلى موسى فدعا لهم بإجراء النيل رجاء أن يؤمنوا، فأصبحوا وقد أجراه الله في تلك الليلة ستة عشر ذراعا .

ورأيت في "تاريخ النيل" المتقدم ذكره : أنه في زمن المستنصر أحد خلفاء

الفاطميين بمصر مكث النيل سنتين لم يَطْلُعْ، وطلع في السنة الثالثة وأقام إلى الخامسة لم ينزل، ثم نزل في وقته ونَضَب الماء عن الأرض، فلم يوجد من يزرعها لقلة الناس؛ ثم طلع في السنة السادسة وأقام حتى فرغت السابعة، ولم يبق إلا صَبَابَة من الناس، ولم يبق في الأقاليم ما يمشی على أربع غير حمار يركبه الخليفة المستنصر، وأنه وفي ست عشرة ذراعا في ليلة واحدة بعد أن كان يخاض من برّ إلى برّ؛ وأقل ما انتهى إليه قاع النيل في النقص ذراع واحد وعشرة أصابع، ووقع ذلك من سنة الهجرة وإلى آخر الثمانمائة مرتين فقط: المرة الأولى - في سنة خمس وستين ومائة من الهجرة. وبلغ النيل فيها أربع عشرة ذراعا وأربعة عشر أصبعا. والمرة الثانية - في سنة خمس وثمانين وأربعمائة. وبلغ فيها سبع عشرة ذراعا وخمسة أصابع.

وقد وقع مثل ذلك في زماننا، في سنة ست وثمانمائة. وأغني ما انتهى إليه القاع في الزيادة مما رأته مسطورا إلى آخر سنة خمس وعشرين وسبعمائة تسعة أذرع. وسمعت بعض الناس يقول إنه في سنة خمس وستين وسبعمائة كان القاع اثنتي عشرة ذراعا.

وأقل ما بلغ النقص في نهاية الزيادة اثنا عشر ذراعا وأصبعان. وذلك في سنة أربع وعشرين وأربعمائة، وأغني ما كان ينتهي إليه في الزمن المتقدم ثمانية عشر ذراعا حتى تعجب الناس من نيل بلغ تسع عشرة ذراعا في زمن عمر بن عبد العزيز، ثم انتهى في المائة السابعة إلى أن صار يجاوز العشرين في بعض الأحيان.

ومن العجيب أنه في سنة تسع وسبعين وثلثمائة كان القاع على تسع أذرع، ولم يُوف بل بلغ خمس عشرة ذراعا وخمسة أصابع، وفي سنين كثيرة كان القاع فيها

(١) الذراع والاصبع يذكران ويؤنثان وقد جرى في كلامه تارة بالذكور وتارة بالنائبت وكل صحيح.

دون الذراعين ، وجاوز الوفاء إلى ثمانى عشرة ذراعا فما دونها . ولا عبرة بقول المسعودى في "مروج الذهب" إن أقل ما يكون القاع ثلاثة أذرع ، وإنه في مثل تلك السنة يكون متقاصرا . فقد تقدم ما يخالف ذلك ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ﴾ .

- قلت : وقد جرت عادة صاحب المقياس ، أنه يعتبر قياسه زمن الزيادة في كل يوم وقت العصر ، ثم ينادى عليه من الغد بتلك الزيادة أصابع من غير تصريح بذرع إلا أنه يكتب في كل يوم رقعا لأعيان الدولة من أرباب السيوف والأقلام ، كأرباب الوظائف من الأمراء ، وقضاة القضاة من المذاهب الأربعة ، وكاتب السر وناظر الخاص ، وناظر الجيش ، والمحاسب ، ومن في معانهم ، فيذكر زيادته في ذلك اليوم من الشهر العربى وموافقه من القبطى من الأصابع وما صار إليه من الأذرع .
- ويذكر بعد ذلك ما كانت زيادته في العام الماضى في ذلك اليوم من الأصابع وما صار إليه من الأذرع والبعادة بينهما بزيادة أو نقص ، ولا يطالع على ذلك عوام الناس ورعا عهم ، فإذا وفى ستة عشر ذراعا صرح فى المناداة فى كل يوم بما زاد من الأصابع ، وما صار إليه من الأذرع ، ويصير ذلك مشاعا عند كل أحد .

- وأما مقاييسه ، فقد ذكر إبراهيم بن وصيف شاه فى كتاب "العجائب" أن أول من وضع مقياسا للنيل (خصليم) السابع من ملوك مصر بعد الطوفان : صنع بركة لطيفة وركب عليها صورتى عقاب من نحاس : ذكر وأتى ، يجتمع عندها كهنتهم وعلمائهم فى يوم مخصوص من السنة ، ويتكلمون بكلام فيصفر أحد العقابين . فإن صفر الذكر استبشروا بزيادة النيل . وإن صفرت الأنثى استشعروا عدم زيادته فتهيئوا ما يحتاجون إليه من الطعام لتلك السنة .

قال المسعودي : وقد سمعتُ جماعة من أهل الخبيرة يقولون : إن يوسف عليه السلام حين بنى الأهرام اتخذ مقياسا لمعرفة زيادة النيل ونقصانه .

قال القضاعي : وذلك بمدينة منف، وقيل : إن النيل كان يقاس بأرض يقال لها علوة إلى أن بنى مقياس منف، وأن القبط كانت تقيس عليه إلى أن بطل .

قلت : وموضع المقياس بمنف إلى الآن معروف على القرب من الأهرام اليوسفية من جهة البلدة المعروفة بالبدرشين، وقيل كانوا يقيسونه بالرصاص .

قال المسعودي : ووضعت دلوكة العجوز ملكة مصر بعد فرعون مقياسا بأنصنا صغير الأذرع، ووضعت مقياسا آخر بإخميم، ووضعت الروم مقياسا بقصر الشمع .

قال القضاعي : وكان المقياس قبل الفتح بقيسارية الأثنية بالفسطاط إلى أن أبتى المسلمون أبنيتهم بين الحصن والبحر، ثم جاء الإسلام وفتحت مصر والمقياس بمنف .

كان النيل يقاس بمنف ويدخل القياس إلى الفسطاط فينادى به، ثم بنى عمرو ابن العاص مقياسا بأسوان، ثم بنى مقياسا بدندرة، ثم بنى في أيام معاوية مقياسا بأنصنا .

فلما ولي عبد العزيز بن مروان مصر، بنى مقياسا صغير الأذرع بمحلوان من ضواحي الفسطاط، ثم لما ولي أسامة بن زيد التونجي بنى مقياسا في جزيرة الصناعة

المعروفة الآن بالروضة بأمر سليمان بن عبد الملك : أحد خلفاء بني أمية سنة سبع وتسعين من الهجرة، وهو أكبرها ذراعا، ثم بنى المتوكل^(١) مقياسا أسفل الأرض

بالجزيرة المذكورة في سنة سبع وأربعين ومائتين في ولاية يزيد بن عبد الله^(٢) على مصر، وهو المعمول عليه إلى زماننا هذا .

(١) كذا في ياقوت والمقريزي والنجوم الزاهرة . وفي الأصل : « المأمون » وهو خطأ .

(٢) كذا في المقريزي والنجوم الزاهرة . وفي الأصل : « يزيد بن عبد الملك » وهو خطأ .

وكانت النصارى تتولى قياسه فعزلهم المتوكل عنه ورتب فيه أبا الرّداد عبد الله بن عبد السلام بن أبي الرّداد المؤدّب ، وكان رجلا صالحا ، فاستقر قياسه في بيته إلى الآن ؛ ثم أصلحه أحمد بن طولون في سنة تسع وخمسين ومائتين .

ثم كل ذراع يعتبر بثمانية وعشرين أصبعا إلى تمام آنتى عشرة ذراعا ، ثم يكون كل ذراع أربعة وعشرين أصبعا ، فلما أرادوا وضعه على ستة عشر ذراعا ، وزعوا الذراعين الزائدين ، وهما ثمانية وأربعون أصبعا على آنتى عشر ذراعا لكل ذراع منها أربعة أصابع ، فصار كل ذراع ثمانية وعشرين أصبعا ، وبقى الزائد على ذلك كل ذراع أربعة وعشرون أصبعا .

قال القضاعى : وكان سبب ذلك فيما ذكره الحسن بن محمد بن عبد المنعم في رسالة له أن المسلمين لما فتحوا مصر عرض على عمر بن الخطاب رضى الله عنه ما يلقاه أهلها من الغلاء عند وقوف النيل في حدّ لمقياس لهم فضلا عن تقاصره ، ويدعوهم ذلك إلى الاحتكار ، والاحتكار يدعوهم إلى زيادة الأسعار ، فكتب عمر إلى عمرو ابن العاص يسأله عن حقيقة ذلك ، فأجابه : إني وجدت ما تروى به مصر حتى لا يقحط أهلها أربع عشرة ذراعا ، والحد الذي يروى منه سائرهما حتى يفضل عن حاجتهم ويبقى عندهم قوت سنة أخرى ست عشرة ذراعا ، والنهائتان المخوفتان في الزيادة والنقصان ، في الظلم والاستبحار ، اثنا عشرة ذراعا في النقصان وثمانى عشرة ذراعا في الزيادة . فاستشار عمر رضى الله عنه على بن أبى طالب كرم الله وجهه في ذلك ، فأشار بأن يكتب إليه أن يبنى مقياسا ، وأن يفضّ ذراعين على آنتى عشرة ذراعا ، ويبقى ما بعدهما على الأصل .

(١) كذا في المقرئى (ج ١ ص ٥٨) والنجوم الزاهرة (ج ٢ ص ٣١٢) وفي الأصل : «الحسين» .

قال القضاعي: وفي هذا نظر في وقتنا لزيادة فساد الأنهار، وانتقاض الأحوال، وشاهد ذلك أن المقاييس القديمة الصعيدية من أولها إلى آخرها أربعة وعشرون أصبعا كل ذراع بغير زيادة على ذلك .

قال المسعودي: فإذا تم النيل خمس عشرة ذراعا، ودخل في ست عشرة، كان فيه صلاح لبعض الناس ولا يُستسقى فيه، وكان فيه نقص من خراج السلطان. وإذا انتهت الزيادة إلى ستة عشر ذراعا، ففيه تمام خراج السلطان وأخصب الناس، وفيه ظمأ ربع البلد، وهو ضار للبهائم لعدم المرعى .

قال: وأتم الزيادات العامة النافعة للبلاد كله سبع عشرة ذراعا، وذلك كفافها ورى جميع أرضها. وإذا زاد على السبع عشرة ذراعا وبلغ ثمانى عشرة، امتبحر من مصر الربع، وفي ذلك ضرر لبعض الضياع . قال: وذلك أكثر الزيادات .

قلت: هذا ما كان عليه الحال في زمانه وما قبله وكان الحال جاريا على ما ذكره في غالب السنين إلى ما بعد السبعائة .

أما في زماننا، فقد علّت الأرض مما يرسب عليها من الطين المحمول مع الماء في كل سنة وضعت الجسور، وصار النيل بحكمة الله تعالى إلى ثلاثة أقسام: متقاصرة وهي ست عشرة ذراعا فما حولها، ومتوسطة وهي سبع عشر ذراعا إلى ثمان عشرة ذراعا فما حولها، وعالية وهي ما فوق ثمان عشرة، وربما زادت على العشرين .

المقصد الرابع

في ذكر خلجانها

وخلجانها القديمة ستة خلج :

الخليج الأول

(المنهى)

٥. وهو الخليج الذي حفره "يوسف الصديق عليه السلام" ومخرجه بالقرب من دروة سرّ بام، من عمل الأشمونين الآتي ذكرها، وهي المعروفة بدروة الشيريف، يأخذ شمالاً إلى مدينة البهنسي، ثم إلى قرية اللاهون من عمل البهنسي، ويمتد في الجبل حتى يجاوزه إلى إقليم الفيوم، ويمتد بمدينة وينبث في نواحيه.
١٠. وهذا النهر من غرائب أنهار الدنيا تجف فوته في أيام نقص النيل، وبقية يجرى في موضع ويجف في آخر إلى إقليم الفيوم، فيجري شتاءً وصيفاً من عين لتفجر منه ولا يحتاج إلى حفر قط.
- ويقال : إن "يوسف عليه السلام" حفره بالوحي ومياهه منقسمة على استحقاق مقدر، كما في دمشق من البلاد الشامية.
١٥. وقال في "الروض المعطار" : وكانت مقياسه بحجر اللاهون على القرب من القرية المنسوبة إليه المتقدمة الذكر. قال : وهو من عجائب الدنيا، وهو شاذروان بين قبتين من أحكم صنعة، مدرج على ستين درجة، فيها فتارات في أعلاها وفي وسطها وفي أسفلها، يسقى الأعلى الأرض العليا، والأوسط الأرض الوسطى، والأسفل الأرض السفلى بوزن وقدر معلوم.
٢٠. قال : ويقال إن يوسف عليه السلام عمله بالوحي، وإن ملك يهمر يومئذ لما عينه قال هذا من ملكوت السماء.

ويقال إنه عمل من الفضة والنحاس والرخام .

قلت : قد ذهبت معالم هذا اللاهون وبقى بعض بنائه ونقلت المقاسم الى مكان آخر بالفيوم تسقى الآن الأراضى على حكمها .

ومن غرائب أمره أن به التماسيح التى لا تحصى كثرة ، ولم يشتهر فى زمن من الأزمان أنها آذت أحدا قط .

الخليج الثانى

خليج القاهرة الذى يكسر سده يوم وفاء النيل

حفرة عمرو بن العاص وهو أمير مصر ، فى خلافة أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه .

قال القضاعى : أمر بحفره عام الرمادة فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه

وساقه إلى بحر القلزم ، فلم يتم عليه الحول حتى جرت فيه السفن وحمل فيها الزاد

والأطعمة إلى مكة والمدينة ، ونفع الله بذلك أهل الحجاز .

وذكر الكندى فى كتاب "الجند العربى" أن حفره كان سنة ثلاث وعشرين

من الهجرة ، وفرغ منه فى ستة أشهر ، وجرت فيه السفن ووصلت الى الحجاز

فى الشهر السابع .

قال الكندى : ولم يزل يحمل فيه الطعام حتى حمل فيه عمر بن العزيز ، ثم

أضاعته الولاة فترك وغلب عليه الرمل ، وصار منتهاه إلى ذنب التماسيح من ناحية

الطور والقلزم .

وذكر ابن قديد : أن أبا جعفر المنصور أمر بسده حين خرج عليه محمد بن

عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ليقطع عنه الطعام .

ولم يكن عليه قنطرة إلى أن بنى عليه عبد العزيز بن مروان قنطرة في سنة تسع [وستين ^(١)] .

وقد ذكر المسعودي في " مروج الذهب " أنه أنقَطع جريان هذا الخليج عن الإسكندرية إلى سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة لردم جميعها وصار شرب أهلها من الآبار .

قال ابن عبد الظاهر : وليس لها أثر في هذا الزمان . قال : وإنما بنى السلطان الملك الصالح أيوب ابن الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب هاتين القنطرتين الموجودتين الآن على بستان الحشاب وباب الخرق ، يعني قنطرة السد وقنطرة باب الخرق في سنة نيف وأربعين وستمائة .

١٠. وذكروا في موضع آخر من خطه أن القنطرة التي عليه خارج باب القنطرة بناها القائد جوهر سنة ستين وثلثمائة ، وقنطرة اللؤلؤة - وهي التي كانت بالقرب من ميدان القمح ، وبعضها باق إلى الآن - من بناء الفاطميين أيضا ، واللؤلؤة التي تنسب هذه القنطرة إليها منظر على بر الخليج القبلي ، بناها الظاهر لإعزاز دين الله الفاطمي ، كانت مستترها خلفاء الفاطميين ينزلون فيها في أيام النيل و يقيمون بها إلى آخر النيل .

١٥. قلت : أما باقي القناطر التي على هذا الخليج : كقنطرة عمر شاه ، وقنطرة سُنقر ، وقنطرة أمير حسين ، فكلها مستحدثة في الدولة التركية ، وغالبها في الدولة الناصرية محمد بن قلاوون .

قال ابن أبي المنصور في " تاريخه " : وأقول من رتب حضره على الناس المأمون ابن البطاحي ، وكذلك البساتين في دولة الأفضل ، وجعل عليه واليا بمفرده .

(١) الزيادة عن المقرئ (ج ٢ ص ١٤٦) . (٢) هذه الفقرة ليس هذا موضعها وإنما موضعها في الكلام على خليج الإسكندرية ، وقد ذكرها المؤلف هناك في (ص ١٠٥)

الخليج الثالث

خليج السردوس

- ويقال السردوسى بزيادة ياء فى آخره ، وهو الذى حفره هامان لفرعون .
- قال ابن الأثير فى "عجائب المخلوقات" : ويقال : إنه لما حفره سأل أهله
البلاد أن يجره إليهم على أن يجعلوا له على ذلك مالا ، فتحصل له من ذلك مائة
الف دينار فحملها إلى فرعون ، فقال : ويحك ! إنه ينبغى للسيد أن يعطف على
عبيده ولا ينظر إلى ما فى أيديهم ، وأمر برد المال إلى أربابه .
- قال : وكان هذا الخليج أحد نزعات الدنيا يسار فيه يوما بين بساتين مشتبكة
وأشجار ملتفة وفواكه دانية .
- قلت : أما الآن فقد ذهب ذلك ، وبطل الخليج وعوض عنه يجر أبى المنجا
الآتى ذكره .

الخليج الرابع

خليج الإسكندرية

- وهو خليج مخرجه من الفرقة الغربية من النيل عند قرية تسمى العطف تُقابل
فوهة ، مدينة المزاحمتين ، ويميل غربا حتى يتصل بجدران الإسكندرية ، وتدخل منه
قناة تحت الأرض إلى داخلها ، ويتشعب منها شعب كثيرة تدخل دُورها ، وتخرج
من دار إلى أخرى ، ويخالط أبارها فيحلو ماؤها وتملأ منها صهار يجها حينئذ فتمكث
من السنة إلى السنة .
- وكانت فوهة هذا الخليج فيما تقدم جنوبى فوهته الآن عند قرية تسمى
الظاهرية من عمل البحيرة ، وكان يمر على دمنهور مدينة البحيرة ، ثم نقل إلى مكانه
الآن ويقال إن أرضه فى القديم كانت مفروشة بالبلاط .

قال في "تقويم البلدان": وهو من أحسن المنتزهات لأنه مخضّر الجانين

بالبسّاتين ؛ وفيه يقول ظافر الحدّاد الشاعر السكندري :

وعِشِيَّةٌ أَهَدَتْ لِعَيْنِكَ مَنَظَرًا * جَاءَ السُّرُورُ بِهِ لِقَلْبِكَ وَأَفْدَا

رَوْضٌ كَمُخَضَّرِ الْعِدَارِ وَجَدُولٌ * نَقَشَتْ عَلَيْهِ يَدُ الشَّمَالِ مَبَارِدًا

وَالنَّخْلَ كَالغَيْدِ الْحِسَانِ تَزَيَّنَتْ * وَلِبَسْنَ مِنْ أَمْثَارِهِنَّ قَلَائِدًا

وقد ذكر المسعودي في "مروج الذهب": أنه أنقطع جريان هذا الخليج

عن الإسكندرية إلى سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة لردم جميعها ، وصار شرب أهلها

من الآبار .

الخليج الخامس

خليج سخا^(١)

ويقال إن الذي حفره برّصا : أحد ملوك مصر بعد الطوفان .

الخليج السادس

خليج دميّاط

ولم أقف على تفاصيل أحواله^(٢) .

[بحر أبي المنجا]

أما بحر أبي المنجا، فإنه وإن عظم شأنه مستعدّث، حفره الأفضل بن

أمير الجيوش وزير المستعلي بالله الفاطمي .

قال ابن أبي المنصور في "تاريخه": وكان سبب حفره أن البلاد الشرقية

كانت جارية في ديوان الخلافة، وكان معظمها لا يروى في أكثر السنين ولا يصل

٢٠ (١) في الأصل: « منجا » وهو خطأ . وخليج سخا من الحاجان الفرعونية القديمة وهو مذكور ضمنها

في الجزء الأزل من النجوم الزاهرة ص ٥٦ (٢) موقعه الحالي هو الجزء الشمالي من فرع

دمياط الحالي المعروف بفرع النيل الشرق في المساحة ما بين سمبود ودمياط .

الماء إليها إلا من خليج السردوس المتقدم ذكره ، أو من غيره من الأماكن البعيدة .

وكان يشارف العمل يهودى اسمه أبو المنجا ، فرغب أهل البلاد إليه في فتح ترعة يصل الماء منها إليهم في ابتدائه فرفع الأمر إلى الأفضل ، فركب في النيل في ابتدائه في مركب ورمى بحُرْم من البوص في النيل وجعل يتبعها بمركبه إلى أن رماها النيل إلى قم ذلك البحر فخفر من هناك ، وأبتدأ حفره يوم الثلاثاء السادس من شعبان سنة ست وخمسة ، وأقام الحفر فيه سنتين وغرّم فيه مال كثير . وكان في كل سنة تظهر فائدته ، ويتضاعف ارتفاع البلاد التي تحته ، وغلب عليه إضافته إلى أبي المنجا لتكلمه فيه . فلما عرض على الأفضل ما صرف عليه أستعظمه وقال :

غرّمتنا عليه هذا المال العظيم والأسم لأبي المنجا ، فسماه البحر الأفضل فلم يتم له ذلك ولم يعرف إلا بأبي المنجا ، ثم سطرى بأبي المنجا المذكور بعد ذلك ونفى إلى الإسكندرية . ولما ولي المأمون بن البطائحي الوزارة تحدث معه الأمراء في أن يتخذ لفتحه يروما كفتح خليج القاهرة ، فابتنى عند سده منظره متسعة ينزل فيها عند فتحه .

قلت : وكانت فيه معدّية يعدى فيها بين قلوب و يسوس ، وكان يحصل للناس بها مشقة عظيمة لكثرة المارين ، فعمل عليها الظاهر بيبرس رحمه الله فنظرة عظيمة بحجر صلد ، من غرائب البناء ، تترعها الناس والدواب ، فحصل للناس بها الأرتفاق العظيم ، وهي باقية على جدتها إلى زماننا .

وكان سده يقطع في عيد الصليب في سابع عشر توت ، ثم استقر الحال على أن يقطع يوم النوروز ، في أول يوم من توت حرصا على رى البلاد .

وأما بقية خلج الديار المصرية المستحدثة وترعها بالوجهين : القبلى والبحرى ، فأكثر من أن تحصر ، ولكل منها زمن معروف يقطع فيه .

المقصود الخامس

في ذكر بحيرات الديار المصرية، وهي أربع بحيرات

الأولى منها — "بحيرة الفيوم" ويعبر عنها بالبركة، وهي بحيرة حلوة بالقرب

من الفيوم بين الشمال والغرب عنه، على نحو نصف يوم، يصب فيها فضلات مائه

- المنصب إليه من خليجه المنهى المتقدم ذكره، وليس لها مَصْرَفٌ تنصرف إليه لإحاطة
الجلب بها، ولذلك غلبت على كثير من قرى الفيوم وعلا ماؤها على أرضها .

قال في "تقويم البلدان" : وطولها شرقا بغرب نحو يوم، وبها أسماك كثيرة

تتحصل من صيدها جملة كثيرة من المال؛ وبها من آجام القصب والطرفاء والبردى

ما يتحصل منه المال الكثير .

- الثانية — "بحيرة بوقير" (بضم الباء الموحدة وسكون الواو وكسر القاف

وسكون الياء المشناة تحت وراء مهملة في الآخر) وهي بحيرة ماء ملح يخرج من البحر

الرومي بين الإسكندرية ورشيد، ولها خليج صغير مشتق من خليج الإسكندرية

المتقدم ذكره، يأتيها ماء النيل منه عند زيادته؛ وبها من صيد السمك ما يتحصل منه

المال الكثير، وفيها من أنواع الطير كل غريب، ويجوانبها الملاحات الكثيرة التي

يحمل منها الملح إلى بلاد الفرنج وغيرها .

١٥

قلت : وقد وقع للسلطان عماد الدين صاحب حماة، رحمه الله، وهم فجعل هذه

البحيرة هي بحيرة نَسْرُوهُ الآتي ذكرها؛ على أن هذه البحيرة قد أنقطع مددها من

البحر الملح في زماننا بواسطة غلبة الرمل على أشئونها الموصل إليها الماء من بحر

الروم بخرت وصارت سبخة طويلة عريضة؛ ومات ما كان يصاد منها من السمك

- البورى، وما يتحصل منها من الملح المنعقد بسواحلها، وعاد على الإسكندرية

٢٠

بواسطة ذلك ضرر كبير لأنه كان الغالب على أهلها أكل السمك ويحصل لهم بالملح رفق كبير .

الثالثة - "بَحِيرَةٌ نَسْتَرُوهُ" (بفتح النون وسكون العين المهملة وفتح التاء المشناة فوق وضم الراء المهملة وسكون الواو وهاء في الآخر) وهي بحيرة ماء ملح أيضا بالقرب من البرلس في آخر بلاد الأعمال الغربية الآتى ذكرها، متسعة الأرجاء إذا توسطها المركب لا ترى جوانبها لعظمتها، لبعدها عن البر، وبالقرب منها قرية تسمى نَسْتَرُوهُ، وهي التي تضاف إليها، وداخلها قرية أخرى تسمى سِنْجَار لا زرع فيها ولا ينفع، وليس بهما غير صيد السمك، وهي الغاية القُصوى فيما يتحصل من المال .

قال صاحب حماة : يبلغ متحصل صيد سمكها في كل سنة فوق عشرين ألف دينار مصرية، وليس يساويها بحيرة من البحيرات في ذلك .

قلت : وأخبرني بعض مباشريها أنها في زماننا قد تميزت بحصولها عن ذلك نحو مثله للاجتهاد في الصيد، وكثرة الضبط وارتفاع السعر .

الرابعة - "بَحِيرَةٌ تَنِيسٌ" قال السمعاني (بكسر التاء المشناة فوق والنون المشددة المكسورة ثم ياء مشناة تحت وسين مهملة في الآخر) وهي بَحِيرَةٌ متصلة بالبحر الرومي أيضا بأخر عمل الدقهلية والمُرْتاحية الآتى ذكره، وفيها مصب بحر أَشْمُوم المنفرق من الفرقة الشرقية من النيل، ولذلك يعذب ماؤها في أيام زيادة النيل، وبوسطها تَنِيسٌ الآتى ذكرها في الكلام على الكُور القديمة .

قال صاحب "الروض المعطار" : طمى عليها البحر قبل الفتح الإسلامي بمائة سنة ففرقتها وصارت بحيرة، ويتصل بهذه البحيرة من جهة الغرب "بحيرة دمياط" وهما في الحقيقة كالبحيرة الواحدة .

المقصود السادس

في ذكر جبالها

اعلم أن وادي مصر يكتنفه جبالان شرقا وغربا، يتدثان من الجنادل المتقدمة
الذكر فوق أسوان آخذين في جهة الشمال على تقارب بينهما بحيث يرى كل منهما
من الآخر والنيل ماز بين جنبتيهما .

- ٥ فاما الشرقى منهما فيمتز بين النيل وبحر القلزم المتقدم الذكر حتى يجاوز الفسطاط
فينعطف وياخذ شرقا حتى يأتي على آخر بحر القلزم من الشمال، يرتفع في موضع
وينخفض في آخره وفي أوائل هذا الجبل من جهة الجنوب على القرب من مدينة
قوص (معدن الزمرد) المتقدم ذكره في خواص الديار المصرية، في مفارة طويلة
١٠ في قطعة جبل عالية، تسمى قرشده ليس هناك أعلى منها، وعلى القرب من ذلك (مقطع
الرّخام) الملون من الأبيض والسّماقي وسائر الألوان المستحسنة التي لا تساوى حسنا .
ويسمى الجبل المطل منه على النيل مقابل المراغات من عمل إنحيم "جبل
الساحرة" وأظنه جبل زماخير الساحرة المتقدمة الذكر في عجائب الديار المصرية .
ويسمى الجبل المطل منه على النيل مقابل مدينة منفلوط "جبل أبي فيدة"
بفاء وياء مشناة تحت .

- ١٥ ويسمى الجبل المطل منه على النيل مقابل منية بنى خصيب من الأشمونين .
"جبل الطيلبون" ويعرف الآن بجبل الطير، وقد تقدم ذكره في جملة عجائب
الديار المصرية .

- ٢٠ ويسمى ما سامت الفسطاط والقرافة منه "المقطم" وربما أطلق المقطم على
جميع المقطم، وقد اختلف في سبب تسميته بذلك، فقيل سمي بأسم مقطم الكاهن
كان متيا فيه لعمل الكيمياء .

(١) لعله على جميع الجبل .

وقال أبو عبد الله اليمنى : سمي بالمُقَطَّم بن مصر بن بيسر، وكان عبدا صالحا
أنفرد فيه لعبادة الله تعالى .

وذكر الكندي في كتاب "فضائل مصر" ما يوافق ذلك : وهو أن عمرو بن
العاص رضى الله عنه سار في سفح المُقَطَّم ومعه المَقْوِيسُ ، فقال له عمرو : ما بال
جبلكم هذا أقرع ليس عليه نبات كجبال الشام ؟ فلو شققنا في أسفله نهرا من النيل
وغرسناه نخلا ؛ فقال المقوقس : وجدنا في الكتب أنه كان أكثر البلاد أشجارا
ونبئا وفاكهة ، وكان ينزله المُقَطَّم بن مصر بن بيسر بن حام بن نوح عليه السلام ،
فلما كانت الليلة التي كلم الله تعالى فيها موسى عليه السلام ، أوحى الله تعالى إلى
الجبال : إني مَكِّمٌ نَبِيًّا من أنبيائي على جبل منك ، فسَمَّتِ الجبال كلها وتساخمت
إلا جبل بيت المقدس فإنه هبط وتصاغر ، فأوحى الله تعالى إليه : لِمَ فعلت ذلك ؟
وهو به أخبر ، فقال : إعظاما وإجلالا لك يا رب ! فأمر الله تعالى الجبال أن يحيوه
كل جبل مما عليه من النبات ، بخاد له المُقَطَّم بكل ما عليه من النبات حتى بقى كما
ترى ، فأوحى الله تعالى إليه إني معوضك على فعلك بشجر الجنة أو غرس الجنة .

وأنكر القضاعى وغيره أن يكون لمصر ولد اسمه المقطم ، وجعلوه مأخوذا من
القطم وهو القطع ، لكونه منقطع الشجر والنبات .

قال ابن الأثير في "عجائب المخلوقات" : وفيه كنوز عظيمة ، وهياكل كثيرة ،
وعجائب غريبة . وللملوك مصر فيه من الجواهر والذهب والفضة والأواني ،
والآلات النفيسة ، والتماثيل العجيبة ، وتراب الصنعة ما يخرج عن حد الإحصاء .

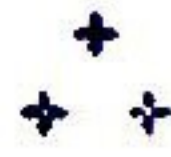
قال في "الروض المعطار" : وإذا دُبِرَتْ تُرْبَتُهُ حصل منها ذهب صالح .

وبلى المُقَطَّم من جهة الشمال "اليحامي" وهي الجبال المتفرقة المطلة على
القاهرة من جانبها الشرقى وجبانتها .

قال القضاعى: وقيل لها اليحاميُّ لاختلاف أوانها، واليحموم في كلام العرب:
الأسود المظلم، ولعله يريد الجبل الأحمر وما والاها.

وفي شرقى المقطم على بحر القلزم "طور سيناً" الذى كلم الله تعالى موسى عليه
السلام عليه، وهو جبل مرتفع للغاية، داخل في البحر.

- ٥ قال الأزهرى: وسمى الطور بطور بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام.
قال ابن الأثير في "عجائب المخلوقات": ومن خاصته أنه كيفما كُسر، ظهر فيه
صورة شجر العليق، وقد بُني هناك دير بأعلى الجبل، وغرس بواديه بساتين وأشجاراً.



- وأما الغربىّ منهما، فإنه يتدنى من الجنادل أيضاً ويمتد في الشمال فيما بين بلاد
الصعيد والصحراء، ثم فيما بين بلاد الصعيد والوآحات، ثم فيما بين بلاد الصعيد
١٠ والفيوم حتى ينتهى إلى مقابل الفسطاط. وهناك موقع الهرميين العظيمين المقدم
ذكهما على القرب من بؤصير، ثم ينعطف ويأخذ غرباً بشمال فيما بين بلاد ريف
الوجه البحرى والبرية حتى يجاوز بركة النطرون، ويمضى إلى قريب من الإسكندرية.
ويسمى فيما سامت الواحات "جبل جالوت" نسبة إلى جالوت البربرى.
ويتصل به من جنوبى الواحات "جبل اللازورد" قيل إن به معدن
١٥ لازورد، وإنه أمتنع أستخراجه لأنقطاع العماره هناك.

المقصد السابع

- في ذكر زروعها، ورياحينها، وفواكهها، وأصناف المطعوم بها
أما زروعها — فيزرع فيها من أنواع الحبوب المقتاتة وغيرها كالأبر، والشعير،
والذرة، والأرز، والباقل، والحمص، والعدس، والبسلا، والجلبان، واللوبياء، والسيسم،
٢٠ والقرطم، والحشخاش، والخروع، والساجم، وبزر الكنان، والبرسيم، وغير ذلك.

وبها قصب السكر في غاية الكثرة، والبطيخ، والقنأ على اختلاف أنواعها،
 والملوخيا، والقلقاس، واللقت، والبادنجان، والدباء، والهلين، والقنيط، وأنواع
 البقول المختلفة، كالثوم، والبصل، والكراث، والفجل وغيرها، وعامة زرع حبوبها
 على النيل عند نزوله عن أرضها من أثناء بابه، من شهور القبط إلى أثناء طربه منها
 بحسب ما يقتضيه حال الزرع . وربما زرع فيها على السواقي والدواليب؛ وأكثر
 ما يكون ذلك في بلاد الصعيد خصوصا في سني الجذب؛ ويزرع في الفيوم في غير
 زمن النيل على نهر المنهي المتقدم ذكره في جملة الأنهار . ولا زرع فيها على المطر
 إلا القليل النادر بأطراف البحيرة مما لا عبرة به على قلة المطر بها بل فقد بصعيدا .

وأما رباحينها — ففيها الآس، والورد، والبنفسج، والرجس، والياسمين،
 والنسرين، والبان، واللينوفر، وأزهار الحمضات، والريحان الفارسي على اختلاف
 أنواعه، والمنثور فيها بقلة، وإنما أكثر بالإسكندرية، إلى غير ذلك من بقايا الأنواع
 التي يشق استيعابها .

وأما فواكهها — ففيها الرطب، والعنب، والتين، والرمان، والحوخ،
 والمشمش، والقراصيا، والبرقوق، والتفاح، والكمثرى، والسفرجل بقلة، واللوز
 الأخضر، والنبق، والثوت، والفرضاد، والموز، ولا يوجد فيها الجوز، والفسق،
 والبندق، والإجاص إلا مجلوبا بعد جفافه . وإن زرع بأرضها شيء من ذلك، لم
 يفلح؛ والزيتون فيها يتلأ، ولا يستخرج منه زيت البتة وإنما يؤكل ملاحا .

وفيه من الحمضات : الأترج، والحماض، والكباد، والتارج، والليمون،
 على اختلاف أنواعها .

وأما أصناف المطعوم — ففيها ما يستطاب من الألبان ، والأجبان ،
والعسل ، الذي لا يُساوى حسنا ، ولا يشبهه غيره من سائر الأعسال ، والسكر
الكثير : من المكرر ، والتبع ، والوسط ، والنبات . ومنها يجلب إلى أكثر البلاد .
قال في ” مسالك الأبصار “ : وقد نسي به ما كان يذكر من سكر الأهواز .

٥ وبها من أنواع الحلوى والأشربة المتخذ ذلك من السكر ، والأشربة الفائقة
ما لا يوجد في غيرها من الأقاليم .

وبها من لحم الضأن ، والبقر ، والمعز ، مالا يعادله غيره في قُطْرٍ من الأقطار
لطافة ولذة .

قلت : ومن محاسنها أن فاكهتها لا يدوم نوع منها في جميع السنة فيمَلُّ ، بل
١٠ يأتي كل نوع منها في وقت دون وقت ، فتشوّف النفوس إلى طلبه ، ويكون
لقدومه بهجة . ولا يعترض ذلك بدوام أكل الجنة ، فإن الجنة أكلها لا يملُّ
بخلاف ما كل الدنيا . ولأهل الرفاهية بذلك فرحة ، وتعالى فيه في ابتدائه مع أنه
يجتمع في الحين الواحد من الفواكه والرياحين مالا يحتاج معه في زمنه إلى غيره .
قال المهذب بن ممتاي في ” قوانين الدواوين “ : بعثتُ غلاما لي ليحضر من

١٥ فاكهتي القاهرة ما وجد بها من أنواع الفاكهة والرياحين ، فأحضر لي منها الورد ،
والنرجس ، والبنفسج ، والياسمين ، والمنثور ، والمرسين ، والرمان ، والطلح ،
والبلح ، والجمار ، والخبار ، والبطيخ الأخضر ، والباقل ، والتفاح ، والفقوس ،
والأترنج ، والنارنج ، والأشباه ، والليمون ، والتمر هندي الأخضر ، والعنب ، والحصرم .

وقال بعض الخوالبين في الآفاق : طفت أكثر المعمور من الأرض فلم أر مثل
٢٠ ما بمصر من ماء طوبه ، ولبن أمشير ، وخرّوب برمهات ، وورد برموده ، ونبق
بشنس ، وتين بؤنة ، وعسل أيب ، وعنب مسرى ، ورطب توت ، ورمان بابه ،
وموز هتور ، وسمك كيهك .

المقصود الثامن

في ذكر مواشيتها ، ووحوشها ، وطيورها

أما مواشيتها — ففيها الإبل المستجادة ، والبقر العظيمات القدود ، والأغنام المستطابة اللحوم ، والخيول المسومة ، والبغال النفيسة ، والحمر الفارهة مما ليس له نظير في إقليم من الأقاليم ، ولا مصر من الأمصار .

وأما ووحوشها — ففي براريها : الغزلان ، والنعام ، والأرانب ، والثعالب ، والضباع ، والذئاب ، وغير ذلك . ويجلب إلى سلطانها الفيلة ، والزرافات ، وغيرها من الوحوش من البلاد القاصية ، والسباع من بلاد الشام من مملكته لتكون في إصطبلاته زينة لمملكته .

وأما طيورها — ففيها من الطيور الدواجن في البيوت : الدجاج ، والإوز ، والحمام ، ومن الطيور البرية : الصقر ، والعقاب ، والنسر ، والكركي ، واللغغ ، والإوز التركي ، والمرزم ، والبجع ، والبشون ، والحبرج ، والحجل ، والكروان ، والسمانى ، والببل ، وسائر أنواع العصافير ، والأنواع المختلفة من طيور الماء . ويجلب إلى سلطانها سائر أنواع الجوارح الصائدة على اختلاف أجناسها من أقاصى البلدان ، ويقع النغالى في أثمانها للغاية القصوى على ما يأتى ذكره في الكلام على أوصافها إن شاء الله تعالى .

المقصود التاسع

في ذكر حدودها

قد اضطربت عبارات المصنِّفين في المسالك والممالك في تحديدها ، والذي عليه الجمهور أن حدّها الشمالي ، وهو المعبر عنه عند المصريين بالبحرى ، يبتدىء مما بين الزعقة وريح عند حدّها من الشام والبحر شماله ، ويمتد غربا على ساحل البحر

المدكور حيث الشجرتان عند الشجرة التي يعلق فيها العوامُ الحرق وتقول هذه مفاتيح الرمل ، عند الكُثب المجنبة عن البحر الرومي ، إلى رَحْ ثم إلى العريش آخذاً على الحفار ، إلى الفرما ، إلى الطينة ، إلى دمياط ، إلى ساحل رشيد ، إلى الإسكندرية ، وهي آخر العمارة بهذا الحد . ثم يأخذ على اللينونة ، على العميدين ، إلى برقة ، إلى العقبة الفاصلة بين الديار المصرية وإفريقية على ما تقدم ذكره في الكلام على سواحل البحر الرومي .

وحدها الغربي — يتدئ من ساحل البحر الرومي حيث العقبة ، ويمتد جنوباً ، وأرض إفريقية غربية ، على ظاهر الفيوم والواحات حتى يقع على صحراء الحبشة على ثمان مراحل من أسوان .

وحدها الجنوبي — وهو المبر عنه عند المصريين بالقبلي ، يتدئ من آخر هذا الحد بصحراء الحبشة ويمتد شرقاً ، وبلاد الروم من بلاد البرية جنوبية حتى يأتي إلى أسوان ، ثم يمتد من أسوان شرقاً حتى ينتهي إلى بحر القلزم مقابل أسوان على خمس عشرة مرحلة منها .

وحدها الشرقي — يتدئ من آخر هذا الحد ويمتد شمالاً وبحر القلزم شرقية ، إلى عيذاب ، إلى القصير ، إلى القلزم ، إلى السويس ، ثم يأخذ شرقاً عن بركة الغرندل التي أغرق الله تعالى فيها فرعون من بحر القلزم إلى تيه بني إسرائيل ، ثم يعطف شمالاً ويمر على أطراف الشام حتى ينحط على ما بين الزعقة ورغ ساحل البحر الرومي حيث وقعت البداءة .

وعلى هذا التحديد جرى السلطان عماد الدين صاحب حماة في "تقويم البلدان" والمقر الشهابي بن فضل الله في "التعريف" إلا أنه في "تقويم البلدان" جعل ابتداء الحد الشمالي نفس رَغْ ، ونهاية الحد الغربي حدود بلاد النوبة ، وفي "التعريف"

جعل آبتداء الحد الشمالي ما بين الزعقة ورَّخ، ونهاية الحد الغربي صحراء بلاد الحبشة على ما تقدم في التحديد، والأمر في ذلك قريب .

وخالف في ذلك القضاعي بفعل آبتداء الحد الشمالي من العريش، وليس فيه بعد عن رَّخ بل في الآثار ما يدل عليه . كما سيأتي في موضعه إن شاء الله تعالى .
 وجعل الحد الجنوبي يقطع بحر القلزم ويتهي إلى ساحل الحجاز بالحوراء : أحد منازل طريق الحجاز من مصر، والحد الشرقي يمتد على ساحل البحر الشرقي إلى مدين، إلى أيلة، إلى تيه بني إسرائيل، إلى العريش . فأدخل بحر القلزم من حد الحوزاء إلى نهايته في الشمال، وما على ساحله من بر الحجاز مما يسامت العريش كأيلة ومدين ونحوها في أرض مصر .

قلت : وفيه نظر، والظاهر ما تقدم لأن البر الشرقي من القلزم معدود من ساحل الحجاز من جملة جزيرة العرب، وهي ناحية على أنفرادها، وكان الذي حمل القضاعي على ذلك مسامحة هذا الساحل لحدّها بساحل البحر الرومي على ما تقدم .
 وأعلم أن جميع المحددين لها وإن اختلفت عباراتهم في آبتداء الحد الشمالي الفاصل بينها وبين الشام، هل هو من العريش أو من رَّخ، أو بين الزعقة ورَّخ؟ متفقون على أن آبتداء الحد حيث الشجرتان، وكأنهما شجرتان قديمتان حدد في الأصل بهما .

قال في "التعريف" : وما إخال الآن بقاء الشجرتين، وإنما هو موضع الشجرة التي نعلق فيها العوام الخرق، ويقولون هذه مفاتيح الرمل عند الكُثب المجنبه عن البحر الرومي قريبا من الزعقة .

قال : فأما الأشجار التي بالمكان المعروف الآن بالخزوبة، ويعرف قديما بالعش، فهي وإن عظمت محدثة من زمن من حدد الأقاليم، وليست في موضع ما ذكره .

(١) كذا في الضوء والتعريف . وفي الأصل : « بالسردية » .

ثم لها طول وعرض، فطولها ما بين جهتي الشمال والجنوب، وعرضها ما بين جهتي المشرق والمغرب . وقد قيل : إن طولها مسيرة شهر وعرضها مسيرة شهر .
وذكر القضاعي أن ما بين العريش إلى برقة أربعون ليلة .

المقصود العاشر

- في ابتداء عمارتها، وتسميتها مصر، وتفزع الأقاليم التي حولها عنها .
أما ابتداء عمارتها — فقد ذكر المؤرخون أنها عُمرت مرتين :
المرّة الأولى — قبل الطوفان، وأول من عمّرها قبل الطوفان نقرأووس بن مصريم بن راجيل بن رزائيل بن غرياب بن آدم عليه السلام، نزلها في سبعين رجلاً من بني غرياب جبابرة، فعمّرها . وهو الذي هندس نيلها وحفره حتى أجراه، ووجهه إلى البرية جماعة هندسوه وأصلحوه، وبني المدن وأثار المعادن، وعمل الطلسمات .
المرّة الثانية — بعد الطوفان، وأول من عمّرها بعد الطوفان مصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام، قدم إليها هو وأبوه بيصر في ثلاثين رجلاً من قومه حين قسم نوح الأرض بين بنيه، فنزلوا بسفح المقطم، ونقروا فيه منازل كبيرة نزلوا بها ثم آبتنوا مدينة منمنف وسكنوها على ما يأتي ذكره في الكلام على قواعد مصر القديمة إن شاء الله تعالى .

١٥

قال ابن لبيبة : وكان نوح عليه السلام قد دعا لئصر أن يسكنه الله تعالى الأرض الطيبة المباركة التي هي أمن البلاد وغوث العباد، ونهرها أفضل الأنهار، ويعمل له فيها أفضل البركات، ويسخر له الأرض وأولاده ويذلها لهم، ويقويهم عليها . فسأله عنها فوصفها له، وأخبره بها .

(١) لم تنفق الكتب على هذه الأسماء بل كل كتاب يخالف الآخر فلذلك لم نقول عليها وأقتصرنا على ما في نسختنا الخطية .

٢٠

وأما تسميتها مصر — فقيل : إن تقراووس بن مصرم أول ملوكها قبل الطوفان حين عمرها سماها بأسم أبيه مصرم تبركا، وإن مصر بن بيصر إنما سمي بأسمه . وأكثر المؤرخين على أنها سميت بمصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام . وعلى الوجهين تكون علما منقولاً عن أسم رجل .

وقال الجاحظ في رسالة له في مدح مصر : إنما سميت مصر^(١) [بمصر] لمصير الناس إليها .

قلت : ويجوز أن تكون سميت مصر لكونها حدا فاصلا بين بلاد المشرق والمغرب إذ المصرب في أصل لغة العرب أسم للحد بين الأرضين كما قاله القضاعي . ومنه قول أهل هجر : أشتريت الدار بمصورها، أي بمحدودها .

قال القضاعي : وكيف ما ... أما إن أريد بالمصر البلد العظيم فإنه ينصرف ويجمع على أمصار .

وأما تفرع الأقاليم التي حولها عنها — فعن ابن لبيعة أنه لما استقر مصر ابن بيصر بهذه البلاد هو وأبوه بيصر وإخوته : فارق، وماح، وباح وكثر أولادهم، قال له إخوته : قد علمت أنك أكبرنا وأفضلنا، وأن هذه الأرض أسكنك إياها جدك نوح، ونحن نضيق عليك أرضك، ونحن نطلب إليك بالبركة التي جعلك فيها جدك نوح أن تبارك لنا في أرض نلحق بها ونسكنها، وتكون لنا ولأولادنا، فقال : نعم عليكم بأقرب البلاد إلى، لا تباعدوا مني، فإن لي في بلادى هذه مسيرة شهر من أربعة وجوه أحوزها لنفسى، وتكون لي ولولدى وأولادهم . فحاز مصر لنفسه ما بين الشجرتين اللتين بالعريش إلى أسوان طولا، ومن برقة إلى أيلة عرضا . وحاز فارق لنفسه ما بين برقة إلى إفريقية، فكان ولده الأفارقة، وبذلك سميت إفريقية، وذلك مسيرة شهر . وحاز ماح ما بين الشجرتين من منتهى حد مصر إلى الجزيرة، مسيرة

(١) الزيادة عن خطط المقرئى (ج ١ ص ٢٢ طبع بلاق) .

(٢) كذا في الأصل بدون بياض، وهو غير مستقيم، ولعله : وكيفما كان فإنها لا تنصرف . أما إن الخ .

شهر، وهو أبو نبط الشام . وحاز ياح ما وراء الجزيرة كلها من البحر إلى الشرق مسيرة شهر، فهو أبو نبط العراق .

وقد قال القضاة بعد ذكر حدود مصر الأربعة : وما كان بعد هذا من الجانب الغربي فهو من فتوح أهل مصر وثغورهم من برقة إلى الأندلس .

- قلت : وذلك أن المسلمين بعد فتح مصر توجهت طائفة منهم إلى إفريقية ففتحتها ، ثم توجهت طائفة من إفريقية إلى الأندلس ففتحته على ما سيأتي ذكره في الكلام على مكاتبات ملوك الغرب إن شاء الله تعالى .

المقصد الحادى عشر

في ذكر قواعدها القديمة، والمباني العظيمة الباقية على ممر الأزمان، والقواعد المستقرة، وما فيها من الأبنية الحسنة

- ١٠ وقواعدها القديمة على ضربين :

الضرب الأول

ما قبل الطوفان

والمعروف لها إذ ذاك قاعدتان :

- ١٥ القاعدة الأولى - مدينة "أمسوس" وهي أول مدينة بنيت بالديار المصرية قبل الطوفان، بناها نقرأوس بن مصرم بن براجيل بن رزائيل بن غريباب بن آدم عليه السلام ، أول ملوك مصر قبل الطوفان ، وموضعها خارج الإسكندرية تحت البحر الرومى كما ذكره بعض المؤرخين ، وشق لها نهرا يتصل بها من النيل .

القاعدة الثانية - مدينة "برسان" وهي مدينة بناها نقرأوس المتقدم ذكره

- ٢٠ لأبنة مصرام وأسكنه فيها ، ولم أقف على مكانها .

الضرب الثاني

قواعدها فيما بعد الطوفان

والمشهور منها ثلاث قواعد :

القاعدة الأولى - مدينة "منف" قال في "تقويم البلدان" : (بكسر الميم

وسكون النون وفاء في الآخر) والجارى على الألسنة منف (بفتح الميم) وموقعها

في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة .

قال في "الأطوال" : طولها ثلاث وخمسون درجة وعشرون دقيقة، وعرضها

ثلاثون درجة وعشرون دقيقة، وهي أول مدينة بنيت بمصر بعد الطوفان، بناها

مصر بن بيصر بن حلم بن نوح عليه السلام حين نزل مصر .

قال في "الروض المعطار" : وأصلها بالسريانية مافه، ومعناها بالعربية ثلاثون،

وذلك أن مصر حين نزلها كان في ثلاثين رجلاً من أهل بيته، فسموها بعددهم .

قال ابن الأنباري في كتابه "الزاهر" : وهي على آثني عشر ميلاً من القُسطاط .

قلت : ومنف هذه في جنوبي القُسطاط على القرب من البلدة المعروفة

بالبدريشين من عمل الخيزة، وهي المعروفة بمصر القديمة، وقد تحربت وصارت كيانا،

وبها آثار بنيان من الحجر الكذبان يوجد تحت الردم، على القرب من أحجار الأهرام

في العظمة والمقدار، وبوسطها آثار برّابة عظيمة، بها صلمان عظيمان من حجر صوّان

أبيض، طول كل صنم منهما نحو عشرين ذراعاً، وهما مطروحان على الأرض،

وقد غطى الطين أسفلهما .

وكان على القرب منهما بيت عظيم من حجر أخضر، قطعة واحدة : جوانبه الأربعة

وأرضه وسقفه، ولم يزل على ذلك إلى الدولة الناصرية حسن بن الناصر محمد بن

قلاوون، بأراد الأمير شيخو أتاك العسا كرتله إلى القاهرة صحيفا فعولج فأنكسر فامر بان تحت منه أعتاب فنحت وجعل منها أعتاب خانقاه وجامعه بصليبة الجامع الطولوني؛ وشرق هذه المدينة معالم سور مبنى بالمجر الكذآن النجيت فصوصا صغارا بالطين والجير الذي قد علمت، لونه لون الحجر. ويقال: إنه سور الأهرام التي بناها يوسف عليه السلام لأدخار الخنطة في سنبها.

ويذكر بعض أهل تلك البلاد أنه يوجد بعض السنبيل الذي أخبر به يوسف عليه السلام تحت تلك الأرض إلى الآن. وأنه في المقدار فوق مقدار الخنطة المتعارفة بقليل.

وفي شمالي هذه المدينة بلدة صغيرة تعرف بالعزيزية، يقال إنها كانت منزلة العزيز وزير الملك، وهناك مكان على القرب منها يعرف بزليخا، وفي غربيها إلى الشمال في سفح جبل مصر الغربي سجن يوسف عليه السلام، وإلى جانبه مسجد موسى عليه السلام، وعلى القرب من السور المقدم ذكره مسجد يعقوب عليه السلام. ويقال: إن النيل كان تحت هذا السور، وهناك مكان يعرف بالمقياس إلى الآن.



١٥ القاعدة الثانية — مدينة "الإسكندرية" نسبة إلى الإسكندر بن فيلبس المقدوني ملك اليونان المقدم ذكره.

وقد ذكر القضاعي: أنه كان بها عدة عجائب، من أعجبها المنارة، وهي منارة مبنية بالحجر والرصاص ارتفاعها في الهواء ثلثمائة ذراع كل ذراع ثلاثة أشبار، وقيل أربعمائة ذراع، وقيل مائة وثمانون ذراعا، وقيل بالحجر لثلبة الجير فيه. وعلى رأسها امرأة من أخلاط يرى فيها من حضر إليها على بُعد؛ وتهتدي بها المراكب السائرة إلى الإسكندرية إذ برها منخفض لا جبال فيها، تحرق بشعاعها ما أرادوا إحراقه من المراكب الواصلة، أحتال عليها النصارى في أوائل الإسلام في خلافة الوليد.

(١) لعله وقيل بالجير أي هي مبنية بالحجر والرصاص وقيل بالجير الخ تأمل.

أبن عبد الملك الأموي فكسروها، وتداعى هدم المنارة شيئا فشيئا إلى أوساط المائة الثامنة فاستؤصلت وبقي أثرها .

(ومنها) المَلْعَبُ الذي كانوا يجتمعون فيه في يوم من السنة ثم يرمون بكرة فلا تقع في حَجْرٍ أحد إلا ملك مصر؛ وإن حضر فيه ألف ألف من الناس كان كل منهم ناظرا في وجه صاحبه؛ وإن قرئ كتاب، سمعوه جميعا؛ أو أتى بنوع من اللعب رأوه عن آخرهم لا يتظالمون فيه بأكثر من مراتب العلية والسفلة .

وكان من غريب هذا المَلْعَب أن عمرو بن العاص رضى الله عنه حضر فيه في الجاهلية في يوم لعب الكرة فوقعت الكرة في حَجْرِهِ، وهم لا يعرفونه، فتعجب القوم منه وقالوا: ما رأينا هذه الكرة كذبت قط إلا هذه المرة، فاتفق أن ملكها في الإسلام . و (عمود السوارى) الذي بظاهر الإسكندرية الآن أحد عمود هذا المَلْعَب، وهو عمود عظيم يرمى الرجل القوي السهم عن قوس قوي فلا يبلغ رأسه .

(ومنها) عمودا الإعياء، وهما عمودان ملقيان وراء كل منهما جبل حصباؤه كصبر الجمار بمنى يُقْبَلُ العبي بسبع حصيات حتى يستلقى على أحدهما، ثم يرمى وراءه بالسبع ويقوم ولا يلتفت، ويمضى لطأبته فلا يُحْسِبُ بشيء من تعبته .

(ومنها) القبة الخضراء، وهي قبة ملبسة نحاسا كأنه ذهب إبريز لا يبليه القدم ولا تُخْلَقُه الدهور .

(ومنها) المِسْلَتَانِ، وهما جبلان قائمان على سرطانات نحاس في أركانها كل ركن على سرطان، فلو أراد مرید أن يدخل تحتها شيئا إلى الجانب الآخر لفعّل . قال ابن الأثير في "عجائب المخلوقات": وهاتان المِسْلَتَانِ إحداهما في الركن الشرقى من البلد، والثانية ببعض البلد، وهما عمودان مَرَبَّعَانِ من حجر أحمر، وعرض قواعدهما من الجهات الأربع أربعون شبرا، طول كل واحدة منهما خمس قامات، وأعلىها مُسْتَدِقٌّ، وعرض قاعدتهما من الجهات الأربع أربعون شبرا .

(١) لعله هيكلان، أو بناءان . (٢) يظهر أنه مكرر مع المذكور في السطر قبله .

ويقال : إن عليهما مكتوب بالسريانية : "أنا يعمر بن شداد، بنيت هذه المدينة وأردت أن أجعل فيها من الآثار المعجزة، والعجائب الباهرة، فأرسلت البتون بن مرة العادى ومقدام بن يعمر بن أبى رغال التمودى إلى جبل بريم الأحمر، فأقتطعوا منه حجرتين وحملاهما على أعناقهما، فأنكسرت ضلع البتون، فوددت أن أهل مملكتى كانوا فداء له، فأقامهما القطن بن حازم^(١) المؤتفكى فى يوم السعادة".

وقد قيل فيها : إنها إرم ذات العماد، ولم تزل عامرة إلى الفتح الإسلامى، فلما فتحها عمرو بن العاص كتب إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

"أما بعد . فإنى فتحت مدينة لا أصف ما فيها ، غير أنى أصبت فيها أربعة آلاف بنية ، وأربعة آلاف حمام ، وأربعون ألف يهودى عليهم الجزية ، وأربعمائة مئهى للوك". ويقال : إنه وجد فيها أربعة آلاف بقال يبيعون البقل ، وكان فيها من الروم يومئذ مائة ألف من أهل القوة لحقوا بأرض الروم فى المراكب ، وكان من بقى ستمائة ألف سوى النساء والصبيان .

قلت : وقد ذهب جل ذلك وزال أكثره ، ولم يبق من عجائبها ظاهرا إلا عمود السوارى ، وهو عمود عظيم من حجر صوان خارج المدينة لا يكاد يكون له نظير فى الدنيا ، ويقال : إنه كان قبلها مدينة فى مكانها تسمى رقودة^(٢) بناها مصر بن بيصر بن حام ابن نوح المتقدم ذكره حين بنى مدينة منف ، وعلى منوالها نسج الإسكندر مدينته .

✦ ✦

القاعدة الثالثة - "قصر الشمع" الذى هو داخل مدينة الفسطاط الآن ، وهو

المعبر عنه فى كتب الفتوح بالحصن ، بناه كسرجوس الفارسى أحد نواب ملك الفرس عند أستيلانهم على مصر بعد غلبة بُخت نصر الآتى ذكره فى الكلام على ملوكها .

(١) فى ياقوت : قطن بن جارد . (٢) كذا فى المقرئى (ج ١ ص ١٥٥) ونهاية الأرب

لتورى (ج ١٢ من النسخة المتوغرافية) وفى الأصل «رقودة» .

قال للقضاعي : ولم يكمله وإنما كمله الروم بعد ذلك ... التي فتحت مصر
وهي مقرة الملوك بها . وقد قيل : إن المقوقس كان يقيم بالإسكندرية أربعة
أشهر من السنة ، وبمدينة منف أربعة أشهر ، وبقصر الشمع أربعة أشهر .
وأعلم أنه قد كان بالديار المصرية مستقرات أخرى عظام كانت قواعد لبعض
ملوكها في بعض الأزمان ، ومدن دون ذلك يأتي الكلام على جميعها بعد ذكر الكوز
القديمة والأعمال المستقرة إن شاء الله تعالى .



وأما المباني العظيمة الباقية على ممر الأزمان - فأعلم أن ملوك مصر
الأقدمين كان لهم من العناية بالبناء ما ليس لغيرهم ، وكانوا يتفاحرون بذلك لإخباره على
طول الزمن بعظمة ملكهم وأقدارهم على ما لم يبلغه غيرهم . ومن أعظم أبنيتهم (الأهرام)
وهي قبور اتخذوها في غاية الوثاقة حفظاً لأجسامهم ، وكان لهم بها العناية التامة ،
وآبثوا منها عدة بالجبل الغربي من النيل ، بعضها مقابل الفسطاط ، وبعضها ببوصير
السدر وسقارة ودهشور من الأعمال الجيزية ، وبعضها بميدوم من البهنساوية ،
وأعظمها خطراً وأجلها قدراً الهرمان المقابلان للفسطاط ، يقال إن طول عمود
كل هرم منهما ثلاثمائة وسبعة عشر ذراعاً ، تحيط بها أربعة سطوح متساوية
الأضلاع ، طول كل ضلع منها أربع مائة وستون ذراعاً .

قال أبو الصلت : ليس على وجه الأرض بناءً باليد حجر على حجر بهذا المقدار .
ويقال : إن لها أبواباً في أزج في الأرض طول كل درج مائة وخمسون ذراعاً ،
وباب الهرم الشرقي من الجهة البحرية ، وباب الهرم الغربي من الناحية الغربية .

(١) عبارة المقريري في خطه (ج ١ ص ٢٨٧) : « وقال القضاعي : ذكر الحصن المعروف بقصر
الشمع ، يقال : إن فارس لما ظهرت على الروم وملك عليهم الشام وملك مصر بدأت يده هذا القصر
وبنت فيه هيكلًا لبيت النار ولم يتم بناؤه على أيديهم إلى أن ظهرت الروم عليهم ندمت بناؤه وحجسته ولم
تر في ذلك حين الفتح » ومحلها بياض بالأصل .

والصابئة تحج هذين الهرمين ويقولون : إن أحدهما قبر إدريس عليه السلام ،
والآخر قبر ابنه صابئ الذي إليه ينتسبون .

وقد اختلف في بانيها فأكثر المؤرخين على أن بانيها سوريد بن سهاوق أحد
ملوك مصر قبل الطوفان ، الآتى ذكره في الكلام على ملوكها فيما بعد إن شاء الله
تعالى ، جعلها قبورا لأجسادهم ، وكنوزا لأموالهم ، حين أخبره منجموه وكهنته بما
دلهم عليه الرصد النجومى من حدوث حادثة تدمر الأرض ، ورجحه محمد بن عبد الله
ابن عبد الحكم وقال : لو بنيت الأهرام بعد الطوفان ، لكان علمها عند الناس .
وذكر ابن عفير عن أشياخه أن بانيها جئاد بن مباد بن شمر بن شداد بن عاد بن
عوص بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام . قال : ولم تزل مشايخ مصر يقولون : إن
الذى بناها شداد بن عاد . وذهب المسعودى وغيره إلى أنه بناها يوسف عليه السلام .
وقال ابن شبرمة : بنتها العالقة حين ملكوا مصر . وبالجملة فهما من أعظم الآثار
وأقدمها وأجل المباني وأدومها ، والله القائل :

أَنْظُرْ إِلَى الْهَرَمَيْنِ وَأَسْمَعْ مِنْهُمَا * مَا يَرَوِيَانِ عَنِ الزَّمَانِ الْغَائِرِ
لَوْ يَنْطِقَانِ ، نَحْبَرَانَا بِالَّذِي * صَنَعَ الزَّمَانُ بِأَوَّلِ وَبِآخِرِ

وكيفما كان فمآلها إلى الخراب ، شأن الدنيا ومبانيها .

وقد كان المأمون ، أحد خلفاء بني العباس ، حين دخل إلى مصر في سنة
ست عشرة ومائتين قصد هدمهما فلم يقدر ، فأعمل الحيلة في فتح طاقة في أحدهما
يتوصل منها إلى مزلقان ، يصعد في أعلاه إلى قاعة بأعلى الهرم ، بها فاووس من
حجر ، وينزل في أسفله إلى بئر تحت الأرض لم يعلم ما فيها . ويقال : إنه وجد

(١) الثابت الآن تاريخيا بعد الاستكشافات وقراءة الحروف الميروغليبية أن باني الهرم الكبير الملك
خوفو ، وباني الهرم الثانى الملك خفرع ، وباني الهرم الثالث الملك منقرع . واستكشف العالم الأثرى
الجليل الأستاذ سليم حسن بك في هذه الأيام هرما رابعا بجوارها .

في أعلاه مالا فأعتبره فإذا هو قدر المال الذي صرفه من غير زيادة ولا نقص؛
وقد أخذ الآن في قطع حجارتها الظاهرة لآتخاذ البلاط منها . فإن طال الزمان
يوشك أن يخرَّباً كغيرهما من المباني .

ولله المتنبي حيث يقول :

أين الذي الهرمان من بنيانه؟ * ما قومه؟ ما يومه؟ ما المصرع؟
تتخلف الآثار عن أصحابها * دهرًا، ويدركها الفناء فتتبع!

قال إبراهيم بن وصيف شاه في كتاب "العجائب" : وقد قيل إن هوجيب
أحد ملوك مصر قبل الطوفان أيضا بنى الهرم الكبير الذي بدَّهشور؛ والثاني بناه
قنطريم، بن قنط، بن قبطيم، بن مصر، بن بيصر، بن حام، بن نوح عليه السلام
بعد الطوفان .

قال القضاعي : أما الهرم الذي بدير أبي هر ميس، وهو الهرم المدرج، يعني
الذي شمالي أهرام دهشور، فإنه قبر قرياس، وهو فارس أهل مصر، كان يعد فيهم
بألف فارس، فلما مات جزع عليه ملكه وبنى له هذا الهرم فدفنه فيه .

قال : وقبر الملك نفسه الهرم الكبير من الأهرام التي غربى دير أبي هر ميس،
وعلى بابه لوح من الحجر الكدَّان طوله ذراع في ذراع مكتوب بالخط البرباوى .
ومن عظيم بنيانهم أيضا ولطيف حكمهم (البرابى) وهى بيوت عبادة كانت لهم،
زبروا فيها حكمهم، وورثوا تواريخ ملوكهم، وصوروا فيها صور الأمم التي حولهم .
فمتى قصدهم أمة من الأمم، أوقعوا بصورهم المصورة من النكال ما أرادوا، فيصيب
تلك الأمة على البعد ما أوقعوه بتلك الصور، إلى غير ذلك من الحكم التي أودعوها
والطلسمات التي وضعوها بجدرانها .

(١) لا يزالان إلى الآن (٥١٣٥٦ - ١٩٣٧م) وتقوم الحكومة بالمحافظة عليهما وعلى جميع الآثار

بالديار المصرية، ويعتبران من مفاخر مصر الخالدة . (٢) هو المعروف الآن بالخط الهيروغلى .

ويقال : إن أول من بنى البرابي بمصر دُلُوكة العجوز، التي ملكت مصر بعد فرعون لعنه الله !

قال في "مسالك الأبصار" : وقد أخبرني الحكيم شمس الدين محمد بن سعد الدمشقي أنه رآها وتأملها، فوجدها مشتتة على جميع أشكال الفلك ، وأن الذي ظهر له أنه لم يعملها حكيم واحد بل تولَّى عليها قوم بعد قوم حتى تكاملت في دور، وهو ثلاثون ألف سنة ، لأن مثل هذه الأعمال لا تُعمل إلا بالأرصَاد ولا يكمل رصد المجموع في أقل من هذه المدة .

قلت : ويجوز أن يكون الرصدُ حصل على الوجه المذكور، وزِيرَ ورُقِمَ في الكُتُب، فلما بنى الثاني هذه البرابي ، نقل منها ما زُيِرَ في الكتب من ذلك الزمن المتقدم .

وأعلم أن أكثر البرابي بالوجه القبلي من الديار المصرية ، وبالوجه البحري القليل منها، وقد آستولى الخراب على جميعها، وذهبت معالمها ولم يبق إلا آثارها، والذي وقفتُ عليه في التواريخ، ووقفتُ على آثار غالبه ورسومه سبعُ برابٍ :

(منها) بربا سَمْنُودَ، كانت بظاهر سَمْنُود من الأعمال الغربية بالوجه البحري .

قال الكندي : رأيتها وقد نخرنَ فيها بعضُ عمَّالها قرصاً فرأيتَ الجمل إذا دنا من بابها بجملته وأراد أن يدخلها، سقط كل ديب في القرظ فلا يدخل منها شيء إلى البربا .

قال القضاعي : ثم خربت عند الخمسين وثلاثمائة .

(ومنها) بربا تُمِّيَ بالمرتاحية من الوجه البحري على القُرب من مدينة تُمِّيَ

الخراب، وعامة أهل تلك الناحية يقولون بربا عاد، وهي باقية بجدرانها، وسقفها

من أعظم الحجارة العظيمة، إلى الآن باقية، وبأعلى بابها قطعة مبنية بالطوب الآجُر
والجِصَّ، وداخلها أحواض عظيمة من الصوان غريبة الشأن .

(ومنها) بربا إنحيم، وهي بربا بظاهر مدينة إنحيم من الوجه القبلي؛ كانت من
أعظم البرابي وأحسنها صنعةً وأكبرها حكمةً، ولم تزل عامرة إلى أوساط المائة
الثامنة، فأخذ في هدمها والعمارة بأحجارها خطيب إنحيم، ولم يبق إلا آثارها،
وبعض جذرانها قائمة إلا الآن .

(ومنها) بربا دندرة من الأعمال القوممة .

قال القضاعي : وهي بربا عجيبة فيها مائة وثمانون كوة تدخل الشمس في كل
يوم في كوة منها، ثم تكثر راجعة إلى الموضع الذي بدأت منه، وهي الآن خراب لم
يبق إلا آثارها .

(ومنها) بربا الأقصر : وكانت بربا عظيمة فهُدمت أيضا، ولم يبق منها
إلا آثارها .

ومن بقايا الآثار بها صنم عظيم من حجر صوان أملس، قائم على باب ضريح
الشيخ أبي الحجاج الأقسري على حاله إلى الآن، ومر عليه زمنُ الشيخ وهو على ذلك،
ولعله إنما أراد ببقائه التنبيه على ضعف عقول عبدة الأصنام لكونهم يعبدون حجرا
مثل هذا .

(ومنها) بربا أرمنت، وهي بربا صغيرة قد ذهبت معالمها، ولم يبق بها إلا عمُد
صوان قائمة من غير شيء، محمول عليها .

(ومنها) بربا إسنا، وهي متوسطة القدر بين الكبر والصغر، وقد بقي منها
قطعة جيدة جعلت شونة للغلال، وأهل إسنا يذكرون أن الفار لا يدخلها، وإن
دخلها مات .

ومن الآثار العجيبة بمصر أيضا مسلتان بعين شمس على القرب من المطرية من ضواحي القاهرة من حجر صوان أحمر محدّدتا الرأسين، ذكر الفضاغى : أن الشمس تطلع على الجنوبية منهما في أقصر يوم في السنة، وعلى الشمالية في أطول يوم في السنة، وتردد فيما بينهما في بقية السنة. وذكر أنه كان عليهما صومعتان من نحاس، إذا كان زمن زيادة النيل تقاطر الماء من أعلاهما إلى أسفلهما، فينبت حولهما العوسج، وما في معناه من الحشيش .

ومن العجائب حائط العجوز، وهو حائط من لبن، بنتها دلوكة ملكة مصر بعد فرعون، من العريش إلى أسوان، دائرة على أراضي مصر من شرقها وغربها في حيف جبلها، وجعلت بين كل ثلاثة أميال محرسا، وشقت خليجا من النيل إلى جانبها، وآثارها باقية إلى الآن بالجانب الشرقى والجانب الغربى .

المقصد الثانى عشر

في ذكر قواعد المستقرة

وهى ثلاث قواعد، قد تقاربت وأختلطت حتى صارت كالتاعدة الواحدة .

القاعدة الأولى

مدينة الفسطاط

(بقاء مضمومة وسين مهملة ساكنة وطاء مهملة مفتوحة بعدها ألف ثم طاء ثانية فى الآخر) . ويقال فيه فُسطاط بإبدال الطاء الأولى تاء وفساط . قال الجوهرى : وكسر الفاء لغة فيهن ؛ وهى المدينة المعروفة بين العامة بمصر وأسمها القديم باب أليون^(١) .

قال أبو السعادات بن الأثير فى نهايته : (بفتح الهزة وسكون اللام وضم الياء المشناة تحت وسكون الواو ونون فى الآخر) .

(١) وفى ياقوت : « بابلون » الباء الثانية مكسورة واللام ساكنة وقد ذكره أيضا فى أليون .

قال القضاعى : وهو اسمها بلغة الروم والسودان ، ولذلك يعرف القصر الذى بالشرق بباب أليون ، وموقعها فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة .
قال فى "كتاب الأطوال" : وطولها ثلاث وخمسون درجة ، وعرضها ثلاثون درجة وعشر دقائق .

وقال فى "القانون" : طولها أربع وخمسون درجة وأربعون دقيقة ، وعرضها تسع وعشرون درجة وخمس وخمسون دقيقة .

وقال ابن سعيد : طولها ثلاث وخمسون درجة وخمسون دقيقة ، وعرضها تسع وعشرون درجة وخمس وخمسون دقيقة .

وقال فى "رسم المعمور" : طولها أربع وخمسون درجة وأربعون دقيقة .
والذى عليه عمل أهل زماننا فى وضع الآلات وغيرها طول خمس وخمسين درجة ، وعرض ثلاثين .

واختلف فى سبب تسميتها بالفسطاط ، فقال ابن قتيبة : إن كل مدينة تسمى فسطاطاً ، ولذلك سميت مصر الفسطاط .

وقال الزمخشري : الفسطاط اسم لضرب من الأبنية ، فى القدر دون السرادق والذى عليه الجمهور أنه يسمى بذلك لمكان فسطاط عمرو بن العاص رضى الله عنه يعنى خيمته ، وذلك أن عمراً لما فتح الحصن المعروف بقصر الشمع فى سنة إحدى وعشرين من الهجرة وأستولى عليه ضرب فسطاطه على القرب منه ، فلما قصد التوجه الى الإسكندرية لفتحها ، أمر بتزع فسطاطه للرحيل ، فإذا بجمام قد أفرخ فيه فقال : لقد تحترم منا بحرم ، وأمر بإقرار الفسطاط مكانه ، وأوصى على الجمام ، وسار الى الإسكندرية لفتحها ، ثم عاد الى فسطاطه ونزل به ونزل الناس حوله ، وأبنتى داره الصغرى التى هى على القرب من الجامع العتيق مكان فسطاطه وأخذ الناس فى الأختطاط حوله فتنافست القبائل فى المواضع والأختطاط ، فولى عمرو

على الخطط معاوية بن حديج التميمي، وشريك بن سمي القطيفي، وعمرو بن مخزوم الخولاني، وحيويل بن ناشرة المعافري، ففصلوا بين القبائل وأنزلوا الناس منازلهم، فأخطوا الخطط وبنوا الدور والمساجد، وعرفت كل خطة بالقبيلة أو الجماعة التي آختطتها أو بصاحبها الذي آختطها .

٥ فاما الخطط والآدُر التي عرفت بالقبائل والجماعات :

(فمنها) خطة أهل الراية، وهم جماعة من قريش، والأنصار، وخزاعة، وأسلم، وغفار، ومزينة، وأشجع، وجهينة، وثقيف، ودوس، وعيس بن يعيض، وجرش من بني كنانة، وليث بن بكر، لم يكن لكل منهم من العدد ما ينفرد به بدعوة من الديوان فجعل لهم عمرو بن العاص راية لم ينسبها إلى أحد، وقال : يكون وقوفكم تحتها، فكانت لهم كالنصب الجامع، وكان ديوانهم عليها فعرفوا بأهل الراية، وأنفردوا بخطة وحدهم، وخطتهم من أعظم الخطط وأوسعها .

١٠ (ومنها) خطة مهرة، وهم بنو مهرة بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاة ابن مالك بن حمير، من قبائل اليمن .

(ومنها) خطة نجيب، وهم بنو عدي وسعد ابني الأشرس بن شيب بن السكن بن الأشرس بن كندة، ونجيب اسم أمهما عرفت القبيلة بها .

١٥ (ومنها) خطط لحم، وهي ثلاث : الأولى، بنو لحم بن عدي بن مرة بن أدد، ومن خالطهم من جذام . والثانية، بنو عبد ربه بن عمرو بن الحارث بن وائل ابن راشدة بن لحم . والثالثة، بنو راشدة بن أذب بن جزيلة بن لحم .

(ومنها) خطط اللقيف، وهم جماعة من القبائل تسارعوا إلى مراكب الروم حين بلغ عمرا قدمهم الإسكندرية عند فتحها، فقال لهم عمرو، وقد

(١) كذا في ابن دقاق أيضا ووقع في المقرئ : " بنورية " وهو تصحيف .

(٢) في خطط المقرئ وابن دقاق : " فقال لهم عمرو بن جمالة " .

أستكثرهم : إنكم لكذا قال الله : (فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا) فُسُومًا
الْأَفِيفَ مِنْ يَوْمِئِذٍ .

(ومنها) خِطَطُ أَهْلِ الظَّاهِرِ ، وَهُمْ جَمَاعَةٌ مِنَ الْقَبَائِلِ قَفَلُوا مِنَ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ
بَعْدَ قَفُولِ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ ، فَوَجَدُوا النَّاسَ قَدْ أَخَذُوا مَنَازِلَهُمْ ، فَتَحَاكَبُوا إِلَى مَعَاوِيَةَ
أَبْنِ حُدَيْجٍ الَّذِي جَعَلَهُ عَمْرُو عَلَى الْخِطِيطِ ، فَقَالَ لَهُمْ : إِنِّي أَرَى لَكُمْ أَنْ تَظْهَرُوا عَلَى
هَذِهِ الْقَبَائِلِ فَتَتَّخِذُوا لَكُمْ مَنَازِلَ ، فَسَمِيَتْ مَنَازِلُهُمُ الظَّاهِرَ .

(ومنها) خِطَطُ غَافِقِ ، وَهُمْ بَنُو غَافِقِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَكَّ بْنِ عُدْتَانَ بْنِ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْأَزْدِ .

(ومنها) خِطَطُ الصِّدْفِ (بفتح الصاد وكسر الدال المهملتين) . وَهُمْ بَنُو مَالِكِ
أَبْنِ سَهْلِ بْنِ عَمْرُو بْنِ قَيْسِ بْنِ حَمِيرٍ مِنْ قَبَائِلِ الْيَمَنِ ، وَقِيلَ بَنُو مَالِكِ بْنِ مُرَقَّعِ
أَبْنِ كِنْدَةَ ، سُمِّيَ الصِّدْفُ لِأَنَّهُ صَدَفَ بِوَجْهِهِ عَنْ قَوْمِهِ حِينَ أَتَاهُمْ سَيْلُ الْعَرِيمِ .

(ومنها) خِطَطُ خَوْلَانَ ، وَهُمْ بَنُو خَوْلَانَ بْنِ عَمْرُو بْنِ مَالِكِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَرِيبِ .

(ومنها) خِطَطُ الْفَارَسِيِّينَ ، وَهُمْ بَقَايَا جَنْدِ بَاذَانَ ، عَامِلِ كَسْرَى مَلِكِ الْفُرْسِ عَلَى الْيَمَنِ .

(ومنها) خِطَطُ مَذِجِ ، وَهُمْ بَنُو مَالِكِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ أَدَدَ بْنِ زَيْدِ بْنِ كَهْلَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ .

(ومنها) خِطَطُ يَحْصَبَ ، وَهُمْ بَنُو يَحْصَبَ بْنِ مَالِكِ بْنِ أَسْلَمِ بْنِ زَيْدِ بْنِ

غَوْثِ بْنِ حَمِيرٍ .

(ومنها) خِطَطُ رُعَيْنِ ، وَهُمْ بَنُو رُعَيْنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ سَهْلِ بْنِ يَعْفَرَ بْنِ مُرَّةَ بْنِ أَدَدَ .

(ومنها) خِطَطُ بَنِي الْكُلَّاعِ ، وَهُوَ الْكُلَّاعُ بْنُ شَرْحُبِيلَ بْنِ سَعْدِ بْنِ حَمِيرٍ .

(ومنها) خِطَطُ الْمَعَاوِرِ ، وَهُمْ بَنُو الْمَعَاوِرِ بْنِ يَعْفَرَ بْنِ مُرَّةَ بْنِ أَدَدَ .

(ومنها) خِطَطُ سَبِيٍّ ، وَهُمْ بَنُو مَالِكِ بْنِ زَيْدِ بْنِ وَلِيعَةَ بْنِ مَعْبِدِ بْنِ سَبِيٍّ .

(ومنها) خِطَطُ بَنِي وَائِلِ ، وَهُوَ وَائِلُ بْنُ زَيْدِ بْنِ مَنَاةَ بْنِ أَفْصَى بْنِ إِيَّاسِ بْنِ حَرَّامِ

ابْنِ جُدَّامِ بْنِ عَدِيِّ .

(ومنها) خِطَّةُ القَبَضِ ، وهم بنو القَبَضِ بن مَرثِدٍ .

(ومنها) خِطَطُ الحَمْرَاوَاتِ ، وهى ثلاث ، سميت بذلك لتزول الروم بها ، وهم حمر الألوان :

الأولى - الحمرء الدنيا ، وبها خِطَّةُ بَلِيٍّ ، وهم بنو بَلِيٍّ بن عمرو بن الحَلَّافِ بن فُصَاعَةَ إلا من كان منهم فى أهل الراية ؛ وخِطَّةُ ثَرَادِ مِنَ الأَزْدِ ؛ وخِطَّةُ فَهْمٍ ، وهم بنو فَهْمِ بن عمرو بن قيس بن عَيْلَانَ ، وخِطَّةُ بنى بجر بن سَوَادَةَ مِنَ الأَزْدِ .

الثانية - الحمرء الوُسْطَى ، وبها خِطَّةُ بنى نَبَسِ ، وهم قوم من الروم حضروا الفتح ؛ وخِطَّةُ هُدَيْلٍ ، وهم بنو هُدَيْلِ بن مُدْرِكَةَ بن إِيَّاسِ بن مُضَرِّبٍ ، وخِطَّةُ بنى سَلَامَانَ مِنَ الأَزْدِ .

الثالثة - الحمرء القُصُوى ، وهى خِطَّةُ بنى الأَزْرَقِ مِنَ الرُّومِ ، وحضر الفتح منهم أربع مائة رجل ؛ وخِطَّةُ بنى يَشْكُرَ بن جَزِيلَةَ مِنَ نَحْمِ ، وإليهم ينسب جبل يَشْكُرُ الذى بُنى عليه جامع أحمد بن طولون الآتى ذكره مع جوامع الفُسطَاطِ إن شاء الله تعالى .

(ومنها) خِطَطُ حَضْرَمَوْتِ ، وهم بنو حَضْرَمَوْتِ بن عمرو بن قيس بن معاوية ابن حَمِيرٍ ، إلى غير ذلك من الخِطَطِ التى دَرَسْتُ قَبْلَ الأَهْتَامِ بالتأليف فى الخِطَطِ .



وَأَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ فى خِلالِ هَذِهِ الخِطَطِ دُورَ جَمَاعَةٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ رِضْوَانِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِمَّنْ حَضَرَ الفِتحِ .

(منها) دار عمرو بن العاص ، ودار الزبير بن العوام ، ودار قيس بن سعد بن عباد الأنصارى ، ودار مسلمة بن مخلد الأنصارى ، ودار عبد الرحمن بن عديس البلوى ، ودار وهب بن عمير بن وهب بن خلف الجمحى ، ودار نافع بن عبد القيس بن لقيط الفهري ، ودار سعد بن أبي وقاص ، ودار عتبة بن عامر الجهنى ، ودار القاسم

وعمر و آبنى قيس بن عمرو، ودار عبد الله بن سعد بن أبى سرج العامرى، ودار مسعود بن الأسود بن عبد شمس بن حرام البلوى، ودار المستورد بن شداد الفهرى، ودار حى بن حرام اللبى، (وفى صحبته خلاف)، ودار الحارث بن مالك اللبى المعروف بابن البرصاء، ودار بشر بن أرطاة العامرى، ودار أبى ثعلبة الحشنى، ودار إياس بن البكير اللبى، ودار معمر بن عبد الله بن نضلة القرشى العدوى، ودار أبى الدرداء الأنصارى، ودار يعقوب القبطى رسول المقوقس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع مارية: أم ولده إبراهيم وأختها شيرين، ودار مهاجر مولى أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم، ودار عتبة بن زيد الأنصارى، ودار محمد بن مسلمة الأنصارى، ودار أبى الأسود مسروح بن سندر الحصى، ودار عبد الله بن عمر ابن الخطاب، ودار خارجة بن حدافة بن غانم العدوى، ودار عتبة بن الحارث، ودار عبد الله بن حدافة السهمى، ودار محمية بن جزء الزبيدى، ودار المطلب بن أبى وداعة السهمى، ودار هيب بن معقل الغفارى، وبه يعرف وادى هيب بالقرب من الإسكندرية، ودار عبد الله بن السائب المخزومى، ودار جبر القبطى رسول المقوقس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودار يزيد بن زياد الأسلمى. ودار عبد الله بن ريان الأسلمى، (وفى صحبته خلاف)، ودار أنى عميرة رشيد بن مالك المزنى، ودار سباع بن عرفطة الغفارى، ودار نضلة بن الحارث الغفارى، ودار الحارث بن أسد الخزاعى (وفى صحبته خلاف)، ودار عبد الله بن هشام بن زهرة من ولد تميم بن مرة، ودار خارجة بن حدافة بن غانم العدوى، وهو أقول من أبتى عرفة بالفسطاط، فكتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى أمرها فكتب إلى عمرو بن العاص: أن أدخل غرفة خارجة وأنصب فيها سريرا، وأقم عليه رجلا ليس بالطويل ولا بالقصير، فإن أطلع من كواها فأهدمها، ففعل عمرو فلم

(١) كذا فى المقرئى (ح ٢ ص ١٣٧) وهو مولى زبىع بن روح بن سلامة الخدامى، بكى أن الأسود، له صحفة، قدم مصر بعد الفتح بكتاب عمر بن الخطاب رضى الله عنه بالوصاة وأقطع مائة الأصبغ ابن عبد العزيز. وفى الأصل: « مسروح بن سندر الحصى » . (٢) تقدم فريبا وهو مكتر.

يبلغ الكوى فأقرها ، ودار محمد بن حاطب الجُمحى ، ودار رِفَاعَةَ الدَّوْسِيّ ، ودار فضالة بن عبيد الأنصاريّ ، ودار المطلب بن أبي وداعة السهميّ . إلى غير ذلك من الدور التي أغفلت ذكرها أصحاب الحطّط .

قلت : وكان أمراء مصر القائمون مقام ملوكها الآن ينزلون بالفسطاط ، ولم يكن لهم في ابتداء الأمر مقرّة معيّنة ، ولا دارٌ للإمارة مخصوصة . فنزل عمرو بن العاص أولُ أمرائها بداره على القرب من الجامع ، ولم يزل كلُّ أمير بعده ينزل بالدار التي يكون بها سكنه إلى آخر الدولة الأمويّة ، وكان عبد العزيز بن مروان ، وهو أمير مصر في خلافة أخيه عبد الملك بن مروان قد بنى داراً عظيمة بالفسطاط سنة سبع وستين من الهجرة وسماها دار الذهب ، وجعل لها قبةً مذهبةً إذا طلعت عليها الشمس لا يستطيع الناظر التأمل فيها خوفاً على بصره ، وكانت تعرف بالمدينة لسعتها وعظمتها ، وكان عبد العزيز ينزلها ، ثم نزلها بنوه بعده . فلما هرب مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية إلى مصر ، نزل هذه الدار فلما رهقه القوم ، أمر بإحراقها ، فلامه في ذلك بعض بني عبد العزيز بن مروان فقال : إن أبق ، أبنها لبنةً من ذهب ولينةً من فضة ، وإلا فما تصاب به في نفسك أعظم ، ولا يتمتع بها عدوك من بعدك . فلما غلب بنو العباس على بني أمية وهرب مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية إلى الديار المصرية ، وتبعه على بن صالح بن علي الهاشمي إلى أن أدركه بمصر وقتله وأستقر أميراً على مصر في خلافة السّفّاح أولِ خلفاء بني العباس ، أبتنى داراً للإمارة ونزلها ، وصارت منزلةً للأمراء بعده إلى أن ولي أحمد بن طولون الديار المصرية فنزل بها في أول أمره ، ثم آختط بعد ذلك قصره المعروف بالميدان فيما بين قلعة الجبل الآن والمشهد النفيسي وما يلي ذلك في سنة ست وخمسين ومائتين ،

(١) سبق ذكرها فإعادتها صواب .

وكان له عدة أبواب : بعضها عند المشهد النفيسى ، وبعضها عند جامع الآتى ذكره ،
وأختط الناس حوله ، وأقطع كل أحد قطعة آبتنى بها ، فكان يقال : قطعة
هارون بن نُحْمَارويه ، وقطعة السُّودَان ، وقطعة الفَرَّاشين ، فعرف ذلك المكان
بالقطائع ، وتزايدت العمارة حتى آتصلت بالفُسْطَاطِ ، وصار الكل بلدا واحدا ، ونزل
أحمد بن طولون بقصره المذكور ، وكذلك بنوه بعده ، وأهملت دار الإمارة التي
آبتناها على بن صالح بالفُسْطَاطِ . وآستقر الأمر على ذلك بعده أيام آبنه نُحْمَارويه
وولديه جيش وهارون ، وزادت العمارة بالقطائع في أيامهما ، وكثرت الناس فيها
حتى قتل هارون بن نُحْمَارويه بعد قتل أبيه وأخيه ، وسار محمد بن سايمان الكاتب
بالعساكر من العراق من قِبَلِ المُسْتَكْفِي بالله ، ووصل إلى مصر في سنة آثنين
وتسعين ومائتين ، وقد وثى الطُّولُونِيَّةُ عليهم ربيعة بن أحمد بن طولون ، فسلم البلد
منه وخرَّب القطائع وهدَّم القصر وقلع أساسه ، وخرَّب موضعه حتى لم يبق له أثر .
وكان بَدْرُ الحَفِيْفِي غلام أحمد بن طولون قد بنى دارا عظيمة بالفُسْطَاطِ عند
المُصَلَّى القديمة ، وقيل آشترها له أحمد بن طُولُون ، ثم سَخِط عليه أحمد فنكبه ،
وسكنها بعده طاهر بن نُحْمَارويه ، ثم سكنها بعده الحمَامِي غلام أحمد بن طولون .
فلما هدم محمد بن سايمان الكاتب قصر بني طولون بالقطائع ، سكن هذه الدار ،
ثم سكنها عيسى النَّوْشِيرِي أمير مصر بعده ، وآستقرت منزلة للأمرء إلى أن ولي
الإخشيْدُ مصر فزاد فيها وعظَّمها ، وعمل لها مَبْدَانًا وجعل له بابا من حديد ، وذلك
في سنة إحدى وثلاثين وثلثمائة ، ولم تزل منزلة للأمرء إلى أن غلبت الخلفاءُ
الفاطميون الإخشيديَّة على مصر وبني القائد جوهرُ القاهرة والقصر ، فنقل باب
هذه الدار إلى القاهرة ، وصار القصر منزلة لهم على ما سبأ في ذكره في الكلام على
خطَّ القاهرة إن شاء الله تعالى .

- وصار الفُسْطَاطُ في كل وقت تتزايد عمارته حتى صار في غاية العمارة ونهاية الحسن . به الأدرُّ الأنيقة ، والمساجد القائمة ، والحمامات الباهية ، والقياسُ الزاهية ، والمستنزهات الرائقة ، ورحل الناس إليه من سائر الأقطار ، وقصدوه من جميع الجهات ؛ وغصَّ بسُكَّانِهِ ، وضاق فضأؤه الرحيب عن قُطَّانِهِ . حتى حكى صاحب « إيقاظ المتغفل »^(١) عن بعض سُكَّانِ الفُسْطَاطِ أنه دخل حمَّامًا من بناء الروم في أيام نُحْمَارَوِيَّةِ بن طولون في سنة سبع عشرة وثلثمائة فلم يجد فيها صانعا يخدمه ، وكان فيها سبعون صانعا قلَّ منهم من معه ثلاثة نفرٍ يغسلهم ، وأنه دخل بعدها حمَّامًا ثم حمَّامًا فلم يجد من يخدمه إلا في الحمام الرابعة ، وكان الذي خدمه معه ثان .
- وحكى في موضع آخر عن يثق به عن أبيه أنه شاهد من مسجد الوكرة^(٢) بالفُسْطَاطِ إلى جامع ابن طولون قصبية سوق متصلة ، فعدَّ ما بها من مقاعد الحِمَّصِ المصلوق فكانت ثلثمائة وتسعين مقعدا غير الحوانيت وما بها .
- وحكى أيضا عن أخبره أنه عدَّ الأَسْطَاطِ النحاس المؤبدة في البكر لاستقاء الماء في الطاقات المِطَّةَ على النيل ، فكانت ستة عشر ألف سطل . قال : وبلغ أجرة مقعد يُكْرَى عند البيمارستان الطولوني بالفُسْطَاطِ في كل يوم آثني عشر درهما .
- وذكر ابن حوقل أنه كان بالفُسْطَاطِ في زمانه دار تعرف بدار ابن عبد العزيز بالموقف يُصَبُّ لمن فيها من السكان في كل يوم أربعائة راوية ماء ، وفيها خمسة مساجد ، وحمَّامان وفُرَّان .
- قلت : ولم يزل الفُسْطَاطُ زاهي البنيان ، باهي السُّكَّانِ ، إلى أن كانت دولة الفاطميين بالديار المصرية ، وعمرت القاهرة على ما سيأتي ذكره فتقهقر حاله وتناقص ، وأخذ الناس في الانتقال عنه إلى القاهرة وما حولها ، نَحْلا من أكثر .
- (١) هذا الكتاب لنج الدين محمد عبد الوهاب المعروف بابن المتوج الزبيرى المتوفى سنة ٧٢٠ هـ بين فيه أحوال مصر وخططها إلى سنة ٧٢٥ هـ (عن كشف الظنون) .
- (٢) الذى فى الخطط لقرىزى حين روى هذه الحكاية عن « إيقاظ المتغفل » أيضا : « مسجد عبد الله » فلهذا يسمى بذلك أيضا . وفى ابن دقاق (ج ٥ ص ٤٢) : « مسجد الوكرة » .

سُكَّانَهُ ، وبتابع الخراب في بنيانه ، إلى أن غلب الفرنج على أطراف الديار المصرية في أيام العاضد ، آخر خلفاء الفاطميين ، ووزيره يومئذ شاور السعدي ، فخاف على الفُسطاط أن يملكه الفرنج ويحصنوا به ، فأضرم في مساكنه النار فأحرقها فترأيد الخراب فيه وكثر الخلو .

ولم يزل الأمر على ذلك في تفهقر أمره إلى أن كانت دولة الظاهر بيبرس ، أحد ملوك الترك بالديار المصرية ، فصرف الناس همتهم إلى هدم ما خلا من أخطائه والبناء ينقضه بساحل النيل بالفُسطاط والقاهرة ، وتزايد الهدم فيه وأستمر إلى الآن ، حتى لم يبق من عمارته إلا ما بساحل النيل ، وما جاوره إلى ما يلي الجامع العتيق وما داني ذلك ، وودثرت أكثر الخطط القديمة وعفا رسمها ، وأصْحَل ما بقي منها وتغيرت معالمه .

وإذا نظرت إلى خطط الكندي والقضاعي والشريف النسابة ، عرفت ما كان الفُسطاط عليه من العماره وما صار إليه الآن ، وإنما أجرينا ذكر بعض الخطط المتقدمة ، حفظاً لأسمائها وتنبها على ما كانت عليه . إلا أن في ساحله المِطْل على النيل الآن وما جاور ذلك المباني الحسنه ، والدور العظيمة ، والتصوير العاليه ، التي تبهج الناظر ، وتسر الخاطر .

وكان أكثر بنيانه بالأجر المحكوك والجبس والجير من أوثق بنا ، وأمكنه ، وآناره الباقية تشهد له بذلك ، وقد صار ما خرب منه ودثر كيانا كالجبال العظيمة ، وهجر غالبها وترك ، وسكن في بعضها رعاع الناس ممن لا يعبأ به في جوانب منها لا تعد في العامر .

ومن كيانه المشهوره التي ذكرها القضاعي : كوم الجارح ، وكوم دينار ، وكوم السمكة ، وكوم الزينة ، وكوم الترمس ، وزاد صاحب " إيقاظ المتغفل " كوم بنى وائل ، وكوم آبن غراب ، وكوم الشفاف ، وكوم المشايق .

ويقابل الفسطاط من الجهة البحرية جزيرة الصناعة المعروفة الآن بالروضة ،
كانت صناعة العماير أولا بها فنسبت إليها .

قال الكندي : وكان بناؤها في سنة أربع وخمسين ثم غلب عليها اسم الروضة
لحسنها ونضارتها وإطافة الماء بها ، وما بها من البساتين والقصور ؛ وهي جزيرة
قديمة كانت موجودة في زمن الروم . وكان بها حصن عليه سور وأبراج ؛ وبين
الفسطاط وبينها جسر ممتد من المراكب على وجه النيل كما في جسر بغداد على الدجلة
ولم يزل قائما إلى أن قدم المأمون مصر فأحدث عليه جسرا من خشب تمر عليه المارة
وترجع ، وبعد خروج المأمون من مصر هبت ريح عاصفة في الليل فقطعت الجسر القديم ،
وصدمت بسفنه الجسر المحدث فذهبا جميعا ، ثم أعيد الجسر المحدث وبطل القديم .

وقد ذكر التضاعى : أنه كان موجودا إلى زمنه ، وكان في الدولة الفاطمية ،
ثم حدد الحصن المذكور أحمد بن طولون أمير مصر في خلافة المعتمد في سنة
ثلاث ومائتين ؛ ثم استهدم بعد ذلك بتأثير النيل في أبراجه ومرور الزمان عليه ؛
ثم بنى الصالح نجم الدين أيوب قلعة مكانه في سنة ثمان وثلاثين وستمائة ، وبقيت
حتى هدمها المعز أيك التركمان أول ملوك الترك ، وعمر من نقضها مدرسته المعزوية
برحبة الخروب ، وأخذ الناس مكانها أملاكا ، وهي على ذلك إلى زماننا ، ولم يبق
بها إلا بعض أبراج آخذها الساس أملاكا وعمروا عليها بيوتا . فلما ملك الظاهر
بيبرس ، هم بإعادتها فلم يتفق له ذلك وبقيت على حالها .

قلت : وكانت أرفة النيل^(١) التي بين جزيرة الصناعة وبين الفسطاط هي أقوى
الفرقتين والتي بين الجزيرة والجزيرة هي الضعيفة ، ثم انعكس الأمر إلى أن صار ما بين
الجزيرة والفسطاط يحف ولا يعلوه الماء إلا في زيادة النيل ، ويسدو بين آخر

(١) في الأصل «أرقة» وهو تصحيف . والأرقة بالراء المهملة : الحد والمسناة ، والمراد بها هنا الفرقة .

(١) الفُسطاط . وهذه الجزيرة على فُوّهة خليج القاهرة . [ويوجد في أول الخليج]
حيث السدّ الذي يفتح عند وفاء النيل مكان كالجزيرة، يعرف بمنشأة المهراي كان
كوما يحرق فيه الأجر يعرف بالكوم الأحمر، عدّه القضاي في جملة كيان الفُسطاط .
قال صاحب "إيقاظ المتغفل" : وأول من آبتدأ فيه العمارة بلبان المهراي

في الدولة الظاهرية ببيرس فنسبت المنشأة إليه .

ويلى الفُسطاط من غربيّه بركة تعرف ببركة الحبش^(٢) ، وهي أرض مزدرعة .
قال القضاي : كانت تعرف ببركة المعافر وحمير ، وكان في شرفيها جنات تعرف
بالحبش فنسبت إليها . وذكر ابن يونس في تاريخه : أن تلك الجنات تعرف بقتادة
ابن قيس بن حبشى الصديقي ، وهو ممن شهد فتح مصر -

قلت : وهي الآن موقوفة على الأشراف من ولد علي بن أبي طالب كرم الله
وجهه من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقفها عليهم الصالح طلائع
ابن رزيك وزير الفائز والعاقد من الخلفاء الفاطميين .

ويليه من قبليّه حيث القرافة المكان المعروف بالحنديق ، كان قد آحتفره
عبد الرحمن بن عيينة خندقاً في سنة خمس وستين من الهجرة عند مسير مروان بن
الحكم إلى مصر ، فعرف بذلك .

(١) زيادة يقتضيا السياق . (٢) لما زار باقوت الحموي مصر في سنة ٦١٠ هـ رأى بركة
الحبش وقال عنها : « إنها ليست بركة بالتعريف المقصود وإنما هي علم لأرض زراعية تروى بماء النيل
عند فيضانه السنوي فشبهت بالبركة أثناء غمرها بماء النيل . . . وقال : وهي من أجل منزهات مصر » .
وهذه البركة موقعها اليوم منطقة الأراضى الزراعية التابعة لزمام قرية ديرالطين ، وجزء عظيم من الأراضى
الزراعية التابعة لزمام قرية البساتين . وتحدّ هذه المنظمة من الغرب بحجر النيل الموصل بين مصر القديمة
وديرالطين . ومن الجنوب باقى أراضى ناحية البساتين . ومن الشرق سكن قرية البساتين والجبل الشرق .
ومن الشمال صحراء جبانة مصر وجبل الرصد الذي يعرف اليوم بجبل اصطلح عنتر ثم حدود أراضى ناحية
أثر النبي .

* *

وأما جوامعه فسنة :

الأول

الجامع العتيق المعروف بجامع عمرو

- وذلك أن عمرا لما بنى داره الصخرى مكان فسطاطه على ما تقدم ذكره ،
 أخط الجامع المذكور في خطة أهل الراية المتقدمة الذكر .
- قال القضاعى : وكان جنانا فيما ذكر الليث بن سعد . قال : وكان الذى حاز
 موضعه قيسبة بن كلثوم التميمي أحد بنى سوم ، فنزله فى حصار الحصن المعروف
 بقصر الشمع ، فلما رجع عمرو من الإسكندرية ، سأل قيسبة فيه ليجعله مسجدا
 فسلمه إليه ، وقال : تصدقتُ به على المسلمين ، وأخط له خطة مع قومه فى بنى
 سوم فى ثيب ، فبنى فى سنة إحدى وعشرين ، وكان طوله خمسين ذراعا فى عرض
 ثلاثين ذراعا ، ويقال : إنه وقف على قبلته ثمانون رجلا من الصحابة رضوان الله
 عليهم : منهم الزبير بن العوام ، والمقداد بن الأسود ، وعبادة بن الصامت ،
 وأبو الدرداء ، وأبو ذر الغفارى ، وأبو بصرة الغفارى وغيرهم ، ولم يكن له يومئذ
 محراب مجوف بل عمدة قائمة بصدر الجدار ، وكان له بابان يقابلان دار عمرو
 ١٥ ابن العاص ، وبابان فى بحريه ، وبابان فى غربيه ، وطوله من قبله إلى بحريه من
 طول دار عمرو ، وبينه وبين دار عمرو سبعة أذرع . ولما فرغ من بنائه ، اتخذ
 عمرو بن العاص له منبرا يخطب عليه ، فكتب إليه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب
 رضى الله عنه يعزم عليه فى كسره ، ويقول : أما يكفيك أن تقوم قائما والمسلمون
 ٢٠ جلوس تحت عقبيك ؟ فكسره . ويقال : إنه أعاده إليه بعد وفاة أمير المؤمنين
 عمر رضى الله عنه .

وقيل إن زكريا بن مرقيا ملك النوبة أهدى لعبد الله بن أبي سرج العامري^(١) في إمارته على مصر مذبرا بجعله في الجامع ؛ ثم زاد فيه مسلمة بن مخلد الأنصاري في سنة ثلاث وخمسين من الهجرة ، وهو يومئذ أمير مصر من قبل معاوية بن أبي سفيان زيادة من بحريه ، وزخرفه ؛ وهو أول من صلى على الموتى داخل الجامع ، وتوالت فيه الزيادات والتجديدات إلى زماننا . وأول من رتب فيه قراءة المصحف عبد العزيز بن مروان في إمارته في سنة ست وسبعين ، ورفع عبد الله بن عبد الملك سقفه في سنة تسع وثمانين بعد أن كان مطاطا ؛ ثم جعل فيه المحراب المجوف قرة ابن شريك العبسي أتباعا لعمر بن عبد العزيز في محراب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة ، وأحدث فيه المقصورة تبعا لمعاوية حيث فعل ذلك بالشام . وفي سنة اثنتين وثلاثين ومائة أمر موسى بن نصير^(٢) الخمي وهو أمير مصر بأخذ المنابر في جميع جوامع قرى مصر . وأول من نصب اللوح الأخضر فيه عبد الله بن طاهر ، وهو أمير مصر في سنة اثنتي عشرة ومائتين ؛ ثم احترق الرواق الذي فيه اندح الأخضر في ولاية حمارويه بن أحمد بن طولون ، فعمره حمارويه في سنة خمس وسبعين ومائتين . ثم جدد اللوح "الظاهر ببيرس" في سنة ست وستين وستمائة . ثم جدد اللوح الأخضر برهان الدين المحلى التاجر في سلطنة "الظاهر برقوق" في أواخرها .

وقد وصف صاحب "إيقاظ المتغفل" الجامع على ما كان في زمانه في حدود ثلاث عشرة وسبعمئة فقال : إن ذرعه ثمانية وعشرون ألفا بذراع العمل ، مقدمه ثمانية آلاف ذراع وتسعمائة ذراع وخمسون ذراعا ، ومؤخره ثمانية آلاف ذراع وتسعمائة وخمسون ذراعا ، وصحنه خمسة آلاف ذراع ، جانبه الشرقي ألفا ذراع وخمسمائة ذراع وخمسون ذراعا ، وجانبه الغربي كذلك ؛ وأبوابه ثلاثة عشر بابا لكل

(١) في ابن دقاق المخطوط "ابن مرتني" .

(٢) كذا في النجوم الزاهرة (ج ١ ص ٢٣٥) وفي الأصل : « نصر » . وهو خطأ .

باب منها أسم يخضه ، في جانبه القبلى باب واحد ، وبه أربعة وعشرون رواقا ، سبعة في مقدمه ، وسبعة في مؤخره ، وخمسة في شرقه ، وخمسة في غربته ، وفيه ثلاثمائة عمود وثمانية وستون عمودا ، بعضها منفرد وبعضها مضاف مع غيره ، وبصدره ثلاثة محاريب : المحراب الكبير المجاور للنبأ ، والمحراب الأوسط ، ومحراب الخمس ، وفيه خمس صوامع : إحداهما في ركنه القبلى مما يلي الغربى ، وهى الغرفة ، والثانية في ركنه القبلى مما يلي الشرقى ، وهى المنارة الكبرى ، والثالثة في ركنه البحرى مما يلي الشرقى ، وتعرف بالحديده ، والرابعة فيما بين هذه المنارة والمنارة الآتى ذكرها ، وتعرف بالسعيدة ، والخامسة في الركن البحرى مما يلي الغربى مقابل باب السطح ، وتعرف بالمستجدة .

- وهو على هذه الصفة إلى الآن لكنه قد آسَتهدم رواق اللوح الأخضر .
- ١٠ والرواقات التى داخله ، فأمر السلطان الملك الظاهر ببنائها ، فعلقت جدره على الخشب ، فأخرمته المنية قبل الشروع فى البناء ، وأخذ القاضى برهان الدين المحلى تاجر الخالص فى عمارة ذلك ، فهدم رواق اللوح الأخضر وما داخله ، وجدد اللوح الذى كان قد نصبه الظاهر بيبرس ، وعمر الرواقات المستهدمة أنفس عمارة وأحسنها .
- قلت : ومما يجب التنبيه عليه أنه قد تقدم أنه وقف على إقامة محراب هذا
- ١٥ الجامع ثمانون رجلا من الصحابة ، وحينئذ فىلحق بمحاريب البصرة والكوفة على الوجه الصائر إليه بعض أصحابنا الشافعية فى أنه لا يجتهد فى التيامن والتياسر فى محاريبهما كما نبه عليه الشيخ تقي الدين السبكي فى شرح منهاج النوى فى الفقه ، لكن قد ذكر القضاعى فى خططه عن الليث بن سعد وابن لميعة أنهما كانا يتيامنان فى صلاتهما فيه ، وأن محرابه كان مشرقا جدا ، وأن قرة بن شريك حين هدمه
- ٢٠ وبناه ، تيامن به قليلا .

وقد حكى الشيخ تقي الدين السبكي في شرح المنهاج أيضا عن بعض علماء الميقات : أنه أخبره أن فيه الآن انحرافا قليلا . قال : ولعله من تغيير البناء ، وقد سألت بعض علماء هذا الشأن عن ذلك ، فأخبرني عن الشيخ تقي الدين أبي الطاهر رأس علماء الميقات في زماننا أنه كان يقول : من الدلالة على صحة عملنا في استخراج القبلة موافقته لمحراب الجامع العتيق .

الثاني

الجامع الطولوني

- بناه أحمد بن طولون في سنة تسع وخمسين ومائتين على الجبل المعروف بجبل يشكر . قال القضاعي : وينسب إلى يشكر بن جزيلة من لحم ، كان خطة لهم . قال ابن عبد الظاهر : وهو جبل مبارك معروف بإجابة الدعاء فيه .
- قال : ويقال : إن الله تعالى كلم موسى عليه السلام عليه . ويقال : إن ابن طولون أنفق على هذا الجامع مائة ألف دينار وعشرين ألفا من كثر وجده . ويقال : إنه لما فرغ من بنائه أمر بتسميع ما يقوله الناس فيه من العيوب ، فسمع رجل يقول : محرابه صغير ، وآخر يقول : ليس فيه عمود ، وآخر يقول : ليس فيه ميضأة ، فقال : أما المحراب ، فإني رأيت النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد خطه لي ، فأصبحت فرأيت النمل قد أطافت بالمكان الذي خطه لي . وأما العمود ، فإني بنيت من مال حلال ، وهو الكثر الذي وجدته فما كنت لأشوبه بغيره ، والعمد لا تكون إلا من مسجد أو كنيسة فزهته عن ذلك . وأما الميضأة ، فأردت تطهيره من النجاسات ، وها أنا أبنيتها خلفه ، ثم أمر ببنائها على القرب .
- ويحكى أنه كان لا يعبت بشيء قط ، وأنه أخذ يوما درج ورق أبيض وأخرجه ومدّه كالحلزون ، ثم استيقظ لنفسه وظن أنه فطن له ، فأمر بعمارة المنارة على تلك الهيئة ، وعلى نظير العشارى الذى على رأسها عميل العشارى الذى على رأس قبة

الإمام الشافعي رضي الله عنه . ولما فرغ من بناء الجامع رأى في منامه كأن نارا نزلت من السماء فأحرقت الجامع دون ما حوله فقص رؤياه على عابر فقال له : بُشْرَاكَ قبوله ، فإن الأمم الخالية كانوا إذا قربوا قربانا فتقبل ، نزلت نار من السماء فأكلته ، كما في قصة هابيل وقايل ؛ ورأى مرة أخرى كأن الحق سبحانه وتعالى تجلّى على ما حول الجامع فعبره له عابراه بأنه يخرب ما حول الجامع ويبقى هو ، بدليل قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا ﴾ وكان الأمر كذلك ، فهدمت منازل بني طولون في نكبتهم ولم يبق منها إلا الجامع .

الثالث

جامع راشدة

١٠ بناه الحاكم بأمر الله الفاطمي جنوبي القسطنطينية ، على القرب من الرصد ، وأدخله في وقفه مع الجامع الأزهر وجامع المنيس .
قال في "إيقاظ المتغفل" : ليس هو بجامع راشدة حقيقة ، وإنما جامع راشدة كان بالقرب منه ، وهو جامع قديم بنته قبيلة يقال لها راشدة عند الفتح الإسلامي ، فلما بنى الحاكم هذا سمي بأسمه . قال : وقد أدركت بعضه ومحرابه ، وكان فيه شجر كثير من شجر المقل .

١٥

الرابع

جامع الرصد

٢٠ بناه الأمير عز الدين أيبك الأفرم أمير جاندار الصالحى النجمى في شهر سنة ثلاث وستين وستمائة ، عمر منظرة المعروفة به هناك ، وعمّر رباطا بجانبه قرره فيه عددا تنعقد به الجمعة مقيمين فيه ليلا ونهارا .

(١) كذا في المقرئى . وفي الأصل : « فغير » .

الخامس

جامع الشعبية بظاهر مصر أيضا

بناه الأمير عز الدين الأفرم المذكور في سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة ، وسكنه الشيخ شمس الدين بن اللبان الفقيه الشافعي - الصوفي - فعرف به الآن .

السادس

الجامع الجديد

بناه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون بالقرب من مَوْرَدَةِ الخَلْفَاءِ ^(١) ، وبدأ بعمارتها في التاسع من المحرم في سنة إحدى عشر وسبعمائة ، وأتمت عمارتها في ثامن صفر سنة اثنتي عشرة وسبعمائة ، وخطب به قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة الشافعي ، وصلى فيه الجمعة في التاسع من الشهر المذكور ، ورتب فيه صوفية يحضرونه بعد العصر كما في الخوانق ، وهو من أحسن الجوامع وأزهرها بقعة خصوصا في أيام زيادة النيل .



وأما مساجد الخمس - فكانت على العدد الذي لا يحصى لكثرتها ، وخطط القضاة شاهدة بذلك .

وقد رأيت في بعض التواريخ أن الفناء وقع في أيام كافور الإخشيدي حتى لم يجدوا من يقبل الزكاة ، فأتوا بها إلى كافور فلم يقبلها ، وقال : آبنوا بها المساجد وأتخذوا لها الأوقاف ، فكان ذلك سبب زيادة الكثرة فيها ، ولكنها الآن قد خربت بخراب القسطنطين ودمرت ولم يبق إلا آثار القليل منها .



وأما المدارس - فكان المتقدمون يجلسون للعلم بالجامع العتيق ، وأول من أحدث المدارس بالقسطنطين بنو أيوب ، فعمر السلطان صلاح الدين رحمه الله مدرستين .

(١) في الأصل : «موردة الخلفاء» وهو تحريف .

إحداهما - مدرسة المالكية، المعروفة بالقمحية في المحرم سنة ست وستين
وخمسة، وسميت بالقمحية لأن معلومها يصرف للمدرسين والطلبة قمحا .

قال العماد الكاتب : وكانت قبل ذلك سوقا يباع فيه الغزل .

والثانية - المدرسة المعروفة بأبن زين التجار ، وكانت سجنا يُسجن فيه فبناها

السلطان صلاح الدين مدرسة ووقفها على الشافعية، ووقف عليها الصاغة المجاورة لها
ثم عمّر الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب بالمكان المعروف بمنازل
العز بالقرب من باب القنطرة قبل الفسطاط مدرسة ووقف عليها أوقافا من جملة
جزيرة الصنعة المعروفة بالروضة .

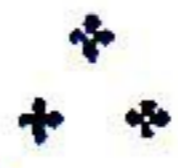
ثم بنى السلطان الملك المعز أيبك التركماني أول ملوك الترك مدرسته المعزية
برحبة الخروب في شهر سنة أربع وخمسين وستمئة .

وعمّر صاحب شرف الدين بن الفائزى مدرسته الفائزة قبل وزارته في شهر
سنة سبع وثلاثين وستمئة .

وعمّر صاحب بهاء الدين بن حنا المدرسة الصاحبية بزقاق القناديل بعد ذلك .



وأما الخوانق والربط - فلم تعهد بالفسطاط ، غير أن صاحب بهاء الدين بن
حنا عمّر رباط الآثار الشريفة النبوية بظاهر قبلي الفسطاط وأشتري الآثار الشريفة
وهي ميل من نحاس ، ومِلْقَطٌ من حديد ، وقطعة من العنزة ، وقطعة من القصعة
بجملة مال وأثبتها بالاستفاضة وجعلها بهذا الرباط للزيارة .



وأما البيارستان - فأقول من أنشأه بالفسطاط أحمد بن طولون في سنة تسع
 وخمسين ومائتين وأنفق عليه ستين ألف دينار .

قال القضاعي : ولم يكن قبله بيارستان بمصر، وشرط ألا يبالغ فيه جندي ولا مملوك .

القاعدة الثانية

القاهرة

(بالف ولام لازمين في أولها وقاف مفتوحة بعدها ألف ثم هاء مكسورة وراء مهملة مفتوحة ثم هاء في الآخر) ويقال فيها القاهرة المعزية نسبة إلى المعز الفاطمي الذي بنيت له ، وربما قيل المعزية القاهرة ، سميت بذلك تفاقولا ، وهي المدينة العظمى التي ليس لها نظير في الآفاق ، ولا يسمع بمثلها في مصر من الأمصار .

بناها القائد جوهر المعزى لمولاه المعز لدين الله أبي تميم معد بن المنصور أبي الطاهر إسماعيل بن القائم أبي القاسم محمد بن المهدي بالله أبي محمد عبيد الله الفاطمي في سنة ثمان وخمسين وثلثمائة ، عند وصوله إلى الديار المصرية من المغرب ، وأستيلائه عليها ، وموقعها شمالي القُسطاط المتقدم ذكره على القرب منه .

قال في "الروض المعطار" : وبينهما ثلاثة أميال . وكأنه يريد ما كان عليه الحال في آبداء عمارة القاهرة وهو ما بين سور القُسطاط وسور القاهرة .
أما الآن فقد أنتشرت الأبنية وآنصلت العمارة حتى كادت المدينتان تتصلان أو آنصلتا .

قال القاضي محي الدين بن عبد الله الظاهر في خِطَط القاهرة : والذي أستقر عليه الحال أن حدَّ القاهرة من السبع سقايات إلى مشهد السيدة رُقِيَّة عرضاً ، وكان قبل ذلك من المجنونة .

قال ابن سعيد : وكان مكانها قبل العمارة بستانا لبني طولون على القرب من منازلهم المعروفة بالقطائع . وكيفما كان ، فطولها وعرضها في معنى طول القُسطاط وعرضه أو أكثر عرضاً بقليل ، وكان آبداء عمارتها أن أمر إفريقية وغيرها من بلاد المغرب كان قد أفضى إلى المعز المذكور ، وقوى طمعه في مصر بعد موت كافور الإخشيدي

وهي يومئذ والشام والحجاز بيد أحمد بن علي بن الإخشيد أستاذ كافور وهو صبي لم يبلغ الحلم، والمتكلم في المملكة أهل دولته، والحسين بن عبد الله في الشام كالنائب أو الشريك له، يدعى له بعده على المنابر.

وكانت مصر قد ضُفَّ عسكرها لما دَهَمَهَا من الغلاء والوباء، بفَهْزِ الْمُعِزِّ قائده جوهر المتقدم ذكره، فبرز جوهر إلى مدينة رَقَّادَة من بلاد إفريقية في أكثر من مائة ألف وما يزيد على ألف صندوق من المال، وخرج المُعِزُّ لتشييعه، فقال للشايخ الذين معه: "والله لو خرج جوهر هذا وحده لفتح مصر، وليدخلها بالأردية من غير حرب، ولينزلن في خرابات ابن طواون، ويبنى مدينة تسمى القاهرة تقهر الدنيا" وكان للمعز غلام بيرة اسمه أفلاح، فكتب إليه المُعِزُّ أن يترجل لجوهر إذا عبر عليه ويقبل يديه، فبذل مائة ألف دينار على أن يُعنى من ذلك، فأبى المُعِزُّ إلا ذلك، فترجل من مكانه وقبل يديه، وسار جوهر حتى دخل مصر وتسلمها لسبع عشرة ليلة بقيت من شعبان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة، ونزل في مُنَاخِه من سفره موضع القاهرة الآن ليلا، وأختط القصر وأخذ في بنائه وعمارة القاهرة، وأختط الناس حوله.

١٥

❖ ❖

فأما القصر— فإنه أختطه في الليلة التي أناخ فيها قبل أن يُصْبِحَ، فلما أصبح رأى فيه أزورارات غير معتدلة فلم يعجبه، ثم قال: قد حفر في ليلة مباركة وساعة سعيدة، فتركه على حاله وتمادى في بنيانه حتى أكمله.

٢٠

ومكانه الآن المدرسة الصالحية بين القصرين إلى رحبة الأيدمرى طولاً، ومن السبع خوخ إلى رحبة باب العيد عرّضا، والحد الجامع لذلك أن تجعل باب المدرسة الصالحية على يسارك وتمضى إلى السبع خوخ، ثم إلى مشهد الحسين، ثم إلى رحبة الأيدمرى، ثم إلى الركن المخلّق، ثم إلى بين القصرين حتى تأتي إلى باب المدرسة

الصالحية من حيث ابتدأت ، فما كان على يسارك في جميع دورتك فهو موضع القصر .

وكان له تسعة أبواب بعضها أصليٌ وبعضها مستحدث :

أحدها - باب الذهب ، ويقال إنه كان مكان المدرسة الظاهرية الآن .
الثاني - باب البحر ، ويقال إن مكانه باب قصر ^{بشيك} . قال ابن عبد الظاهر وهو من بناء الحاكم .

الثالث - باب الزهومة ، ومكانه قاعة شيخ الحنابلة بالمدرسة الصالحية ، وكانت الصاغة مطبخا للقصر ، وكانوا يدخلون بالطعام إلى المتصر من ذلك الباب فسمى باب الزهومة لذلك ، والزهومة : الذفر .

الرابع - باب التربة ، ويقال إن مكانه بين باب الزهومة المتقدم الذكر ومشهد الحسين .

الخامس - باب الديام ، وهو باب مشهد الحسين .
السادس - باب قصر الشوك ، ومكانه بالموضع المعروف بقصر الشوك على القرب من رحبة الأيدمرى .

السابع - باب العيد ، وهو باب البيارستان العتيق ، سمي بذلك لأن الخليفة كان يخرج منه لصلاة العيد ، وإليه تنسب رحبة باب العيد .

الثامن - باب الزمرد ، وهو إلى جانب باب العيد المتقدم ذكره .
التاسع - باب الريح ، وقد ذكر أن الطوير أنه كان في ركن القصر الذي يتقابل سور دار سعيد السعداء التي هي الخانقاه الآن .

ثم استجد المأمون بن البطائحي وزير الأمر تحت القوس الذي بين باب الذهب وباب البحر ثلاث مناظر ، وسمى إحداها الزاهرة ، والثانية الفاخرة ، والثالثة الناضرة .

(١) كذا في المقرئ وما سب ذكره المؤلف قريبا (ص ٣٤٨) . وذكر المقرئ أنه قبالة المدرسة الكمامة . وموضع اليوم مدخل حارة بيت القاضي تجاه جامع الملك الكامل بشارع بين القصرين .
وق الأصل : « يشك » .

وكان "الآمر" يجلس فيها لعرض العساكر في عيد الغدير، والوزير واقفٌ في قوس باب الذهب، وكان مكان السيوفيين الآن سلسلةٌ ممتدةٌ إلى ما يقابلها تعلق في كل يوم من وقت الظهر حتى لا يجوز تحت القصر راكبٌ؛ ولذلك يعرف هذا المكان بدرب السلسلة .

وَمَا هُوَ دَاخِلٌ فِي حُدُودِ الْقَصْرِ "مَشْهَدِ الْحُسَيْنِ" .

وسبب بنائه أن رأس الإمام الحسين عليه السلام كانت بعسقلان، فخشي الصالح طلائع بن رزيق عليها من الفرنج فبنى جامعاً خارج باب زويلة، وقصد نقل الرأس إليه فغلبه الفائز على ذلك، وأمر بآبناء هذا المشهد، ونقل الرأس إليه في سنة تسع وأربعين وخمسةائة .

١٠ ومن غريب ما أتفق من بركة هذه الرأس الشريفه ما حكاه القاضي محي الدين ابن عبد الظاهر : أن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب حين استولى على هذا القصر بعد موت العاضد، أحر خلفاء الفاطميين بمصر، قبض على خادم من خدام القصر وحلق رأسه وشد عليها طاساً داخله خنافس فلم يتأثر بها، فسأله السلطان صلاح الدين عن ذلك وما السر فيه، فأخبر أنه حين أحضرت الرأس الشريفه إلى المشهد حملها على رأسه، فحلى عنه السلطان وأحسن إليه .

١٥ وكان بجوار القصر قصر صغير يعرف بالقصر النافعي من جهة السبع خوخ فيه عجائز الفاطميين .

قلت : ولم يزل هذا القصر منزلة الخلفاء الفاطميين من لدن المصير أول خلفائهم بمصر وإلى آخر أيام العاضد أحر خلفائهم، وكانت الوزراء يتزلون بدار الوزارة التي آبتناها أمير الجيوش بدر الجمالي داخل باب النصر مكان الخانقاه الركنية ببيرس

(١) أنت الرأس محاراة لفظ العامة والمفرد العربية تكبيره .

الآن . فلما ولى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب الوزارة عن العاضد بعد عمه أسد الدين شيركوه ، نزل بدار الوزارة المذكورة ، وبقى بها حتى مات العاضد فتحول إلى القصر وسكنه ، ثم سكنه بعده أخوه العادل أبو بكر . فلما ملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر انتقل منه إلى قلعة الجبل على ما سيأتي ذكره في الكلام على القلعة إن شاء الله تعالى . وصارت دار الوزارة المتقدمة المذكورة منزلاً للرسول الواردين من الممالك إلى أن عمّر مكانها السلطان الملك المظفر بيبرس الجاشنكير الخانقاه المعروفة به ، وخلا القصر من حينئذ من ساكنيه ، وأهمل أمره فخرّب .

قال القاضي محي الدين بن عبد الظاهر : قال لي بواب لباب الزهومة اسمه مرهف في سنة ثلاثين وستمائة : كان لي على هذا الباب المدة الطويلة ما رأيته دخل فيه حطب ولا رمى منه تراب . قال : وهذا أحد أسباب خرابه لوقود أخشابه وتكويم ترابه ، ثم أخذ الناس بعد ذلك في تملكه وأستحكاره ، وعمرت فيه المدارس والأدور . فبنى السلطان الملك الصالح "نجم الدين أيوب" فيه مدرسته الصالحية ، ثم بنى "الظاهر بيبرس" فيه مدرسته الظاهرية ، وبنى فيه بثتاك أحد أمراء الدولة الناصرية محمد بن قلاوون فيه قصره المعروف به ، وجعلت دار الضرب في وسطه ، ولم يبق من آثاره إلا البيمارستان العتيق ، فإنه كان قاعة بناها العزيز بالله ابن المعز الفاطمي على ما سيأتي ذكره .

وكذلك القبة التي على رأس السالك من هذا البيمارستان إلى رحبة باب العيد ، وبعض جذر لا يعتد بها قد دخلت في جملة الأملاك .

+ +

وأما (أبواب القاهرة وأسوارها) — فإن القائد جوهر احين آخطها جعل لها أربعة أبواب : باين متقارين ، وباين متباعدين . فالتقاربان (باب زويلة) نسبة إلى

زَوَيْلَةَ: قبيلة من قبائل البربر الواصلين مع جوهر من المغرب، ولذلك يقع في عبارة الموثقين وغيرهم بابا زويلة، وأحد هذين البابين القوس الموجود الآن المجاور للمسجد المعروف بسام بن نوح عليه السلام. والثاني كان موضع الحوانيت التي يباع فيها الجبن على يسرة القوس المتقدم ذكره يدخل منه إلى الحمودية. وكان سبب إبطاله وسده أن المعز الذي بنيت له القاهرة لما دخلها عند وصوله من المغرب، دخل من القوس الموجود الآن هناك فازدحم الناس فيه وتجنبوا الدخول من الباب الآخر، وأشتهر بين الناس أن من دخل منه لم تقض له حاجة، فرفض وسد، وجعل زقاق جنوبية يتوصل منه إلى الحمودية، وزقاق شمالية يتوصل منه إلى الأنماطين وما يليها.

والبابان المتباعدان هما القوس الذي داخل باب الفتوح خارج حارة بهاء الدين وقوس آخر كان على حياله داخل باب النصر بالقرب من وكالة قيسون الآن، فهدم ثم آبتنى أمير الجيوش بدر الجمالي المتقدم ذكره في سنة ثمانين وأربعمائة سورا من لبن دائرا على القاهرة، وبعضه باق إلى زماننا بخط سوق الغنم داخل الباب المحروق، ثم آبتنى الأفضل بن أمير الجيوش باب زويلة، وباب النصر، وباب الفتوح الموجودين الآن فيما ذكره القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر في خططه، إلا أنه ذكر في مواضع آخر منها أن باب زويلة بناه العزيز بالله وأكله بدر الجمالي، وهو من أعظم الأبواب وأشمخها، وليس له باشورة على الأبواب، وفيه يتمل على بن محمد النيل:

باصح لو أبصرت باب زويلة * لعامت قدر محله بيانا
باب تازر بالمجرة وأرتدى الش * عرى ولات برأسه كيانا
لو أن فرعوناً رآه لم يرد * صرحا ولا أوصى به هامانا

قال ابن عبد الظاهر : (وباب سعادة) ربما ينسب إلى سعادة بن حيان غلام المعز، وكان قد ورد من عنده في جيش إلى جوهر وولى الرملة بعد ذلك .
 قال : (وباب القنطرة) منسوب إلى القنطرة التي أمامه، وهي من بناء القائد جوهر بناها عند خوفه من القرامطة ليجوز عليها إلى المنقوس . والثموس الذي بالشارع الأعظم خارج باب زويلة على رأس المنجبية عند الطيورين الآن كان بابا بناه الحاكم بأمر الله خارج القاهرة، وكان يعرف بالباب الجديد .

(وباب الخوخة) الذي على القرب من قنطرة الموسكى أضنه من بناء الفاطميين أيضا . ولما ملك السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب "الديار المصرية أنتدب لعمارة أسوار القاهرة ومصر في سنة تسع وستين وخمسمائة الطواشي بهاء الدين قراقوش الأسدي الرومي على كثرة من أسرى الفرنج عندهم يومئذ^(١)، فبنى سورا دائرا عليها وعلى قلعة الجبل والفسطاط، ولم يزل البناء به حتى توفي السلطان صلاح الدين رحمه الله وهو الموجود الآن، وجعل فيها عدة أبواب :

منها : باب البحر، وباب الشعرية، وباب البرقية، والباب المحروق، وآبتي برجين عظيمين أحدهما بالمنقوس على القرب من جامع باب البحر، وهو الذي هدمه صاحب شمس الدين المنقسي وزير الأشرف شعبان بن حسين على رأس السبعين والسبعمئة، وأدخله في حقوق الجامع المذكور حين جدد بناءه، والثاني باب القنطرة جنوبي الفسطاط .

قال القاضي محي الدين بن عبد الظاهر : وقياس هذا السور من أوله إلى آخره تسعة وعشرون ألف ذراع وثلاثمائة وذراعان بالمهاشمي، من ذلك من باب البحر إلى البرج بالكوم الأحمر، يعني رأس مشاة المهراي المتقدم ذكرها في الكلام

(١) لم تذكر هذه الجملة في خطط المقرئى .

على خِطَطِ الفُسْطَاطِ عند فُوْهَةِ خَلِيجِ القَاهِرَةِ عَشْرَةَ آلَافِ ذِرَاعٍ ؛ وَمِنَ الكَوْمِ
الأَحْمَرِ المَذْكُورِ إِلَى قَلْعَةِ الجَبَلِ مِنْ جِهَةِ مَسْجِدِ سَعْدِ الدَوْلَةِ سَبْعَةَ آلَافِ ذِرَاعٍ
وَمِائَتَا ذِرَاعٍ ؛ وَمِنَ مَسْجِدِ سَعْدِ الدَوْلَةِ المَذْكُورِ إِلَى بَابِ البَحْرِ ثَمَانِيَةَ آلَافِ ذِرَاعٍ
وِثْلَمِائَةَ وَأَثْنَانَ وَتِسْعُونَ ذِرَاعًا ، وَدَائِرُ القَلْعَةِ ثَلَاثَةَ آلَافِ ذِرَاعٍ وَمِائَةَ وَعَشْرَةَ أَذْرَعًا .
وَأَقْتَصَرَ السُّلْطَانُ عِمَادُ الدِّينِ صَاحِبُ حِمَاةٍ فِي تَارِيخِهِ عَلَى ذَرْعِ السُّورِ مِنْ غَيْرِ
تَنْصِيلٍ وَلَمْ يَتَعَرَّضْ لِلذِّرَاعِينَ الزَّائِدِينَ .

قلت : وهذا السور قد دثر أكثره ، وتغيرت معالم غالبه ، للصوق عمائر
الأملاك به حتى إنه لا يتميز في غالب الأماكن من الأملاك ، وسقط ما بين
باب البحر إلى الكوم الأحمر حتى لم يبق له أثر . على أن ما هو داخل سور القاهرة
الأول من الأماكن أرضة سبخة وماؤه زعاق .

قال ابن عبد الظاهر : ولذلك عتب المعز عند وصوله إلى الديار المصرية
ودخوله القاهرة على جوهر لكونه لم يعمرها مكان المقس على القرب من
باب البحر أو جنوبي الفسطاط على القرب من الرصد لتكون قريبة من النيل ،
عذبة مياه الآبار .

وأعلم أن خطط القاهرة قد آتست وزادت العمارة حولها ، وصار ما هو
خارج سورها أضعاف ما هو داخله . ثم منها ما هو منسوب إلى دولة الفاطميين
ومنها ما هو منسوب إلى من تقدمهم من الملوك ، إما لدروس اسمه الأول وغلبة اسمه
الثاني عليه ، وإما لأستجدائه بعد أن لم يكن ؛ ومنها ما هو مجهول لأنقطاع شهرته
بطول الأيام ومرور الأيام . وإنما يقع التعرض هنا للأماكن الظاهرة الشهيرة ،
الدائرة على الألسنة دون غيرها ؛ وأنا أذكرها على ترتيب الأماكن لا على ترتيب
القدم والحدوث .



أما خططها المشهورة داخل السور :

(فمنها) "حارة بهاء الدين" داخل باب الفتوح ، وتعرف بالطواشي بهاء الدين قراقوش باني سور القاهرة المتقدم ذكره ، وكانت في دولة الفاطميين تعرف بين الحارتين ، ثم آخضتها قوم في الدولة الفاطمية يعرفون بالرَّيحانية والعزيرية فعرفت بهم . فلما سكنها بهاء الدين قراقوش المذكور ، آشتهرت به ونسبى ما قبل ذلك .

(ومنها) "حارة بَرَجَوَان" وتعرف بـرجوان الخادم ، كان خادم القصور في أيام العزيز بالله بن المعز ثاني خلفاء الفاطميين بمصر ، ووصاه على ابنه الحاكم فعظم شأنه ، ثم قتله الحاكم بعد ذلك . ويقال إنه خلف في تركته ألف سراويل بألف تكة حريرة .

وبهذه الحارة كانت دار المظفر آبن أمير الحيوش بدر الجمالي .

(ومنها) "خُط الكافوري" كان بستانا لكافور الإخشيدى ، وبنيت القاهرة وهو بستان ، وبقى إلى سنة إحدى وخمسين وستمائة ، فأخضته طائفة البحرية والعزيرية إصطبلات ، وأزيلت أشجاره وبقيت نسبته إلى كافور على ما كانت عليه .

(ومنها) "خُط الخرنشَف" ^(١) كان ميدانا للخلفاء الفاطميين ، وكان لهم سرداب تحت الأرض إليه من باب التصريمرون فيه إلى الميدان المذكور راكبين ، ثم جعل مصرفا للماء لما بنيت المدرسة الصالحية ، ثم بنى به الغزب بعد الستائة إصطبلات بالخرنشف وسكنوها فسمى بذلك .

(ومنها) "درب شمس الدولة" على القرب من باب الزهومة ، وكان في الدولة الفاطمية يعرف بحارة الأمراء ، وبها كانت دار الوزير عباس وزير الظافر ، وبها المدرسة المسرورية بناها مسرور الخادم ، وكان أحد خدام القصر في الدولة الفاطمية وبقى إلى الدولة الأيوبية ، وأختص بالسلطان صلاح الدين وتقدم عنده ،

(١) في الفرزى "الخرنشف" وفسره بأنه المنجد من وفود الحمامات بعد إحراقها وهي تسمية عريقة

ثم سكنها شمس الدولة توران شاه بن أيوب أخو السلطان صلاح الدين يوسف،
وعمرها دربا فعرف به ونسب إليه .

(ومنها) "حارة زويلة" وتنسب إلى زويلة: قبيلة من البربر الواصلين صحبة القائد
جوهر على ما تقدم ذكره في الكلام على باب زويلة، وهي حارة عظيمة متشعبة .

(ومنها) "الجودرية" وتعرف بطائفة يقال لهم الجودرية من الدولة الفاطمية
نسبة إلى جودر خادم عبيد الله المهدي أبي الخلفاء الفاطميين، آخطوها وسكنوها
حين بنى جوهر القاهرة، ثم سكنها اليهود بعد ذلك إلى أن بلغ الحاكم الفاطمي
أنهم يهزؤون بالمسلمين ويقعون في حق الإسلام، فسد عليهم أبوابهم وأحرقهم ليلا،
وسكنوا بعد ذلك حارة زويلة المتقدمة الذكر .

(ومنها) "الوزيرية" وتعرف بالوزير أبي الفرج يعقوب بن كئس وزير المعز
بالله الفاطمي، وكان يهودي الأصل يخدم في الدولة الإخشيدية، ثم هرب إلى المعز
الفاطمي بالمغرب لمال لزمه، فلقى عسكرا المعز مع جوهر فرجع معه، وعظمت
مكانته عند المعز حتى أستوزره، وكانت داره مكان مدرسة الصاحب صفي الدين
ابن شكر، وزير العادل أبي بكر بن أيوب، المعروفة بالصاحبية بسويقة الصاحب،
وكانت قبل ذلك تعرف بدار الدياج .

(ومنها) "المحمودية" قال القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر: ولعلها منسوبة
إلى الطائفة المعروفة بالمحمودية القادمة في أيام العزيز بالله الفاطمي إلى مصر .

(ومنها) "حارة الروم" داخل بابي زويلة، آخطها الروم الواصلون صحبة جوهر
القائد حين بنائه القاهرة فعرفت بهم وتسمت إليهم إلى الآن

(ومنها) "الباطلية" قال ابن عبد الظاهر: تعرف بقوم أتوا المعز باني القاهرة
وقد قسم العطاء في الناس فلم يعطهم شيئا، فقالوا: نحن على باطل؟ فسميت الباطلية .

(ومنها) "حارة الديلم" وتعرف بالديلم الواصلين صحبة أفتكين المعزى غلام المعز ابن بويه الديلمي، وكان قد تغلب على الشام أيام المعز الفاطمي وقاتل القائد جوهرًا وأستنصر بالقرامطة، وخرج إليهم العزيز بالله فأسره في الرملة وقدم به إلى القاهرة فأجزل له العطاء، وأنزله هو وأصحابه بهذه الحطة. وبها كانت دار الصالح طلائع ابن رزّيك باني الجامع الصالحى خارج باب زويلة، وكان يسكنها قبل الوزارة؛ وخواخته بها معروفة إلى الآن بخوخة الصالح.

(ومنها) "حارة كُتامة" على القرب من الجامع الأزهر بجوار الباطلية، وتعرف بقبيلة كُتامة من البربر الواصلين صحبة جوهر من الغرب.

(ومنها) "إصطبل الطارمة" بظاهر مشهد الحسين، كان إصطبلا للقصر، وبهذا الخط كانت دار الفطرة التي يعمل فيها فطرة العيد، بناها المأمون بن البطائحي وزير الأمر، وكانت الفطرة قبل ذلك تعمل بأبواب القصر، وسيأتي الكلام على الفطرة مستوفى في الكلام على ترتيب المملكة في الدولة الفاطمية فيما بعد إن شاء الله تعالى.

(ومنها) "حارة الصالحية" قبلى مشهد الحسين، كانت طائفة من غلمان الصالح طلائع بن رزّيك قد سكنوها فعرفت بهم ونسبت إليهم.

(ومنها) "البرقية" قال ابن عبد الظاهر: آختطها قوم من أهل برقة قدموا صحبة جوهر فعرفت بهم. ورأيت بخط بعض الفضلاء بحاشية خط ابن عبد الظاهر أن الصالح طلائع بن رزّيك لما قتل عباسا وزير الظافر وتقلد الوزارة عن الأمر، أقام جماعة من الأمراء يقال لهم البرقية عوناه وأسكنهم هذه الحطة فنسبت إليهم.

(ومنها) "قصر الشوك" على القرب من رحبة الأيدمرى، قال ابن عبد الظاهر: كان قبل عمارة القاهرة منزلة لبني عذرة تعرف بقصر الشوك.

(ومنها) ["خزانة البنود"] وكانت خزانة السلاح في الدولة الفاطمية، ثم جعلت سجنًا في الأيام المستنصرية، ثم أحتكرت بعد ذلك وجعلت آدرًا.

(ومنها) "رَحْبَة باب العيد" تنسب إلى باب العيد : أحد أبواب القصر
المسمى بباب العيد المقدم ذكره .

(ومنها) "دَرْبُ مَلُوحِيَّةٍ" ينسب للملوحية صاحب ركاب الحاكم، وبه مدرسة
القاضي الفاضل وزير السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، وبه كانت داره .

(ومنها) "العُطُوف" وأصل آسما العُطُوفية : نسبة إلى عطوف خادم الحاكم .

(ومنها) "الجَوَانِيَّة" قال ابن عبد الظاهر : وهي صفة لمخدوف، وأصلها حارة
الرُّوم الجَوَانِيَّة، وذلك أن الرُّوم الواصلين صحبة جوهر آخطوا حارة الرُّوم المتقدمة
الذكر وهذه الحارة، وكان الناس يقولون : حارة الرُّوم البرَّانية وحارة الرُّوم الجَوَانِيَّة
فثقل ذلك عليهم، فأطلقوا على هذه الجَوَانِيَّة وقصروا اسم حارة الرُّوم على تلك .

قال : والوزاقون إلى هذا الوقت يقولون حارة الرُّوم السفلى، وحارة الرُّوم العليا
المعروفة بالجَوَانِيَّة، ثم قال : ويقال إنها منسوبة إلى الأشراف الجَوَانِيَّة الذين
منهم الشريف الجَوَانِي النَّسَابَة .

وأما خططها المشهورة خارج السور :

(فمنها) "الحُسَيْنِيَّة" كانت في الأيام الفاطمية ثمانى حارات خارج باب الفتوح،

أولها : الحارة المعروفة بحارة بهاء الدين المتقدم ذكرها، وهي حارة حامد، والمنشأة
الكبرى، والحارة الكبيرة، والمنشأة الصغيرة، وحارة عبيد الشراء، والحارة الوسطى،
وسوق الكبير بمصر، والوزيرية، وكان يسكنها الطائفة المعروفة بالوزيرية
والريحانية من الأرمن والعجمان وعبيد الشراء .

قال ابن عبد الظاهر : وكان بها من الأرمن قريب من سبعة آلاف نفس،

ثم سكنها جماعة من الأشراف الحسينيين قَدِمُوا في أيام الكامل محمد بن العادل
أبي بكر بن أيوب من الحجاز إلى مصر، فنزلوا بهذه الأمكنة وأستوطنوها فسميت بهم^(١)،
ثم سكنها الأجناد بعد ذلك وبنوا بها الأبنية العظيمة والأدر الضخمة .

(١) ذكر المقرئ أنها عرفت بطائفة من عبيد الشراء في أيام الحاكم يقال لهم الحسينية وأعرض على ابن عبد الظاهر
في هذه النسبة بقوله : « هذا وهم فإنه تقدم أن من جملة الطوائف في الأيام الحاكية الطائفة الحسينية » .

قال ابن عبد الظاهر : هي أعظم حارات الأجناد .
قلت : وذلك بحسب ما كان الحال عليه في زمانه ، ولكنها قد خربت في زماننا
هذا ، وانتقل الأجناد إلى الأماكن القريبة من القلعة بصليبة الجامع الطولوني ونحوها .
وبني بهاء الدين قراقوش خانا للسبيل تنزله المازة وأبناء السبيل فعرف خطه به .
(ومنها) "الخدق" خارج الحسينية بالخدق ؛ كان عنده خندق أحفره العزيز
بالله الفاطمي ، وكان المعز قد أسكن المغاربة هناك في سنة ثلاث وستين وثلثمائة حين
تبسطوا في القرافة والقاهرة وأخرجوا الناس من منازلهم ، وأمر مناديا ينادي لهم كل
ليلة : من بات منهم في المدينة آستحق العقوبة .

(ومنها) "أرض الطبالة"^(١) منسوبة لامرأة مغنية أسمها نَسَب^(٢) ، وقيل طَرَب ،
كانت مغنية للمستنصر الفاطمي وأسمه معد .

قال القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر : ولما ورد الخبر عليه بأنه خُطِب له
ببغداد في نوبة البساسيري قريب السنة غنته نَسَب هذه :

يَا بَنِي الْعَبَّاسِ صُدُّوا * قَدْ وَلِيَ الْأَمْرَ مَعَدُّ
مُلْكُكُمْ كَانَ مُعَارًا * وَالْعَوَارِي تُسْتَرَدُّ

فوهبها هذه الأرض في سنة آثنتين وثلاثين وأربعمائة خُكِرت وبنيت أدرا
فعرفت بها . قال : وكانت من مَلَح القاهرة وبهجتها ؛ وفيها يقول ابن سعيد المغربي
مجانسا بين القُرط الذي ترعاه الدوابُّ والقُرط الذي يكون في الأذن :

(١) أرض الطبالة ، قال المقرئ في خطه (ج ٢ ص ١٢٥) : « هذه الأرض على جانب الخليج الغربي
بجوار المقس (والمقصود هنا خط المقس) قال : وكانت من أحسن منزهات القاهرة ، وهما الخليفة المستنصر
بأنه أبر تميم معد الفاطمي إلى ، معنيته المسماة نسب الطبالة فعرفت بها . » وهذه الأرض موقعها اليوم منطقة السكن
التي تحد من الشمال والغرب بشارع الظاهر ، ومن الجنوب بشارع الفجالة وسكة الفجالة ، ومن الشرق بشارع
الخليج المصري . ومنذ سنة ٦٠ كان النصف الغربي من هذه المنطقة وما جاورها من الغرب أرضا زراعية تزرع
فيها الخضراوات وعلى الأخص صنف الفجل فأشهرت الأرض بأسم غبط الفجالة نسبة للذين يزرعونها ، ولما
عمرت تلك الجهة بالمساكن سميت الطريق التي كانت تجاور هذا الغبط من الجهة الغربية بأسم شارع الفجالة .
(٢) في المقرئ (ج ٢ ص ١٢٥) « نسب » بالسين المهملة . وهي امرأة مترجلة كانت تقف تحت
قصر المستنصر في المواسم والأعياد وتسير أيام الموكب وحوطها طائفها وهي تضرب بالطليل .

سقى الله أرضاً كلما زرت روضها، * كساها وحلاها بزينتته القرط
تجلت عروساً والمياه ععودها * وفي كل قطر من جوانبها قرط

(ومنها) "خط باب القنطرة" قال ابن عبد الظاهر : ذكر لي علم الدين بن مماتي
أنه في كتب الأملاك القديمة يسمى بالمرتاحية .

٥ (ومنها) "المقس" ^(١) قال القضاعي في "خطه" : كانت ضيعة تعرف بأمدنين،
وكان العاشر الذي يأخذ المكس يقعد بها لاستخراج المال، ف قيل المكس بالكاف
ثم أبدلت الكاف في الألسنة قافا .

قال ابن عبد الظاهر : ومن الناس من يقول فيه المقسيم لأن قسمة الغنائم
في الفتوح كانت فيه . قال : ولم أر ذلك مسطوراً، وكانت الدكة من نواحيه
١٠ بستانا إذا ركب الخليفة من الخليج يوم الكسراتي إليه في البر الغربي من الخليج
في مركبة ويدخله بمفرده فيسقى منه فرسه، ثم يخرج إلى قصره على ما سيأتي ذكره
في الكلام على ترتيب المملكة في الدولة الفاطمية . إن شاء الله تعالى .

قال ابن عبد الظاهر : والدكة الآن أدر وحارات شهرتها تفني عن وصفها
فسبحان من لا يتغير .

١٥ قلت : وقد نحرِب أكثر تلك الأدر والحارات حتى لم يبق منها إلا الرسوم،
وبعضها باق يسكنه آحاد الناس .

(ومنها) "ميدان القمح" كان قديماً بستاناً سلطانياً يسمى بالمقسي يدخل الماء
إليه من الخليج المعروف بالخليج المذكور الذي بناه كافور الإخشيدي، ثم أمر الظاهر
الفاطمي بنقل أنسابه وحفره وجعله بركة قدام اللؤلؤة، وأبقى الخليج المذكور

٢٠ (١) كان المقس في عهد الدولة الفاطمية مقصوراً على قرية المقس التي كانت واقعة في المنطقة التي
يقع فيها اليوم جامع أولاد عنان لغاية شارع قنطرة الدكة . ويدخل فيها مدخل شارع إبراهيم باشا (شارع
نوبار سابقاً) والمباني التي على جانبه لغاية درب الإبراهيمي .

مسلطا على البركة ليستنقع الماء فيها . فلما ضعف أمر الخلافة الفاطمية ، وهجرت رؤسومها القديمة في التفرج في اللؤلؤة وغيرها ، بنت السودان المعروفون بالطائفة الفرحية الساكنون بالمقس عند ضيقه عليهم قبالة اللؤلؤة حارة سميت حارة الأصوص بسبب تعذيبهم فيها مع غيرهم ، ثم تنقلت بها الحال حتى صار على ما هو عليه الآن .
 (ومنها) ”برأبن التبان“ غربي خليج القاهرة ، وينسب إلى ابن التبان رئيس حراقة الخلافة الفاطمية ، وكان الأمر الفاطمي قد أمر بالعمارة قبالة الحرق غربي الخليج ، فأول من عمر به ابن التبان المذكور ، أنشأ به مسجدا وبستانا ودارا فعرفت الخطة به إلى الآن .
 (ومنها) ”خط اللوق“ وهو خط قديم متسع ينتهي إلى الميدان المعد لركوب السلطان عند وفاء النيل ، قد عُمر بالأبنية وسكنه رعاع الناس وأوباشهم والمكان المعروف الآن بباب اللوق جزء منه .

(ومنها) ”بركة الفيل“ وهي بركة عظيمة متسعة جنوبي سور القاهرة عليها الأبنية العظيمة المستديرة بها .

قال ابن عبد الظاهر : وتنسب إلى رجل من أصحاب ابن طولون يعرف بالفيل ، وما أحسن قول ابن سعيد المغربي :

أَنْظُرْ إِلَى بَرَكَةِ الْفَيْلِ الَّتِي آكْتَفَتْ • بِهَا الْمَنَاطِرُ كَالْأَهْدَابِ لِلْبَصِيرِ
 كَأَنَّهَا هِيَ وَالْأَبْصَارُ تَرْمُقُهَا • كَوَاكِبٌ قَدْ أَدَارُوهَا عَلَى الْقَمَرِ

(ومنها) ”خط الجامع الطولوني“ من الصليبية وما والاها ، وقد تقدم في الكلام على خطط الفسطاط أن هذه الأرض كانت منازل لأحمد بن طولون وعسكره ، والجبل الذي في جانبها البحري يعرف بجبل يشكر ، وعليه بناء الجامع الطولوني المذكور ، وأستحدث الملك الصالح نجم الدين أيوب رحمه الله عليه قصورا جاءت في نهاية الحسن والإتقان ، وهي المعروفة بالكبش ، ولم يزل يسكنها أكابر الأمراء

إلى أن حَرَّبها العوام في وقعة الجلبان قبل السبعين والسبعمئة، وهي على ذلك إلى الآن، وقد شرع الناس الآن في استحكار أماكنها للعمارة فيها في حدود سنة ثمانمائة .

(ومنها) "خط حارة المصامدة" وتنسب لطائفة المصامدة من البربر الذين قدموا مع المعز من المغرب، وكان المقدم عليهم عبد الله المصمودي، وكان المأمون ابن البطائحي وزير الأمر قد قدمه ونوه بذكوره، وسلم إليه أبوابه للبيت عليها، وأضاف إليه جماعة من أصحابه .

(ومنها) "الهلالية" قال ابن عبد الظاهر: أظنها الحارة التي بناها المأمون بن البطائحي خارج الباب الحديد الذي بناه الحاكم بالشارع على يسرة الخارج منه للمصامدة لما قدمهم ونوه بذكورهم، وحذر أن يبنى بينها وبين بركة الفيل حتى صارت هذه الحارة مشرفة على شاطئ بركة الفيل إلى بعض أيام الحافظ .

(ومنها) "المتجبية" قال ابن عبد الظاهر: بلغني أنها منسوبة لشخص في الدولة الفاطمية يعرف بمتجب الدولة .

(ومنها) "اليانسية" قال ابن عبد الظاهر: أظنها منسوبة ليانس وزير الحافظ، وكان يلقب بأمير الجيوش سيف الإسلام، ويعرف بيانس الفاصد لأنه قصد حسن ابن الحافظ، وتركه محلول الفصادة حتى مات .

قال: وكان في الدولة من اسمه يانس العزيزي، واليانسية: جماعة كانوا في زمن العزيز بالله، ومنهم يانس الصقلي، ونسبة هذه الحارة محتملة لأن تكون لكل منهم، وقد ذكر ابن عبد الظاهر عدة حارات كانت للجند خارج باب زويلة غير ما لعله ذكره سردا، منها ما هو مشهور معروف، وهو حارة حلب، والحبانية . ومنها ما ليس كذلك وهو الشوبك، والمأمونية، والحارة الكبيرة، والمنصورة الصغيرة، وحارة أبي بكر .



وأما جوامعها — فأقدمها "الجامع الأزهر" بناه القائد جوهر بعد دخول هولاة المعز إلى القاهرة وإقامته بها ، وفرغ من بنائه وجمعت فيه الجمعة في شهر رمضان لسبع خلون من سنة إحدى وستين وثلثمائة ، ثم جدد العزيز بن المعز فيه أشياء وعمر به أما كن وهو أول جامع عُمر بالقاهرة .

قال صاحب "نهاية الأرب" : وجدده العزيز بن المعز، ولما عمّر الحاكم جامعه نقل الخطبة إليه وبقى الجامع الأزهر شاغرا، ثم أعيدت إليه الخطبة وصلى فيه الجمعة في ثامن شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين وثمانمائة في سلطنة الظاهر بيبرس، وتزايد أمره حتى صار أرفع الجوامع بالقاهرة قدرا .

قال أن عبد الظاهر: وسمعت جماعة يقولون إن به طلسم لا يسكنه عصفور .

الجامع الثاني

الجامع الحاكمي

بناه الحاكم الفاطمي على القرب من باب الفتوح و باب النصر، وفرغ من بنائه في سنة ست وتسعين وثلثمائة ، وكان حين بنائه خارج القاهرة إذ كان بناؤه قبل بناء باب الفتوح و باب النصر الموجودين الآن ، وكان هو خارج القوسين اللذين هما باب الفتوح و باب النصر الأولان .

ثم قال : وفي سيرة العزيز أنه آخط أساسه في العاشر من رمضان سنة تسع وسبعين وثلثمائة ، وفي سيرة الحاكم أنه ابتدأه بعض الوزراء وأتمه الحاكم ، وعلى البدنة المجاورة لباب الفتوح أنها بنيت في زمن المستنصر في أيام أمير الجيوش سنة ثمانين وأربعمائة ، ثم استولى عليها من ملكها والزيادة التي إلى جانبه بناها الظاهر ابن الحاكم ولم يكملها ، ثم ثبت في الدولة الصالحية نجم الدين أيوب أنها من الجامع

وأن بها محرابا ، فانتزعت ممن هي معه وأضيفت للجامع ، وبُني بها ما هو موجود الآن في الأيام المعزية أيبك الترتكاني ولم تسقف .

الجامع الثالث الجامع الأحمر

٥. بناه الأمر الفاطمي بوساطة وزيره المأمون بن البطائحي ، وكل بناؤه في سنة تسع عشرة وخمسمائة ، ويذكر أن أسم الامر والمأمون عليه .
قلت : ولم يكن به خطبة إلى أن جدد الأمير يلغا السالمى ، أحد أمراء الظاهر برفوق عمارته في سنة إحدى وثمانمائة ورتب فيه خطبة .

الجامع الرابع

١٠. الجامع بالمقس بباب البحر ، وهو المعروف بالجامع الأنور
بناه الحاكم الفاطمي أيضا في سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة .

الجامع الخامس

- (١) الجامع الظافري ، وهو المعروف الآن بجامع الفكاكين
بناه الظافر الفاطمي داخل بابي زويلة في سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة .
١٥ وكان زرينة للكباش ، وسبب بنائه جامعا أن خادما كان في مشرف على الزريبة فرأى ذبأحا وقد أخذ رأسين من الغنم فذبح أحدهما ورمى سكينه وذهب لقضاء حاجة له ، فأتى رأس الغنم الآخر فأخذ السكين بغمه ورمها في البالوعة ، وجاء الذبأح فلم يجد السكين ، فاستصرخ الخادم وخلصه منه ، فرفعت القصة إلى أهل القصر فأمروا بعمارته .

(١) في خطبة المقرئى " الفاكهين "

الجامع السادس

الجامع الصالحى

بناه الصالح طلائع بن رزّيك وزير الفائز والعاقد من الفاطميين خارج باب
 زويلة ، بقصد نقل رأس الحسين عليه السلام من عسقلان إليه ، عند خوف هجوم
 الفرنج عليها ، فلما فرغ منه لم يمكّنه الفائز من ذلك ، وأبنتى له المشهد المعروف
 بمشهد الحسين بجوار القصر ، ونقله إليه في سنة تسع وأربعين وخمسة مائة ، وبني به
 صهريجا وجعل له ساقية تنقل الماء إليه من الخليج أيام النيل على القرب من باب
 الخرق ، ولم يكن به خطبة ، وأول ما أقيمت الجمعة فيه في الأيام المعزّية أيبك التركمانى
 في سنة اثنتين وخمسين وستمائة ، وخطب به أصيل الدين أبو بكر الإسعردى ، ثم
 كثرت عمارة الجوامع بالقاهرة في الدولة التركية خصوصا في الأيام الناصرية محمد بن
 قلاوون وما بعدها ، فعمر بها من الجوامع ما لا يحصى كثرة : بجامع الماردى ،
 وجامع قوصون خارج باب زويلة وغيرها من الجوامع ، وأقيمت الجمعة في كثير من
 المدارس والمساجد الصغار المتفرقة في الأخطاط لكثرة الناس وضيق الجوامع عنهم .



وأما مدارسها — فكانت في الدولة الفاطمية وما قبلها قليلة الوجود بل
 تكاد أن تكون معدومة ، غير أنه كان بجوار القصر دار تعرف "بدار العلم" خلف
 خان مسرور ، كان داعى الشيعة يجلس فيها ، ويجتمع إليه من التلامذة من يتكلم
 في العلوم المتعلقة بمذهبهم ، وجعل الحاكم لها جزءا من أوقافه التي وقفها على الجامع
 الأزهر وجامع المنس وجامع راشدة ، ثم أبطل الأفضل بن أمير الجيوش هذه الدار
 لاجتماع الناس فيها والخوض في المذاهب خوفا من الاجتماع على المذهب الزارى ،
 ثم أعادها لآمر بواسطة خدام القصر بشرط أن يكون متولّيا رجلا دينيا والداعى
 هو الناظر فيها ، ويقام فيها متصدرون برسم قراءة القرآن .

وقد ذكر المسيحي في تاريخه : أن الوزير أبا الفرج يعقوب بن كلس سأل العزيز بالله في حمله رزق جماعة من العلماء ، وأطلق لكل منهم كفايته من الرزق ، وبني لهم دارا بجانب الجامع الأزهر ، فإذا كان يوم الجمعة حلقوا بالجامع بعد الصلاة وتكلموا في الفقه ، وأبو يعقوب قاضى الخندق رئيس الحلقة والملق عليهم إلى وقت العصر ، وكانوا سبعة وثلاثين نفرا .

ثم جاءت الدولة الأيوبية فكانت الفاتحة لباب الخير ، والغارسة لشجرة الفضل ، فأبنتى الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر (دار الحديث الكاملة) بين التصرين في سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة ، وقتر بها مذاهب الأئمة الأربعة وخطبة ، وبقى إلى جانبها حراب حتى بُني أدرا في الأيام المعزية أيبك التركماني في سنين خمسين وثمانمائة ، ووقف على المدرسة المذكورة ، وبني من بني من أكابر دولتهم مدارس لم تبلغ شأوهذه ، وشتان بين الملوك وغيرهم .

ثم جاءت الدولة التركية فأربت على ذلك وزادت عليه ، فأبنتى الظاهر بيبرس (المدرسة الظاهرية) بين القصرين بجوار المدرسة الصالحية ، ثم أبنتى المنصور قلاوون (المدرسة المنصورية) من داخل بيارستانه الآتى ذكره وجعل قبالتها تربة سنية .

ثم أبنتى الناصر محمد بن قلاوون (المدرسة الناصرية) بجوار البيارستان المذكور . ثم أبنتى الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون (مدرسته العظمى) تحت القلعة ، وهى التى لم يُسبق إلى مثلها ، ولا سمع في مصر من الأمصار بنظيرها ، يقال إن إيوانها يزيد فى القدر على إيوان كسرى بأذرع .

ثم أبنتى ابن أخيه الأشرف شعبان بن حسين (المدرسة الأشرفية) بالصوة تحت القلعة ومات ولم يكملها ، ثم هدمها الناصر فرج بن الظاهر برقوق لتسلطها على

القلعة في سنة أربع عشرة وثمانمائة ، ونقل أحجارها إلى عمارة القاعات التي أنشأها بالحوش بقلعة الجبل ؛ ولم تعهد مدرسة قُصِدت بالهدم قبلها .

ثم آبتنى الظاهر برقوق (مدرسته الظاهرية) بين القصرين بجوار المدرسة الكاملة بخاءت في نهاية الحسن والعظمة ، وجعل فيها خطبة ، وقرر فيها صوفية على عادة الخوانق ودروساً للأئمة ، وتغالي^(١) في ضخامة البناء ؛ ونظم الشعراء فيها ، فكان مما أتى به بعضهم من أبيات :

وَبَعْضُ خُدَامِهِ طَوْعًا لِحِدْمَتِهِ * يَدْعُو الصُّخُورَ فَنَاتِيَهُ عَلَى عَجَلٍ

وتواردوا كلهم على هذا المعنى ، فأقترح على بعض الأكابر نظم شيء من هذا المعنى فنظمت أبياتاً جاء منها :

وَبِالْحَلِيلِي قَدْ رَاجَتْ عِمَارَاتُهَا * فِي سُرْعَةٍ بُنِيَتْ مِنْ غَيْرِ مَا مَهِلٍ
كَمْ أَظْهَرَتْ عَجَبًا أَسْوَاطَ حِكْمَتِهِ * وَكَمْ غَدَّتْ مَثَلًا نَاهِيكَ مِنْ مَثَلٍ
وَكَمْ صَخُورٍ تَحَالُ الْحِنُّ تَنْقُلُهَا * فَإِنَّهَا بِالْوَحَا تَأْتِي وَبِالْعَجَلِ

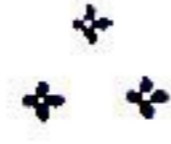
وفي خلال ذلك آبتنى أكابر الأمراء وغيرهم من المدارس ما ملأ الأخطاط وشحنها .



وأما الخوانق والرُّبُطُ — فما لم يعهد بالديار المصرية قبل الدولة الأيوبية ، وكان المبتكر لها السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله ، فأبتنى (الخانقاه الصلاحية) المعروفة بسعيد السعداء ، وسعيد السعداء لقب الخادم للمستنصر الفاطمي . آسسه قنبر كانت الدار له ، ثم صارت آخر الأيام سكن الصالح طلائع بن رزّيك ، ولما ولي الوزارة فتح من دار الوزارة إليها مِرْدَابًا تحت الأرض ، وسكنها شاور

(١) في الأصل : « فتعاني فيها » والسياق يقضي ما أثبتناه .

السعدى وزير العاضد ثم ولده الكامل . فلما ملك السلطان صلاح الدين جعلها خانقاه ، ووقف عليها قيسارية الشرب داخل القاهرة ، وبستان الحبانية بزقاق البركة .



وأما مساجد الصلوات الخمس — فأكثر من ان تحصى وأعز من أن تستقصى ، بكل خط منها مسجد أو مساجد لكل منها إمام راتب ومصلون .



وأما البيمارستان — فقال القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر : بلغنى أن البيمارستان كان أولاً بالقشاشين ، يعنى المكان المعروف الآن بالخراطين على القرب من الجامع الأزهر ، وهناك كانت دار الضرب بناها المأمون بن البطائحي وزير الأمر قبالة البيمارستان المذكور ، وقرر دور الضرب بالإسكندرية وقوص وصور وعسقلان ، ثم لما ملك السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب الديار المصرية وأستولى على القصر ، كان فى القصر قاعة بناها العزيز بن المعز فى سنة أربع وثمانين وثلثمائة ، فجعلها السلطان صلاح الدين بيمارستانا ، وهو البيمارستان العتيق الذى داخل القصر ، وهو باقى على هيئته إلى الآن ، ويقال إن فيها طلسمًا لا يدخلها نمل ، وإن ذلك هو السبب الموجب لجعلها بيمارستانا .

قال القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر : ولقد سألت المباشرين بالبيمارستان المذكور عن ذلك فى سنة سبع وخمسين و[ستمان]ة فقالوا صحيح .

ثم أبنتى السلطان الملك المنصور قلاوون "رحمه الله دارست الملك أخت الحاكم ، المعروفة "بالدار القطبية" بيمارستانا فى سنة ثلاث وثمانين وستمانه بمباشرة الأمير علم الدين

(١) زيادة يقضيها المقام لأن ابن عبد الظاهر كان موجودا فى هذا الوقت .

الشجاعي، وجعل من داخله المدرسة المنصورية والتربة المتقدم ذكرهما، فبقي معالم
بعض الدار على ما هو عليه، وغير بعضها. وهو من المعروف العظيم الذي ليس له
نظير في الدنيا. ونظره رتبة سنية يتولاه الوزراء ومن في معناهم.

قال في "مسالك الأبصار": وهو الجليل المقدار، الجليل الآثار، الجميل الإيثار،
العظيم بذاته، وكثرة أوقافه، وسعة إنفاقه، وتنوع الأطباء والكحّالين والجراحية فيه.



قلت: ولم تزل القاهرة في كل وقت تزايد عمارتها، وتجدد معالمها، خصوصا
بعد خراب الفسطاط، وانتقال أهله إليها على ما تقدم ذكره حتى صارت على ما هي
عليه في زماننا: من القصور العلية، والدور الضخمة، والمنازل الرحبية، والأسواق
المتدة، والمناظر التزهة، والجوامع البيجة، والمدارس الرائقة، والخوانق الفاخرة، مما
لم يُسمع بمثله في قطر من الأقطار، ولا عهد نظيره في مصر من الأمصار. وغالب
مبانيها بالآجر، وجوامعها ومدارسها وبيوت رؤسائها مبنية بالحجر المنحوت،
مفروشة الأرض بالرخام، مؤزرة الحيطان به، وغالب أعاليها من أخشاب النخل
والقصب المحكم الصنعة، وكلها أو أكثرها مبيضة الجدر بالكليس الناصع البياض،
ولأهلها القوة العظيمة في تعايه بعض المساكن على بعض حتى إن الدار تكون من
طبقتين إلى أربع طبقات بعضها على بعض، في كل طبقة مساكن كاملة بمنافعها
ومرافقها، وأسطحة مقطعة بأعلاها بهندسة محكمة، وصناعة عجيبة.

قال في "مسالك الأبصار": لا يرى مثل صنّاع مصر في هذا الباب، وبظاها
البساتين الحسان، والمناظر التزهة، والآدر الميطة على النيل، والخُلجان المتدة منه ومن
مده، وبها المستزهدات المستطابة، خصوصا زمن الربيع لغدرانها المتدة من مقطعات
النيل وما حولها من الزروع المختلفة وأزهارها المائسة التي تسر الناظر وتبهج الخاطر.

قال ابن الأثير في "عجائب المخلوقات" : وأجمع المسافرون بَرًا وبحراً أنه لم يكن أحسن منها منظرًا ، ولا أكثر ناساً ، وإليها يُجلب ما في سائر أقاليم الأرض من كل شيء غريب وزيٍّ عجيب ، وملكها ملكٌ عظيم ، كثير الجيوش ، حسن الزيِّ لا يمانئه في زيِّه ملك من ملوك الأرض ، وأهلها في رفاهية عيش وطيب مأكل ومشرب ، ونسأوه في غاية الجمال والضرف .

قال في "مسالك الأبصار" : أخبرني غير واحد ممن رأى المدن الجبار أنه لم ير مدينة أجمع فيها من الخلق ما أجمع في القاهرة .

قال : وسألت الصدر مجد الدين إسماعيل عن بغداد وتوريز هل يجعان خلقا مثل مصر ؟ فقال : في مصر خلق قدر من في جميع البلاد .

قال في "التعريف" : (والقاهرة اليوم أم الممالك ، وحاضرة البلاد ، وهي في وقتنا دار الخلافة ، وكرسی الملك ، ومنبع الحكاء ، ومحط الرحال ، ويتبعها كل شرق وغرب خلا الهند فإنه نأى المكان ، بعيد المدى ، يقع لنا من أخباره ما نُكبره ، ونسمع من حديثه مالا نألفه .

قال : وكان يخلق لنا أن نجعل كل النطق بالقاهرة دائرة ، وإنما نفردها بما آشتلت عليه حدود الديار المصرية ، ثم ندير بأمر كل مملكة نطاقها ، ثم إليها مرجع الكل وإلى بحرهما مصب تلك الخلق .

قال في "مسالك الأبصار" : إلا أن أرضها مسيخة ، ولذلك يجعل الفساد إلى مبانيها .

وذكر القاضي محي الدين بن عبد الظاهر نحو ذلك وأن المعز لام القائد جوهر اعلی بنائها في هذا الموضع ، وترك جانب النيل عند المقس أو جنوبي القسطنطينية حيث الرصد الآن .

القاعدة الثالثة

القاعة

(بفتح القاف) ويعبر عنها بقلعة الجبل ، وهي مقرّة السلطان الآن ودار مملكته .
 بناها الطواشي بهاء الدين قراقوش المتقدم ذكره للملك الناصر صلاح الدين
 يوسف بن أيوب رحمه الله ، وموقعها بين ظاهر القاهرة والجبل المقطم والفسطاط ،
 وما يليه من القرافة المتصلة بعمارة القاهرة والقرافة^(١) ، وطولها وعرضها على ما تقدم
 في الفسطاط أيضا ، وهي على نثر مرتفع من تقاطع الجبل المقطم ، ترتفع
 في موضع وتخفض في آخر .

وكان موضعها قبل أن تبنى ، مساجد من بناء الفاطميين : منها مسجد رديني
 الذي هو بين أدّر الحريم الساطانية .

قال القاضي محي الدين بن عبد الظاهر : قال لي والدي رحمه الله : عرض
 عليّ الملك الكامل إمامته ، فأمتنعت لكونه بين أدّر الحريم . ولم يسكنها السلطان
 صلاح الدين رحمه الله ، ويقال : إن آبنه الملك العزيز سكنها مدة في حياة أبيه ،
 ثم أنتقل منها إلى دار الوزارة .

قال القاضي محي الدين بن عبد الظاهر : قال لي والدي رحمه الله : كما نطلع
 إليها قبل أن تُسكن في ليالي الجمع نبيت متفرجين كما نبيت في جواسق الجبل والقرافة .
 وأول من سكنها الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب أنتقل إليها
 من قصر الفاطميين سنة أربع وستمائة ، وأستقرت بعده سكنا للسلطين إلى الآن .

ومن غريب ما يحكى أن السلطان صلاح الدين رحمه الله طلع إليها ومعه أخوه
 العادل أبو بكر ، فقال السلطان لأخيه العادل : هذه القلعة بُنيت لأولادك ، فثقل
 ذلك على العادل وعرف السلطان صلاح الدين ذلك منه ، فقال : لم تفهم عنى

(١) لعله زائد أو ٢٠٠ .

إنما أردت أنى أنا نجيب فلا يكون لى أولاد نجباء ، وأنت غير نجيب فتكون أولادك نجباء فسرى عنه ، وكان الأمر كما قال السلطان صلاح الدين ، وبقيت خالية حتى ملك العادل مصر والشام ، فأستتاب ولده الملك الكامل مجددا فى الديار المصرية فسكنها .

وذكر فى "مسالك الأبصار" أن أول من سكنها العادل أبو بكر، ولما سكنها الكامل المذكور، احتفل بأمرها وأهتم بعمارتها وعمربها أبراجا، منها البرج الأحمر وغيره . وفى أواخر سنة اثنتين وثمانين وستمائة عمربها السلطان الملك المنصور قلاوون برجا عظيما على جانب باب السر الكبير ، وبني عليه مشرفات حسنة البنيان ، بهجة للرخام ، رائقة الزخرفة . وسكنها فى صفر سنة ثلاث وثمانين وستمائة .

ثم عمربها السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ثلاثة أماكن ، كملت بها معانيها ، وأستحق بها القلعة على بانيتها :

أحدها - القصر الأبلق الذى يجلس به السلطان فى عامة أيامه ، ويدخل عليه فيه أمراؤه وخواصه ، وقد أستجد به السلطان الملك الأشرف "شعبان بن حسين" رحمه الله فى جانبه مقعدا بإزاء الإسطبلات السلطانية جاء فى نهاية من الحسن والبهجة .

٩٥

والثانى - الإيوان الكبير الذى يجلس فيه السلطان فى أيام المواكب للخدمة العامة وإقامة العدل فى الرعية .

والثالث - جامع الخطبة الذى يصلى فيه السلطان الجمعة ، وستأتى صفة هذه الأماكن كلها .

وهذه القلعة ذاتُ سور وأبراج ، فسيحة الأفنية ، كثيرة العمار ، ولها ثلاثة أبواب يدخل منها إليها :

٢٠

أحدها - من جهة القرافة والجبل المقطم ، وهو أقل أبوابها سالكا وأعزها
استطرافا .

والثاني - باب السر . ويختص الدخول والخروج منه بأكابر الأمراء وخواص
الدولة : كالوزير وكاتب السر ونحوهما ، يتوصل إليه من الصوة ، وهي بقية النشز
الذي بنيت عليه القلعة من جهة القاهرة ، بتعريج يمشی فيه مع جانب جدارها
البحري حتى ينتهي إليه بحيث يكون مدخله منه مقابل الإيوان الكبير الذي يجلس
فيه السلطان أيام المواكب ، وهذا الباب لا يزال مغلقاً حتى ينتهي إليه من يستحق
الدخول أو الخروج منه فيفتح له ثم يغلقت .

والثالث - وهو بابها الأعظم الذي يدخل منه باقى الأمراء وسائر الناس ،
يتوصل إليه من أعلى الصوة المتقدم ذكرها ، يرقى إليه في درج متناسبة حتى يكون
مدخله في أول الجانب الشرقى من القلعة ، ويتوصل منه إلى ساحة مستطيلة ينتهى
منها إلى دركاه جليلة يجلس بها الأمراء حتى يؤذن لهم بالدخول ، وفي قبلى هذه
الدركاه (دار النيابة) وهي التي يجلس بها النائب الكافل للحكم إذا كان ثم نائب ،
(قاعة الصاحب) وهي التي يجلس بها الوزير وكتاب الدولة ، و(ديوان الإنشاء)
وهو الذي يجلس فيه كاتب السر وكتاب ديوانه ، وكذلك (ديوان الجيش) وسائر
الدواوين السلطانية .

وبصدر هذه الدركاه باب يقال له "باب القلعة" يدخل منه إلى دهاليز فسيحة ،
على يسرة الداخل منها باب يتوصل منه إلى جامع الخطبة المتقدم ذكره ، وهو من
أعظم الجوامع ، وأحسنها وأبهجها نظراً ، وأكثرها زخرفة ، متسع الأرجاء ، مرتفع
البناء ، مفروش الأرض بالرخام الفائق ، مبطن السقف بالذهب ، في وسطه قبة
يلبها مقصورة يصلى فيها السلطان الجمعة ، مستورة هي والرواقات المشتملة عليها

بشبابيك من حديد محكمة الصنعة ، يَحْفُ بصحنه رواقات من جميع جهاته ، ويتوصل من ظاهر هذا الجامع إلى باب الستارة ، ودور الحریم السلطانية .

- وبصدر الدهاليز المتقدمة الذكر مَصْطَبَةٌ يجلس عليها مقدم الممالك ، وعندها مدخل باب السر المتقدم ذكره ، وفي مجنبه ذلك ممرٌ يدخل منه إلى ساحة يواجه الداخل إليها باب الإيوان الكبير المتقدم ذكره ، وهو إيوان عظيم عديم النظير ، مرتفع الأبنية ، واسع الأفنية ، عظيم العمُد ، عليه شَبَابِيكٌ من حديد عظيمة الشأن محكمة الصنعة ؛ وبصدره سرير الملك ، وهو منبرٌ من رُخَامٍ مرتفعٌ ، يجلس عليه السلطان في أيام المواكب العظام لقدم رسل الملوك ونحو ذلك .

- ويَتَيَّامن عن هذا الإيوان إلى ساحة لطيفة بها باب القصر الأبلق المتقدم ذكره ، وبنواحيها مصاطبٌ يجلس عليها خواص الأمراء قبل دخولهم إلى الخدمة ؛ ويدخل من باب القصر إلى دهاليز عظيمة الشأن ، نبيهة القدر ، يتوصل منها إلى القصر المذكور ، وهو قصر عظيم البناء ، شاق في الهواء ، به إيوانان في جهتي الشمال والجنوب ، أعظمهما الشمالي ، يُطلُّ منهما على الإصطبلات السلطانية ، ويمتد النظر منهما إلى سوق الخيل والقاهرة والفسطاط وحواضرها ، إلى مجرى النيل ، وما يلي ذلك من بلاد الجيزة والجبيل وما إلى ذلك ؛ وبصدره منبرٌ من رخام كالذي في الإيوان الكبير يجلس عليه السلطان أحيانا في وقت الخدمة على ما يأتي ذكره .

- والإيوان الثاني وهو القبلي خاص بمخرج السلطان وخواصه منه ، من باب السر إلى الإيوان الكبير خارج القصر للجلوس فيه أيام المواكب العظام ، ويدخل من القصر المتقدم ذكره إلى ثلاثة قصور جَوَانِيَّةٍ : واحد منها مسامت لأرض القصر الكبير ، وأثنان مرفوعان ، يُصَعَدُ إليهما بدرَجٍ ، في جميعها شبابيكٌ من حديد تُشْرِفُ على ما يُشْرِفُ عليه القصر ، ويدخل من القصور الجَوَانِيَّةِ إلى دور الحریم وأبواب

الستور السلطانية؛ وهذه القصور جميعها ظاهرها بالحجر الأسود والأصفر، وداخلها مؤزر بالرخام والفص المذهب المشجر بالصدف وأنواع الملونات، والسقوف المبطنة بالذهب والألازورد تُحرق لضوء^(۱) في جدرانها بطاقات من الزجاج القبرسي الملون كقطع الجواهر المؤلفة في العقود، وجميع أرضها مفروشة بالرخام المنقول من أقطار الأرض مما لا يوجد مثله .

قال في "مسالك الأبصار": فأما الأدر السلطانية فعلى ما صح عندي خبره أنها ذوات بساتين وأشجار ومناخات للحيوانات البديعة والأبقار والأغنام والطيور الدواجن وخارج هذه القصور طباق واسعة للمالك السلطانية، ودور عظام لخواص الأمراء من مقدمي الألو، ومن عظم قدره من أمراء الطبليخاناه والعشرات، ومن خرج عن حكم الخاصكية إلى حكم البرانيين .

وبها بيوت ومساكن لكثير من الناس، وسوق للمأكول، ويبيع بها النفيس من السلاح والقماش مع الدالين يطوفون به .

وبهذه القلعة مع ارتفاع أرضها وكونها مبنية على جبل بئر ماء معين منقوبة في الحجر، احتفرها بهاء الدين قراقوش المتقدم ذكره حين بناء القلعة، وهي من أعجب الآبار، بأسفلها سواق تدور فيها الأبقار، وتنقل الماء في وسطها، وبوسطها سواق تدور فيها الأبقار أيضا وتنقل الماء إلى أعلاها، ولها طريق إلى الماء ينزل البقر فيه إلى معينها في مجاز، وجميع ذلك نحت في الحجر ليس فيه بناء .

قال القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر: وسمعت من يحكي من المشايخ أنها لما نقرت، جاء ماؤها عذبا فأراد قراقوش أو توابه الزيادة في مائها فوسع نقرا في الجبل، فخرجت منه عين مالحة غيرت عذوبتها. ويقال: إن أرضها تسامت أرض

(۱) في المقریزی هكذا: «وقد مؤمت بالألازورد والنور بخرق في جدرانها الخ» .

بركة الفيل ؛ وهذه البئر ينتفع بها أهل القلعة فيما عدا الشرب من سائر أنواع الاستعمالات . أما شربهم فمن الماء العذب المنقول إليها من النيل بالروايا على ظهور الجمال والبغال مع ما ينساق إلى قصور السلطان ودور أكابر الأمراء المجاورين للسلطان من ماء النيل في المجارى ، بالسواق النقالات والدواليب التي تديرها الأبقار وتنقل الماء من مقر إلى آخر حتى ينتهى إلى القلعة ، ويدخل إلى القصور والآدر في ارتفاع نحو خمسمائة ذراع .

وقد أستجد السلطان الملك الظاهر برفوق بهذه القلعة صهريجا عظيما يملا في كل سنة زمن النيل من الماء المنقول إلى القلعة من السواق النقالات ، ورتب عليه سبيلا بالدركاه التي بها دار النيابة يسقى فيه الماء وحصل به للناس رفق عظيم . وتحت مشرف هذه القلعة مما يلي التصور السلطانية ميدان عظيم يحول بين الإصطبلات السلطانية وسوق الخيل ، ممتزج بالنجيل الأخضر ، فسيح المدى ، يسافر النظر في أرجائه ، به أنواع من الوحوش المستحسنة المنظر ، وتربط به الخواص من الخيول السلطانية للتفسيح ؛ وفيه يصلى السلطان العيدين على ما سيأتى ذكره ؛ وفيه تعرض الخيول السلطانية في أوقات الإطلاقات ووصول التقادم والمشتري ، وربما أطمع فيه الجوارح السلطانية ؛ وإذا أراد السلطان النزول إليه خرج من باب إيوان القصر وركب من درج تليه إلى إصطبل الخيول الخاص ، ثم نزل إليه راجيا وخواص الأمراء في خدمته مشاة ، ثم يعود إلى القصر كذلك .

قال القاضي محي الدين بن عبد الظاهر في "خطه" : وكان هذا الميدان وما حوله يعرف قديما بالميدان ، وبه قصر أحمد بن طولون وداره التي يسكنها ، والأماكن المعروفة بالقطائع حوله على ما تقدم ذكره في خطط الفسطاط ، ولم يزل كذلك حتى بنى الملك الكامل بن العادل بن أيوب هذا الميدان تحت القلعة حين

سكنها ، وأجرى السواقي النُّقالات من النيل إليه ، وعمّر إلى جانبه ثلاث برك تملأ لسقيه ، ثم تعطل في أيامه مدّة ، ثم أهتم به الملك العادل ولده ، ثم أهتم به الصالح نجم الدين أيوب اهتماماً عظيماً ، وجدّده ساقية أخرى ، وغرس في جوانبه أشجاراً فصار في نهاية الحسن . فلما توفّي الصالح تلاشى حاله إلى أن هُدم في سنة خمسين وثمانئة ، أو سنة إحدى وخمسين في الأيام المِعزّيّة أيبك التركمانى ، وهدمت السواقي والتناظر وعفّت آثارها ، وبقي كذلك حتى عمّره السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون رحمه الله ، فأحسن عمارته ورصّفه أبداع ترصيف ، وهو على ذلك إلى الآن .

أما الميدان السلطاني الذي بَحَطَّ اللوق ، وهو الذي يركب إليه السلطان عند وفاء النيل للعب الكُرّة ، فبناه الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وجعل به المناظر الحسنة ونصب الطّوارق على بابه كما تُنصب على باب القلاع وغيرها ، ولم تزل الطّوارق منصوبة عليه إلى ما بعد السبعائة ، وسيأتي الكلام على كيفية الركوب إليه في المواكب في الكلام على ترتيب المملكة فيما بعد إن شاء الله تعالى .

والقلعة التي بالروضة تقدم الكلام عليها [في الكلام] على خِطَطِ الفُسطاط .

+

١٥

ومما يتصل بهذه القواعد الثلاث ويلتحق بها ”القرافة“ التي هي مدفن أمواتها ، وهي تربة عظيمة ممتدة في سفح المقطم ، موقعها بين المقطم والنُسطاط وبعض القاهرة ، تمتد من قلعة الجبل المتقدم ذكرها آخذة في جهة الجنوب إلى بركة الحبش وما حولها . وكان سبب جعلها مقبرة ما رواه ابن عبد الحكم عن الليث بن سعد : أن المقوقس سأل عمرو بن العاص أن يبيعه سفح المقطم بسبعين ألف دينار ، فتعجب عمرو من ذلك ، وكتب إلى أمير المؤمنين عمرو بن الخطاب رضي الله عنه في ذلك ،

٢٠

فكتب إليه عمر : أن مثله لم أعطاك به ما أعطاك وهي لا تُزرع ولا يُستنبط بها ماء ولا ينتفع بها ؛ فسأله ، فقال : إنا لنجد صفتها في الكتب أن فيها غراس الجنة ، فكتب إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه في ذلك ، فكتب إليه عمر : ” إني لا أرى غرس الجنة إلا للؤمنين فأقبرُ بها من مات قبلك من المسلمين ولا تبعها بشيء ” فقال المقوقس لعمر : ما على ذا عاهدتنا ، فقطع لهم قطعة تُدفن فيها النصارى ، وهي التي على القرب من بركة الحبش ؛ وكان أول من قبر بسفح المقطم من المسلمين رجلا من المعافير اسمه عامر ، فقيل عمّرت .

ويروى أن عيسى عليه السلام مرّ على سفح المقطم في سباحة ومعه أمه ، فقال : ” يا أمّاه ! هذه مقبرة أمة محمد صلى الله عليه وسلم ” . وفيها ضرائح الأنبياء عليهم السلام كإخوة يوسف وغيرهم . وبها قبر آسية امرأة فرعون ، ومشاهد جماعة من أهل البيت والصحابة والتابعين والعلماء والزهاد والأولياء .

وقد بنى الناس بها الأبنية الرائقة ، والمناظر البهجة ، والقصور البديعة ، يسرح الناظر في أرجائها ، ويتهمج الخاطر برؤيتها ؛ وبها الجوامع والمساجد والزوايا والرُّبُط والخوانق ، وهي في الحقيقة مدينة عظيمة إلا أنها قليلة الساكن .

الفصل الثاني

١٥

من المقالة الثانية

في ذكر كور الديار المصرية ؛ وهي على ضرين

الضرب الأول

في ذكر كورها القديمة

وقد جعلها القضاعى في ” خططه ” ثلاثة أحياز ، وتشتمل على خمس وخمسين كورة ، إلا أنه ذكرها سردا غير مبينة ولا مرتبة ، وقد أوردتها هنا مبينة مرتبة ،

٢٠

ونبّهت على ما هو مستمرّ منها على حكمه ، وما تغيّر حكمه بإضافته إلى غيره من الأعمال المستمرة مع بقاء أسمائه ، وما درس اسمه ونُسي ، أو تغيّر ولم تعلم له حقيقة .

الحَيِّزُ الأوَّلُ

أعلى الأرض ، وهو الصعيد

والمراد ما هو من كُورِها جنوبيّ الفُسطاط إلى نهايته في الجنوب ، وسمى صعيدا لأن أرضه كُلُّها وُلجت في الجنوب ، أخذت في الصعود والارتفاع .

وقد ذكر القُضاعيُّ فيه عشرين كورة :

الأولى - (كُورَةُ الفيوم) وهي كورة باقية مستمرة الحكم إلى الآن ، وسيأتي ذكرها في الكلام على الأعمال المستقرّة فيما بعد إن شاء الله تعالى .

الثانية - (كُورَةُ مَنِيٍّ) ومَنِيٌّ هي مدينة مصر القديمة المتندّمة المذكورة التي بناها مصر بن بصر بن حام بن نوح عليه السلام . وقد تقدّم أنها على اثني عشر ميلا من الفُسطاط في جنوبيّته على القرب من البلدة المعروفة الآن بالبدرشين .

الثالثة - (كُورَةُ وَسِيمٍ) ووسيمٌ بفتح الواو وكسر السين المهملة وسكون الياء المشناة تحت وميم في الآخر . بلدة من عمل الجيزة معروفة ، والثابت في الدواوين أوسيمٌ بزيادة ألف في أولها وسكون الواو .

الرابعة - (كُورَةُ الشَّرْقِيَّة) وكأن المراد بها عمل إطفيح الآن إذ هو شرقيّ النيل وليس بالوجه القبليّ عمل مستقلّ شرقيّ النيل سواه .

الخامسة - (كُورَةُ دَلَّاصٍ وَبُوصِيرٍ) أما دَلَّاصٌ فبدال مهملة مفتوحة ولام ألف ثم صاد مهملة ؛ قال في "الروض المعطار" : كانت مدينة عظيمة بها عجائب الأبنية وبها كان مجتمع سحرة مصر . وأما بوصير فالمراد هنا بُوصير قور يَدُس التي

قتل بها مروانُ الحمار، آخر خلفاء بني أمية، ودلاص وبوصير هذه كلاهما الآن من عمل البهنسي، وسيأتي ذكره في الأعمال المستقرّة .

قال في "الروض المعطار" : قال الجاحظ : بها ولد عيسى بن مريم عليه السلام . وذكر أن نخلة مريم كانت قائمة بها إلى زمانه .

قلت : والمعروف أن مولد عيسى عليه السلام كان بالقدس من أرض الشام على ما سيأتي ذكره في الكلام على الإيمان في أواخر الكتاب إن شاء الله تعالى .

السادسة - (كُورَةُ أهناس) وأهناس بفتح الهمزة وسكون الهاء وفتح النون وألف وسين مهملة في الآخر، وتعرف بأهناس المدينة، كانت مدينة في القديم، وهي الآن من جملة عمل البهنسي الآتي ذكره في الأعمال المستقرّة .

السابعة - (كُورَةُ القيس) والقيس بفتح القاف وسكون الياء المشناة تحت وسين مهملة في الآخر، كانت مدينة في القديم، وهي الآن قرية معدودة من عمل البهنسي أيضا .

الثامنة - (كُورَةُ البهنسي) وهي ذات عمل مستقر، وسيأتي ذكرها في الكلام

على الأعمال المستقرّة فيما بعد إن شاء الله تعالى .

التاسعة - (كُورَةُ طحّا وجير شنودة)^(١) . أما طحا فبفتح الطاء والحاء المهملتين

وألف في الآخر، كانت في القديم مدينة ذات عمل، ولذلك تعرف بطحّا المدينة، وهي الآن من عمل الأشمونين الآتي ذكرها في الكلام على الأعمال المستقرّة، وإليها ينسب أبو جعفر الطحاوي^(٢) إمام الحنفية ومحدثهم .

وأما جير شنودة^(١)، فمن الأسماء التي درست ولم تعلم حقيقتها .

العاشرة - (كُورَةُ بويط) قال ابن خلكان : بويط بضم الباء الموحدة وفتح

الواو وسكون الياء المشناة تحت وطاء مهملة في الآخر . وقال في "تقويم البلدان"^(٢)

(١) كذا في ياقوت . وفي الأصل : « حير » بالحاء المهملة .

(٢) نص ياقوت على الضبطين وقال : أكثر ما يقال بغير همز .

بهمزة مفتوحة في أوله وباء ساكنة ، وهو اسم واقع على بلدين بالديار المصرية :
 إحداهما بعمل البهنسي في لحف الجبل على طريق المازة ، وإليها ينسب أبو يعقوب
 البُوَيْطِي : أحد رواة الحديد عن الإمام الشافعي رضي الله عنه . والثانية من عمل
 سُيُوط وتعرف ببُوَيْطِ البتينة ، وإليها ينسب شرق بويط والظاهر أنها المرادة هنا .
 الحادية عشرة - (كُورَةُ الأَشْمُونِيِّينَ وَأَنْصَنًا وَشُطْبُ) . أما مدينة الأَشْمُونِيِّينَ ،
 فذات عمل مستقر ، وسيأتي ذكرها في الكلام على الأعمال المستقرة فيما بعد إن
 شاء الله تعالى .

وأما (أَنْصَنًا) فقال في "تقويم البلدان" : هي بفتح الهجزة وسكون النون
 وكسر الصاد المهملة وفتح النون وألف في الآخر ، وهي مدينة قديمة خراب في البر
 الشرق من النيل قبالة الأَشْمُونِيِّينَ .

وقد ذكر ابن هشام في السيرة : أن مَارِيَةَ القِبْطِيَّة التي أهداها المَقْوِسُ النَّبِيُّ
 صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ كُورَتِهَا مِنْ قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا حَفْنُ ، وَأَنْصَنًا الْآنَ مِنْ جَمَلَةِ عَمَلِ
 الأَشْمُونِيِّينَ .

وأما (شُطْبُ) فبضم الشين المعجمة وسكون الطاء المهملة وباء موحدة
 في الآخر ، وهي مدينة قديمة بنيت في زمن شداد بن عديم أحد ملوك مصر بعد
 الطوفان قد خربت وعمر عليها قرية صغيرة سميت باسمها ، وهي الآن من جملة عمل
 سُيُوط الآتي ذكره في الأعمال المستقرة .

الثانية عشرة - (كُورَةُ سُيُوطِ) وهي مستقر الحكم وسيأتي ذكرها في الأعمال
 المستقرة .

الرابعة عشرة - (كُورَةُ فَهْقُوهَ) وهي من الأسماء التي درست ونُسبت ، ولم
 أعلم بالصعيد بلدة تسمى الآن بهذا الاسم .

الخامسة عشرة - (كورة إنحيم والدير وأبشاية) . أما كورة إنحيم ، فمن الكور المستمرة الحكم ، وسيأتي الكلام عليها في الكور المستقرة .
وأما (الدير) فيجوز أن يكون المراد به الدير والبلاص^(١) ، وهي بلدة في شرق النيل شمالي قنا ، هي الآن من عمل قوص الآتية الذكر .

وأما (أبشاية) فمن الأسماء التي جهات .
السادسة عشرة - (كورة هو ودندرة وقنا) . أما هو ، فبضم الهاء وسكون الواو ، وهي مدينة صغيرة على ساحل البر الغربي الجنوبي من النيل ، ويضاف إليها في الدواوين الكوم الأحمر ، فيقال هو والكوم الأحمر .

وأما (دندرة) فبفتح الدال المهملة وسكون النون وفتح الدال الثانية والراء المهملة وهاء في الآخر ، وهي مدينة قديمة خراب على الساحل الغربي الجنوبي من النيل في شرق هو ، وبها كانت البربابة العظيمة المتقدم ذكرها في عجائب الديار المصرية .

وأما (قنا) فبكسر القاف وفتح النون وألف في الآخر ، وهي مدينة شرق النيل ، وبها ضريح السيد الجليل عبد الرحيم القناني ، المعروف بالبركة وإجابة الدعاء عنده . وهذه البلاد الثلاث الآن من جملة عمل قوص الآتي ذكره في الكلام على الأعمال المستقرة .

السابعة عشرة - (كورة قفط والأقصر) . أما قفط ، فكسر القاف وسكون الفاء وطاء مهملة في الآخر ، كانت مدينة قديمة بالبر الشرق من النيل جنوبي قنا المتقدمة الذكر ، بناها قفط بن قبطيم بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام

(١) هذا لا يتفق مع الحقيقة . والصواب أن الدير وأبشاية المذكورتين مع إنحيم هما بلدتان من كورة إنحيم ، الأولى منهما وهي الدير لازالت تعرف باسم نجع الدير تحت اسم الجبل الغربي تجاه مدينة سوهاج . وبها الدير الأبيض وهو دير الأنبا بشاي بأراضي ناحية أولاد عزاز بمركز سوهاج . وأما أبشاية فهي البلدة التي تعرف اليوم باسم المنشأة بمركز جرجا بمديرية جرجا . ولا علاقة لهاتين البلدين بالدير والبلاص اللتين بمركز قنا . (٢) لا تزال قائمة إلى اليوم . (٣) في ياقوت : قفط بن مصر ... ثم قال : وأصله في كلامهم قفطيم ومصرم ، ولكن الذي في المتريزي نحو ما في الأصل .

أحد ملوك مصر بعد الطوفان ، نخرت و بقيت آثارها وعمرت على القرب منها مدينة صغيرة سميت بأسمها .

وأما (الأقصر) فبضم الهمزة وسكون القاف وضم الصاد المهملة وراء مهملة في الآخر، وتسمى الأقصرين أيضا على التثنية ، وهي مدينة خراب بالبر الشرق من النيل ، قد عمّر على القرب منها قرية سميت بأسمها ، وبها ضريح السيد الجليل أبو الحجاج الأقصري ، وكانت بها برّابة عظيمة نخرت . ^(١) وأعلم أن بين قفط والأقصر مدينة قوص ، وقد ذكر القضاعي كورتها في جملة الكور ، فكيف يستقيم أن تذكر قفط والأقصر كورة واحدة ! .

الثامنة عشرة - (كورة قوص) وهي مستمرة الحكم ، وسيأتي الكلام عليها في جملة الأعمال المستقرة إن شاء الله تعالى .

التاسعة عشرة - (كورة أسنا وأرمنت) . أما أسنا ، فبفتح الهمزة وسكون السين المهملة وفتح النون وألف في الآخر، وهي مدينة حسنة بالبر الغربي من النيل ، ويقال : إنه لم يسلم من تخريب بُحَّت نصر من مدن الديار المصرية سواها ، وذلك أن أهلها هربوا منه إلى الجبل بالقرب منها فتبعهم وقتلهم هناك وترك البلد على حالها .

وأما (أرمنت) فبفتح الهمزة وسكون الراء المهملة وفتح الميم وسكون النون وتاء مشاة فوق في الآخر، وهي مدينة صغيرة بالبر الغربي الشمالي من النيل بينها وبين أسنا مرحلة ، وكلاهما الآن من عمل قوص ، وقد جرى على الألسنة الجمع بينهما في اللفظ فيقال : أسنا وأرمنت ، وكأن ذلك لكثرة اجتماعهما في إقطاع واحد .

العشرون - (كورة أسوان) . وسيأتي ذكرها في الكلام على الأعمال المستقرة مع الأعمال القوصية إن شاء الله تعالى .

(١) لا تزال بقاياها قائمة إلى اليوم .

(٢) ضبطه باقوت بكسر الهمزة .

(٣) المعروف أن بُحَّت نصر لم يدخل مصر .

الحيز الثاني

أسفل الأرض

وقد ذكر الفضاغى : أنها ثلاث وثلاثون كورة في أربع نواحي .

الناحية الأولى

كُور الحُوف الشرقى ، وبها ثمان كُور

٥

الأولى - (كورة عين شمس) وعين شمس مدينة قديمة خراب على القرب من المطرية من ضواحي القاهرة الآتى ذكرها في الأعمال المستقرة .

قال القاضي محيى الدين بن عبد الظاهر : رأيت على حاشية بعض كتب التواريخ أن ملكها كان عظيم الشأن ، وعاش إلى زمن يوسف عليه السلام وتزوج ابنته .

١٠

الثانية - (كورة أتريب) وأتريب مدينة خراب على القرب من بنها العسل من أعمال الشرقية الآتى ذكرها في الأعمال المستقرة ، بناها أتريب بن قبطيم بن مصر ابن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام .

الثالثة - (كورة نتا وئى)^(١) أما نتا ، فلا يعرف بالحوف الآن بلدة اسمها نتا ، وإنما نتا بعمل الغربية ، وسيأتى ذكرها مع بوضير هناك .

١٥

وأما (ئى) فبضم التاء المشناة فوق وفتح الميم وياء مشناة تحت في آخرها ؛ وهى مدينة خراب بعمل المرتاحية ، بها آثار عظام ، رأيت فيها أبوابا من حجر صوان قطعة واحدة ، ارتفاعها نحو عشرة أذرع قائمة على قاعدة من صوان أيضا .

الرابعة - (كورة بسطة) وبسطة بفتح الباء الموحدة وسكون السين وفتح

الطاء المهملتين وهاء في الآخر ؛ وهى مدينة خراب تعرف الآن بتل بسطة من عمل الشرقية .

٢٠

(١) فى الأصل : « بنا » .

- الخامسة - (كورة طَرَايِيَّة) وهي من الأسماء التي دَرَسَتْ ولم تعرف .
- السادسة - (كورة فُرْبِيْطٌ^(١)) وهي من المجهول أيضا .
- السابعة - (كورة صَان وَاِبْلِيل^(٢)) وهي من المجهول .
- الثامنة - (كورة الفَرَمَا والعَرِيْش) . أما الفَرَمَا، فقال في "تقويم البلدان":
هي بفاء وراء مهملة وميم مفتوحات ثم ألف ، وهي بلدة خرابٌ على شاطئ بحر
الروم ، على بُعد يومٍ من قَطِيَّة . قال ابن حوقل : وبها قَبْرُ جَالِينُوسِ الْحَكِيمِ .
وأما (العَرِيْش) فبفتح العين المهملة وكسر الراء المهملة وسكون الياء المثناة
تحتُ وشين معجمة في الآخر، قال في "الروض المعطار" : كانت مدينة ذات
جامعين مفترق البناء، وثمار وفواكه .
- قال في "تقويم البلدان" : وهي الآن مَنزِلَةٌ على شَطِّ بَحْرِ الرُّومِ ، وبها آثار
قديمة من الرُّخَامِ وغيره .
- قال في "الروض المعطار"^(٣) : وكان بينها وبين قَبْرِسِ طريق مسلوكة في البر .

الناحية الثانية

بطن الريف

- وأصل الرِّيف في لغة العرب موضع الزَّرْعِ والشجر ، إلا أنه غلب بالديار
المصرية على أسفل الأرض منها؛ وفيها سَبْعُ كُورٍ :
- الأولى - (كُورَةُ بِنَا وَبُوصِير) . أما بِنَا، فبفتح الباء الموحدة والنون وألف
في الآخر . وَبُوصِيرُ تَقَدَّمَ ضَبْطُهَا فِي الْكَلَامِ عَلَى بُوَصِيرِ الْمَعْرُوفَةِ بِمِصْرِ يَوْسُفَ
بِالْحِيزِيَّةِ عِنْدَ ذِكْرِ قَوَاعِدِ مِصْرِ الْقَدِيمَةِ ، وَبِنَا وَبُوصِيرُ هَذِهِ كِلَاهُمَا مِنْ عَمَلِ الْغَرَبِيَّةِ
الآتِي ذِكْرُهُ فِي الْأَعْمَالِ الْمَسْتَقَرَّةِ .

(١) هذه الكورة تعرف اليوم باسم « هربيط » إحدى قرى مركز كفر صفر بمديرية الشرقية .
وفي الأصل : « قربيط » بالقاف . (٢) صان هذه لا تزال موجودة باسم « صان الحجر »
إحدى قرى مركز فاقوس بمديرية الشرقية . وأما إبليل فقد خربت وكانت بالقرب منها .
(٣) في الأصل : « قدمس » وهو خطأ .

- الثانية - (كُورَة سَمْنُودُ) وسمنود بفتح السين المهملة والميم وضم النون المشددة والواو ودال مهملة في الآخر، وهي مدينة صغيرة من الأعمال الغربية، كان لها عمل مستقر في أول الأمر ثم أضيفت إلى عمل الغربية .
- الثالثة - (كُورَة نَوَسَا) ونوسا بفتح النون والواو والسين المهملة في الآخر^(١)، وهي الآن قرية من قرى المرتاحية .
- الرابعة - (كورة الأوسية) وهي من الأسماء التي درّست وجُهِلت .
- الخامسة - (كورة البجوم) بالباء الموحدة والجيم، وهي من الأسماء المدرسة أيضا، ولا يُعرف مكان بالديار المصرية اسمه البجوم إلا أرض بأسفل عمل البحيرة على القرب من الإسكندرية، صارت مستنقعا للمياه المنصرفة عن البحيرة .
- السادسة - (كُورَة دَقَهْلَة) ودَقَهْلَة بفتح الدال المهملة والقاف وسكون الهاء وفتح اللام وهاء في الآخر، وهي مدينة قديمة بالجزيرة بين فرقة النيل المارة إلى دمياط والفرقة التي تصب ببحيرة تَنيس، وإليها ينسب عمل الدقهلية، وهي الآن قرية من عمل أشموم الآتي ذكرها في الأعمال المستقرة، وإن كان العمل في الأصل منسوباً إليها .
- السابعة - (كورة تَنيس وِدِمِيَاط) . أمّا تَنيس، فقال في اللبّاب : هي بكسر المشاة فوق والنون المشددة وسكون الياء المشاة تحت وسين مهملة في الآخر، والجاري على الألسنة فتح التاء، كانت مدينة عظيمة فطمى عليها الماء قبل الفتح الإسلامي بمائة سنة، فأغرق ما حولها وصارت بُحيرةً، وسيأتي الكلام عليها في الكلام على بُحيرتها، وهي الآن قرية صغيرة بوسط البحيرة والماء محيط بها .
- قال في "الروض المعطار" : وكانت تُربتها من أطيب التُّرب . وبها تحاك الثياب النفيسة التي ليس لها نظير في الدنيا، وقد قيل : إن الجنتين اللتين أخبر الله

(١) لعله وألف في الآخر كما هو ظاهر .

تعالى عنهما في سورة الكهف بقوله : ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ ﴾ الآية ، كانتا يتنيس .
وأقارديمياط ، فسياتي ذكرها في الكلام على الأعمال المستفترزة إن شاء الله تعالى .

الناحية الثالثة

- ٥ الجزيرة بين فرقتي النيل الشرقية والغربية ، وفيها خمس كور :
الأولى - (كُورَةُ دَمِيسِيسُ وَمَنُوفٌ)^(١) . أما دَمِيسِيسُ ، فبفتح الدال المهملة وسكون الميم وكسر السين المهملة وسكون الياء المثناة تحت وسين مهملة في الآخر ، وهي الآن بلدة من عمل الغربية .
وأما مَنُوفٌ^(٢) فمن الأسماء التي نُسيبت وجهلت .
- ١٠ الثانية - (كُورَةُ طُوءِ مَنُوفٌ) وهي من الأسماء التي جهلت ولا يعلم بالديار المصرية الآن بلدة اسمها طُوءٌ غير بلدين بالوجه القبلي - إحداهما بالأشُّونين ، والثانية بالبهنساوية .
- ١٥ الثالثة - (كُورَةُ سَخَا وَتَيْدَةَ وَالْفَرَّاجُونَ) . أما سَخَا ، فبفتح السين المهملة والحاء المعجمة وألف في آخرها ، وهي بلدة حسنة كانت ذات عمل ، ثم أستقرت من عمل الغربية الآن .
وأما تَيْدَةُ ، فبفتح التاء المثناة فوق وسكون الياء المثناة تحت وفتح الدال المهملة وهاء في آخرها ، وهي الآن قرية من قرى الغربية .
وأما الْفَرَّاجُونَ ، فبالألف واللام في أولها ، ثم فاء مفتوحة وراء مهملة مشددة بعدها ألف وجيم مضمومة وواو ساكنة ونون في الآخر ، وهي بلدة مضافة إلى تَيْدَةَ ، فيقال : تَيْدَةُ وَالْفَرَّاجُونَ .

(١) دَمِيسِيسُ زالت ، ومحلها يعرف اليوم باسم كفر شبرا الخيمن من توابع شبرا الخيمن بمركز زفتى بمديرية الغربية . (٢) مَنُوفٌ هي التي تعرف اليوم باسم محلة منوف إحدى قرى مركز طنطا بمديرية الغربية .

- الرابعة - (كورة تَقِيْزةٌ وديصا)^(١) وهما من الأسماء التي نُسيبت وجهات .
الخامسة - (كورة البَشْرود) وهي من الأسماء التي جهلت .

الناحية الرابعة

الحواف الغربي، وفيها إحدى عشرة كورة :

- الأولى - (كورة صَا) وصَا بصاد مهملة مفتوحة وألف في الآخر، وهي مدينة خرابٌ شرقيّ الفرقة الغربية من النيل، بناها صا بن قبطيم بن مصر بن بيصر بن حام ابن نوح عليه السلام، أحد ملوك مصر بعد الطوفان، وبها الآن آثار عظيمة، وقد عمرت بالقرب منها قرية سميت بأسمها، وكأن عملها كان من البرّ الغربي .
- الثانية - (كورة شَبَّاس) وشَبَّاسُ بفتح الشين المعجمة والباء الموحدة وألف ثم سين مهملة آسم لثلاث بلاد من عمل الغربية الآن، وهي شَبَّاسُ المِلح، وشَبَّاسُ أنبارة، وشَبَّاسُ سنقر، وتعرف بشَبَّاسِ الشهداء، وكأن المراد الثالثة فإنها أعظمها .
- الثالثة - (كورة البَدَّقُون) وهي من الأسماء التي درست وجهلت .
- الرابعة - (كورة الخَيْسِ والشَّرَاكِ) . أما الخيس فلا تعرف بالبحيرة الآن بلدة تسمى الخيس، وإنما الخَيْسُ بفتح الخاء المعجمة وسكون الياء وسين مهملة في الآخر، بلدة من عمل الشرقية .
- وأما الشَّرَاكُ، فبكسر الشين المعجمة المشددة وفتح الراء المهملة وألف ثم كاف، وهي بلدة من عمل البحيرة .
- الخامسة - (كورة خَرِيْتَا) بكسر الخاء المعجمة وسكون الراء المهملة وكسر الباء الموحدة وفتح التاء المثناة فوق، وهي قرية معروفة من عمل البحيرة، ومنها سار من سار من المصريين لقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه .

(١) كذا في معجم البلدان لبانوت . وفي الأصل : « بقيرة » وهو تحريف .

السادسة - (كورة قَرُطَسَا وَمِصِيل) . أما قَرُطَسَا فبفتح القاف وسكون الراء المهملة وفتح الطاء والسين المهملتين وألف في الآخر؛ وهي قرية من عمل البحيرة الآن .
وأما مِصِيل ، فمن الأسماء التي جهلت

السابعة - (كورة المليدس) وهي من الأسماء التي جهلت .

الثامنة - (كورة إَجْنَا ورَشِيدَ والبَحِيرَة)^(١) . أما إَجْنَا ، فمن الأسماء التي جهلت ولا يعرف بالبحيرة بلد أسمها إَجْنَا ، وإنما أخنويه من عمل الغربية ، والعاقة تقول إَجْنَا .
وأما رَشِيدُ ، بفتح الراء المهملة وكسر الشين المعجمة وسكون الياء المثناة تحت ودال مهملة في الآخر ، فبأدلة عند مصب الفرقة الغربية التي يقع الاعتناء بحفظها .
وفي ذلك نظر لاعتباره الغربية ورشيد من سواحل البحيرة ، وبينهما بعد^{وهو} يبعد معه أن يجتمعا في كورة واحدة .

وأما البَحِيرَة ، فالظاهر أنه يريد بحيرة بُوَيْرِ المتقدم ذكرها في الكلام على القواعد القديمة ، ويأتي بقية الكلام عليها في الأعمال المستقرة إن شاء الله تعالى .
العاشرة - (كورة مَرِيُوطُ)^(٢) . ومريوط بفتح الميم وسكون الراء المهملة وضم الياء المثناة تحت وسكون الواو وطاء مهملة في الآخر ، وهي ناحية غربي الإسكندرية داخلية الآن في عملها ، بها الأشجار والبساتين ، وفواكهها تحمل الإسكندرية .

الحادية عشرة - (كورة لُوَيْبَة وَمَرَّاقِيَة) . أما لُوَيْبَة ، فبلام وواو وباء موحدة ثم ياء مثناة تحت وهاء في الآخر . قال في "الروض المعطار" : وهي كورة

(١) قال دقوت في كلامه على « إجنسا » : « ووجدته في غير نسخة من كتاب فتوح مصر بالجيم ، وأحفيت في السؤال عنه بمصر فلم أجده من غيره إلا بالخاء وقال الفصاحي وهو يعدد كوراخوف الغربي : وكورة إجننا ورشيد والبحيرة وجميع ذلك قرب الإسكندرية » وفي الأصل : « إجننا » وقد أوردناها بالجيم في الأثر لإثبات الروايتين والسياق يقتضيها .

(٢) سقطت النسخة من قلم الناشر وهي "كورة البنون" وقد ذكرها ابن دقاق في كتاب "الاتصار" .

من كُور مصر الغربية ، متصلة بالإسكندرية . قال : وقد قيل إن الإسكندر كان منها .
وأما مَرَّاقِيَّةُ ، فبميم وراء مهملة وألف وقاف وياء مشناة تحت وهاء في الآخر .
وقد ذكر القضاعي في تحديد الديار المصرية ما يقتضى أنهما بجوار بَرِّقَةَ ، فقال :
إن الذى يقع عليه اسم مصر من العريش إلى لُوييَّة ومَرَّاقِيَّة ، ثم قال : وفي آخر
أرض مَرَّاقِيَّة تلى أرض أنطابُلُس ، وهى بَرِّقَةَ : والظاهر أن لوييَّة غربى مربوط ،
ومَرَّاقِيَّة غربى لوييَّة ، وهى آخر أرض الديار المصرية من جهة الغرب .

الحيز الثالث

كُور القِبلة ، وفيها خمس كور :

الأولى - (كورة الطُور وفاران) . أما الطُور فضبطه معروف . قال في المشترك :
والطور في اللغة العبرانية اسم لكل جَبَل ، ثم صار علماً لجبال بعينها ، منها :
١٠ جبل طُورِزَيْتًا بلفظ الزيت ، وهو اسم لجبل برأس عين من بلاد الجزيرة ، وجبل
بالقُدس ، وجبل مُضَلَّ على طَبْرِيَّة ، وطُور هرون بالقُدس ، وطُور سينا ، وهو المراد
هنا ، وهو جبل داخل في بحر القلزم على رأسه دَيْرٌ عَظِيمٌ ، وفي واديه بساتين وأشجار ،
وهو على مَرَّحَلَةٍ من فُرُضَةِ الطور المتقدمة الذكر في تحديد بحر القلزم ، وكأنها سميت
بأسمه لقربها منه . قال ابن الأنباري في " كتابه الزاهر " : وسمى الطور بطُور بن
١٥ إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام .

وأما فاران ، فبناء مفتوحة بعدها ألف ثم راء مهملة بعدها ألف ثانية ثم نون ،
قال في " الروض المعطار " : وهى مدينة صغيرة من برالحجاز على جون على البحر .
قال : ولجبال فاران ذكر في التوراة .

الثانية - (كورة رَايَةَ والقُلزم) . أما راية فمن الأسماء التى جهلت ، وقد
٢٠ ذكرها ابن سعيد مقرونة بالقُلزم فقال : ورايَةُ والقُلزم من كور مصر .

وأما القُلُزُّمُ ، فقال في المشترك : هو بضم القاف وسكون اللام وضم الزاي المعجمة ثم ميم في الآخر، وهي مدينة قديمة على ساحل بحر القُلُزِّمِ وإليها ينسب البحر المذكور .

قال في "القانون" : وطولها ست وخمسون درجة وثلاثون دقيقة وعرضها ثمان وعشرون درجة وعشرون دقيقة ، وعلى القرب منها غرق فرعون .

الثالثة - (كورة أيلة وحيزها ، ومدین وحيزها ، والعونيد وحيزها ، والخوراء وحيزها) .

أما أيلة ، فقال في "تقويم البلدان" : هي بفتح الهمزة وسكون الياء المشاة تحت وفتح اللام وهاء في الآخر، قال : وهي كانت مدينة صغيرة خرابا على ساحل بحر القُلُزِّمِ . قال في "القانون" : طولها ست وخمسون درجة وأربعون دقيقة .

قال في "تقويم البلدان" : وبها زرع يسير، وهي مدينة اليهود الذين جعل منهم القردة والخنازير ، وعليها طريق حجاج مصر . قال : وهي في زماننا برج وبه وآل من مصر وليس بها مزدرع ، وكان بها قلعة في البحر فبطلت ونزل الوالى إلى البرج .

وأما مدین ، فضبطها معروف ، وهي في الأصل اسم لقبيلة شعيب عليه السلام وكانوا مقيمين بها فسميت البلد بهم ، وهي مدينة خراب على بحر القُلُزِّمِ محاذية لتبوك من بلاد الشام على نحو ست مراحل منها ، وعندها في "الروض المعطار" من بلاد الشام ، وبها البئر التي آستقى منها موسى عليه السلام لبنات شعيب وسقى غنمهن .

قال ابن سعيد : وسعة البحر عندها نحو مجرى .

وأما العونيد ، فبعين مهملة وواو وياء مشاة تحت ونون ودال . قال في "الروض المعطار" : وهي مدينة قريبة من نصف الطريق بين جدة والقُلُزِّمِ . قال : وعلى

القرب منها مرسى صننا ، ينحدر الماء بها عن أثر قدم من أوسط الأقدام بينة الكعب والأخص والأصابع لم يُعفها الزمان ، ولا تمنحى بمرور الماء عليها .
وأما الحوراء ، فبهاء مهملة مفتوحة بعدها واو ساكنة وراء مهملة مفتوحة ثم ألف في الآخر . قال في "الروض المعطار" : وهى مدينة على ساحل وادى الثورى بها مسجد جامع ، وبها ثمانية آبار عذبة ، وبها ثمار ونخل وأهلها عرب من جهينة وبلي .

قلت : والمعروف فى زماننا أن الحوراء منزلة بطريق حجاج مصر ، ولعلها على القرب منها .

الرابعة — كورة بدأ يعقوب وشعيب ، ولم أعلم حقيقة مكانهما .
قلت : ذكر القضاعى أيلة ومدين وما والاها مما على ساحل بحر القلزم من برالمجاز فى أعمال مصر جريا على ما قدمه من إدخال ذلك فى تحديد الديار المصرية ، على أنه قد أهمل من جملة الديار المصرية حيزين آخرين .

الحيز الأول

بلاد الواح

إذ هى داخله فى حدود الديار المصرية على ما حدده هو وغيره .
قال فى "اللباب" : وهى بفتح المهمزة وسكون اللام وفتح الواو وفى آخره حاء مهملة ، وقال فى "المشترك" : واح بغير ألف ولام ويجمع على واحات ، وهى ناحية غربى بلاد الصعيد منتطعة عنه خلف الجبل الغربى من جبل مصر المتقدم ذكرهما .
قال فى "مسالك الأبصار" : وهى بين مصر والإسكندرية والصعيد والنوبة والحبشة . قال فى "تقويم البلدان" : والبرارى محيطة بها من جميع جهاتها ، وهى بينها كالجزيرة ، بين رمال ومفاوز .

قال البكري: وهو إقليم مستقل غير مفتقر إلى سواه قال في "الروض المعطار":
وهي آحر بلاد الإسلام، وبينها وبين بلاد النوبة ستُّ مراحل . قال : وفي هذه
الأرض شَبَّية وزاجية وعيون حامضة الطعوم، ولكل نوع منها منفعة وخاصة، وبها
العيون الحارية، والبساتين، والثمار، والتمر الكثير، وبها مدن كثيرة مسورة
وغير مسورة .

قال في "المشترك" : وهي ثلاث كور : واح الأولى ، وواح الوسطى ،
وواح القصوى .

قلت : والأولى منها - مقابل الأعمال البهنساوية ، وهي أعمرها وأكثرها
ثمرة، ومنها يجلب التمر والزبيب الكثير، وتعرف بواح البهنسي وبالواح الخاص .
والثانية - مقابل شمالي الأعمال الأسيوطية، وتعرف بالواح الداخلة، وهي
تلو الواح الأولى في العمارة؛ بها مدُن مشهورة، منها السلمون والمنداو والقلمون
والقصير وغيرها .

والثالثة - مقابل جنوبي الواح الثانية، وتعرف بالواح الخارجة؛ وبين ريف
الصعيد وبين جميعها عرض جبل مصر الغربي، ومسيرته ثلاث مراحل فما دونها
بحسب اختلاف الأماكن والطرق .

قال في "التعريف" : وهي جارية في إقطاع أمراء مصر، وهم يولون عليها
من قبائلهم . قال : ومغلها كأنه مصالحة لعدم التمكن من استغلاله أسوة بقية ديار
مصر، لوقوعه منقطعا في البلاد النائية والقفار النازحة .

قال في "مسالك الأبصار" : ولا تعد في الولايات ولا الأعمال ، ولا يحكم
عليها من قبل السلطان .

الحَيِّزُ الثَّانِي

بَرْقَةٌ

بفتح الباء الموحدة وسكون الراء المهملة وفتح القاف وهاء في الآخر . قال
في "تقويم البلدان" : وهي من الإقليم الثالث . قال في "كتاب الأطوال" :
وطولها اثنتان وأربعون درجة وخمس وأربعون دقيقة ، وعرضها اثنتان وثلاثون
درجة . وهي أرض مُتَّسِعَةٌ الأرجاء ، مديدة القضاء ، وهي من أزكى الأراضي
دواب ، وأمراها مرعى .

قال في "مسالك الأبصار" : أخبرني بعض من رآها أنها شبيهة بأطراف الشام
وجبال نابلس في منابت أشجارها وكيفية أرضها وما هي عليه ، وأنها لو عمرت بالسكان
وتاهلت بالزراع ، كانت إقليما كبيرا يقارب نصف الشام ، قال : وبها الماشية والسائمة
الكثيرة : من الإبل والغنم والخيل ، وخيلها من أقوى الخيل وأصلبها حوافر ، وصورها
بين العرَابِ والبرادين ، وقد جمعت بين محسن العرَابِ وكمال تخاطبها ، وصلابة
البرادين وثباتها على الوُغُور ، وهي إلى محاسن العرَابِ أقرب ، ولكنها لا تبلغ شأوَ
خيل البحرين والمجاز ، وغولها أنجب من إناثها . قال : وكذلك بها المدن
المبينة ، والقصور العلية ، والآثار الدالة على ما كانت عليه من الجلالة .

قال ابن سعيد : وهي سلطنة طويلة ، وإن لم يكن لها استقلال لأستيلاء العرب
عليها ، وهي إلى إفريقية أقرب منها إلى مصر . قال : وكان سريرها في القديم بمدينة
(طَبْرَقَة) . وذكر صاحب "الروض المعطار" : أن قاعدتها كانت مدينة (أنطابلس) ،
وقد تقدم من كلام القضاة في تحديد الديار المصرية في آخر الحد الشمالي ما يوافقه .
قال في "مسالك الأبصار" : ومن مدنها طُمَّيْنَا . قلت : والتحقق أن بَرْقَةٌ
قسمان : قسم محسوب من الديار المصرية ، وهو ما دون العقبة الكبرى إلى الشرق .

وقسم محسوب من إفريقية، وهو ما فوق العقبة المذكورة إلى الغرب، وهذه المدن الثلاث مما يلي جهة المغرب، والقسمان كلاهما اليوم بيد العرب أصحاب الماشية. قال في "مسالك الأبصار": وربما زرع بعضهم في بعض أرضها فأنجب، ولكنهم أهل بادية لا عناية لهم بعناية ولا زرع. قال: وأمرها إلى صاحب مصر يقطعها بالمناشير تارة لبعض الأسماء وتارة للعرب يأخذون عدادها، وكأنه يريد القسم الذي هو من مصر.

الضرب الثاني

من كور الديار المعربية نواحيها وأعمالها المستقرة، ولها وجهان:

الوجه الأول

القبلي

وهو المعبر عنه بالصعيد؛ وقد تقدم بيانه في الكلام على الكور القديمة، وبه تسعة أعمال:

العمل الأول - الجيزية. وهو أقربها إلى القسطنطينية والقاهرة، ومقر ولايته مدينة الجيزة (بكسر الجيم وإسكان الياء المثناة تحت وفتح الزاي المعجمة وبعدها هاء) وموقعها في الإقليم موقع القسطنطينية، وطولها وعرضها واحد؛ وإليها ينسب الربيع الجيزي راوى الأم عن الشافعي رضي الله عنه.

قال في "الروض المعطار": ويقال إن بها قبر كعب الأخبار، وهي مدينة لطيفة على ضفة النيل الغربية مقابل جزيرة المقياس المتقدمة الذكر والنيل بينهما، وبعض هذا العمل يأخذ في جهة الشمال إلى الوجه البحري الآتي ذكره.

قال في "الروض المعطار": والجيزة آخطها عمرو بن العاص رضي الله عنه.

العمل الثاني - الإطْفِيحِيَّةُ . وهو شرق النيل في جنوب الفسطاط ، مُصَابِقُ بركة الحبش وبساتين الوزير . ومقر ولايته مدينة "إطْفِيح" (بكسر الهمزة وإسكان الطاء المهملة و الفاء والياء والحاء المهملة) وربما قلبت الطاء تاءً مثناةً فوقُ ، وهي مدينة لطيفة في البر الشرقي ، وموقعها في الإقليم الثالث ، ولم يتعززل على طولها وعرضها ، وعملها ما بين المقطم والنيل آخذاً عنها جنوباً وشمالاً ، وليس لعملها كبير ذكر .

العمل الثالث - البَهْنَسَاوِيَّةُ . وهو مما يلي عمل الجيزة من الجهة الجنوبية ، ومقر ولايته مدينة البهنسي . قال في "المشرك" : (بفتح الباء وسكون الهاء وفتح النون وسين مهملة مفتوحة وألف مقصورة) وهي مدينة لطيفة قديمة بالصعيد الأدنى بالبر الغربي من النيل تحت الجبل بطوق المزدرع مركبة على ضفة بحر الفيوم . وموقعها في الإقليم الثاني من الأقاليم السبعة .

قال في "الأطوال" : طولها إحدى وخمسون درجة وثلاثون دقيقة ، وعرضها ثمان وعشرون درجة .

العمل الرابع - الفَيُومِيَّةُ . وهو مُصَابِقُ لعمل البهنسي من غربيه ، وبينهما منقطع رمل . وهو من أعظم الأعمال وأحسنها عمارة ، كثير البساتين ، غزير الفواكه ، دار الأرزاق . يقال إنه كان متصل مياه الديار المصرية فأستخرجه يوسف عليه السلام وجعله ثمانمائة وستين قرية ليمر كل قرية منها بلد مصر يوماً من أيام السنة . قلت : وأما الآن فقد نقصت عدة قراه بسبب ما عراها من ركوب ماء البركة التي هي متصل مياهه ، المتقدم ذكرها في جملة بحيرات الديار المصرية وركوب ماءها على أكثر القرى المجاورة لها ، ولولا ما هو شامل له من بركة الصديق عليه السلام ؛

(١) كذا في الأصل بدون نقط ولعله مصحف عن متصل أى مكان العمل والرشح . وفي خطط المقرئى : وقد كان مفيض ماء النيل . وفي تقويم البلدان : كان في رهدة وقد سبى إليه نهر من رشح ماء النيل . وفي المسعودى : وكان مصفاة .

لكانت قد غَطَّتْ جميع بلاده . إذ المياه تنصبُّ إليها شتاءً وصيفا على ممرِّ الدهور
وتعاقب الأيام ، وليس لها مَصْرِفٌ تُصرف منه ضرورةً إحاطةً الجبال بها من
الجهات التي هي بصدد أن تُصرف منها ، ولقد آجتهد بعض حُكَّام الزمان على أن
يتحيل في عمل مَصْرِفٍ يُقَطَّع في الجبل لتصرف منه مياهها فلم يجد إلى ذلك سبيلا .
ولو كان ذلك في حيز الإمكان ، لفعله يوسف عليه السلام .

قال ابن الأثير في "عجائب الخلوقات" : ويقال إنه على جميع الفيوم سورٌ دائرٌ ،
ومقر ولأيته (مدينة الفيوم) وموقعها في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة .

قال في "القانون" : وطولها أربع وخمسون درجة وثلاثون دقيقة ، وعرضها
ثمان وعشرون درجة وعشرون دقيقة .

وقال في "تقويم البلدان" : القياس أن طولها ثلاث وخمسون درجة ، وعرضها
تسع وعشرون درجة ، وهي مدينة حسنة على ضفة البحر المنهى حسنة الأبنية ،
زاهية المعالم . وبها الجوامع والرُّبُط والمدارس ، وهي راكبة على الخليج المنهى من
جانبيه ، وهو مخترق وسطها . قال في "العزيرى" : وبين الفيوم والقُسطَاطِ
ثمانية وأربعون ميلاً .

العمل الخامس — عمل الأشمونين والطحاوية . وهو مصاب لعمل البهنسى
من جنوبيه ، وهو عمل واسع كثير الزرع ، واسع الفضاء ، متقارب القرى . ومقر
الولاية به (مدينة الأشمونين) بضم الألف وسكون الشين المعجمة وضم الميم وسكون
الواو وفي الآخر نون . وموقعها في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة على ما ذكره
في "تقويم البلدان" والإقليم الثاني على ما يقتضيه كلام المتر الشهابي بن فضل الله
في "مسالك الأبصار" حيث جعل آخر الإقليم الثاني دَهْرُوط من البهنساوية .

قال في "القانون" : طولها ست وخمسون درجة وعشرون دقيقة، وعرضها ست وعشرون درجة، وهي مدينة لطيفة بالبر الغربي من النيل، كانت في الأصل مدينة قديمة بناها أشمون بن قبطيم بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام، ثم خربت ودثرت، وبنيت هذه المدينة على القرب منها. وكان هذا العمل فيما تقدم عملين : أحدهما عمل الأشمونين هذا، والثاني عمل طحا المدينة (بفتح الطاء والحاء المهملتين وألف في الآخر) وقد تقدم ذكرها في الأعمال القديمة، ثم أضيفا وجعلا عملا واحدا.

العمل السادس - المنفلوطية، وهو مصابق لعمل الأشمونين من جنوبية، وهو من أخص خاص السلطان الجارى في ديوان وزارته، ومنه يحمل أكثر الغلال إلى الأهرام السلطانية بالفسطاط، ومقر ولايته (مدينة منفلوط). قال في "تقويم البلدان" : (بفتح الميم وسكون النون وفتح الفاء وضم اللام ثم واو وطاء همزة في الآخر). وموقعها في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة فيما ذكره في "تقويم البلدان" ومن أواخر الإقليم الثانى على ما يقتضيه كلام "مسالك الأبصار".

قال في "كتاب الأطوال" : وطولها اثنتان وخمسون درجة وعشرون دقيقة، وعرضها سبع وعشرون درجة وأربعون دقيقة، وهي مدينة لطيفة بالبر الغربي من النيل بالقرب من شطه.

العمل السابع - الأسيوطية، وهو مصابق لعمل منفلوط من جنوبية، وهو عمل جليل، ومقر الولاية به (مدينة أسيوط) بضم الألف وسكون السين وضم المثناة تحت وفي آخرها طاء مهملة. هكذا ضبطه السمعاني في "كتاب الأنساب" :

وذكرها في "الروض المعطار" في حرف الهمزة، ووقعت في شعر ابن الساعاتي
بغير ألف في قوله :

لِلَّهِ يَوْمٌ فِي سُيُوطٍ وَلَيْلَةٌ * عُمُرُ الزَّمَانِ بِمِثْلِهَا لَا يَغْلَظُ
يَتَنَاهَى ، وَالْبَدْرُ فِي غُلَوَانِهِ * وَلَهُ يُجْنِحُ اللَّيْلُ فَرْعًا أَشْمَطُ
وَالطَّيْرُ تَقْرَأُ ، وَالغَدِيرُ صَحِيفَةٌ ، * وَالرَّيْحُ تَكْتُبُ ، وَالْفَمَامُ يَنْقَطُ

وإثبات الألف فيها هو الجارى على السنة العاقمة بالديار المصرية ، والثابت
في الدواوين حذفها . وموقعها في الإقليم الثانى من الأقاليم السبعة .

قال في "الأطوال" : وطولها إحدى وخمسون درجة وخمس وأربعون دقيقة ،

وعرضها اثنتان وعشرون درجة وعشر دقائق . وهى مدينة حسنة فى البر الغربى من
النيل على مرحلة من منفلوط ، وبها مساجد ومدارس وأسواق وقياسر وحمامات .

العمل الثامن - (الإنجيمية) . وهو مصابف لعمل أسبوط من جنوبية ،

وهو عمل ليس بالكبير ، وبلاده أكثرها بالبر الغربى عن النيل ، وحاضرتة (مدينة

إنجيم) . قال فى "تنويم البلدان" : (بكسر الألف وسكون الحاء المعجمة والمثناة

تحت بين الميمين ، والأولى منهما مكسورة) وموقعها فى أواخر الإقليم الثانى من

الأقاليم السبعة .

قال فى "الأطوال" : وطولها إحدى وخمسون درجة وثلاثون دقيقة ،

وعرضها ست وعشرون درجة . وهى مدينة لطيفة بالبر الشرقى عن النيل على

مرحلتين من أسبوط ، وبها كانت البرابى العظام المتقدمة الذكر ، ويقال إن ذا النون

المصرى العابد الزاهد منها ، وولايتها مضافة إلى قوص .

العمل التاسع - القوصية . وهو مصابف لعمل أسبوط من جنوبية ، وهو

عمل متسع القضاء بعيد ما بين القرى ، ينتهى آخره إلى أسوان ، آخر الديار المصرية

في البر الشرقي والغربي، وهي بلاد التمر، ومنها يجلب إلى سائر البلاد المصرية، ومقر ولايته (مدينة قوص). قال في "المشرك": (بضم القاف وسكون الواو، وفي الآخر صاد مهملة) وموقعها في الإقليم الثاني من الأقاليم السبعة.

قال ابن سعيد: طولها سبع وخمسون درجة، وعرضها ست وعشرون درجة، وهي مدينة جليلة في البر الشرقي عن النيل، ذات ديار فائقة، ورباع أنيقة، ومدارس وربط وحمّات، يسكنها العلماء والتجار وذوو الأموال، وبها البساتين والحدائق المستحسنة إلا أنها شديدة الحر، كثيرة العقارب، حتى إنه يقبض لها من يدور في الليل في شوارعها بالمسارج لقتلها، ويقار بها في الكثرة أيضا سأم أبرص.

قال المقر الشهابي بن فضل الله في "مسالك الأبصار": أخبرني عز الدين حسن بن أبي المجد الصفدي أنه عد في يوم صائف على حائط الجامع بها سبعين سأم أبرص على صف واحد. ومما يدخل في عملها مما له ولاية مستقلة مدينة أسوان. قال السمعاني: (بفتح الهمزة وسكون السين المهملة وفتح الواو وبعدها ألف ونون) وخالف ابن خلكان في "تاريخه" فضبطه بضم الهمزة، وغلط السمعاني في فتحها. وهي مدينة في أوائل الحد الجنوبي من الديار المصرية، وموقعها في الإقليم الثاني من الأقاليم السبعة.

قال في "الأطوال": طولها اثنتان وخمسون درجة، وعرضها اثنتان وعشرون درجة وثلاثون دقيقة.

قال في "التانون": طولها سبع وخمسون درجة، وعرضها اثنتان وعشرون درجة وثلاثون دقيقة. وهي في البر الشرقي من النيل، ذات نخيل وحدائق، وهي من قوص على نحو خمس مراحل.

قال في "التعريف": وواليتها وإن كان من قبل السلطان فإنه نائب لوالي قوص.

قلت : أما الآن ، فقد صار لها وَاَلِ مستقلاً بنفسه لا حكم لوالى قُوص عليه ،
وسياتى الكلام عليها فى مراكب البريد ، ويأتى الكلام على ولايتها فى جملة الولايات
بالديار المصرية إن شاء الله تعالى .

الوجه الثانى

البحرى

وهو كل ما سفل عن القاهرة إلى البحر الرومى حيث مَصَّب النيل . وإنما
سمى بَحْرِيًّا لأن منتهاه البحر الرومى ، ولا يلزم من ذلك تسمية الجانب الشرقى من
الديار المصرية بَحْرِيًّا لأن نهايته إلى بحر التَّنْزِيم ، لأن آتياه إليه ليس حقيقتيا
لأنقطاع بحر التَّنْزِيم عن بلاد الديار المصرية بالجبال والبرارى الْمُقْفِرَةِ ، بخلاف بحر
الروم فإنه متصل بالبلاد مجاور لها فناسب النسبة إليه

قلت : وقد وقع للقرن الشهانى بن فضل الله فى " التعريف " فى بلاده وأعماله
من الوهم ما لا يليق بمصرى على ما سياتى بيانه فى موضعه إن شاء الله تعالى .
وهذا الوجه هو أرطَبُ الوجهين وأقلُّهما حراً ، وأكثرهما فاكهة وأحسنهما مدناً
ويشتهل على ثلاث شعب تحوى سبعة أعمال

الشعبة الأولى

شرقى الفرفة الشرقية من النيل

وفىها أربعة أعمال :

العمل الأول - الضواحي : جمع ضاحية ، وهى فى أصل اللغة البارزة
للشمس ، وكأنها سميت بذلك ابروز قَرَّها للشمس ، بخلاف المدينة لغابة الكن بها ،
وهى ما يجاور القاهرة من جهة الشمال من القرى ، وولايتها مضافة إلى ولاية
القاهرة وداخلية فى حكمها ، وأيسر منفردة بتمتد ولاية غيرها .

العمل الثاني - القليوبية . وهو مصاب للضواحي من شماليها مما يلي جهة النيل ، وهو عمل جليل ، حسن القرى ، كثير البساتين ، غزير الفواكه . ومتر الولاية به (مدينة قليوب) - بفتح القاف وإسكان اللام وضم المشنة تحت وسكون الواو وباء موحدة في آخرها - وموقعها في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة ، ولم يتحرر لي طولها وعرضها ، غير أنها من القاهرة في جهة الشمال على نحو فرسخ ونصف من القاهرة .

قلت : ومن بلادها بلدتنا (قَلْقَشَنَدَة) وهي بلدة حسنة المنظر ، غزيرة الفواكه ، وإليها ينسب الليث بن سعد الإمام الكبير ، وقد ذكر ابن يونس في " تاريخه " : أنه ولد بها . قال : وأهل بيته يذكرون أن أصله من فارس ، وليس لما يقولونه ثبات عندنا .

قال ابن خلكان : (بفتح القاف وسكون اللام وفتح القاف الثانية والشين المعجمة وسكون النون وفتح الدال المهملة وبعدها هاء ساكنة) وهكذا هي مكتوبة في دواوين الديار المصرية ، وأبدل ياقوت في " معجم البلدان " اللام راء ، وهو الجاري على السنة العامة ، وعليه جرى القضاعي فيما رأيت مكتوباً في " خططه " : قال ابن خلكان : وهي على ثلاثة فراسخ من القاهرة [وهي بلدة حسنة المنظر ، كثيرة البساتين ، غزيرة الفواكه وإليها ينسب الليث بن سعد الإمام الكبير . قال ابن يونس في " تاريخه " : ولد بها ، ثم قال : وأهل بيته يذكرون أن أصله من فارس وليس لما يقولونه ثبات عندنا . وذكر] .

وقال القضاعي في " خططه " في الكلام على دار الليث بالفسطاط . وكان له دار بقرقشندة بالريف ، بناها فهدمها ابن رفاعه أمير مصر عناداله ، وكان ابن عمه ،

(١) ما بين الربيعين تقدم بلفظه في هذه الصفحة فهو مكرر .

فبناها الليثُ ثانياً فهدمها ، فلما كانت الثالثة ، أتاه آتٍ في منامه فقال له ياليتُ :
 ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِيَعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَاهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾
 فأصبح وقد أفلجَ ابنُ رِفاعَةَ فأوصى إليه ومات بعد ثلاث . وبقى الليثُ حتى توفى
 في منتصف شعبان سنة خمس وسبعين ومائة ، وصلى عليه موسى بن عيسى الهاشمي
 أمير مصر للرشيد .

وترجم له ابن خلكان بالأصبهاني ، ثم قال في آخر ترجمته : ويقال إنه من قَلْقَشَنَدَةَ .
 قلت : وما قاله ابن يونس أثبت ، ويجب الرجوع إليه لأمرين : أحدهما
 أنه مصري وأهل البلد أخبر بحال أهل بلدهم من غيرهم . الثاني أنه قريب من زمن
 الليث فهو به أدري ، إذ يجوز أن يكون أصله من أصبهان ، ثم نزل آباؤه قَلْقَشَنَدَةَ
 المذكورة وولد بها وسكنها ، فنسب إليها كما وقع في كثير من النسب ، وإعادة داره
 بها بعد هدمها ثلاث مرات على ما تقدم ذكره في كلام القضاعي دليل اعتناؤه
 بشأنها وميله إليها ، وحيدئذ فلا منافاة بين النسبتين .

وذكر في "الروض المعطار" أنه كان له ضيعة على القرب من رشيد من بلاد
 الديار المصرية ، يدخل عليه منها في كل سنة خمسون ألف دينار لم تجب عليه فيها زكاة .
 العمل الثالث - الشرقية . وهو مصاقب للضواحي من شمالها مما يلي جهة

المُقَطَّم ، والقلبيوية من جهة الشمال أيضا ، وهو من أعظم الأعمال وأوسعها . إلا
 أن البساتين فيه قليلة بل تكاد أن تكون معدومة ، لآتصاله بالسبخ وبداوة غالب
 أهله ، وأحر العمران فيها من جهة الشمال الصالحية ، وما وراء ذلك منقطع رمال
 على ما تقدم ذكره في المنقطع عنها من جهة الشرق ، ومقر ولايته مدينة بلبليس .
 قال في "تقويم البلدان" : (بكسر الباء الموحدة وسكون اللام وفتح الباء الموحدة

(١) قال في القاموس : " بلبليس كفرتيق وقد يفتح أوله بـ بصر " وضبطه باقوت بكسر الهمزة وسكون اللام .

وسكون المشاة تحت ثم سين مهملة) . كذا ذكره ، والجارى على الألسنة ضم الباء في أولها ، وموقعها في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة .

- قال في "تقويم البلدان" : والقياس أن يكون طولها أربعاً وخمسين درجة وثلاثين دقيقة ، وعرضها ثلاثين درجة وعشر دقائق . وهي مدينة متوسطة بها المساجد والمدارس والأسواق ، وهي محط رحال الدرب الشامى . وفي الركن الشمالى الجنوبى من هذا العمل (بنيها) . قال النووى في شرح مسلم : بكسر الباء والمعروف فتحها ، وهي البلدة التي أهدى المقوقس إلى النبي صلى الله عليه وسلم من عسليها ؛ وفي آخره من جهة الشرق (قطياً) يفتح القاف وسكون الطاء المهملة وفتح الياء المشاة تحت وألف في الآخر . كذا وقع في "التعريف" و"مسالك الأبصار" . وفي "تقويم البلدان" : إبدال الألف في آخره بهاء ، وهي قرية بالرمل المعروف بالحفار على طريق الشام على القرب من ساحل البحر الرومى . قال في "التعريف" : وقد جعلت لأخذ الموجبات ، وحفظ الطرقات ، وأمرها مهم ، ومنها يطالع بكل صادر ووارد .

- العمل الرابع - (الدقهلية والمرتاحية) . وهو مصاقب لعمل الشرقية من جهة الشمال ، وأواخره تنتهى إلى السباح وإلى بحيرة تبنس المتصلة بالطينة من طريق الشام ، ومقر الولاية به (مدينة أشموم) بضم الهمزة وإسكان الشين المعجمة وبعدها ميم ثم واو وميم ثانية ، كما ضبطه في "تقويم البلدان" ونقله عن خط ياقوت في "المشترك" والذي في "اللباب" إبدال الميم في آخرها بنون ، وعجزاه في "تقويم البلدان" للعامة .

- قال في "تقويم البلدان" : والقياس أن طولها أربع وخمسون درجة ، وعرضها إحدى وثلاثون درجة وأربع وخمسون دقيقة . وهي مدينة صغيرة على ضفة الفرقة

التي تذهب إلى بُحيرة تَنيس من فرقة النيل الشرقية من الجهة^(١)؛ وبآخر هذا العمل (مدينة دِمياط) بكسر الدال المهملة وسكون الميم وياء مثناة من تحت وألف وطاء، قال في "الأطوال": طولها ثلاث وخمسون درجة وخمسون دقيقة، وعرضها إحدى وثلاثون درجة وخمسة وعشرون دقيقة.

وقال ابن سعيد: طولها أربع وخمسون درجة، وعرضها إحدى وثلاثون درجة وعشرون دقيقة، وهي واقعة في الإقليم الثالث؛ وهي مدينة حسنة عند مصب الفرقة الشرقية من النيل في بحر الروم، ذات أسواق وحمامات، وكان عليها أسوار من عمارة المتوكل: أحد خلفاء بني العباس، فلما تسلطت عليها الفرنج وملكها مرة بعد مرة، تحرّبت المسلمون أسوارها في سنة ثمان وأربعين وستمئة خوفا من استيلائهم عليها، وهي على ذلك إلى الآن، ولها ولاية خاصة بها.

الشعبة الثانية

غربي فرقة النيل الغربية؛ وفيها عملاق:

العمل الأول — عمل البحيرة، وهو مما يلي عمل الجزيرة المقدم ذكره من الجهة البحرية، وهو عمل واسع، كثير القرى، فسيح الأرضين، ومقر ولايته (مدينة دَمَهْوَر) — بفتح الدال المهملة والميم وسكون النون وضم الهاء وسكون الواو وفي آخرها راء مهملة — وتعرف بدمَهْوَر الوَحْش، وهي مدينة متوسطة ذات مساجد ومدارس وأسواق وحمامات، وموقعها في الإقليم الثالث؛ ولم يتحرر لي حوفا وعرضها، غير أنها على نحو مرحلة من الإسكندرية بين الشرق والجنوب فيعتبر طولها وعرضها منها بالتقريب.

قلت: ويدخل في هذا العمل حوفا رمسيس والكفور الشاسعة

(١) اوجه من الجهة الشرقية.

- ١٠ العمل الثاني — عمل المزامتين . وهو ما جاور خليج الإسكندرية من جهة الشمال إلى البحر الرومي ، وبعضه بالبر الشرقي من النيل ، وحاضرتة (مدينة فوة) . قال في "تقويم البلدان" : بضم الفاء وتشديد الواو ؛ وهي مدينة متوسطة بالبر الشرقي من فرقة النيل الغربية يقابلها جزيرة لها تعرف بجزيرة الذهب ذات بساتين وأشجار ومنظر رائع ، وليس بها ولاية . وإنما يكون بها شاد للخاص ، يتحدث في كثير من أمور الولاية ، وهي في الحقيقة كإحميم مع قوص
- ويلى هذين العمليين غربا بشمال (مدينة الإسكندرية) — بكسر الهمزة وسكون السين المهملة وفتح الكاف وسكون النون وفتح الدال وكسر الراء المهملتين وتشديد الياء المثناة تحت المفتوحة وهاء في الآخر — وموقعها في الإقليم الثالث .
- ١١ قال في كتاب "الأطوال" : طولها إحدى وخمسون درجة وأربع وخمسون دقيقة ، وعرضها ثلاثون درجة وثمان وخمسون دقيقة ، وقد تقدم القول على أصل عمارتها في الكلام على قواعد الديار المصرية قبل الإسلام .
- وهي الآن بالنسبة إلى ما تشهد به التواريخ من بنائها القديم جزء من كل ، وهي مع ذلك مدينة رائعة المنظر ، حسنة الترصيف ، مبنية بالحجر والكلين ، مبيضة البيوت ظاهرا وباطنا كأنها حمامة بيضاء ، ذات شوارع مشرعة ، كل خط قائم بذاته كأنها رُقعة الشطرنج ، يستدير بها سوران منيعان ، يدور عليهما من خارجهما خندق في جوانب البلاد المتصلة بالبر ، ويتصل البحر بظاهرها من الجانب الغربي مما يلي الشمال إلى المشرق حيث دار النيابة ، وبهما أبراج حصينة عليها الستائر المسترة والمجانيق المنصوبة .
- ١٢ قال ابن الأثير في "عجائب المخلوقات" : ويقال إن منارها كان في وسط البلد وإن المدينة كانت سبع محجّات ، وإنما أكلها البحر ، ولم يبق إلا محجة واحدة ،

وهي المدينة الباقية الآن وصار مكان النار منها على مسيرة ميل . قال : ويقال إن مساجدها أُحصيت في وقت من الأوقات فكانت عشرين ألف مسجد ، وبها الجوامع والمساجد ، والمدارس ، والخوانق ، والرُّبُط ، والزوايا ، والحمامات ، والديار الجليلة ، والأسواق الممتدة . وفيها يُنسج القماش الفائق الذي ليس له نظير في الدنيا ، وإليها تهوى ركائب التجار في البر والبحر ، وتير من قماشها جميع أقطار الأرض ، وهي فُرْصَةٌ بلاد المغرب ، والأندلس ، وجزائر الفرنج ، وبلاد الروم ، والشام . وشرب أهلها من ماء النيل ، من صهاريج تملأ من الخليج الواصل إلى داخل دورها ، وأستعمال الماء لعامة الأمر من آبارها ، ويجنبات تلك الآبار والصحاريح بالوعات تصرف منها مياه الأمطار ونحوها ، وبها البساتين الأنيقة ، والمستنزهات الفائقة ، ولهم بها القصور والجوايق الدقيقة البناء ، المحكمة الجُدُر والأبواب ، وبها من الفواكه والثمار ما يفوق فواكه غيرها من الديار المصرية حسنا مع رخص الثمن ، وليس بها مزارع ولا لها عمل واسع ، وإن كانه متحصّلا بمدل أعمالها : من واصل البحر وغيره ، وهي أجل ثغور الديار المصرية ، لا يزال أهلها على يقظة من أمور البحر والأحتراز من العدو الطارق ، وبها عسكر مستخدم لحفظها .

قال في "مسالك الأبصار" : وليس بالديار المصرية مدينة حاكمها موسوم بنبابة السلطنة سواها .

قلت : وهذا فيما تقدم حين كانت النيابة بها صغيرة في معنى ولاية . أما من حين طرفها العدو المخدول من الفرنج في سنة سبع وستين وسبعائة وأجتاح أهلها وقتل وسي ، فإنها أستقرت من حينئذ نيابة كبرى تضاهي نيابة طرابلس وحمّة وما في معناهما ، وهي على ذلك إلى الآن ، وسيأتي الكلام على نيابتها في الكلام على ترتيب المملكة فيما بعد إن شاء الله تعالى .

الشعبة الثالثة

ما بين فرقتي النيل الشرقية والغربية، وهو جزيرتان :

الجزيرة الأولى — جانبها الشرقي يمتد في طول فرقة النيل الشرقية إلى مصبه في البحر الملح حيث دُمياط بالقرب منها ، وجانبها الغربي يمتد في طول فرقة النيل الغربية إلى نُجَاه أبي نُشَابَة من عمل الجزيرة فينشأ بحرُ أبيار المتقدّم ذكره، ويمتد في طولها إلى قرية الفرسق خارج الجزيرة من الغرب فيتصل بفرقة النيل التي تفرع منها على ما تقدم، ويمتد في طولها إلى مصبه في البحر الملح حيث رشيد .

وتشتمل هذه الجزيرة على عمليتين :

العمل الأول — المنوفية . وأوله من الجنوب من القرية المعروفة بِسَطْنُوف

على أول الفرقة الغربية من النيل ، ومقر ولايته (مدينة منوف) — بضم الميم^(١) والنون وسكون الواو وفاء في الآخر — وهي مدينة إسلامية بنيت بدلا من مدينة قديمة كانت هناك قد نخرت الآن وبقيت آثارها كيانا ، وولايتها من أنفس الولايات ، وقد أضيف إليها عمل أبيار، وهو جزيرة بني نصر الآتي ذكرها فيما بعد إن شاء الله تعالى ، وهي مدينة حسنة ذات أسواق ومساجد، ومسجد جليل للخطبة، وحمام، وخانات .

قلت : وربما غلط فيها بعض الناس فظن أنها منف المتقدمة الذكر في الكلام على قواعد مصر القديمة، وبينهما بُعد كثير، إذ منف المتقدمة الذكر جنوبي الفسطاط على اثني عشر ميلا منه كما تقدم ذكره ، وهذه شمالي الفسطاط والقاهرة في أسفل الأرض .

(١) ضبطها ياقوت والقاموس بالفتح وتبعناهما في كثير من المواضع .

العمل الثاني - الغربيّة . وهو مصّاقبٌ للنوفية من جهة الشمال ، ويمتدّ إلى البحر الملح بين مصبى النيل إلا ما هو من عمل المزارحتين على فرقة النيل الغربية من الشرق وهو عمل جليل القدر ، عظيم الخطر ، به البلاد الحسنة ، والقرى الزاهية ، والبساتين المتراكبة وغير ذلك ، وفي آخره مما يلي بحر الروم موقع نغر البرّس .

ويندرج فيه ثلاث أعمال أخر كانت قديمة ، وهى القويسنيّة ، والسمنودية ، والدنجاوية ، ومقر ولايته (مدينة المحلّة) . قال فى "المشرك" : - بفتح الميم والحاء المهملة وتشديد اللام ثم هاء فى الآخر - وتعرف بالمحلّة الكبرى ، وقد غلب عليها اسم المحلّة حتى صار لا يفهم عند الإطلاق إلا هى .

قلت : ووقع فى "التعريف" : التعبير عنها بحلّة المرحوم وهو وهم ، وإنما هى قرية من قراها .

قال فى "المشرك" : ويقال لها محلّة الدقلا (بفتح الدال المهملة والقاف) وهى مدينة عظيمة الشأن ، جليلة المقدار ، رائقة المنظر ، حسنة البناء ، كثيرة المساكن ، ذات جوامع ، ومدارس ، وأسواق ، وحمامات ، وهى تعادل قوص من الوجه القبلى فى جلاله قدرها ، ورياسة أهلها ، ويفرق بينهما بما يفرق به بين الوجه القبلى والوجه البحرى من الرطوبة واليبوسة .

الجزيرة الثانية - ما بين بحر أبيار المتقدم ذكره وبين الفرقة الغربية من النيل ، وتعرف بجزيرة بنى نصر ، وهى عمل واحد ، وحاضرته (مدينة أبيار) - بفتح الهمزة كما قاله فى "الروض المعطار" وإسكان الباء الموحدة وفتح المشاة تحت وبعدها ألف ثم راء مهملة - وهى مدينة لطيفة حسنة المنظر يعمل فيها القماش الفائق من المحررات وغيرها ، وموقعها فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة ، ولم يتحرر لى طولها ولا عرضها ، وهى مضافة إلى ولاية منوف ، وليس بها الآن ولاية مستقلة .

الفصل الثالث

فيمن ملك الديار المصرية ، جاهليةً وإسلاماً .

قال السلطان عماد الدين صاحب حماة في "تاريخه" : وكانت أهل مصر
أهل ملك عظيم في الدهور الخالية والأزمان السالفة ، ما بين قبطن و يوناني
وعمليق ، وأكثرهم القبط . قال : وأكثر من تملك مصر الغرباء .
وهم على ثلاثة مراتب :

المرتبة الأولى

من ملكها قبل الطوفان ، وقل من تعرّض له من المؤرخين

قد تقدّم في الكلام على ابتداء عمارة مصر أن أول من عمّرها قبل الطوفان

- نقراووس بن مصريم بن براجيل بن رزائيل بن غريباب بن آدم عليه السلام ، ومعنى
نقراووس بالسريانية ملك قومه ، وهو الذي عمّر مدينة أمسوس أول قواعد مصر
المتقدّم ذكرها ؛ ثم ملكها بعده ابنه نقراووس الثاني مائة وسبع سنين ؛ ثم ملكها
بعده أخوه مصرام بن نقراووس الأول ؛ ثم ملكها بعده عنقاص الكاهن ولم تطل
مدّة ملكه ؛ ويقال إن إدريس عليه السلام رُفِعَ في زمانه ؛ ثم ملكها بعده ابنه
خرناق ؛ ثم ملك بعده رجل من بني نقراووس اسمه لوجيم ؛ ثم ملك بعده رجل اسمه
خصليم ، وهو أول من عمل المقياس للنيل على ما تقدّم ذكره ؛ ثم ملك بعده ابنه
هرصال ، ومعناه بالسريانية خادم الزهرة ، وهي مدينة شرق النيل ، وعمل سرباً
تحت النيل إليها ، وهو أول من عمل ذلك وأقام في الملك مائة وأربعاً وثلاثين سنة ،
ويقال إن نوحا عليه السلام ولد في زمانه ؛ ثم ملك بعده ابنه بدرسان ؛ ثم ملك بعده
أخوه شمروود ، وكان طوله فيما يقال عشرين ذراعاً ؛ ثم ملك بعده فرسيدون بن
بدرسان المتقدّم ذكره مائة وستين سنة ؛ ثم ملك بعده ابنه شرناق مائة وثلاث سنين

ثم ملك بعده أبنة سهلوق مائة وتسع سنين ؛ ثم ملك بعده أبنة سوريدين ، وهو الذى بنى الأهرام العظام بمصر على ما تقدم ذكره فى الكلام على عجائب مصر وخواصها ؛ ثم ملك بعده أبنة هر جيب نيفاً وسبعين سنة ، وهو الذى بنى الهرم الأول من أهرام دهشور ؛ ثم ملك بعده أبنة مناوش ثلاثا وسبعين سنة ؛ ثم ملك بعده أبنة أفرس أربعة وستين سنة ؛ وفى أيامه حصل القحط العظيم ، وسلطت الوحوش والتامسح على الناس ، وأعقمت الأرحام حتى يقال إن الملك تزوج ثلثمائة امرأة يعنى الولد فلم يُولد له ، وذلك مقدمة الطوفان ؛ ثم ملك بعده رجل من أهل بيت الملك اسمه أرمالينوس ؛ ثم ملك بعده ابن عمه فرعان ، وهو أول من لقب بلقب الفراعنة ، وكان قد كتب إلى ملك بابل يشير عليه بقتل نوح عليه السلام ، وفى زمنه كان الطوفان وهلك فيمن هلك .

المرتبة الثانية

من ملكها بعد الطوفان إلى حين الفتح الإسلامى
وللؤرخين فى ذلك خلف كثير ، وقد جمعت بين كلام التواريخ التى وقفت
عليها فى ذلك ، وهم على طبقات :

الطبقة الأولى

ملوكها من القبط

قد تقدم فى الكلام على ابتداء عمارتها أن أول من عمرها بعد الطوفان بيصر بن
حام بن نوح عليه السلام ، وكان بيصر قد كبر سنه وضعف ، فأقام يسيراً ثم مات ،
فدفن فى موضع دير أبى هرميس غربى الأهرام . قال القضاعى : ويقال إنها أول
مقبرة دفن فيها بأرض مصر ؛ وملك بعده أبنة مصر فعمر وطالت مدة ملكه ،

- وعمرت البلاد في أيامه وأكثر خيرها، ثم مات؛ وملك بعده أبنه (قبطيم)، وإليه يُنسب القبط، ويقال إنه أدرك ببللة الألسن التي كانت بعد نوح عليه السلام، وهي ریح خرجت عليهم ففرقت بينهم وصار كل منهم يتكلم بلغة غير لغة الآخر، وخرج منها باللغة القبطية؛ ثم ملك بعده أبنه (قفت)، وهو الذي بنى مدينة قفت بالصعيد الأعلى وسماها بأسمه، وآثارها باقية إلى الآن؛ ثم ملك بعده أخوه (أشمن)، وهو الذي بنى مدينة الأشمونين المتقدم ذكرها بالوجه القبلي، وطالت مدته حتى نُقل أنه بقى ثمانمائة سنة، وقيل ثمانمائة وثلاثين؛ ثم ملك بعده أخوه (أتريب)، وهو الذي بنى مدينة أتريب المتقدم ذكرها بالوجه البحري من الديار المصرية؛ ثم ملك بعده أخوه (صا)، وهو الذي بنى مدينة صا المتقدم ذكرها بالوجه البحري أيضا؛ ثم ملك بعده (قفطريم) بن قفت، ويقال: إنه الذي وضع أساس الأهرام الدهشورية غير الهرم الأول الذي بناه هر جيب المتقدم ذكره قبل الطوفان، وهو الذي بنى مدينة دندري بالصعيد الأعلى، وآثارها باقية إلى الآن؛ ثم ملك بعده أبنه (بودشير)، وهو الذي أصاح جنبتى النيل بهندسته؛ ثم ملك بعده أبنه (عديم) ثم ملك بعده أبنه (شدات)، وهو الذي تم الأهرام الدهشورية التي وضع أساسها قفطريم المتقدم ذكره. ويقال: إن مدينة شطب التي بالقرب من مدينة أسبوط بنيت في أيامه، وآثارها باقية إلى الآن، وهو أول من ولع بالصيد وأخذ الجوارح والكلاب السلوقية، وعمل البيطرة من ملوك مصر، ومات عن أربعين سنة؛ ثم ملك بعده أبنه (مقاوش)، ويقال: إنه أول من عمل له الحمام بمصر؛ ثم ملك بعده أبنه (مناوش) وطالت مدته في الملك حتى بقى فيما يقال ثمانمائة سنة، وقيل ثمانمائة وثلاثين سنة؛ ثم ملك بعده (مقاوش) بن أشمن نيفا وأربعين سنة، وقيل ستين سنة، وهو أول من عمل له الميدان بمصر، وأول من بنى البيارستان لعلاج المرضى، وفي أيامه بنيت مدينة سنترية

بِالْوَأَحَاتِ ؛ ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ ابْنُهُ (مَرْقُورِد) نَيْفَا وَثَلَاثِينَ سَنَةً ، وَفِي كِتَابِ الْقِبْطِ أَنَّهُ أَوَّلُ
 مِنْ ذَلِكَ السَّبَاعِ وَرَكِبَهَا ؛ ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ (بِلَاطُس) خَمْسًا وَعِشْرِينَ سَنَةً ؛ ثُمَّ مَلَكَتْ
 بَعْدَهُ بِنْتُ مِنْ بَنَاتِ أَتْرِيْبٍ خَمْسًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً ، وَهِيَ أَوَّلُ مَنْ مَلَكَ مِصْرَ مِنَ
 النِّسَاءِ ؛ ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهَا أَخُوهَا (قَلِيمُون) تِسْعِينَ سَنَةً ، وَفِي أَيَّامِهِ بَنِيَتْ مَدِينَةُ دِمِيَاطَ
 عَلَى اسْمِ غُلَامٍ لَهُ كَانَتْ أُمُّهُ سَاحِرَةً لَهُ ، وَفِي أَيَّامِهِ بَنِيَتْ أَيْضًا مَدِينَةُ تِنِّيَسَ ؛ ثُمَّ مَلَكَ
 بَعْدَهُ ابْنُهُ (فِرْسُون) مِائَتَيْنِ وَسِتِّينَ سَنَةً ؛ ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ ثَلَاثَةُ مَلُوكٍ أَوْ أَرْبَعَةٌ لَمْ يَعْين
 أَسْمَهُمْ ؛ ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُمْ (مَرْقُونِس) الْكَاهِنُ ثَلَاثًا وَسَبْعِينَ سَنَةً ؛ ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ ابْنُهُ
 (الِيسَاد) خَمْسًا وَسَبْعِينَ سَنَةً ؛ ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ ابْنُهُ (حِصَا) وَأَكْثَرُ الْقِبْطِ تَزْعُمُ أَنَّهُ أَخُوهُ ، نَيْفَا
 وَثَلَاثِينَ سَنَةً ؛ ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ ابْنُهُ (نِدْرَاس) ، وَهُوَ الَّذِي حَفَرَ خَلِيجَ سِنَّا الْمَتَقَدِّمِ ذَكَرَهُ
 فِي خُطْبَانِ مِصْرِ الْقَدِيمَةِ ؛ ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ ابْنُهُ (مَالِيْق) ، وَيُقَالُ : إِنَّهُ خَالَفَ دِينَ آبَائِهِ
 فِي عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ ، وَدَانَ بِدِينِ التَّوْحِيدِ . وَلَمَّا أَحْسَسَ بِالمَوْتِ ، صَنَعَ لَهُ نَاقُوسًا
 وَكَتَمَ مَعَهُ كَنْوزًا عَظِيمَةً ، وَكُتِبَ عَلَيْهَا أَنَّهُ لَا يَسْتَخْرِجُهَا إِلَّا أُمَّةَ النَّبِيِّ الَّذِي يَبْعَثُ
 فِي آخِرِ الزَّمَانِ ؛ ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ ابْنُهُ (حَرِيَا) ، وَفِي بَعْضِ التَّوَارِيخِ حَرَايَا خَمْسًا وَسَبْعِينَ
 سَنَةً ؛ ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ ابْنُهُ (كَلِكِن) ، وَفِي بَعْضِ التَّوَارِيخِ كَلِكِي نَحْوًا مِنْ مِائَةِ سَنَةٍ ، وَهُوَ
 أَوَّلُ مَنْ أَظْهَرَ عِلْمَ الْكِيمِيَاءِ بِمِصْرَ ، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ مَكْتُومًا ، وَفِي زَمَانِهِ كَانَ التَّمْرُودُ
 بِأَرْضِ بَابِلَ مِنَ الْعِرَاقِ ؛ ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ أَخُوهُ (مَالِيَا) ؛ ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ (حَرِيَا) بِنُ مَالِيْقِ ؛
 ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ (طُوطِيْس) بِنُ مَالِيَا ، وَفِي بَعْضِ التَّوَارِيخِ طُوطِيْسٌ سَبْعِينَ سَنَةً ،
 وَفِي بَعْضِ التَّوَارِيخِ أَنَّهُ مَلَكَ بَعْدَ أَبِيهِ مَالِيَا ، وَالْقِبْطُ تَزْعُمُ أَنَّ الفِرَاعِنَةَ سَبْعَةٌ هُوَ أَوْلَهُمْ ،
 وَهُوَ الَّذِي أَهْدَى هَاجَرَ لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، ثُمَّ مَلَكَتْ بَعْدَهُ أُخْتُهُ (حُورِيَا) ، وَهِيَ
 الَّتِي بَنَى لَهَا جِيْرُونَ الْمُؤْتَفِكِي صَاحِبُ الشَّامِ مَدِينَةَ الْإِسْكََنْدَرِيَّةِ حِينَ خَطَبَهَا عَلَى
 أَحَدِ الْأَقْوَالِ فِي عِمَارَتِهَا لِجَعْلِهَا مَهْرًا لَهَا ، ثُمَّ أَحْتَالَتْ عَلَيْهِ فَسَمَّتْهُ هُوَ وَجَمِيعَ عَسْكَرِهِ

في خلع فماتوا؛ ثم ملكت بعدها بنت عمها (زلفى) ويقال دلفه بنت مأموم؛ ثم ملك بعدها (أيمين) الأثري، وهو آخر ملوك القبط من هذه الطبقة . والذي ذكره القضاعى وغيره أنه ملكها بعد وفاة بيصر أبنة مصر، ثم قنيط بن مصر، ثم أخوه أشمن، ثم أخوه أثريب، ثم أخوه صا، ثم أبنته تدراس، ثم أبنته ماليق، ثم أبنته حريدا، ثم أبنته كلكن، ثم أخوه مالبا، ثم حربيا، ثم طوطيس بن مالبا، ثم أبنته حوريا، وهى أول من ملكها من النساء، ثم أبنة عمها زلفى، ومنها أتت زعتها العالقة الآتى ذكرهم .

الطبقة الثانية

ملوكها من العاليق ملوك الشام

- ١٠ أول من ملكها منهم (الوليد) بن دومع العمليق، وقال السهيلي: الوليد بن عمرو ابن أراشة. اقتلعها من أيمين: آخر ملوك القبط المتقدم ذكره، وهو الفرعون الثانى عند القبط، وقيل هو أول من سمي بفرعون، وقام فى الملك مائة وعشرين سنة؛ ثم ملك بعده أبنته (الريان) مائة وعشرين سنة، والقبط تسميه نهر اوس، وهو الفرعون الثالث عند القبط، ونزل مدينة عين شمس، وكانت الملوك قبله تنزل مدينة منيف، وفى أيامه وصل يوسف عليه السلام إلى مصر، وكان من أمره ما قصه الله تعالى فى كتابه . ويقال: إنه آمن بيوسف عليه السلام؛ ثم ملك بعده أبنته (دارم) ويقال دريوس، وهو الفرعون الرابع عند القبط، وفى أيامه توفى يوسف عليه السلام، وفى أيامه ظهر بمصر معدن فضة على ثلاثة أيام فى النيل؛ ثم ملك بعده أبنته (معدان) ويقال معاديريس، وهو الفرعون الخامس عند القبط، إحدى وثلاثين سنة؛ ثم ملك بعده أبنته (أقسامس) وهو الفرعون السادس عند القبط، وبعضهم يزعم أن منارة الإسكندرية بنيت فى زمنه، وأهل الأثر يسمونه كاسم، وربما قالوا كاسم،
- ١٥
- ٢٠

ثم ملك بعده آبنه (لاطس) ؛ ثم ملك بعده رجل اسمه (ظلمنا) كان من عماله نخرج عليه فقتله وملك مكانه ، وهو الفرعون السابع عند القبط ، وهو فرعون موسى .

قال المسعودي : وهو الوليد بن مصعب الموجود في كتب الأثر ، والوليد بن مصعب هو فرعون موسى ، وهو الوليد بن مصعب بن عمرو بن معاوية بن أراشة ، يجتمع مع الوليد بن دومع في أراشة ، وهو آخر من ملك مصر من العاقلة ، وبعضهم يقول ظلمنا بن قومس من ولد أشمون أحد ملوك القبط المتقدم ذكرهم ؛ وعلى هذا فيكون فرعون موسى من القبط ، وهو أحد الأقوال فيه ، وهو الذي يعول عليه القبط ، ويوردونه في كتبهم ، وآخرون يجعلونه من نحم من الشام ، والظاهر الأول ، وهو أول من عرف العرفاء على الناس ، وفي زمنه حفر خليج سردوس المتقدم ذكره في خلجان النيل ، ويقال : إنه عاش دهرا طويلا لم يمرض ولم يشك وجعا إلى أن أهلكه الله تعالى بالفرق^(١) .

الطبقة الثالثة

ملوكها من القبط بعد العاقلة

أول من ملكها منهم بعد فرعون (دلوكة) وطالت مدتها في الملك حتى عرفت بالعجوز ، وإليها ينسب حائط العجوز المبنى بالطوب اللبن المستدير على بلاد مصر في لحف الجبلين : الشرق والغربي ؛ وأثره باق بالوجه القبلي إلى الآن ، ويدل أنها التي بنت البرابي بمصر ، ثم ملك بعدها رجل من أبناء أكابر القبط اسمه (دركون) بن بطلوس ، ويقال دركوس بن ملوطس ؛ ثم ملك بعده رجل اسمه (تودس) ثم ملك بعده آبنه (لقاش) نحو من خمسين سنة ؛ ثم ملك بعده (مرينا) بن لقاش نحو من عشرين سنة ؛ ثم ملك بعده آبنه (بلطوس) ويقال بلوطس بن ميا كيل أربعين سنة ؛ ثم ملك

(١) تنبيه : وقع اختلاف في آباؤنا من الكتب في أسماء الملوك وترتيبهم في هذا الذي بعده . فعولنا على الأصل .

- بعده (مالوس) ويقال فالوس بن توطيس عشر سنين ؛ ثم ملك بعده ميا كيل .
 قال المسعودى : وهو فرعون الأعرج الذى غزا بنى إسرائيل ونحرب بيت المقدس ؛
 ثم ملك بعده (نوله) وهو الذى غزا رُحُبَعْمُ بن سليمان عليه السلام بالشام ، وقيل إن
 الذى غزا رجبعم كان اسمه شيشاق . قال السلطان عماد الدين صاحب حماة :
 وهو الأصح . قال : ثم لم يشتهر بعد شيشاق المذكور غير فرعون الأعرج ، وهو
 الذى غزاه بختنصر وصلبه ، والذى ذكره المسعودى أنه ملك بعد ميا كيل المتقدم
 ذكره (مرنيوس) ؛ ثم ملك بعده أبنه (بغاش) ثمانين سنة ؛ ثم ملك بعده أبنه
 (قومس) عشرين سنة ؛ ثم ملك بعده أبنه كاييل .
 قال المسعودى : وهو الذى غزاه بختنصر وصلبه ونحرب مصر ، وبقيت مصر
 أربعين سنة خرابا .

١٠

الطبقة الرابعة

ملوكها من الفرس

- أول من ملكها فى جملة مملكة الفرس (بهراسف) بواسطة أن بختنصر كان
 نائبا له ومن حين استولى عليها بختنصر ، توالت عليها الولاة من جهته ، وهو ببابل
 سبعا وخمسين سنة وشهرا كما ذكر صاحب حماة إلى أن مات ، فولى بعده أبنه
 (أولات) سنة واحدة ؛ ثم أوليا بعده أخوه (بلطشاش) بن بختنصر ، ثم استقرت
 مصر والشام بأيدي نواب الفرس عن ملوكهم .
 فلما مات بهراسف ، ملك بعده (كيبستاسف) ؛ ثم ملك بعده أبنه (أردشير)
 بهمن بن أسفيديار بن كيبستاسف ، وأنبسطت يده حتى ملك الأقاليم السبعة ؛
 ثم ملك بعده أبنه (دارا) ، وفى زمنه ملك الإسكندر بن فيلبس على اليونان فقصدته ،

٢٠

فلما قرب منه قتله جماعة من قومه ، ولحقوا بالإسكندر ، وهو آخر من ملك مصر من الفرس ، ولم أقف على تفصيل نواب الفرس بمصر إلا أنه كان منهم (كسرجوس) الفارسي ، وهو الذي بنى قصر الشمع بالفسطاط على ما تقدم ذكره ، وبعده (طحارست) الطويل ، وفي أيامه كان بقراط الحكيم .

الطبقة الخامسة

ملوكها من اليونان

أول من ملكها منهم (الإسكندر بن فيلبس) حين غلب دارا ملك الفرس على ملكه وأستولى على ما كان بيده ، وكان مقر ملكه مقدونية من بلاد الروم القديمة ، وأنحاز له ملك العراق ، والشام ، ومصر ، وبلاد العرب . فلما مات تفرقت ممالكه بين الملوك ، فللك مصر ونواحي الغرب البطالسة من ملوك اليونان ، كان كل منهم يلتب بطليموس .

فأول من ملكها منهم (بطليموس المنطقي) عشرين سنة ، ويقال : إنه أول من لعب بالبزاة وضراها ، ثم ملك بعده (بطليموس محب أخيه) أربعين سنة ، وقيل ثمانا وثلاثين سنة ، وهو الذي نقل التوراة من العبرانية إلى اليونانية ، وفي أيامه ظهرت عبادة التماثيل والأصنام . ثم ملك بعده (بطليموس الصانع) نحسا ، وقيل سنا وعشرين سنة ، ثم ملك بعده (بطليموس محب أبيه) سبع عشرة سنة ، ثم ملك بعده (بطليموس صاحب علم الفلك) أربعاً وعشرين سنة . وهو الذي ألف كتاب المجسطي ، ثم ملك بعده (بطليموس محب أمه) سبعاً وعشرين سنة ، ثم ملك بعده (بطليموس الصانع الثاني) ثم ملك بعده (بطليموس الخايس) ست عشرة سنة ، وقيل سبع عشرة ، ثم ملك بعده (بطليموس الإسكندراي) تسع سنين ، وقيل اثنتي عشرة سنة ،

ثم ملك بعده (بطليموس اسكندروس) ثلاث سنين ؛ ثم ملك بعده (بطليموس
مُحِبُّ أَخِيهِ) الثاني ثمان سنين ؛ ثم ملك بعده (بطليموس دوتيسوس) ؛ ثم ملكت بعده
أبنته (قلوبطرا) اثنتين وعشرين سنة ، و بزواها أنقرض ملك اليونان عن مصر وزال .

الطبقة السادسة

ملوكها من الروم

- ٥ أول من ملكها منهم (أغسطس) . يقال بشينين معجمتين ومهملتين ، ولقبه
قَيْصَرٌ ، وهو أول من تلقب به ، ثم صار علما على ملوك الروم .
- ١٠ قصد قلوبطرا المتقدم ذكرها ، فلما أَحَسَّتْ بقربه منها ، عمدت إلى مجلسها
بفعلت فيه الرياحين والمشموم ، وأعملت الفكر في تحصيل حية إذا نهشت الإنسان
مات لحينه ولم يتغير حاله ، فقربت يدها منها حتى ألقت سمها في يدها ، وأنسابت
الحية في الرياحين ، وجاء أغسطس فوضع يده في الرياحين فنهشته الحية ، فبقي
يوما ومات بعد أن ملك الروم ثلاثا وأربعين سنة . وفي أيامه ولد المسيح عليه
السلام ؛ ثم ملك بعده الروم ومصر (طيباريوس) ويقال طبريوس ، ويقال طبريس
اثنتين وعشرين سنة . قال المسعودي : وفي زمنه رفع المسيح عليه السلام
قال : ولما مات أغسطس ، اختلف الروم وتحزبوا وتنازعوا في الملك مائتين
١٥ وثمانيا وتسعين سنة ، لا نظام لهم ، ولا ملك يجمعهم ؛ ثم ملكهم (عانيوس) .
قال صاحب حماة : وكان رفع المسيح في زمنه ، وهو مخالف لما تقدم من كلام
المسعودي ؛ ثم ملك بعده (قلديوس) أربع عشرة سنة ؛ ثم ملك بعده (نارون) ثلاث
عشرة سنة ، وهو الذي قتل بطرس وبولص الحواريين برومية وصلبهما ؛ ثم ملك

٢٠ (١) في المسعودي «فلوريوس» . وبالجملة فيين ما بأيدينا من الكتب اختلاف في هذه الأسماء
فقرنا على المخطوط والله أعلم .

بعده (ساسانوس) عشر سنين؛ ثم ملك بعده (طيطوس) سبع عشرة سنة؛ ثم ملك بعده (دوميطوش) ويقال اديطانش خمس عشرة سنة، وكان على عبادة الأصنام فتبع اليهود والنصارى وقتلهم؛ ثم ملك بعده (ادريانوس) ستا وثلاثين سنة فأصابته علة الجذام فسار إلى مصر يطلب طباً لذلك فلم يظفر به ومات بعلة؛ ثم ملك بعده (ايطيثيوس) ويقال ابطاوليس ثلاثا وعشرين سنة، وهو الذي بنى بيت المقدس بعد تخريبه الثانية وسماه إيليا، ومعناه بيت الرب، وهو أول من سماه بذلك؛ ثم ملك بعده (مرفوس) ويقال قومودوس سبع عشرة سنة؛ ثم ملك بعده (قومودوس) ثلاث عشرة سنة، وكان دين النصارى قد ظهر في أيامه؛ وفي زمنه كان جالينوس الحكيم؛ ثم ملك بعده (قوطنجوس) ستة أشهر؛ ثم ملك بعده (سيوارس) ثماني عشرة سنة؛ ثم ملك بعده (ايطيثيوس الثاني) أربع سنين؛ ثم ملك بعده (اسكندروس) ثلاث عشرة سنة؛ ثم ملك بعده (بكسمينوس) ثلاث سنين؛ ثم ملك بعده (خورديانوس) ست سنين؛ ثم ملك بعده (دقيانوس) وقيل دقيوس سنة واحدة، فقتل النصارى وأعاد عبادة الأصنام، ومنه هرب الفتيحة أصحاب الكهف، وكان من أمرهم ما قص الله تعالى في كتابه العزيز؛ ثم ملك بعده (غاليوس) ثلاث سنين؛ ثم ملك بعده (عليوس) و(ولديانوس) أشركا في الملك، وقيل إن ولديانوس أنفرد بالملك بعد ذلك؛ وأقام فيه خمس عشرة سنة؛ ثم ملك بعده (قلوديوس) سنة واحدة؛ ثم ملك بعده (اردياس) ويقال اردليانوس ست سنين؛ ثم ملك بعده (فروقوس) سبع سنين؛ ثم ملك بعده (ياروس) وشركته سنين؛ ثم ملك بعده (دقلطيانوس) إحدى وعشرين سنة، وهو آخر عبدة الأصنام من ملوك الروم، وبمهلكه تُوِرَخ النصارى إلى اليوم، وعصى عليه أهل مصر، فسار إليهم من رومية، وقتل منهم خلقا عظيما، وهم الذين يعبر عنهم والنصارى الآن بالشهداء.

- ثم ملك بعده قسطنطين المظفر إحدى وثلاثين سنة فسار من رومية إلى قسطنطينية
 وبني سورها وأستقرت دار ملكهم ، وأظهر دين النصرانية وحمل الناس عليه ؛
 ثم ملك بعده ابنه قسطنطين فشيّد دين النصرانية وبني الكنائس الكثيرة ؛ ثم ملك
 بعده إليانوس ، ويقال إليانس سنة واحدة ، وهو ابن أخي قسطنطين المتقدم ذكره ،
 فرفض دين النصرانية ورجع إلى عبادة الأصنام ، وبموته خرج الملك عن
 ٥ بني قسطنطين ؛ ثم ملك بعده بطريق من بطارقة الروم اسمه بوثيانوس ، ويقال
 سيوتيانوس سنة واحدة فأعاد دين النصرانية ، ومنع عبادة الأصنام ؛ ثم ملك بعده
 فالنطيانوس أربع عشرة سنة ؛ ثم ملك بعده خرطيانوس ثلاث سنين ؛ ثم ملك
 بعده باردوسيوس الكبير تسعا وأربعين سنة ؛ ثم ملك بعده ادقاد يوس بقسطنطينية
 ١٠ وشريكه أويوريوس برومية ثلاث عشرة سنة ؛ ثم ملك بعدهما مرقيانوس سبع
 سنين ، وهو الذي بنى دير مارون يحمّص ؛ ثم ملك بعده واليطيس سنة واحدة ؛
 ثم ملك بعده لاون الكبير سبع عشرة سنة ؛ ثم ملك بعده زيتون ثمان عشرة سنة ؛
 ثم ملك بعده اسطيسوس سبعا وعشرين سنة ، وهو الذي عمّر أسوار مدينة حماة ؛
 ثم ملك بعده بوسيطينوس تسع سنين ؛ ثم ملك بعده بوسيطينوس الثاني ثمانيا
 ١٥ وثلاثين سنة ؛ ثم ملك بعده طبريوس ثلاث سنين ؛ ثم ملك بعده طبريوس الثاني
 أربع سنين ؛ ثم ملك بعده ماريقوس ثمان سنين ؛ ثم ملك بعده ماريقوس الثاني ،
 ويقال مرقوس آنتي عشرة سنة ؛ ثم ملك بعده قوفاس ثمان سنين ؛ ثم ملك
 بعده هرقل وأسمه بالرومية أوقليس ، وهو الذي كتب إليه النبي صلى الله عليه وسلم ،
 يدعو إلى الإسلام ، وكانت الهجرة النبوية في السنة الثانية عشرة من ملكه .
- ٢٠ قال المسعودي : وفي تواريخ أصحاب السير أن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ، هاجر وملك الروم قيصر بن قوق ؛ (ثم ملك الروم بعده) قيصر بن قيصر ،
 (١) وإليه تنسب الدنانير الفوقية (قاموس مادة ق وق) .

وذلك في خلافة أبي بكر رضي الله عنه ، وهو الذي حاربه أمراء الإسلام بالشام وأقتلوا الشام منه .

والذي ذكره في " التعريف " في مكتبة الأذفونش صاحب طليطلة من ملوك الفرنج بالأنديس أن هرقل الذي هاجر النبي صلى الله عليه وسلم في زمنه وكتب إليه لم يكن الملك نفسه ، وإنما كان متسلم الشام لقيصر ، وقيصراً بالتسطنطينية لم يرم ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم إنما كتب لهرقل لأنه كان مجاوراً لجزيرة العرب من الشام ، وعظيم بصرى كان عاملاً له ، ويظهر أن قيصر الأخير الذي ذكره هو الذي كان المقوقس عاملاً له على مصر . ويقال : إن المقوقس تقبل مصر من هرقل بتسعة عشر ألف دينار .

وأعلم أنه كان الحال يقتضي أن نذكر ثواب من تقدم من ملوك الروم واليونان والفرس على مصر ، ولكن أصحاب التواريخ لم تتعن بأمر ذلك ، فتعذر العلم به . وإذا ذكر الأصل ، أستغني به عن الفرع .

وذكر القضاعي : أنه بعد عمارة مصر من خراب بختنصر ظهرت الروم وفارس على سائر الملوك التي وسط الأرض فقاتلت الروم أهل مصر ثلاث سنين إلى أن صالحوهم على شيء في كل عام ، على أن يكونوا في ذمتهم ويمنعوهم من ملوك فارس ، ثم ظهرت فارس على الروم وغلبهم على الشام وألحوا على مصر بالقتال ، ثم استقر الحال على خراج مصر أن يكون بين فارس والروم في كل عام ، وأقاموا على ذلك تسع سنين ، ثم غلبت الروم فارس وأخرجوهم من الشام وصار ما صولحت عليه أهل مصر كله خالصاً للروم ، وجاء الإسلام والأمر على ذلك .

المرتبة الثالثة

من وليها في الإسلام : من بداية الأمر إلى زماننا ، وهم على ضربين :

الضرب الأول

يتمس وليها نيابةً ، وهو الصدر الأول ، وهم على ثلاث طبقات :

الطبقة الأولى

عُمل الخلفاء من الصحابة رضوان الله عليهم

- قد تقدم أنها لم تزل بيد الروم والمقوقس عامل عليها إلى خلافة عمر رضى الله عنه ، ولم تزل كذلك إلى أن فتحها عمرو بن العاص والزبير بن العوام في سنة عشرين من الهجرة ، وقيل سنة تسع عشرة في خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ؛ ووليها (عمرو بن العاص) من قبل عمر ، وهو أول من وليها في الإسلام ، وبقى عليها ١٠ إلى سنة خمس وعشرين ؛ وبني الجامع العتيق بالفسطاط ؛ ثم وليها عن عثمان بن عفان رضى الله عنه (أبو يحيى العامري) فمكث فيها إحدى عشرة سنة ، وتوفي سنة ست وثلاثين ؛ ثم وليها عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه (قيس بن سعد) الخزرجي في أول سنة سبع وثلاثين ؛ ثم وليها عنه (مالك بن الحارث النخعي) المعروف بالأشتر في وسط سنة سبع وثلاثين ، وكتب له عنه عهدا يأتي ذكره في الكلام على ١٥ العهود إن شاء الله تعالى ، فمات قبل دخوله إلى مصر ؛ ثم وليها عنه (محمد بن أبي بكر الصديق) رضى الله عنه في آخر سنة سبع وثلاثين فمكث دون السنة ؛ ثم وليها عن معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه (عمرو بن العاص ثانيا) سنة ثمان وثلاثين خمس سنين ، وتوفي بها سنة ثلاث وأربعين ؛ ثم وليها عنه (عقبة بن عامر الجهني) في سنة أربع وأربعين فمكث فيها ثلاث سنين وكسراً ؛ ثم وليها عنه (مسلمة بن مخلد الخزرجي) سنة سبع وأربعين فمكث فيها خمس عشرة سنة .

(١) كذا في فتوح مصر وأخبارها لابن عبد الحكم والنجوم الزاهرة (ج ١ ص ٤ و ٨) وتاريخ أبي الفداء وكان على رأس جيش مقداره اثنا عشر ألفاً ، وهو أول من ارتقى سور المدينة وتبعه الناس .
وق الأصل : «عد الله بن الزبير» وهو أيضاً ممن شهدوا فتح مصر .

الطبقة الثانية

عمال خلفاء بني أمية بالشام

- لما أفضت الخلافة بعد معاوية إلى ابنه يزيد، وليها عنه (سعيد بن يزيد بن علقمة الأزدي) في سنة آثنتين وستين، فمكث فيها سنتين وكسرا، ثم وليها عنه (عبد الرحمن الفيهري) في سنة أربع وستين، وأقره على الولاية بعد يزيد ابنه معاوية ثم مروان بن الحكم، فمكث فيها آثنتين وعشرين سنة، ثم وليها عن عبد الملك بن مروان (عبد الله بن عبد الملك بن مروان) في أول سنة ست وثمانين، فمكث فيها خمس سنين، ثم وليها عنه (قرة بن شريك) في سنة تسعين، وأقره عليها الوليد بن عبد الملك بعده، فمكث فيها سبع سنين، ثم وليها عن سليمان بن عبد الملك (عبد الملك ابن رفاعة) في سنة سبع وتسعين، فمكث فيها ثلاث سنين وكسرا، ثم وليها عن عمر بن عبد العزيز (أيوب بن شرحبيل الأصبغي) آخر سنة تسع وتسعين، فمكث فيها سنتين وستة أشهر، ثم كانت خلافة يزيد بن عبد الملك، فوليها عنه ([بشر بن صفوان الكلبي]) سنة إحدى ومائة، فمكث فيها سنتين وستة أشهر أيضا، ثم وليها عن هشام بن عبد الملك (محمد بن عبد الملك) أخو هشام في سنة خمس ومائة، فمكث فيها أشهرا، ثم وليها عنه (عبد الله بن يوسف الثقفي) في ذي الحجة سنة خمس ومائة، فمكث فيها أربع سنين وستة أشهر، ثم وليها عنه (عبد الملك [بن رفاعة ثانيا]) في سنة تسع ومائة وعزل فيها، ثم وليها عنه (الوليد) أخو عبد الملك [بن رفاعة] في سنة تسع المذكورة، فمكث فيها عشر سنين وكسرا، وتوفي سنة تسع عشرة ومائة، ثم وليها عنه (عبد الرحمن الفيهري) ثانيا في آخر سنة تسع عشرة ومائة، فأقام بها سبعة أشهر، ثم وليها عنه (حنظلة) بن صفوان

(١) الزيادة عن تاريخ مصر لابن عبد الحكم وتاريخ مصر وولاتها للكندي والنجوم الزاهرة (ج ١ ص ٢٤٤ طبع دارالكتب المصرية) وحفظ المقرري.

(٢) الزيادة عن تاريخ مصر وولاتها للكندي والنجوم الزاهرة (ج ١ ص ٢٦٤) وخطط المقرري.

- ثانياً^(١) في سنة عشرين ومائة ، فمكث فيها ثلاث سنين وكسرا وعزل ؛ ثم وليها عن مروان بن محمد الجعدي ؛ فولياها عنه^(٢) ([حسان بن] عتابة التُّجِيبِيّ) سنة سبع وعشرين ومائة ، فمكث فيها خمس سنين أو دونها ؛ ثم وليها عنه (حفص بن الوليد) سنة ثمان وعشرين ومائة ، فمكث فيها ثلاث سنين وستة أشهر ؛ ثم وليها عنه (الفزاريّ) سنة إحدى وثلاثين ومائة ، فمكث فيها سنة واحدة ؛ ثم وليها عنه (عبد الملك بن مروان) مولى نَحِيم سنة إحدى وثلاثين ومائة ، وهو آخر مَنْ وليها عن بني أمية .

الطبقة الثالثة

عُمّال خلفاء بني العباس بالعراق

- أول من وليها في الدولة العباسية عن أبي العباس السفّاح : أول خلفائهم ، (صالحُ ابنُ عليّ) بن عبد الله بن عباس سنة ثلاث وثلاثين ومائة ، فمكث فيها أشهراً قليلاً ؛ ثم وليها عنه (عبد الملك) مولى بني أسدٍ آخر سنة ثلاث وثلاثين ومائة ، فمكث فيها ثلاث سنين ؛ ثم وليها عنه (صالح بن عليّ) ثانياً في ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومائة . ثم وليها عن أبي جعفر المنصور (عبدُ الملك) سنة تسع وثلاثين ومائة ، فمكث فيها ثلاث سنين ؛ ثم وليها عنه (النَّعِيبُ التَّمِيمِيّ) سنة إحدى وأربعين ومائة ، فمكث فيها سنتين ؛ ثم وليها عنه (حُمَيدُ الطَّائِيّ) سنة ثلاث وأربعين ومائة ، فمكث فيها سنة واحدة ؛ ثم وليها عنه (يزيد المهلبيّ) سنة أربع وأربعين ومائة ، فمكث فيها تسع سنين ؛ ثم وليها عنه (عبدُ الله بن عبد الرحمن بن معاوية) سنة اثنتين وخمسين ومائة ، فمكث فيها سنتين وستة أشهر ؛ ثم وليها عنه (محمد بن عبد الرحمن بن معاوية) سنة أربع وخمسين ومائة ، فمكث فيها سنة واحدة ؛ ثم وليها عنه (موسى بن عليّ اللخميّ) في سنة خمس وخمسين ومائة ، فمكث فيها سنتين وستة أشهر .

(١) لم يذكر أن حفظة كان أميراً على مصر فيما سبق ، ولكن في المقرئزي أن بشر بن صفوان استخلف أخاه حفظة على مصر حينما ولاه يريد على إفريقية في سنة اثنتين ومائة فتكون ولايته هذه المرة ثانية .
(٢) الزيادة عن تاريخ مصر وولاتها للكندي والنحوم الزاهرة (ج ١ ص ٣٠٠) وخطط المقرئزي .

ثم وليها عن المهدي (عيسى الجحفي^(١)) سنة إحدى وستين ومائة ، فمكث فيها سنة واحدة ؛ ثم وليها عنه (واضح^(٢)) مولى المنصور في سنة اثنتين وستين ومائة ؛ ثم وليها عنه (زيد بن منصور) الحميري في وسط سنة اثنتين وستين ومائة ؛ ثم وليها عنه (يحيى أبو صالح) في ذى الحجة من السنة المذكورة ؛ ثم وليها عنه (سالم بن سوادة التميمي) سنة أربع وستين ومائة ؛ ثم وليها عنه (إبراهيم العباسي) في سنة خمس وستين ومائة ؛ ثم وليها عنه (معين الدين ختم) في سنة ست وستين ومائة .

ثم وليها عن الهادي (أسامة بن عمرو العاصري) في سنة ثمان وستين ومائة ؛ ثم وليها عنه (الفضل بن صالح العباسي) في سنة تسع وستين ومائة ؛ ثم وليها عنه (علي بن سليمان العباسي) آخر السنة المذكورة .

ثم وليها عن الرشيد (موسى العباسي) في سنة اثنتين وسبعين ومائة ؛ ثم وليها عنه (محمد بن زهير) الأزدي سنة ثلاث وسبعين ومائة ؛ ثم وليها عنه داود بن يزيد المهلب سنة أربع وسبعين ومائة ؛ ثم وليها عنه (موسى بن عيسى العباسي) سنة خمس وسبعين ومائة ومات بها ؛ ثم وليها عنه (عبد الله بن المسيب الضبي) في أول سنة سبع وسبعين ومائة ؛ ثم وليها عنه (هرقمة بن أعين) سنة ثمان وسبعين ومائة ؛ ثم وليها عنه (عبد الملك العباسي) في سلخ ذى الحجة من السنة المذكورة ؛ ثم وليها عنه (عبيد الله بن المهدي) العباسي في سنة تسع وسبعين ومائة ؛ ثم وليها عنه (موسى بن عيسى) التنوخي في آخر سنة ثمانين ومائة ؛ ثم وليها عنه (عبيد الله بن المهدي) ثانيا سنة إحدى وثمانين ومائة ؛ ثم وليها عنه (إسماعيل بن صالح) في آخر السنة المذكورة ؛ ثم وليها عنه (إسماعيل بن عيسى^(٣)) ابن موسى^(٤) سنة اثنتين وثمانين ومائة ؛ ثم وليها عنه (الليث البيوردي) في آخر السنة

(١) كذا في تاريخ مصر وولاتها للكندي والنجوم الزاهرة (ج ٢ ص ٢٧) وخطط المقرئ . وفي الأصل : « الجحفي » .
 (٢) كذا في تاريخ مصر وولاتها للكندي والنجوم الزاهرة (ج ٢ ص ٤٠) وخطط المقرئ . وفي الأصل : « واضح » .
 (٣) كذا في تاريخ مصر وولاتها للكندي والنجوم الزاهرة (ج ٢ ص ١٠٩) وخطط المقرئ . وفي الأصل : « سمية » .
 (٤) كذا في تاريخ الطبري وتاريخ ابن الأثير والنجوم الزاهرة . وفي الأصل : « إسماعيل » .

المذكورة؛ ثم وليها عنه (أحمد بن إسماعيل) في آخر سنة تسع وثمانين ومائة؛ ثم وليها عنه (عبد الله بن محمد العباسي) المعروف بأن زينب في سنة تسعين ومائة؛ ثم وليها عنه (مالك بن دهم الكلبى) سنة اثنتين وتسعين ومائة؛ ثم وليها عنه أو عن الأمين (الحسين بن الحجاج) سنة ثلاث وتسعين ومائة .

• ثم وليها عن الأمين (حاتم بن هرثمة بن أعين) سنة خمس وتسعين ومائة؛ ثم وليها عنه (عباد أبو نصر) مولى كندة سنة ست وتسعين ومائة؛ ثم وليها عنه أو عن المأمون (المطلب بن عبد الله الخزاعي) سنة ثمان وتسعين ومائة .

ثم وليها عن المأمون (العباس بن موسى) سنة ثمان وتسعين ومائة؛ ثم وليها عنه (المطلب بن عبد الله) ثانيا في سنة تسع وتسعين ومائة؛ ثم وليها عنه (السري بن الحكم) في سنة مائتين؛ ثم وليها عنه (سليمان بن غالب) في سنة إحدى ومائتين؛ ثم وليها عنه (أبو نصر محمد بن السري) في سنة خمس ومائتين؛ ثم وليها عنه (عبيد الله) في سنة ست ومائتين؛ ثم وليها عنه (عبد الله بن طاهر) مولى خزاعة في سنة عشر ومائتين؛ وهو أول من جلب البطح الخراساني المعروف بالعبدي من خراسان إلى مصر فنُسب إليه؛ ثم وليها عنه (عيسى الجلودى) في سنة ثلاث عشرة ومائتين؛ ثم وليها عنه (عمرو بن الوليد التميمي) في سنة أربع عشرة ومائتين؛ ثم وليها عنه (عيسى الجلودى) ثانيا في آخر السنة المذكورة؛ ثم وليها عنه (عبدويه بن جبلة) في سنة خمس عشرة ومائتين؛ ثم وليها عنه (عيسى بن منصور) مولى بني نصر في سنة ست عشرة ومائتين .

وفي هذه السنة دخل المأمون مصر وفتح الهرم .

ثم وليها عن المعتصم بالله ^(١) المسعودى في أول سنة تسع عشرة ومائتين؛

• ثم وليها عنه (المظفر بن كيدر) في وسط السنة المذكورة أشهراً قلائل؛ ثم وليها عنه

(١) بياض في الأصل، والذي في المسعودى أن خلافة المعتصم كانت في سنة تسع عشرة ومائتين، وفي المقرئى أنه ولي على مصر في هذا التاريخ (كيدر) ومات كيدر في ربيع الآخر من السنة المذكورة، فولى ابنه (المظفر) باستخلاف أبيه .

(موسى بن أبي العباس^(١)) في آخر السنة المذكورة؛ ثم وليها عنه (مالك بن كيدر^(٢)) في سنة أربع وعشرين ومائتين؛ ثم وليها عنه (علي بن يحيى) في سنة ست وعشرين ومائتين .
ثم وليها عن الواثق بالله (عيسى بن منصور الجلودى^(٣)) ثانيا في سنة تسع وعشرين ومائتين؛ ثم وليها عن المتوكل^(٤) (علي بن يحيى) ثانيا في سنة أربع وثلاثين ومائتين؛ ثم وليها عنه (إسحاق الختلي^(٥)) في سنة خمس وثلاثين ومائتين؛ ثم وليها عنه (خزاعة) في سنة ست وثلاثين ومائتين؛ ثم وليها عنه (عنبسة الضبي^(٦)) في سنة ثمان وثلاثين ومائتين؛ ثم وليها عنه (يزيد بن عبد الله) في سنة اثنتين وأربعين ومائتين . وأقره عليها بعده المنتصر بالله، ثم المستعين بالله .

ثم وليها عن المستعين بالله (مُزَاحِم بن خاقان) في سنة ثلاث وخمسين ومائتين؛ ثم وليها عنه (أحمد بن مُزَاحِم) في سنة أربع وخمسين ومائتين وأقره عليها المهدي بالله .

الضرب الثاني

من وليها مُلكاً، وهم على أربع طبقات :

الطبقة الأولى

من وليها عن بني العباس قبل دولة الفاطميين

١٥
١٠
٢٠
١٥

أحمد بن طولون) وليها عن المعتمد في سنة ست وستين ومائتين، وعمّر بها جماعة المتقدم ذكره في خطط الفسطاط؛ وفي أيامه عظمت نيابة مصر وشمخت إلى الأندلس؛ وهو أول من جلب الممالك الترك إلى الديار المصرية وأستخدمهم في عسكرها .

(١) كذا في تاريخ مصر وولاتها للكندى والنجوم الزاهرة (ج ٢ ص ٢٣١) وخطط المقرئ .
وفي الأصل : «أبو العباس الخنق» . (٢) كذا في تاريخ مصر وولاتها للكندى والنجوم الزاهرة (ج ٢ ص ٢٣٩) وخطط المقرئ . وفي الأصل : «مبارك» . (٣) كذا في تاريخ مصر وولاتها للكندى والنجوم الزاهرة (ج ٢ ص ٢٧٨) وخطط المقرئ . وفي الأصل : «ثالث مرة» . (٤) كذا في تاريخ مصر وولاتها للكندى والنجوم الزاهرة (ج ٢ ص ٢٧٨) وخطط المقرئ . وفي الأصل : «عنه» ومنتضاه أن المذكور ولي عن الواثق في هذا التاريخ مع أن خلافة الواثق كانت سنة سبع وعشرين ومائتين ووفاته كانت في سنة اثنتين وثلاثين ومائتين . (٥) كذا في النجوم الزاهرة (ج ٢ ص ٢٨٢) ، وذكر أن أصله من قرية ختلان : بلدة عند سمرقند . وفي الأصل : «الجليل» وهو نصيف . (٦) كذا في تاريخ مصر وولاتها للكندى والنجوم الزاهرة (ج ٢ ص ٢٩٣) . وفي الأصل : «عنبه» وهو تحريف .

وأقره المعتضد بالله بعد المعتمد، وبقى بها حتى مات، فوليها عن المعتضد (نُحَارُويَه بن أحمد بن طولون) في أول سنة آثنتين^(١) وثمانين ومائتين، وقتله جنده في السنة المذكورة؛ ثم وليها عنه (جيش بن نُحَارُويَه) في سنة ثلاث وثمانين ومائتين وقتله جنده في السنة المذكورة؛ ثم وليها عنه (هارون بن نُحَارُويَه) في آخر سنة ثلاث وثمانين ومائتين، وقتل في سنة آثنتين وتسعين.

ثم وليها عن المكتفي بالله (شيبان بن أحمد بن طولون) في سنة آثنتين وتسعين ومائتين فبقي آثني عشر يوماً وعُزِل؛ ثم وليها عنه (محمد بن سليمان الواثق) في آخر سنة آثنتين وتسعين ومائتين، ثم وليها عنه أو عن المقتدر بالله (عيسى النوشري) في سنة خمس وتسعين ومائتين.

ثم وليها عن المقتدر بالله (أبو منصور تيكين) في سنة سبع وتسعين ومائتين وعُزِل؛ ثم وليها عنه (أبو الحسن) في سنة ثلاث وثلثمائة وعُزِل؛ ثم وليها عنه (أبو منصور تيكين) ثانياً سنة سبع وثلثمائة وعُزِل؛ ثم وليها عنه (هلال) سنة سبع وثلثمائة؛ ثم وليها عنه (أحمد بن كينغ) في سنة إحدى عشرة وثلثمائة؛ ثم وليها عنه (أبو منصور تيكين) ثالث مرة في السنة المذكورة.

ثم وليها عن القاهر بالله (محمد بن طنج) في سنة إحدى وعشرين وثلثمائة، ثم وليها عنه (أحمد بن كينغ) ثانياً في سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة. وأقره عليها المكتفي ثم المستكفي بالله بعده.

ثم وليها عن المطيع لله (أبو القاسم الإخشيد) في سنة خمس وثلاثين وثلثمائة؛ ثم وليها عنه (علي بن الإخشيد) سنة تسع وثلاثين وثلثمائة؛ ثم وليها عنه (كافور

(١) في تاريخ مصر وولاتها للكندی وتاريخ ابن الأثير (ج ٧ ص ٢٨٧ طبع أوروبا) والنجوم الزاهرة (ج ٢ ص ٤٩) وخطط المقرئى : أن ولاية نحارويه على مصر كانت في دى القعدة سنة سبعين ومائتين الى سنة آثنتين وثمانين ومائتين . فكانت مدة ملكه على مصر والشام آثني عشرة سنة وثمانية عشر يوماً . (٢) كانت ولاية عيسى النوشري على مصر في سنة اثنتين وتسعين ومائتين وبقى الى سنة سبع وتسعين ومائتين كما ورد في المصادر المذكورة . (٣) كانت ولاية علي بن الإخشيد على مصر في سنة تسع وأربعين وثلثمائة كما ورد في المصادر المذكورة .

الإخشيدي) الخادم في سنة خمس وخمسين وثلثمائة ، وكان يحب العلماء والفقهاء ، ويكرمهم ، ويتعاهدهم بالنفقات ، ويكثر الصدقات حتى أستغنى الناس في أيامه ، ولم يجد أرباب الأموال من يقبل منهم الزكاة فرفعوا أمر ذلك إليه فأمرهم أن يبتنوا بها المساجد ويتخذوا لها الأوقاف ففعلوا ، ثم وليها عنه (أحمد بن علي الإخشيدي) في سنة سبع وخمسين وثلثمائة ، وهو آخر من وليها من العمال عن خلفاء بني العباس بالعراق .

الطبقة الثانية

من وليها من الخلفاء الفاطميين المعروفين بالعبديين

أول من وليها منهم (المعز لدين الله أبو تميم معد بن تميم بن إسماعيل بن محمد بن عبيد الله المهدي) وإليه ينسبون ، جهز إليها قائده جوهرًا ، من بلاد المغرب إلى الديار المصرية ففتحها في شعبان سنة ثمان وخمسين وثلثمائة على ما تقدم في الكلام على قواعد الديار المصرية وأنقطعت الخطبة العباسية منها ، ورحل المعز من المغرب إلى مصر فوصل إليها ودخل قصره بالقاهرة في سابع رمضان سنة اثنتين وستين وثلثمائة وصارت مصر والمغرب مملكة واحدة ، وبلاد المغرب نيابة من مصر . وتوفي ثالث ربيع الآخر سنة خمس وستين وثلثمائة .

ثم ولي بعده ابنه (العزير بالله أبو المنصور) يوم وفاة أبيه ، وإليه ينسب الجامع العزيزي بمدينة بليس ، وتوفي بالحمّام في بليس ثامن رمضان المعظم قدره سنة ست وثمانين وثلثمائة .

ثم ولي بعده ابنه (الحاكم بأمر الله أبو علي المنصور) ليلة وفاة أبيه ، وبني الجامع الحاكمي في سنة تسع وثمانين وثلثمائة ، وهو يومئذ خارج سور القاهرة ، وفارق مصر وخرج إلى الجبل المقطم فوجدت ثيابه مزررة الأطواق وفيها آثار السكاكين ولا جثة فيها ، وذلك في سلخ شوال سنة إحدى عشرة وأربعمائة ولم يُسكَّ

في قتله . والدُرزيّة من المبتدعة يعتقدون أنه حيٌّ وأنه سيرجع ويعود على ما سيأتي في الكلام على أيمانهم وتحليفهم إن شاء الله تعالى .

ثم ولي بعده أبنه (الظاهر لإعزاز دين الله أبو الحسن عليّ) وبقي حتى توفى في شعبان سنة سبع وعشرين وأربعمائة .

ثم ولي بعده أبنه (المستنصر بالله أبو تميم معدّ) بعد وفاة أبيه . وفي أيامه جُدد سور القاهرة الكبير في سنة ثمانين وأربعمائة . وتوفى في ذى الحجة سنة سبع وثمانين وأربعمائة . وفي أيامه كان الغلاء الذي لم يعهد مثله ، مكث سبع سنين حتى نخرِبَتْ مصرُ ، ولم يبق بها إلا صُبابَة من الناس على ما تقدّم في سياقة الكلام على زيادة النيل . ثم ولي بعده أبنه (المستعلي بالله) أبو القاسم أحمدُ يوم وفاة أبيه . وتوفى لسبع عشرة ليلةً خلت من صفر سنة خمس وتسعين وأربعمائة .

ثم ولي بعده (الأمير بأحكام الله أبو عليّ المنصور) في يوم وفاة المستعلي ، وقتل بجزيرة مصر في الثالث من ذى القعدة سنة خمس وعشرين وخمسمائة .

ثم ولي بعده ابنُ عمه (الحافظُ لدين الله أبو الميمون عبد الحميد بنُ الأمر أبي القاسم محمد) يوم وفاة الأمر . وتوفى سنة أربع وأربعين وخمسمائة .

ثم ولي بعده (الظافر بأمر الله إسماعيل) رابع جمادى الآخرة سنة أربعين وخمسمائة . ثم ولي بعده أبنه (الفائز بنصر الله أبو القاسم عيسى) صبيحة وفاة أبيه . وتوفى في سابع عشر شهر رجب الفرد سنة خمس وخمسين وخمسمائة .

ثم ولي بعده (أبنه العاضدُ لدين الله أبو محمد عبد الله بن يوسف) يوم وفاة الفائز . وتوفى يوم عاشوراء سنة أربع وستين وخمسمائة بعد أن قطع السلطان

صلاح الدين خطبته بالديار المصرية وخطب للخلفاء العباسيين ببغداد قبل موته ، وهو آخر من ولي منهم .

الطبقة الثالثة

ملوك بني أيوب

وهم وإن كانوا يدينون بطاعة خلفاء بني العباس فهم ملوك مستقلون، وفي دولتهم زاد ارتفاع قدر مصر ومليكتها .

- ٥ أول من ملك مصر منهم الملك الناصر (صلاح الدين يوسف بن أيوب) كان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي صاحب الشام رحمه الله قد جهزه صحيفة عمه : أسد الدين شيركوه إلى الديار المصرية حين أستغاث به أهل مصر في زمن العاضد الفاطمي المتقدم ذكره لغلبة الفرنج عليهم ثلاث مرات انتهى الحال في آخرها إلى أن السلطان صلاح الدين وثب على شاور وزير العاضد المذكور فقتله وتقباه عمه أسد الدين شيركوه الوزارة مكانه عن العاضد، وكتب له بذلك عهد من إنشاء القاضي الفاضل ، فأقام فيها مدة قريبة ومات ، ففوض العاضد الوزارة مكانه للسلطان صلاح الدين، وكتب له عهد من إنشاء القاضي الفاضل أيضا، وبقي في الوزارة حتى ضعف العاضد وطال ضعفه فقطع السلطان صلاح الدين الخطبة للعاضد، وخطب للخليفة العباسي ببغداد بامر الملك العادل صاحب الشام . ثم مات العاضد عن قريب فاستقل السلطان صلاح الدين بالسلطنة بمصر وقوى جأشه ، وثبتت في الدولة قوامه . وتوفي بدمشق في سنة تسع وثمانين وخمسة مائة ، وكانت مدة ملكه بالديار المصرية أربعاً وعشرين سنة وملكه الشام تسع عشرة سنة ، ثم ملك بعده مصر ابنه (الملك العزيز) وملك معها دمشق وسلمها إلى عمه العادل أبي بكر في سنة اثنتين وتسعين وخمسة مائة ، وتفرقت بقية الممالك الشامية بيد بني عمه من بني أيوب .
- ١٠ ملك مصر والشام جميعا في ربيع الأول سنة ست وتسعين وخمسة مائة ، وتوفي بدمشق سنة خمس عشرة وستمائة .

- ثم ملك بعده أبْنُه (الملكُ الكامل) عقيبَ وفاة أبيه المذكور ، وهو أول من سكن قلعةَ الجبل بعد قصر الفاطميين بالقاهرة على ما تقدم ذكره في الكلام على القلعة ، وأستمر في ذلك عشرين سنة ، وفتح حرَّان وديار بكرٍ ، وكان الفرنج قد أستعادوا بعض ما فتحه السلطان صلاح الدين من ساحل الشام ، وكتب الهدنة بينه وبين الفرنج في سنة ست وعشرين وستمائة على أن يكون بأيدي الفرنج القلاع والنواحي التي ملكوها بعد فتح السلطان صلاح الدين ، وهي جبلة ، وبيروت ، وصيدا ، وقلعة الشقيف ، وقلعة تينين ، وقلعة هواين ، وإسكندرونة ، وقلعة صَفَد ، وقلعة الطور والججون ، وقلعة كوكب ، ومجدل يافا ، ولُدَّة ، والرملة ، وعسقلان ، وبيت جبريل ، والقُدس وأعمال ذلك ومضافاته . وبني مدرسته الكاملة بين القصرين المعروفة بدار الحديث ، وتوفي بدمشق سنة خمس وثلاثين وستمائة .
- ١٠ ثم ملك بعده أبْنُه (الملك العادل أبو بكر) وقبض عليه في العشر الأوسط من دى القعدة سنة سبع وثلاثين وستمائة .
- ثم ملك بعده أخوه الملك الصالح (نجم الدين أيوب) بن الكامل في أوائل سنة ثمان وثلاثين وستمائة .
- ١٥ ثم ملك بعده أبْنُه الملك المعظم (توران شاه) وهو الذي كسر الفرنج على المنصورة في المحرم سنة ثمان وأربعين وستمائة ، وقتل في الثامن والعشرين من المحرم المذكور . ثم ملكت بعده أم خليل (شجرة الدر) في صفر سنة ثمان وأربعين وستمائة ، فأقامت ثمانية أشهر ، ولم يملك مصر في الإسلام امرأة غيرها .
- ثم ملك بعدها الملك الأشرف (موسى بن الناصر يوسف بن السعيد بن الكامل ابن العادل أبي بكر بن أيوب) في شوال سنة ثمان وأربعين وستمائة وخلع نفسه وهو آخر الملوك الأيوبية بالديار المصرية

(١) سيذكر في الجزء الرابع هكذا : « مجداليا » .

الطبقة الرابعة

ملوك التُّرك خَلَدَ اللهُ تَعَالَى دَوْلَتَهُمْ

أول من ملكها منهم (الملك المُعزُّ أَيْبُك التُّرْكَمَانِي) بعد خلع الأشرَفِ مُوسَى، آخر
ملوك الأيوبيَّة في شوال سنة ثمان وأربعين وستمائة؛ وُجِّعَ له بين مصر والشام،
وَأَسْتَمَرَ الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا إِلَى الْآنَ، وَبَنَى الْمَدْرَسَةَ الْمُعْزِيَّةَ بِرَحْبَةِ الْحَزْرَبِ بِالْمَنْسُطَاطِ،
وَنَزَّجَ بِأَمِّ خَلِيلِ الْمَقْدَمِ ذِكْرَهَا، وَقَتَلَ بِجَمَامِ الْقَلْعَةِ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَسِتْمِائَةَ.

ثم ملك بعده آبنُه (الملك المنصور علي) عقيبَ وفاة والده المذكور. وَقَتِلَتْ أُمُّ خَلِيلِ
الْمَذْكُورَةِ، وَوَرِمِيَتْ مِنْ سُوْرِ الْقَلْعَةِ، وَقُبِضَ عَلَى الْمَظْفَرِ سَنَةَ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ وَسِتْمِائَةَ.

ثم ملك بعده الملك (المظفر قُطْرُز) وَكَانَ الْمَصَافُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التُّتَارِ عَلَى عَيْنِ
جَالُوتَ بَعْدَ أَنْ أَسْتَوْلَوْا عَلَى جَمِيعِ الشَّامِ فِي رَمَضَانَ سَنَةِ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَسِتْمِائَةَ،
وَكَسَرَهُمْ أَشَدَّ كَسْرَةٍ وَأَسْتَقْلَعَ الشَّامَ مِنْهُمْ، وَبَقِيَ حَتَّى قَتَلَ فِي مُنْصَرَفِهِ بِطَرِيقِ الشَّامِ
وَهُوَ عَائِدٌ مِنْهُ بِالْقَرْبِ مِنْ قَصِيرِ الصَّالِحِيَّةِ عَلَى أَثَرِ ذَلِكَ فِي السَّنَةِ الْمَذْكُورَةِ.

ثم ملك بعده الملك (الظاهر بيبرس) البندقداري في ذي القعدة سنة ثمان
وخمسين وستمائة، وأخذ في جهاد الفرنج واستعادة ما أرتجعوه من فتوح السلطان

صلاح الدين يوسف بن أيوب وغير ذلك ففتح البيرة في سنة تسع وخمسين وستمائة
والكرك في سنة إحدى وستين، وحمص في آخر سنة اثنتين وستين وستمائة، وقيسارية

وأسس في سنة ثلاث وستين، وصغد في سنة أربع وستين، ويافا والشقيف،

وأنطاكية في سنة ست وستين، وحصن الأكراد وعكا وصيدا في سنة تسع وستين،

وكسر التتار على البيرة بعد أن عدى الفرات خوفا بعساكره في سنة إحدى وسبعين؛

وفتح قلاعاً من بلاد سبيس في سنة ثلاث وسبعين، ودخل بلاد الروم، وجلس على

(١) لعل مراده الأشرَفُ مظفر الدين موسى بن الناصر شريك المعز في السلطنة. وأنظر المقام في خطط

المقريزي (ج ٢ ص ٢٣٧).

كرسى بنى سلجوق بقيسارية الروم، ورجع الى دمشق في آخر سنة خمس وسبعين .
وتُوفى بدمشق في المحرم سنة ست وسبعين وستمائة ، وبني مدرسته الظاهرية
بين القصرين

وملك بعده أبنه (الملك السعيد بركة) في صفر سنة ست وسبعين وستمائة ،
وخُلع وسُير إلى الكرك .

وملك بعده أخوه (الملك العادل سلامش) في ربيع الأول سنة ثمان وسبعين
وستمائة ، وبقي أربعة أشهر ثم خلع .

وملك بعده (الملك المنصور قلاوون الصالحى) الشهير بالألفى في رجب سنة ثمان
وسبعين وستمائة ، وسمى الألفى لأن آقسنقر الكامل كان قد اشتراه بألف دينار، وفتح
حصن المرقب بالشام في تاسع عشر ربيع الأول سنة أربع وثمانين وستمائة ، وفتح
١٠ طرابلس في ربيع الأول سنة ثمان وثمانين وستمائة ، وهو الذى بنى البيارستان
المنصورية والمدرسة المنصورية والقبة اللتين داخل البيارستان بين القصرين . وتُوفى
بظاهر القاهرة المحروسة ، وهو قاصد الغزو فى ذى القعدة سنة تسع وثمانين وستمائة
ودفن بتربته بالقبة المنصورية داخل البيارستان المتقدم ذكره .

وملك بعده أبنه (الملك الأشرف خليل) صبيحة وفاة أبيه وأخذ فى الغزو ففتح عكا
١٥ وصور ، وصيدا ، وبيروت ، وعثليث ، والساحل جميعه ، وأقتلعه من الفرنج فى رجب
سنة تسعين وستمائة . وقتل فى متصيده بالبحيرة فى العشر الأوسط من المحرم سنة ثلاث
وتسعين وستمائة ، وهو الذى عمّر المدرسة الأشرفية بالقرب من المشهد النفيسى .
ثم ملك بعده (الملك المعظم بيدرا) وخلع من يومه .

وملك بعده (الملك الناصر محمد بن قلاوون) فى صفر سنة ثلاث وتسعين
٢٠ وستمائة ، وهى سلطته الأولى . وخُلع بعد ذلك وبعث به إلى الكرك فخُبس بها .

وملك بعده (الملك العادل كَتَبًا) عقب خلعهم ، ووقع في أيامه غلاء شديد وفناء عظيم ؛ ثم خلع في صفر سنة ست وتسعين وستمائة ، وتولى بعد ذلك نيابة صرَّخد ثم حماة ، وبقى حتى توفي بعد ذلك ؛ وهو الذي ابتدأ عمارة المدرسة المعروفة بالناصرية بين القصرين وأكمل بناءها الناصر محمد بن قلاوون فنسبت إليه .

وملك بعده (الملك المنصور حسام الدين لاجين) في الخامس والعشرين من صفر المذكور^(١) ، بجدد الجامع الطولوني وعمل الروك الحسامي^(٢) في رجب الفرد سنة سبع وتسعين وستمائة ، وقتل في الحادي عشر من شوال^(٣) من السنة المذكورة ، وبقى الأمر شورى مدة يسيرة ، ثم حضر الملك الناصر محمد بن قلاوون من الكرك وأعيد إلى السلطنة في حادي عشر شوال من السنة المذكورة .

وملك بعده (الملك المظفر بيبرس الجاشنكير) في الثالث والعشرين من شوال المذكور وخلع في التاسع والعشرين من شهر رمضان سنة تسع وسبعمائة ، وهو الذي عمر الخانقاه الرُّكنية بيبرس داخل باب النصر مكان دار الوزارة بالدولة الفاطمية ، وجدد الجامع الحاكمي .

وملك بعده (الملك الناصر محمد بن قلاوون) في مستهل شوال من السنة المذكورة ، وهي سلطنته الثالثة . وفيها طالت مدته وقوى ملكه ، وعمل الروك الناصري^(٢) في سنة ست عشرة وسبعمائة ، وبني مدرسته الناصرية بين القصرين ، وبقى حتى توفي في العشرين من ذي الحجة سنة إحدى وأربعين وسبعمائة ، ودفن بترية والده .

ثم ملك بعده ابنه الملك المنصور أبو بكر عقب وفاة والده ، وخلع تاسع عشر صفر سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة .

(١) أي سنة ست وتسعين وستمائة . (٢) الروك : مسح الأرض الزراعية وهو المعبر عنه الآن بفك الزمام . (راجع المقرئ ج ١ ص ٨٧) . (٣) في المقرئ "من ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين وستمائة" وأن تولية ابن قلاوون المرة الثانية في السادس من جمادى الأولى من السنة المذكورة وبقى إلى الثالث والعشرين من ذي الحجة سنة ثمان وسبعمائة ثم ولي المظفر في التاريخ المذكور . وبملاحظة ذلك يستقيم الكلام ويعلم ما في الأصل .

ثم ملك بعده أخوه (الملك الأشرف بك) بن الناصر محمد بن قلاوون يوم خلع أخيه المنصور المذكور، وخلع في التامع والعشرين من شهر رجب من السنة المذكورة .

ثم ملك بعد أخوه (الملك الناصر أحمد) بن الناصر محمد بن قلاوون بعد أن أحضر من الكرك، وأستمر في السلطنة حتى خلع نفسه في أوائل المحرم سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة .

ثم ملك بعده أخوه (الملك الصالح إسماعيل) بن الناصر محمد بن قلاوون في العشرين من المحرم المذكور، وبقى حتى توفي في ربيع ربيع الآخر سنة ست وأربعين وسبعمائة .

وملك بعده أخوه (الملك المظفر حاجي) بن الناصر محمد بن قلاوون يوم خلع أخيه الكامل شعبان، وبقى حتى خلع في ثاني عشر رمضان سنة ثمان وأربعين وسبعمائة وقتل من يومه .

ثم ملك بعده أخوه (الملك الناصر حسن) بن الناصر محمد بن قلاوون في رابع عشر شهر رمضان المذكور، وخلع في التاسع والعشرين من جمادى الآخر سنة آئتين وخمسين وسبعمائة .

ثم ملك بعده أخوه (الملك الصالح صالح) بن الناصر محمد بن قلاوون يوم خلع أخيه الناصر حسن، وبقى حتى خلع في ثاني شوال سنة خمس وخمسين وسبعمائة .

ثم ملك بعده أخوه (الملك الناصر حسن) المتقدم ذكره مرة ثانية يوم خلع أخيه الصالح صالح، وبقى حتى خلع وقُتل في عاشر جمادى الأولى سنة آئتين وستين وسبعمائة، وبني مدرسته المعظمة تحت القلعة التي ليس لها نظير في الدنيا، وفي أيامه ضربت الفلوس الجُدُد على ما سيأتي ذكره، وهو آخر من ملك من أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون لصلبه .

(١) سقط من قلم النسخ الكامل شعبان فإنه تولى بعد أخيه الصالح إسماعيل ومكث سنة واحدة وثمانية وخمسين يوماً ثم خلع كما تشير إليه بقية العبارة .

وملك بعده ابن أخيه (الملك المنصور محمد) بن المظفر حاجي بن الناصر محمد ابن قلاوون يوم خلع عمه الناصر حسن ، وبقى حتى خلع في خامس عشر شعبان سنة أربع وستين وسبعمائة .

وملك بعده ابن عمه (الملك الأشرف شعبان) بن حسين بن الناصر محمد بن قلاوون يوم خلع المنصور المتقدم ذكره وهو طفل ، وبقى حتى كمل سلطانه وبني مدرسته بأعلى الصوة تحت القاعة ولم يتمها ، وجج نخرج عليه مما ليكه في عقبه أيلة ففتر منهم وعاد إلى القاهرة فقبض عليه وقتل في ثالث ذى القعدة الحرام سنة ثمان وسبعين وسبعمائة ، وفي أيامه فتحت مدينة سيس وأقتلعت من الأرمن على ما سيأتي ذكره في الكلام على أعمال حلب .

وملك بعده ابنه (الملك المنصور علي) يوم خلع أبيه وهو طفل ، فبقى حتى توفي في الثالث والعشرين من صفر سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة .

وملك بعده أخوه (الملك الصالح حاجي) بن شعبان بن حسين يوم وفاة أخيه ، وبقى حتى خلع في العشر الأوسط من رمضان سنة أربع وثمانين وسبعمائة .

وملك بعده (الملك الظاهر برقوق) فعظم أمره ، وأرتفع صيته ، وشاع ذكره في الممالك وهابته الملوك وهادته ، وساس الملك أحسن سياسة ، وبقى حتى خلع وبعث به إلى السجن بالكرك في شهر رجب أو جمادى الآخرة سنة إحدى وتسعين وسبعمائة .

وملك بعده (الملك المنصور حاجي) بن شعبان ، وهو الملقب أولاً بالصالح حاجي وهي سلطنة الثانية ، وبقى حتى عاد الملك الظاهر برقوق المتقدم ذكره في سنة [آئتين] وتسعين وسبعمائة ، فزاد في التيه وضخامة الملك ، وبلغ شأوا لم يبلغه غيره من غالب متقدمي الملوك ، وبقى حتى توفي في منتصف شوال المبارك سنة إحدى وثمانمائة .

(١) الزيادة عن المقرئ .

وملك بعده أبوه (الناصر فرج) وسنه إحدى عشرة سنة بعهد من أبيه، وقام بتدبير أمره أمراء دولته، فبقي حتى تغير عليه بعض مماليكه وبعض أمرائه، وحضر الممالك بالقلعة، فنزل منها مختفياً على حين غفلة في السادس والعشرين من ربيع الأول سنة ثمان وثمانمائة، ولم يعلم لأبتداء أمره أين توجه .

- ثم ملك بعده أخوه (الملك المنصور عبد العزيز) في التاريخ المذكور .
- ثم ظهر أن السلطان الملك الناصر فرجا كان مختفياً في بعض أماكن القاهرة ، فركب في ليلة السادس من شهر جمادى الآخرة سنة ثمان وثمانمائة ، ومعه جماعة من الأمراء ومماليكه ، وخرج الأمراء للقيام بنصرة أخيه عبد العزيز فطلع عليهم السلطان فرج ومن معه ، فولوا هارين ، وطلع السلطان الملك الناصر القلعة في صبيحة النهار المذكور وأستقر على عادته ، وبقي في السلطنة حتى توجه إلى الشام لقتال الأمير شيخ والأمر نوروز نأبى دمشق وحلب ، ومعه الإمام (المستعين بالله أبو الفضل العباس) بن المتوكل محمد خليفة العصر ، ودخل دمشق وحصر بقلعتها حتى قبض عليه في ثانی عشر ربيع الأول سنة خمس عشرة وثمانمائة ، وأستبد الإمام المستعين بالله بالأمر من غير سلطان ، ورجع إليه ما كان يتعاطاه السلطان من العلامه على المكاتبات والتقاليد والتواقيع والمناشير وغيرها ، وأفرد اسمه في السكة على الدنانير والدرهم ، وأفرد بالدعاء في الخطبة على المنابر ، ثم عاد إلى الديار المصرية في أوائل ربيع الآخر من السنة المذكورة ، وسكن الأدر السلطانية بالقلعة ، وقام بتدبير دولته الأمير شيخ المقدم ذكره وسكن الإصطبلات السلطانية بالقلعة وفوض إليه الإمام المستعين بالله ما وراء سرير الخلافة ، وكتب له تفويض بذلك في قطع كبير ، عرضة ذراع ونصف بزيادة نصف ذراع عما يكتب به للسلاطين . إلا أنه لم يصرح له فيه بسلطنة ولا إمارة ، بل كتب له بدل الأميري الآمرى بإسقاط الياء على ما سيأتى ذكره في الكلام على عهود الملوك إن شاء الله تعالى .

الفصل الرابع

من الباب الثالث من المقالة الثانية
في ذكر ترتيب أحوال الديار المصرية، وفيه ثلاثة أطراف

الطرف الأول

في ذكر معاملاتها، وفيه ثلاثة أركان

الركن الأول

الأثمان، وهي على ثلاثة أنواع

النوع الأول

الدنانير المسكوكة مما يضرب بالديار المصرية، أو يأتي إليها من المسكوك
في غيرها من الممالك، وهي ضربان

الضرب الأول

ما يتعامل به وزنا كالذهب المصري وما في معناه

والعبرة في وزنها بالمناقل، وضابطها أن كل سبعة مناقيل زنتها عشرة دراهم من
الدراهم الآتي ذكرها، والمثقال معتبر بأربعة وعشرين قيراطا، وقدر شنتين وسبعين
حبة شعير من الشعير الوسط باتفاق العلماء، خلافا لابن حزم فإنه قدره بأربع وثمانين
حبة، على أن المثقال لم يتغير وزنه في جاهلية ولا إسلام.

قلت: وقد كان الأمير صلاح الدين بن عرام في الدولة الأشرفية شعبان بن
حسين بعد السبعين والسبعائة ضرب بالإسكندرية، وهو نائب السلطنة بها يومئذ،
دنانير زنة كل دينار منها مثقال، على أحد الوجهين منه "محمد رسول الله" وعلى الوجه
الآخر "ضرب بالإسكندرية في الدولة الأشرفية شعبان بن حسين عز نصره"، ثم أمسك

عن ذلك فلم تكثر هذه الدنانير ولم تشتهر؛ ثم ضرب الأمير يلبغا السالمى - أستاذار العالية في الدولة الناصرية فرج بن برقوق دنانير زنة كل واحد منها مثقال، في وسط سكتته دائرة فيها مكتوب "فرج" وربما كان منها ما زنته مثقال ونصف أو مثقالان، وربما كان نصف مثقال أو ربع مثقال . إلا أن الغالب فيها نقص أوزانها، وكانهم جعلوا نقصها في نظير كلفة ضربها .

الضرب الثاني

ما يتعامل به معادة

- وهي دنانير يؤتى بها من البلاد الإفرنجية والروم، معلومة الأوزان، كل دينار منها معتبر بتسعة عشر قيراطا ونصف قيراط من المصرى، وأعتبره بصبح الفضة المصرية كل دينار زنة درهم وحتي نحروبي يربح قليلا، وهذه الدنانير مشحصة على
- أحد وجهيها صورة الملك الذي تُضرب في زمنه، وعلى الوجه الآخر صورتا بطرس وبوليس الحواريين اللذين بعث بهما المسيح عليه السلام إلى رومية، ويعبر عنها بالإفرنجية جمع إفرنجي، وأصله إفرنجي بسين مهملة بدل التاء المشاة فوق نسبة إلى إفرنسة : مدينة من مدنيهم، وربما قيل فيها إفرنجية، وإليها تنسب طائفة الإفرنجية، وهي مقرة الفرنسيس ملكهم، ويعبر عنه أيضا بالدوكات. وهذا الأسم في الحقيقة لا يطلق عليه إلا إذا كان ضرب البندقيّة من الفرنجة، وذلك أن الملك أسمه عندهم دوك، وكان الألف والتاء في الآخر قائمان مقام ياء النسب .

قلت : ثم ضرب الناصر فرج بن برقوق دنانير على زنة الدنانير الإفرنجية المتقدمة الذكر، في أحد الوجهين " لا إله إلا الله محمد رسول الله " وفي الآخر أسم السلطان، وفي وسطه سفظ مستطيل بين خطين، وعرفت بالناصرية وكثروا جدرانها،

(١) أي عن الدينار من تلك الدنانير .

وصار بها أكثر المعاملات . إلا أنهم ينقصونها في الأثمان عن الدنانير الإفرنجية عشرة دراهم .

ثم صَرَبَ على نظيرها " الإمام المستعين بالله أبو الفضل العباس " ^(١) حين استبد بالأمير بعد الناصر فرج ، ولم يتغير فيها غير السكّة ، باعتبار انتقالها من اسم السلطان إلى اسم أمير المؤمنين .

ثم صَرَفُ الذهب بالديار المصرية لا يثبت على حالة بل يعلو تارة ويهبط أخرى بحسب ما تقتضيه الحال ، وغالب ما كان عليه صرف الدينار المصري فيما أدركناه في التسعين والسبعينات وما حولها عشرون درهما ، والإفرنجي سبعة عشر درهما وما قارب ذلك . أما الآن فقد زاد وخرج عن الحد خصوصا في سنة ثلاث عشرة وثمانمائة ، وإن كان في الدولة الظاهرية ببيرس قد بلغ المصري ثمانية وعشرين درهما ونصفا فيما رأيت في بعض التواريخ .

أما الدينار الجبشي ، فسمى لا حقيقة ، وإنما يستعمله أهل ديوان الجيش في عبءة الإقطاعات بأن يجعلوا لكل إقطاع عبءة دنانير معينة من قليل أو كثير، وربما أخلت بعض الإقطاعات من العبءة . على أنه لا طائل تحتها ولا فائدة في تعيينها ، وربما كان منحصّل مائة دينار في إقطاع أكثر من منحصّل مائتي دينار فأكثر في إقطاع آخر . على أن صاحب " قوانين الدواوين " قد ذكر الدينار الجبشي في إقطاعات على طبقات مختلفة في عبءة الإقطاعات ، فالأجناد من الترك والأكراد والتركمان دينارهم دينار كامل ، والكثانية والعساقلة ومن يجرى مجراهم دينارهم نصف دينار ، والعربان في الغالب دينارهم ثمن دينار ، وفي عُرف الناس ثلاثة عشر درهما وثلاث ، وكأنه على ما كان عليه الحال من قيمة الذهب عند ترتيب الجيش في الزمن

(١) كذا في المنقري (ج ٢ ص ٢٤٢) والنجوم الزاهرة في حوادث سنة ٥٨١٤ وحبابة الحيوان أيضا . وفي مروج الذهب : « أبو العباس » كما سبق للزلف في الخلفاء العباسيين .

القديم، فإن صرف الذهب في الزمن الأول كان قريبا من هذا المعنى، ولذلك جعلت الدية عند مَنْ قَدَّرَها بالنقد من الفقهاء ألف دينار وأثنى عشر ألف درهم، فيكون عن كل دينار اثنا عشر درهما، وهو صرفه يومئذ .

النوع الثاني

الدراهم النقرة

- وأصل موضوعها أن يكون ثلثاها من فضة وثلثها من نحاس، وتطبع بدور الضرب بالسكة السلطانية على نحو ما تقدم في الدنانير، ويكون منها دراهم صحاح وقراضات مكسرة على ماسياتي ذكره في الكلام على دار الضرب فيما بعد إن شاء الله تعالى .
- والعبرة في وزنها بالدرهم، وهو معتبر بأربعة وعشرين قيراطا، وقدر بست عشرة حبة من حب الخروب، فنكون كل خروبين ثمن درهم، وهي أربع حبات من حب البر المعتدل، والدرهم من الدينار نصفه وخمسه، وإن شئت قلت سبعة أعشاره فيكون كل سبعة مثاقيل عشرة دراهم .
- أما الدراهم السوداء، فأسماء على غير مسميات كالدينار الجيشية، وكل درهم منها معتبر في العرف بثلاث دراهم نقرة، وبالإسكندرية دراهم سوداء يأتي الكلام عليها في معاملة الإسكندرية إن شاء الله تعالى .

النوع الثالث

النلوس، وهي صنفان : مطبوع بالسكة، وغير مطبوع

- فأما المطبوع فكان في الزمن الأول إلى أواخر الدولة الناصرية حسن بن محمد ابن فلاوون فلوس إطفاف، يعتبر كل ثمانية وأربعين فلسا منها بدرهم من النقرة على اختلاف السكة فيها، ثم أحدث في سنة تسع وخمسين وسبعائة في سلطنة حسن أيضا

فلوس شهرت بالحدُّد جمع جَدِيد، زِنَةُ كُلِّ فُلُوسٍ مِنْهَا مَثْقَالٌ، وَكُلُّ فُلُوسٍ مِنْهَا قِيرَاطٌ مِنْ الدَّرْهَمِ، مَطْبُوعَةٌ بِالسَّكَّةِ السُّلْطَانِيَّةِ عَلَى مَا سَيَأْتِي ذِكْرُهُ فِي الْكَلَامِ عَلَى دَارِ الضَّرْبِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، بِخِصَائِتِ فِي نِهَائِيَةِ الْحُسْنِ، وَبَطْلِ مَا عَدَاهُ مِنَ الْفُلُوسِ، وَهِيَ أَكْثَرُ مَا يَتَعَامَلُ بِهِ أَهْلُ زَمَانِنَا. إِلَّا أَنَّهَا فَسَدَ قَانُونُهَا فِي تَنْقِيصِهَا فِي الْوِزْنِ عَنِ الْمَثْقَالِ حَتَّى صَارَ فِيهَا مَا هُوَ دُونَ الدَّرْهَمِ، وَصَارَ تَكْوِينُهَا غَيْرَ مُسْتَدِيرٍ، وَكَانَتْ تُوزَنُ بِالْقَبَّانِ كُلِّ مِائَةٍ وَثَمَانِيَةِ عَشْرٍ رَطْلًا بِالمِصْرِيِّ بِمَبْلَغِ نَحْسِمَائَةِ دَرْهَمٍ، ثُمَّ أَخَذَتْ فِي التَّنَاقُصِ لِصَغْرِ الْفُلُوسِ وَنَقَصَ أَوْزَانُهَا حَتَّى صَارَ كُلُّ مِائَةٍ وَأَحَدٍ عَشْرٍ رَطْلًا بِمَبْلَغِ نَحْسِمَائَةِ.

قلت : ثم استقر الحال فيها [على ذلك]^(١) على أنه لوجعل كل أوقية فما دونها بدرهم، لكان حسنا باعتبار غلوة النحاس وقلة الواصل منه إلى الديار المصرية، وحمل التجار الفلوس المضروبة من الديار المصرية إلى الحجاز واليمن وغيرها من الأقاليم متجرا، ويوشك إن دام هذا أن تنفد الفلوس من الديار المصرية، ولا يوجد ما يتعامل به الناس.

وأما غير المطبوعة فنحاس مكسر من الأحمر والأصفر، ويعبر عنها بالعتق، وكانت في الزمن الأول كل زنة رطل منها بالمصري بدرهمين من النقرة، فلما عملت الفلوس الحدد المنقمة الذكر، استقر كل رطل منها بدرهم ونصف، وهي على ذلك إلى الآن.

قلت : ثم نفذت هذه الفلوس من الديار المصرية لغلوة النحاس، وصار مهما وجد من النحاس المكسور خلط بالفلوس الحدد وراج معها على مثل وزنها.

(١) زيادة بنصها السابق.

الركن الثاني

في المُثَمَّنَات، وهي على ثلاثة أنواع

النوع الأول

الموزونات

- ٥ ورطلها الذي يعتبر بوزنه في حاضرتها من القاهرة والقُسْطَاط وما قاربهما الرطل المصري، وهو مائة وأربعة وأربعون درهما، وأوقيته اثنا عشر درهما، وعنه يتفرع الفِنْطَارُ المصري، وهو مائة رطل، وتعتبر أوزان الطيب بها بالمتن، وهو مائتان وستون درهما، وأوقيته ست وعشرون أوقية، فتكون أوقيته عشرة دراهم.

النوع الثاني

المكيّلات من الحبوب ونحوها

١٠

- واعلم أن بمصر أقداحا مختلفة المقادير أيضا كالأرطال بحسبه، ولكل ناحية منها قَدَحٌ مخصوص بحسب إردبها، والمستعمل منها بالحاضرة القَدَحُ المصري، وهو قَدَحٌ صغير تقديره بالوزن من الحَبِّ المعتدل مائتان وأثنان وثلاثون درهما، وقدره الشيخ تقي الدين بن رزين في الكلام على صاع الفِطْرَةِ بأثنين وثلاثين ألف حبة وسبعمائة. وأثنين وستين حبة، وكل ستة عشر قدحا تسمى وِيبَةٌ، وكل ستة وتسعين قدحا تسمى إردبًا، وبنواحيها بالوجهين القبلي والبحري إردبٌ متفاوتة يبلغ مقدار الإردب في بعضها إحدى عشرة وِيبَةً بالمصري فأكثر.

(١) لعله بحسب إردبها . أرمي زائدة من قلم الناح .

النوع الثالث

المقيسات، وهي الأراضي والأقمشة

فأما الأراضي فصنفان :

الصنف الأول

أرض الزراعة

وقد أصطلح أهلها على قياسها بقصبة تعرف بالحاكية، كأنها حررت في زمن الحاكم بأمر الله الباطمي فنسبت إليه، وطولها ستة أذرع بالهاشمي كما ذكره أبو القاسم الزجاجي في "شرح مقدمة أدب الكاتب" ونحسة أذرع بالنجاري كما ذكره ابن ممتي في "قوانين الدواوين" وثمانية أذرع بذراع اليد كما ذكره غيرهما .

١٠ وذراع اليد ست قبضات بقبضة إنسان معتدل، كل قبضة أربعة أصابع بالخنصر والبصر والوسطى والسبابة، كل إصبع ست شعيرات معترضات ظهراً لبطن على ما تقدم في الكلام على الأميال . وقد تقدر القصبة بباعين من رجل معتدل؛ وربما وقع القياس في بعض بلاد الوجه البحري منها بقصبة تعرف بالسندفاوية أطول من الحاكية بقليل، نسبة إلى بلد تسمى سندفا بالقرب من مدينة المحلة، ثم كل

١٥ أربعائة قصبة في التكسير يعبر عنها بفدان، وهو أربعة وعشرون قيراطاً، كل قيراط ست عشرة قصبة في التكسير .

الصنف الثاني

أرض البنيان من الدور وغيرها

وقد أصطلحوا على قياسها بذراع يعرف بذراع العمل طوله ثلاثة أشبار بشبر رجل معتدل، ولعله الذراع الذي كان يقاس به أرض السواد بالعراق، فقد ذكر الزجاجي

٢٠

أنه ذراع وثلاث بذراع اليد ، وكان آبتداء وضع الذراع لقياس الأرضين أن زياد ابن أبيه حين ولّاه معاوية العراق وأراد قياس السواد ، جمع ثلاثة رجال : رجلا من طوال القوم ورجلا من قصارهم ورجلا متوسطا بين ذلك ؛ وأخذ طول ذراع كل منهم ، بجمع ذلك وأخذ ثلثه ، فجعله ذراعا لقياس الأرضين ، وهو المعروف بالذراع الزيادة لوقوع تقديره بامر زياد ، ولم يزل ذلك حتى صارت الخلافة لبني العباس فاتخذوا ذراعا مخالفا لذلك كأنه أطول منه ، فسمى بالهاشمي لوقوعه في خلافة بني العباس ، ضرورة كونهم من بني هاشم .

وأما الأقمشة — فإنها تقاس بالقاهرة بذراع طوله ذراع بذراع اليد وأربع أصابع مطبوقة ، ويزيد عليه ذراع القماش بالفسطاط بعض الشيء ، وربما زاد في بعض نواحي الديار المصرية أيضا نحو ذلك . وغير التماس من الأصناف أيضا كالخصر وغيرها ذراع ينخصه .

الركن الثالث

في الأسعار

وقد ذكر المقر الشهابي بن فضل الله في "مسالك الأبصار" جملة من الأسعار في زمانه فقال : وأوسط أسعارها في غالب الأوقات أن يكون الإردب القمح بخمسة عشر درهما ، والشعير بعشرة^(١) ، وبقية الحبوب على هذا الأنموذج ؛ والأردب يبلغ فوق ذلك ؛ واللحم أقل سعره الرطل بنصف درهم ، وفي الغالب أكثر من ذلك ؛ والدجاج يختلف سعره بحسب حاله ، بخيذه الطائر منه بدرهمين إلى ثلاثة ، والدون منه بدرهم واحد ؛ والسكر الرطل بدرهم ونصف ، وربما زاد ، والمكر منه بدرهمين ونصف .

(١) في الأصل : « بسعره » والسياق يقتضى ما أثبتناه .

قلت : وهذه الأسعار التي ذكرها قد أدركنا غالبها وبقيت إلى ما بعد الثمانين والسبعائة فغلت الأسعار وتزايدت في كل صنف من ذلك وغيره ، وصار المثل إلى ثلاثة أمثاله وأربعة أمثاله ، فلا حول ولا قوة إلا بالله ذي المنن الحسيمة القادر على إعادة ذلك على ما كان عليه أو دونه ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُتْرَلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا ﴾ .

الطرف الثاني

في ذكر جسورها الحابسة لمياه النيل على أرض بلادها إلى حين استحقاق الزراعة ، وأصناف أرضها ، وما يختص بكل صنف من أرضها من الأسماء الدائرة بين كُتابها ، ومزارعها ، وبيان أصناف مزرعاتها وأحوال زرعها

فأما جسورها فعلى صنفين :

الصنف الأول

الجسور السلطانية

وهي الجسور العامة الجامعة للبلاد الكثيرة التي تُعمر في كل سنة من الديوان السلطاني بالوجهين : القبلي والبحري ، ولها جراريف ومحاريف وأبقار مرتبة على غالب البلدان بكل عمل من أعمالها . وقد جرت العادة أن يجهز لكل عمل في كل سنة أمير بسبب عمارة جسوره ، ويعبر عنه بكاشف الجسور بالعمل الفلاني ، ويعترف بذلك في تعريف مكاتبته عن الأبواب الشريفة ، وربما أضيف كَشَفُ جسور عمَلٍ من الأعمال إلى مُتَوَلَّى جريه ، ويقال في تعريفه : وإلى فلانة وكاشف الجسور بها ، إذا كانت المكاتبه بسبب شيء يتعلق بالجسور ، ولهذا الجسور كاتبٌ منفرد بها مقرّر في ديوانه ما على كل بلد من الجراريف والأبقار ، وتكتب التذاكير

السلطانية لكاشف كل عمل في الورق الشامي المربع، ويشملها العلامة الشريفة السلطانية بالاسم الشريف، وللبسور خولة ومهندسون لكل عمل يقومون في خدمة الكاشف في عمارة البسور إلى أن تنتهي عمارتها .

الصف الثاني

البسور البلدية

وهي الخاصة ببلد دون بلد، ويتولى عمارتها المقطعون بالبلاد : من الأمراء والأجناد وغيرهم ، من أموال البلاد الجارية في إقطاعهم ، ولها ضرائب مقررة في كل سنة .

قال ابن ممتي في "قوانين الدواوين" : والفرق بين السلطانية والبلدية أن السلطانية جارية مجرى سور المدينة الذي يجب على السلطان الأهتمام بعمارة والنظر في مصلحته وكفاية العامة أمر الفكرة فيه، والبلدية جارية مجرى الأدر والمساكن التي داخل السور، كل صاحب دار منها ينظر في مصلحتها ويلتم تدير أمره فيها . قال : وقد جرت عادة الديوان أن المقطع المنفصل إذا أنفق شيئاً من إقطاعه في إقامة جسر لعمارة السنة التي أنتقل الخير عنه لها ، استعيد له نظير منفقته من المقطع الثاني ؛ وكذلك كل ما أنفقه من مال سنته في عمارة سنة غيره كان له استعادة نظيره .

قلت : وقد أهمل الأهتمام بأمر البسور في زماننا، وترك عمارة أكثر البسور البلدية، واقتصر في عمارة البسور السلطانية على الشيء اليسير الذي لا يحصل به كبير نفع، ولولا ما من الله تعالى به على العباد من كثير الزيادة في النيل من حيث إنه صار يجاوز تسعة عشر ذراعاً فما فوقها إلى ما جاوز العشرين ، لفات رى أكثر

البلاد وتعطلت زراعتها ﴿ فَضْلاً مِنْ اللَّهِ وَنِعْمَةً ﴾ وإلا فقد كان النيل في الغالب يتف على سبع عشرة ذراعا فما حولها، بل قد تقدم من كلام المسعودي أنه إذا جاء النيل ثمانى عشرة ذراعا، أستبحر من أراضيها الثلث .



وأما أنواع أرضها — وما يختص بكل نوع من الأسماء ، فإنها تختلف باختلاف الزراعة وعدمها ، وبسبب ذلك تتفاوت الرغبة فيها وتختلف قيمتها باختلاف قيمة ما يُزرع فيها ، وقد عد منها ابن ممتي ثلاثة عشر نوعا :

النوع الأول — الباق ، قال ابن ممتي : وهو أثر القرط والقطاني والمقاني . قال : وهو خير الأرضين وأغلاها قيمة وأوفاهما سعرا وقطية ، لأنها تصلح لزراعة القمح والكّان .

قلت : والمعروف في زماننا أن الباق أثر القرط والفول خاصة . أما المقاني فإن أثرها يسمى البرش ، وسيأتي ذكره فيما بعد .

النوع الثاني — ري الشراق ، قال ابن ممتي : وهو يتبع الباق في الجودة ، ويأحق به في القطية ، لأن الأرض قد ظمئت في السنة الماضية وأشدت حاجتها إلى الماء . فلما رويت حصل لها من الري بمقدار ما حصل لها من الظم ، وكانت أيضا مستريحة فزرعها يُنجب .

النوع الثالث — البروبية ، وأهل زماننا يقولون البرايب ، قال ابن ممتي : وهو أثر القمح والشعير ، قال : وهو دون الباق لأن الأرض تضعف بزراعة هذين الصنفتين . فمتى زرع أحدهما على الآخر لم تنجب كنجابة الباق وسعرها دون سعره ، ويجب أن تزرع قرطا وقطاني ومقاني لتستريح الأرض وتصير باقا في السنة الآتية .

- النوع الرابع - البُقْهَة، بضم الباء الموحدة وسكون القاف - وهو أثر الكَنّان .
 قال ابن ممتى : ومتى زُرِع فيه القمح لم يُنَجِب ، وجاء رقيق الحب أسود اللون .
- النوع الخامس - الشتونية ، وأهل زماننا يقولون الشتانى ، وهو أثر ما روى
 وبارزى السنة الماضية ؛ قال ابن ممتى : وقطيعته دون قطيعة الشراقى .^(١)
- النوع السادس - شوشمس السلايح ؛ قال ابن ممتى : وهو عبارة عما روى
 وبارزى فخرث وعطل ، وهو يجرى مجرى الباق ورى الشراقى ، ويحى ناجب الزرع .^(٢)
- النوع السابع - البرش النقاء ؛ قال : وهو عبارة عن كل أرض خلت من أثر
 ما زرع فيها للسنة الماضية ، لا شاغل لها عن قبول ما تُودعه من أصناف المزروعات .^(٣)
- النوع الثامن - الوُسخ المزروع ؛ قال : وهو عبارة عن كل أرض لم
 يستحكم وسخها ، ولم يقدر المزارعون على استكمال إزالته منها فخرثوها وزرعوها وطلع
 زرعها مختلطا بوسخها .
- النوع التاسع - الوُسخ الغالب ، وهو عبارة عن كل أرض حصل فيها من
 النبات الذى شغلها عن قبول الزراعة ما غلب المزارعين عليها ، ومنعهم بكثرته عن
 الزراعة فيها ، وهى تباع مرعى للبهائم .
- النوع العاشر - الخرس ، وهو عبارة عن فساد الأرض بما استحكم فيها من موانع
 قبول الزرع ، وهو أشد من الوسخ الغالب فى التنقية والإصلاح ، وهى مرعى الدواب .
- النوع الحادى عشر - الشراقى ، وهو عبارة عما لم يصل إليه الماء لتقصُّور
 النيل وعلق الأرض ، أو سدّ طريق الماء عنه .

(١) كذا فى قوانين الدواوين (ص ٣٣ من النسخة الفتوغرافية المحفوظة بدار الكتب المصرية
 برقم ٦٣٠١ أدب) وفى الأصل : « شق شمس » . (٢) فى قوانين الدواوين المطبوع
 (ص ٣٨) هما نوعان مختلفان فذكر « البرش » وقال : « هو حرث الأرض على ما تقدم حرثها بعد ما كان
 فيها زراعة أيضا ، ويعبر به عن أثر المقات ، وبالجملة فإنه عبارة عن الأرض المحروثة وهو من أجودها
 للزراعة » ثم ذكر « النقا » وعرفه بما نقله عنه القلقشندى هنا . (٣) كذا فى قوانين الدواوين .
 وفى الأصل : « نوعه » . (٤) كذا فى قوانين الدواوين . وفى الأصل : « المزرعات » .

النوع الثاني عشر - المستبجر، وهو عبارة عن أرض واطنة إذا حصل الماء فيها لا يجد مصرفاً له عنها فيمضي زمن المزارعة قبل زواله بالثُضُوب . قال ابن ممتي : وربما أنتفع به من أزرع الأرض بالأسنقاء منه بالسواقي لما زرعه في العلو .

النوع الثالث عشر - السباخ ، وهو أرض غلب عليها الملح فملحت حتى لم يُنتفع بها في زراعة الحبوب ، وهي أردى الأرضين . قال ابن ممتي : وربما زرع فيما لم يستحكم منها الهليون والبادنجان ، وربما قطع منها ما يسبخ به الكنان ، ويزرع فيها القصب الفارسي فينجب .

الطرف الثالث

في وجوه أموالها الديوانية ، وهي على ضربين : شرعي وغير شرعي

الضرب الأول الشرعي

وهو على سبعة أنواع

النوع الأول

المال الخراجي ، وهو ما يؤخذ عن أجرة الأرضين ، وله حالان

الحال الأول - ما كان عليه الأمر في الزمن المتقدم ، وقد أورد ابن ممتي

في "قوانين الدواوين" ما يقتضى أنه كان على كل صنف من أصناف المزرعات (١) قطعة مقررة في الديوان السلطاني لا يختلف أمرها ، فذكر أن قطعة القمح كانت إلى آخر سنة سبع وستين وخمسمائة عن كل فدان ثلاثة أردب ، ثم إنه تقرر عند المساحة في سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة إردبان ونصف إردب . ثم قال : ومن

(١) كذا في قوانين الدواوين . وفي الأصل : « المزرعات » .

ذلك ما يباع بعين ، ومنه يُزرع مُشاطرة . قال : وقطية الشعير كذلك ؛ وقطية
 الفول عن كل فدان من ثلاثة أراذب إلى أردبين ونصف ؛ وقطية الجلبان والحمص
 والعدس عن كل فدان إردبان ونصف ؛ وقطية الكنان تختلف باختلاف البلاد .
 ثم قال : وهى على آخر ما تقرّر فى الديوان عن كل فدان ثلاثة دنانير إلى ما دونها ؛
 وقطية القُرط بالديوان عن كل فدان دينار واحد ، وفيما بين الناس مختلف ؛ وقطية
 الثوم والبصل عن كل فدان ديناران ؛ وقطية الترميس عن كل فدان دينار واحد
 وربع ؛ وقطية الكون والكراويا والساجم الصيفى عن كل فدان دينار واحد .
 قال : وكان قبل ذلك دينارين ؛ وقطية البطيخ الأخضر والأصفر واللوبياء عن
 كل فدان ثلاثة دنانير ؛ وقطية السمسم عن كل فدان دينار واحد ؛ وقطية القطن
 كذلك ؛ وقطية قصب السكر عن كل فدان إن كان رأساً خمسة دنانير ، وإن كان
 خلفاً ديناران وخمسة قراريط ؛ وقطية القلقاس عن كل فدان ثلاثة دنانير ؛ وقطية
 النيلة عن كل فدان ثلاثة دنانير ؛ وقطية الفجل عن كل فدان دينار واحد ؛ وقطية
 اللفت كذلك ؛ وقطية الخس عن كل فدان ديناران ؛ وقطية الكرنب كذلك .
 قال : والقطيعة المستقرة عن خراج الشجر والكرم تختلف باختلاف سنينه . ثم قال :
 وهو يدرك فى السنة الرابعة ويترتب على كل فدان ثلاثة دنانير ؛ وقطية القصب
 الفارسى عن كل فدان ثلاثة دنانير .

الحال الثانى - ما الأمر عليه فى زماننا ، والحال فيه مختلف باختلاف البلاد .

فالوجه القبلى الذى هو الصعيد أكثر خراجه غلالاً من قمح وشعير وحمص وفول
 وعدس وبسلة وجلبان ، ويعبر فى عُرف الدواوين عما عدا القمح والشعير والحمص
 بالحبوب ، ثم الغالب أن يؤخذ عن خراج كل فدان من الأصناف المذكورة ما بين
 إردبين إلى ثلاثة بكل تلك الناحية ، وربما زاد أو نقص عن ذلك ، وفى الغالب

يؤخذ مع كل إردب درهم أو درهمان أو ثلاثة، ونحو ذلك بحسب قطائع البلاد وضرائبها في الزيادة والنقص في الأردب والدرهم؛ وربما كان الخراج في بعض هذه البلاد دراهم؛ وما بار من أرض كل بلد يباع ما نبت فيه من المرعى مناجزة، وربما أخذ فيه العداً^(١) على حسب عرف البلاد .

والوجه البحري غالب خراج بلاده دراهم، وليس فيه ما خراج بلاده غلة إلا القليل على العكس من الوجه القبلي .

ثم الذي كان عليه الحال إلى نحو التسعين والسبعائة في غالب البلاد أن يؤجر أثر الباقي كل فدان بأربعين درهما فما حولها، والبراب كل فدان بثلاثين درهما فما حولها، ثم غلا السعر بعد ذلك حتى جاوز الباقي المائة والبراب الثمانين، وبلغ البرش نحو المائتين، وذلك عند غلو الغلال وارتفاع سعرها .

قلت : ثم تزايد الحال في ذلك بعد الثمانائة إلى ما بعد العشر والثمانائة حتى صار يؤخذ في الباقي عن كل فدان نحو الأن^(٢) بمائة درهم، وربما زادت الأرض الطيبة حتى بلغت ستمائة درهم، وفي البراب ونحوه دون ذلك بالنسبة؛ ثم إنه إذا كان المقتر في خراج بلد من بلاد الديار المصرية غلالا وأعوز صنف من الأصناف أن يؤخذ البديل عنها من صنف آخر من الغلة .

وقد ذكر في "قوانين الدواوين" أن قاعدة البديل أن يؤخذ عن القمح بديل كل إردب من الشعير إردبان، ومن الفول إردب واحد ونصف، ومن الحميص إردب، ومن الجلبان إردب ونصف، والشعير يؤخذ عن كل إردب منه نصف إردب من

(١) مراده بعداد المواشي الزراعية : من الإبل والبقر والغنم .

(٢) في تركيب ركازة والغنم مفهوم .

- القمح أو ثلثا إردب من الفول أو نصف إردب من الحمص أو ثلثا إردب من الجلبان؛
 وفي الفول يؤخذ عن كل إردب منه ثلث إردب من القمح أو [إردب^(١) و] نصف
 إردب من الشعير أو ثلثي إردب من الحمص أو إردب من الجلبان؛ وفي الحمص
 يؤخذ عن كل إردب منه إردب من القمح أو إردبان من الشعير أو إردب ونصف
 من الفول أو إردب ونصف من الجلبان؛ وفي الجلبان يؤخذ عن كل إردب منه ثلثي^(٢)
 إردب من القمح أو إردب ونصف من الشعير أو إردب من الفول أو ثلثي إردب
 من الحمص . ثم قال : والسَّمِيمُ والسَّلْجَمُ والسَّكَّانُ ما رأيت لها بدلا ، والاحتياط
 في جميع ذلك الرجوع إلى سعره الحاضر ، فإنه أسلم طريقةً وأحسن عاقبةً .
 وأعلم أن بلاد الديار المصرية بالوجهين : القبلي والبحري بجملة جارية في الدواوين
 السلطانية وإقطاعات الأمراء وغيرهم من سائر الجند إلا التزر البسير مما يجري
 في وقف من سلف من ملوك الديار المصرية ونحوهم على الجوامع والمدارس والخوانق
 ونحوها مما لا يعتد به لقلته .

والجارى في الدواوين على ضربين :

الضرب الأول

- ١٥ ما هو داخل في الدواوين السلطانية ، وهو الآن على أربعة أصناف :

الصنف الأول

ما هو جار في ديوان الوزارة ؛ وأعظمه خطراً وأرفعه قدراً جهتان :
 إحداهما — عمل الجيزية المتقدم ذكره في أعمال الديار المصرية ، ولها مباشرون
 بمفردها من ديوان الوزارة ما بين ناظر ومستوف وشهود وصيرفي وغيرهم ، وغالب

(١) الزيادة عن قوانين الدواوين .

(٢) كذا في قوانين الدواوين . وفي الأصل : « ثلث » .

نحراجه مبلغ دراهم تحمل إلى بيت المال فتثبت فيه وتصرف منه في جملة مصارف بيت المال، وربما حمل من بعضها الغلة اليسيرة من القمح وغيره للأهراء السلطانية^(١) بالفسطاط، ومن أرضها تفرد الإطلاقات؛ ويبذر فيها البرسيم لربيع الخيول بالإصطبلات السلطانية والأمراء والممالك السلطانية.

الثانية - عمل منفلوط، وله مباشرون كما تقدم في الجزية بل هي أرفع قدرا وأكثر متحصلا، وغالب نحراجه غلال: من قمح وفول وشعير، وغلالها تحمل إلى الأهراء السلطانية بالفسطاط، ويصرف منها في جملة مصارف الأهراء على الطواحين السلطانية والمناخات وغير ذلك، وربما حمل منها المبلغ اليسير إلى بيت المال فيثبت فيه ويصرف منه على ما تقدم في الأعمال الجزية، وما عدا هاتين الجهتين من البلاد الجارية في ديوان الوزارة مفترقة في الأعمال بالوجهين: القبلي والبحري، وهي في الوجه القبلي أكثر، ولكنها قد تناقصت في هذا الزمن حتى لم يبق فيها إلا بعض بلاد بالوجه القبلي.

الصف الثاني

ما هو جار في ديوان الخاص

وهو الديوان الذي أحدثه السلطان "الملك الناصر محمد بن قلاوون" حين أبطل الوزارة على ما سيأتي ذكره؛ وأعظم بلادها وأرفعها قدرا مدينة الإسكندرية فإنها في الغالب مضافة إليه؛ وبها مباشرون من ناظر ومستوف وشادين وغيرهم. وربما أخرجت عنه في جهات أخرى جارية فيه، ويلها تروجة وفوة ونستروه، ومال جميعها يحمل إلى خزنة الخاص الآتي ذكرها تحت نظر ناظر الخاص الآتي ذكره.

(١) الأهراء: جمع «هرى» بضم الهاء وكسر الراء وتشديد الياء، وهي بيت كبير تجمع فيه الدلال التي للسلطان، قال الأزهرى: لا أدري أعربي هو أم دخيل.

الصنف الثالث

ما هو جار في الديوان المُفرد

وهو ديوان أحدثه "الظاهر برقوق" في سلطته ، وأفرد له بلادا ، وأقام له مباشرين وجعل الحديث فيه لأستاذ داره الكبير ، ورتب عليه نفقة مما ليكه من جامكيات وعليق وكسوة وغير ذلك .

قلت : وليس هو المخترع لهذا الاسم بل رأيت في ولايات الدولة الفاطمية بالديار المصرية ما يدل على أنه كان للخليفة ديوان يسمى : الديوان المُفرد .

الصنف الرابع

ما هو جار في ديوان الأملاك

وهو ديوان أحدثه "الظاهر برقوق" المتقدم ذكره ، وأفرد له بلادا سماها أملاكا ، وأقام لها أستاذ دار ومباشرين بمفردها ، وهذا الديوان خاص بالسلطان ليس عليه مرتب نفقة ولا كلفة .

الضرب الثاني

ما هو جار في الإقطاعات

وهو جُلُّ البلاد بالوجهين القبلي والبحري ، والبلاد النفيسة الكثيرة المتحصّلة في الغالب تقطع للأمرء على قدر درجاتهم ، فمنهم من يجتمع له نحو العشر بلاد إلى البلد الواحدة ، وما دون ذلك من البلدان يقطع للمالك السلطانية ، يشترك الاثنان في فوقهما في البلدة الواحدة في الغالب ، وربما أنفرد الواحد منهم بالبلد الواحد .

وما دون ذلك يكون لأجناد الحلقة تجتمع الجماعة منهم في البلد الواحد بحسب مقداره وحال مُقَطَّعِيهِ ، وفي معنى أجناد الحلقة المُقَطَّعون من العُرَبان بالبحيرة والشرقية من أرباب الأدراك وملترمي خيل البريد وغيرهم .

ثم أعلم أن لبلاد الديار المصرية حالين :

الحال الأول - أن تنجز إجارة طين البلد بقدر معين لا يزيد ولا ينقص ، وطلب الحراج على حكمها .

الحال الثاني - أن تكون البلاد مما جرت العادة بمساحة أرضها لسعة طينها وأختلاف الري فيه بالكثرة والقلّة في السنين ؛ وقد جرت العادة في ذلك أن كاتب حراج الناحية يطلب خولة القانون بذلك البلد وتورنج الأحواض على المزارعين بقدن مقدرة ، وتكتب بها أوراق تسمى أوراق المسجل ، وتحمل نسختها الى ديوان صاحب الإقطاع فتخلد فيه ؛ فإذا طلع الزرع خرج من باب صاحب الإقطاع مباشرة ، فيمسحون أرض تلك البلد في كل قبالة بأسماء المزارعين ، ويكتب أصل ذلك في أوراق تسمى الفُنداق^(١) ، ثم يجمع القبائل بأوراق تسمى تاريخ القبائل^(٢) ، ثم تجمع أسماء المزارعين بأوراق تسمى تاريخ الأسماء ، ويقابل بين ما أشتمت عليه أوراق المسجل وما أشتمت عليه مساحته ، وفي الغالب يزيد عن أوراق المسجل ، ويجمع ذلك وتنظم به أوراق تسمى المكلفة ، ويكتب عليها الشهود وحاكم العمل ، وتحمل لديوان المُقَطَّع نسخا .

(١) الفنداق ، هو الذي تكتب فيه المساحات حال قيامها . (٢) القبائل : جمع قبالة يفتح القاف ، وهي الأرض التي يقبلها أصحابها ، أي يضمونها بمبلغ من المال يؤدونه عنها في كل سنة . (٣) التاريخ ، هو الأوراق التي يسطها مباشر المساحة بما في السجلات ويختمها بما انتهت إليه المساحة كما في نهاية الأرب للنويري (ج ٨ ص ٢٥٠ طبع دارالكتب المصرية) وفي الأصل : « تاريخ » وهو مخربف .

النوع الثاني

ما يتحصّل مما يُستخرج من المعادن

وقد تقدّم في الكلام على خواصّ الديار المصرية أن الموجود الآن بها ثلاثة

معادن :

- ٥ الأول - "معدن الزمرد" على القرب من مدينة قوص ، ولم يزل مستمرّ الاستخراج إلى أواخر الدولة الناصرية "محمد بن قلاوون" ، ثم أهمل لقلّة ما يتحصّل منه مع كثرة الكُفّ وبقي مهملاً إلى الآن . وقد ذكر في "مسالك الأبصار" : أنه كان له مباشرون وأمناء من جهة السلطان يتولّون استخراجَه وتحصيله ، ولهم جوامك على ذلك . ومهما تحصل منه يُحْمَل إلى الخزائن السلطانية فيباع ما يباع ، ويبقى ما يصاح للخزائن الملوكية .
- ١٠ الثاني - "معدن الشبّ" (بالباء الموحدة في آخره) . قال في "قوانين الدواوين" : ويُحتاج إليه في أشياء كثيرة ، أهمّها صبغ الأحمر ، وللرّوم فيه من الرغبة بمقدار ما يجدون من الفائدة ، وهو عندهم مما لا بُدّ منه ولا مندوحة عنه ؛ ومعادنه بأماكن من بلاد الصعيد والواحات على ما تقدّم في الكلام على خواصّ الديار المصرية .
- ١٥ قال : وعادة الديوان أن يُنفق في تحصيل كل قنطارٍ منه باللّبي ثلاثين درهماً ، وربما كان دون ذلك . وتهبّط به العرب [من معدنه] إلى ساحل قوص ، وساحل إنحيم ، وساحل أسبوط ، وإلى البهنسي إن كان الإتيان به من الواحات ، ثم يحمل من هذه السواحل إلى الإسكندرية ، ولا يعتدّ للباشرين فيه إلا بما يصح فيها عند الاعتبار . قال ابن مماتي : وأكث ما يباع منه في المتجر بالإسكندرية خمسة آلاف قنطارٍ بالبحرّوى ، وبيع منه في بعض السنين ثلاثة عشر ألف قنطار . وسعره من
- ٢٠

نخسة دنانير إلى خمسة دنانير وربع وسدس كل قنطار . قال : أما القاهرة ، فأكثر ما يباع فيها منه في كل سنة ثمانون قنطارا كل قنطار بسبعة دنانير ونصف ؛ ثم قال : وليس لأحد أن يبيعه ، ولا يشتريه سوى الديوان السلطاني ، ومتى وجد مع أحد شيء من صنفه أستهلك . قلت : وقد تغير غالب حكم ذلك .

الثالث - "معدن النطرون" وقد تقدم في الكلام على خواص الديار المصرية أن النطرون يوجد في معدنين : أحدهما بعمل البحيرة مقابل بلدة تسمى الطرانة على مسيرة يوم منها ، وتقدم في كلام صاحب "التعريف" أنه لا يعلم في الدنيا بقعة صغيرة يستغل منها أكثر مما يستغل منها ، فإنها نحو مائة فدان تغل نحو مائة ألف دينار في كل سنة . والمعدن الثاني بالفاقوسية على القرب من الخطارة ، ويعرف بالخطاري ، وهو غير لاحق في الجودة بالأول .

قال في "نهاية الأرب" : وأول من آحتجر النطرون أحمد بن محمد بن مدهبر نائب مصر قبل أحمد بن طولون ، وكان قبل ذلك مباحا . قال في "قوانين الدواوين" : وهو في طور محدود لا يتصرف فيه غير المستخدمين من جهة الديوان ، والنفقة على كل قنطار منه درهما ، وثمان كل قنطار منه بمصر والإسكندرية لضيق الحاجة إليه سبعون درهما . قال : والعادة المستقرة أنه متى أنفق من الديوان في العربان عن أجرة حمولة عشرة آلاف قنطار ، ألزموا بحمل خمسة عشر ألف قنطار ، حسابا عن كل قنطار قنطار ونصف ؛ ثم قال : وأكثره مصروف في نفقة الغزاة .

قلت : أما في زماننا فقد تضاعفت قيمة النطرون وغلا سعره لاحتجار السلطان له ، وأفرط حتى خرج عن الحد ، حتى إنه ربما بلغ القنطار منه مبلغ ثلثائة درهم أو نحوها . وقد كان على النطرون مرتبون من كتاب دست وكتاب درج وأطباء وكالين وغيرهم وجماعة من أرباب الصدقات يستأدون ذلك ، وينفقون على حمولته

إلى ساحل النيل بالبلدة المعروفة بالطَّرَانة المتقدمة الذكر ، ويبيعونه على مَنْ يرغب فيه ليتوجه به في المراكب إلى الوجه القبلي ، ولم يكن لأحد أن يبيع شيئا بالوجه البحري جملةً ، ثم بطل ذلك في أواخر الدولة الظاهرية برقوق ، وصار النطرون بمجملته خالصا للسلطان جاريا في الديوان المفرد تحت نظر أستاذ دار ، يحمل إلى الإسكندرية والقاهرة فيُخزَن في سُون ثم يباع منها ، وعليه مباشرون يحضرون الواصل والمبيع ، ويعملون الحسابات بذلك ، وتميّز بذلك متحصّله للغاية القصوى .

النوع الثالث

الزكاة

قد تقرر في كتب الفقه أن مَنْ وجبت عليه زكاة كان مخيرا بين أن يدفعها إلى الإمام أو نائبه ، وبين أن يفرقها بنفسه . والذي عليه العمل في زماننا بالديار المصرية أن أرباب الزكوات المؤدّين لها يفرقونها بأنفسهم ، ولم يبق بها ما يؤخذ على صورة الزكاة إلا شيئين :

أحدهما - ما يؤخذ من التجار وغيرهم على ما يدخلون به إلى البلد من ذهب أو فضة ، فإنهم يأخذون على كل مائتي درهم خمسة دراهم ، ثم إذا اشترى بها شيئا وخرج به وعاد بنظير المبلغ الأول لا يؤخذ منه شيء عليه حتى يجاوز سنة . إلا أنهم أنتقصوا سنة ذلك بفعلوها عشرة أشهر ، وخصّوه بما إذا لم يزد في المدة المذكورة على أربع مرار . فإن زاد عليها آسأنفوا له المدة ، ثم إنه إذا كان بالبلد متجرا لأحد من تجار الكارم من بهار ونحوه وحال عليه الحول بالبلد ، أخذوا عليه الزكاة أيضا . ومجرى ذلك جميعه مجرى سائر متحصّلات الإسكندرية في المباشرة وغيرها .

الثنائي - ما يؤخذ من العِداد من واشي أهل بَرَقَة من الغنم والإبل عند وصولهم إلى عمل البحيرة بسبب المرعى ، وفي الغالب يُقَطَّع لبعض الأمراء ، ويخرج قَصَادُهُمْ لأخذه .

النوع الرابع

الجَوَالِي

وهي ما يؤخذ من أهل الذمَّة عن الجزية المقررة على رقابهم في كل سنة، وهي على قسمين : ما في حاضرة الديار المصرية من الفُسطاط والقاهرة، وما هو خارج عن ذلك . فأما ما بحاضرة الديار المصرية ، فإن لهذه الجهة بها ناظرًا يتولى من جهة السلطان بتوقيع شريف ، ويتبعه مباشرة من شاذ وعامل وشهود ، وتحت يده حاشِرٌ لليهود وحاشِرٌ للنصارى يعرف أرباب الأسماء الواردة في الديوان ومن ينضم إليهم ممن يبلغ في كل عام من الصبيان ، ويعبر عنهم بالنشو ، ومن يقدّم إلى الحاضرة من البلاد الخارجة عنها ، ويعبر عنهم بالطاريء ، ومن يهتدى أو يموت ممن اسمه وارد الديوان . ويُمَلِّي على كُتَّاب الديوان ما يتجدد من ذلك .

قال في "قوانين الدواوين" : إن الجزية كانت في زمانه على ثلاث طبقات : عليًا ، وهي أربعة دنانير وسدسٌ عن كل رأس في كل سنة ، ووسطى وهي ديناران وقيراطان ، وسفلى وهي دينار واحد وثلاث وربع دينار وحبتان من دينار ، وإنه أضيف إلى جزية كل شخص درهمان وربع عن رسم الشاذ والمباشرين . ثم قال : وقد كانت العادة جارية باستخراجها في أول المحرم من كل سنة ، ثم صارت تُستخرج في أيام من ذى الحجة . قلت : أما الآن ، فقد نقصت حتى صار أعلاها خمسة وعشرين درهماً ، وأدناها عشرة دراهم ، ولكنها صارت تُسنادى معجلة في شهر رمضان ، ثم ما يتحصّل منها يحمل منه قدر معين في كل سنة لبيت المال ، وباقى ذلك عليه مرتبون من القضاة وأهل العلم والدبابة يوزع عليهم على قدر المتحصّل .

وأما ما هو خارج عن حاضرة الديار المصرية من سائر بلدانها فإن جزية أهل الذمة في كل بلد تكون لمقطع تلك البلد من أمير أو غيره تجرى مجرى مال ذلك الإقطاع ، وإن كانت تلك البلد جارية في بعض الدواوين السلطانية ، كان ما يتحصّل من الجزية من أهل الذمة بها جاريا في ذلك الديوان .

النوع الخامس

ما يؤخذ من تجار الكفار الواصلين في البحر إلى الديار المصرية

- وأعلم أن المقتر في الشرع أخذ العشر من بضائعهم التي يقدمون بها من دار الحرب إلى بلاد الإسلام إذا شُرط ذلك عليهم . والمفتي به في مذهب الشافعي رضي الله عنه أن للإمام أن يزيد في المأخوذ عن العشر وأن ينقص عنه إلى نصف العشر للحاجة إلى الأزدية من جلب البضاعة إلى بلاد المسلمين ، وأن يرفع ذلك عنهم رأسا إذا رأى فيه المصلحة . وكيفما كان الأخذ فلا يزيد فيه على مرة من كل قادم بالتجارة في كل سنة ، حتى لو رجع إلى بلاد الكفر ثم عاد بالتجارة في سنته لا يؤخذ منه شيء إلا أن يقع التراضي على ذلك ، ثم الذي ترد إليه تجار الكفار من بلاد الديار المصرية نغر الإسكندرية ، ونغر دميّاط المحروسيتين ، تأتي إليهما مراكب الفرج والرّوم بالبضائع فتبيع فيهما أو تبتاع منهما ما تحتاج إليه من البضائع ، وقد اتقرّر الحال على أن يؤخذ منهم الخمس وهو ضعف العشر عن كل ما يصل لهم في كل مرة ، وربما زاد ما يؤخذ منهم على الخمس أيضا .

- قال ابن ممتي في "قوانين الدواوين" : وربما بلغ قيمة ما يُستخرج عما قيمته مائة دينار ما يناهز خمسة وثلاثين دينارا ، وربما انحط عن العشرين دينارا . قال : ويطلق على كليهما الخمس ، قال : ومن الروم من يُستأدى منه العشر ، إلا أنه لما

كان الخمس أكثر، كانت النسبة إليه أشهر . ولذلك ضرائب مستقرّة في الدواوين وأوضاع معروفة .

النوع السادس

الموارث الحشرية

وهي مال من يموت وليس له وارث خاص : بقرابة أو نكاح أو ولاء، أو الباق بعد الفرض من مال من يموت وله وارث ذو فرض لا يستغرق جميع المال ولا عاصب له .

وهذه الجهة أيضا على قسمين : مافي حاضرة الديار المصرية، وما هو خارج عنها .

فأما ما محاضرة الديار المصرية، فإن لهذه الجهة ناظرا يوثى من قبل السلطان

بشوق شريف ومعه مباشرون من شاذ وكاتب ومشارف وشهود، وهي مضافة إلى

ما تحت نظر الوزارة من مائر المباشرات، ومحصّلها يحمل إلى بيت المال، وربما

كان عليها مرتبون من أرباب جوامك وغيرهم، وقد جرت عادة هذا الديوان أن

كاتبه في كل يوم يكتب تعريفا بمن يموت بمصر والقاهرة من حشرى أو أهلى

وتفصيله من رجال ونساء وصغار ويهود ونصارى، وتكتب منه نسخ لديوان

الوزارة، ولنظر الدواوين ومستوفي الدولة، ويُسَدُّ من وقت العصر . فمن أطلق

بعد العصر، أضيف إلى النهار القابل .

وأما ما هو خارج عن حاضرة الديار المصرية، فلها مباشرون يُحصّلونها ويحملون

ما يتحصّل منها إلى الديوان السلطاني .

النوع السابع

ما يتحصّل من باب الضرب بالقاهرة

والذى يضرب فيها ثلاثة أصناف :

الصنف الأول

الذهب

- وأصله مما يجلب إلى الديار المصرية من التبر من بلاد التكرور وغيرها مع ما يجتمع إليه من الذهب . قال في "قوانين الدواوين" : وطريق العمل فيها أن يسبك ما يجتمع من أصناف الذهب المختلفة حتى يصير ماء واحدا ، ثم يقلب قُضباناً ويقطع من أطرافها قطع مباشرة النائب في الحكم ، ويمتزج بالوزن ويسبك سبيكة واحدة ، ثم يؤخذ من بعضها أربعة مثاقيل ويضاف إليها من الذهب الحائف المسبوك بدار الضرب أربعة مثاقيل ، ويعمل كل منها أربع ورقات وتجمع الثمان ورقات في قَدَحٍ نِخَارٍ بعد تحرير وزنها . ويوقد عليها في الأتون ليلة ، ثم تخرج الورقات وتمسح ويُعبر^(١) الفرع على الأصل ، فإن تساوى الوزن وأجازته النائب في الحكم ، ضُربَ دنانير . وإن نقص أعيد إلى أن يتساوى ويصح التعليق فيضرب حينئذ دنانير .
- قال ابن الطَوَّير في الكلام على ترتيب الدولة الفاطمية بالديار المصرية في سِياقة الكلام على وظيفة قضاء القضاة : وسبب خلوص الذهب بالديار المصرية ما حكى أن أحمد بن طولون صاحب مصر كان له إمام بمدينة عين شمس الخراب على القرب من المطرية من ضواحي القاهرة ، حيث ينبت البلسان ، وأن يدفرسه ساخت بها يوما في أرض صلدة ، فأمر بحفر ذلك المكان فوجد فيه خمسة نواويس فكشفتها فوجد في الأوسط منها مِيتا مُصَبَّرًا في عسل ، وعلى صدره لوح لطيف من ذهب فيه كتابة لا تعرف ، والنواويس الأربعة مملوءة بسبائك الذهب ، فنقل ذلك الذهب
- (١) كذا في قوانين الدواوين . وفي الأصل : «القدح» وهو تحريف .

ولم يجد من يقرأ ما في اللوح ، فذلل على راهب شيخ بدير العربة بالصعيد له معرفة
 بخط الأواين ، فأمر بإحضاره فأخبره بضعفه عن الحركة ، فوجه باللوحة إليه ،
 فلما وقف عليه قال : إن هذا يقول : أنا أكبر الملوك ، وذهي أخلص الذهب .
 فلما بلغ ذلك أحمد بن طولون ، قال : قبح الله من يكون هذا الكافر أكبر منه
 أو ذهبه أخلص من ذهبه ، فشدد في العيار في دور الضرب ، وكان يحضر ما يعلق
 من الذهب ويختم بنفسه فبقى الأمر على ما قرره في ذلك من التشديد في العيار .
 وكانت دار الضرب في الدولة الفاطمية لا يتولاها إلا قاضي القضاة تعظيماً لشأنها ،
 وتكتب في عهده في جملة ما يضاف إلى وظيفة القضاء ، ويقوم لمباشرة ذلك من
 يختاره من نواب الحكم ، وبقى الأمر على ذلك زمناً بعد الدولة الفاطمية أيضاً .
 أما في زماننا ، فنظرها موكول لناظر الخااص الذي استحدثه "الملك الناصر محمد بن
 قلاوون" عند تعطيله الوزارة على ما سيأتي ذكره في موضعه إن شاء الله تعالى .
 والسكة السلطانية بالديار المصرية فيما هو مشاهد من الدنانير أن يكتب على أحد
 الوجهين : (لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره
 على الدين كله ولو كره الكافرون)^(١) وعلى الوجه الآخر اسم السلطان الذي ضرب
 في زمنه وتاريخ سنة ضربه .

الصنف الثاني

الفضة النقرة

وقد ذكر ابن ممتي في "قوانين الدواوين" في عيارها أنه يؤخذ ثلثمائة درهم
 فضة فتضاف إلى سبعمائة درهم من النحاس الأحمر ، ويسبك ذلك حتى يصير ماء
 واحداً فيقلب قُضباناً ويقطع من أطرافها خمسة عشر درهماً ، ثم تسبك ، فإن خاص

(١) است هذه العبارة نظم آية كما قد يتوهم .

منها أربعة دراهم فضة ونصف حسابا عن كل عشرة دراهم ثلاثة دراهم، وإلا أعيدت إلى أن تصح. وكان هذا ما كان الأمر عليه في زمانه، والذي ذكره المقر الشهابي ابن فضل الله في "مسالك الأبصار": أن عيارها الثلثان من فضة والثلث من نحاس، وهذا هو الذي عليه قاعدة العيار الصحيح كما كان في أيام الظاهر بيبرس وما والاهما، وربما زاد عيار النحاس في زماننا على الثلث شيئا يسيرا بحيث يظهره النقد، ولكنه يروج في جملة الفضة، وربما حصل التوقف فيه إذا كان بمفرده.

قلت: أما بعد الثمانمائة فقد قلت الفضة، وبطل ضرب الدراهم بالديار المصرية إلا في القليل النادر لاستهلاكها في السروج والآنية ونحوها، وأنقطاع واصلها إلى الديار المصرية من بلاد الفرنج وغيرها. ومن ثم عجز وجود الدراهم في المعاملة بل لم تكد توجد. ثم حدث بالشام ضرب دراهم رديئة فيها الثلث فما دونه فضة والباقي نحاس أحمر، وطريقة ضربها أن تقطع القضبان قطعا صغارا كما تقدم في الدنانير، ثم تُرَّصَع إلا أن الدنانير لا تكون إلا صحاحا مستديرة، والفضة ربما كان فيها القراضات الصغار المتفاوتة المقادير فيما دون الدرهم إلى ربع درهم وما حوله، وصورة السكة على الفضة كما في الذهب من غير فرق.

الصف الثالث

١٥

الفلوس المتخذة من النحاس الأحمر

وقد تقدم أنه كان في الزمن الأول فلوس صغار كل ثمانية وأربعين فلسا منها معتبرة بدرهم من النقرة إلى سنة تسع وخمسين وسبعائة في سلطنة الناصر حسن بن محمد بن علاون الثانية، فأحدثت فلوس عبر عنها بالحد زنة كل فلس منها مثقال، وهو قيراط من أربعة وعشرين قيراطا من الدرهم، ثم تناقص مقدارها حتى كادت

٢٠

تفسد وهى على ذلك، وطريق عملها: أن يُسبك النحاس الأحمر حتى يصير كالماء، ثم يخرج فيضرب قضباناً، ثم يُقَطَّع قطعاً صغاراً، ثم تُرَصَّع وتُسك بالسكة السلطانية وسكتها أن يكتب على أحد الوجهين اسم السلطان ولقبه ونسبه، وعلى الآخر اسم بلد ضربيه وتاريخ السنة التى ضرب فيها.

الضرب الثانى

من الأموال الديوانية بالديار المصرية غير الشرعية،

وهو المكوس، وهى على نوعين

النوع الأول

ما يختص بالديوان السلطانى وهو صنفان

الصنف الأول

ما يؤخذ على الواصل المجلوب، وأكثره متحصلاً جهتان

الجهة الأولى

ما يؤخذ على واصل التجار الكارمية من البضائع فى بحر القلزم

من جهة الحجاز واليمن وما والاها، وذلك بأربعة

سواحل بالبحر المذكور

الساحل الأول — "عَيْدَابُ" وقد كان أكثر السواحل واصلًا لرغبة رؤساء

المراكب فى التعدية من جدة إليه، وإن كانت باحته متسعة لغزارة الماء وأمن

اللقاق بالشعب الذى ينبت فى قعر هذا البحر، ومن هذا الساحل يتوصل إلى قوص

بالبضائع ومن قوص إلى فندق الكارم بالتسقاط فى بحر النيل.

الساحل الثاني - "القَصِيرُ" وهو في جهة الشمال عن عَيْذَابَ ، وكان يصل إليه بعضُ المراكب لقربه من قُوصَ وبعُدِ عَيْذَابَ منها ، وتُحْمَلُ البضائع منه إلى قُوصَ ، ثم من قُوصَ إلى فُنْدُقِ الكارمِ بالفُسْطَاطِ على ما تقدم ، وإن لم يبلغ في كثرة الواصل حدَّ عَيْذَابَ .

الساحل الثالث - "الطُّورُ" وهو ساحل في جانب الرأس الداخل في بحر القانزم

بين عقبة أيلة وبين بر الديار المصرية ، وقد كان هذا الساحل كثير الواصل في الزمن المتقدم ، لرغبة بعض رؤساء المراكب في السير إليه ، لتقرب المراكب فيه من برّ الحجاز حتى لا يغيب البر عن المسافرين فيه وكثرة المراسي في بره ، متى تغير البحر على صاحب المراكب وجد مرساة يدخل إليها ، ثم ترك قنص هذا الساحل والسفر منه بعد أنقراض بني بدير العباسية التجار ، ورغب المسافرون عن السفر فيه لما فيه من الشعب الذي يُحْشَى على المراكب بسببه ، ولذلك لا يسافر فيه إلا نهاراً ، وبقي على ذلك إلى حدود سنة ثمانين وسبعمائة ، فعمر فيه الأمير صلاح الدين بن عرّام رحمه الله ، وهو يومئذ حاجب الحجاب بالديار المصرية مراكباً وسفراً ، ثم أتبعها بمراكب آخر بحسب الناس على السفر فيه وعمروا المراكب فيه ، ووصلت إليه مراكب اليمن بالبضائع ، ورُفِضَتِ عَيْذَابُ والقَصِيرُ ، وحصل بواسطة ذلك حمل الغلال إلى الحجاز ، وغزرت فوائد التجار في حمل الحنطة إليه .

الساحل الرابع - "السَّوَيْسُ" على القرب من مدينة القانزم الخراب بساحل الديار

المصرية . وهو أقرب السواحل إلى القاهرة والفُسْطَاطِ إلا أن الدخول إليه نادر ، والعمدة على ساحل الطور كما تقدم .

(١) هو الأمير صلاح الدين خليل بن عرّام ، كان واسع الاطلاع في التاريخ والأدب ، وله مصنفات مفيدة وتاريخ كبير ومعرفة تامة بالأمور السياسية . تولى نيابة الاسكندرية مرة واحدة في عدة وظائف . قتل وهو مسمر بسرقة الخيل بالرييلة بالقاهرة سنة ٧٨٢ هـ ورثه الأديب شهاب الدين أحمد بن العطار بقوله :

أيا ابن عرّام قد سمعت مشهراً * وصار ذلك مكتوباً ومحسوباً
ما زلت تجهد في التاريخ كتبه * حتى رأيتك في التاريخ مكتوباً

(راجع النجوم الزاهرة في حوادث سنة ٧٨٢ هـ) ٢٥

قلت : وهذه السواحل على حد واحد في أخذ المرتب السلطاني ، وقد ذكر في "قوانين الدواوين" : أن واصل عيذاب كان أستقر فيه الزكاة . أما الذي عليه الحال في زماننا ، فإنه يؤخذ من بضائع التجار العُشر مع لواحق أخرى تكاد أن تكون نحو المرتب السلطاني أيضا .

وَأَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ تَصَلَّ البضائع للتجار المسلمين إلى ساحل الإسكندرية ودمياط المتقدم ذكرهما ، فيؤخذ منها المرتب السلطاني على ما توجهه الضرائب .

الجهة الثانية

ما يؤخذ على واصل التجار بقَطْيا في طريق الشام إلى الديار المصرية وعليها يرد سائر التجار الواصلين في البر من الشام والعراق وما والاها ، وهي أكثر الجهات متحصلا وأشدّها على التجار تضيقا وعندهم ضرائب مقررة لكل نوع يؤخذ عن نظيرها .

الصنف الثاني

ما يؤخذ بحاضرة الديار المصرية : بالفسطاط والقاهرة وهو جهات كثيرة ، يقال إنها تبلغ آثنتين وسبعين جهة ، منها ما يكثر متحصله ومنها ما يقل ، ثم بعضها بحسب ما يتحصّل من قليل وكثير ، وبعضها له ضمانة بمقدار معين لكل جهة ، يطلب بذلك المقدار إن زادت الجهة فله وإن نقصت فعليه .

قلت : وقد عمت البلوى بهذه المكوس ، وخرجت في التزيّد عن الحد ، ودخلت الشبهة في أموال الكثير من الناس بسببها . وقد كان السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله في سلطنته قد رفع هذه المكوس ومحا آثارها ،

(١) ناله ضامن .

وعوّضه الله عنها بما حازه من الغنائم وفتح من البلاد والأقاليم، وربما وقع الإلهام من الله تعالى لبعض ملوك المملكة برفع المظلمة الحاصلة منها . ومن أعظم ذلك خطراً وأرفعه أجراً ما فعله السلطان الملك الأشرف "شعبان بن حسين" بن الملك الناصر محمد بن قلاوون تغمده الله تعالى برحمته من بطلان مكوس الملاحى والقراريط على الأملاك المبيعة .

النوع الثانى

ما لا اختصاص له بالديوان السلطانى

وهى المكوس المنفرقة ببلاد الديار المصرية فتكون تابعة للإقطاع إن كانت تلك البلد جارية فى ديوان من الدواوين السلطانية فمتحصّلها لذلك الديوان ، أو جارية فى إقطاع بعض الأمراء ونحوهم فمتحصّلها لصاحب الإقطاع ، ويعبر عنها فى الدواوين بالهلالي كما يعبر عما يؤخذ من أجرة الأرضين بالخراجى .

المقصد الثالث^(١)

فى ترتيب المملكة، ولها ثلاث حالات :

الحالة الأولى — ما كانت عليه فى زمن عمّال الخلفاء من حين الفتح إلى آخر الدولة الإخشيدية ، ولم يتحرر لى ترتيبها، والظاهر أنه لم يزل نوابها وأمراءؤها حينئذ على هيئة العرب إلى أن واپها أحمد بن طولون وبنوه وأحدثوا فيها ترتيب الملك . على أنه كان أكثر عسكره من السودان ، حتى يقال إنه كان فى عسكره اثنا عشر ألف أسود، وتبعتهم الدولة الإخشيدية على ذلك إلى آخر دولتهم .

(١) لم يسبق له التعبير بالمقصد الأول والثانى ولم يجعل كمادته فاعل هذا من بعض النساخ . وقد وقع

فى هذا الجزئ شئ من هذا القبيل فاقضى التنبيه .

الحالة الثانية - من أحوال الديار المصرية ما كانت عليه في زمن الخلفاء
الفاطميين ، ويختصر المقصود من ترتيب مملكتهم في سبع^(١) جمل .

الجملة الأولى

في الآلات الملوكة المختصة بالموالك العظام

وهي على أصناف متعددة :

ومنها "التاج" . وكان يُنعت عندهم بالتاج الشريف ، ويعرف بشدة الوقار .
وهو تاج يركب به الخليفة في الموالك العظام ، وفيه جوهرة عظيمة تُعرف
بالتيعة زتها سبعة دراهم ولا يقوم عليها لنفاسها ، وحولها جواهر أخرى دونها ،
يابس الخليفة هذا التاج في الموالك العظام مكان العمامة .

ومنها "قضيبي الملك" . وهو عود طول شبر ونصف ، ملبس بالذهب
المرصع بالدر والجوهر ، يكون بيد الخليفة في الموالك العظام .

ومنها "السيف الخاص" . الذي يحمل مع الخليفة في الموالك . يقال
إنه كان من صاعقة وقعت وحصل الضرب بها فعمل منها هذا السيف ، وحليته من
ذهب مرصعة بالجواهر ، وهو في خريطة مرقومة بالذهب لا يظهر إلا رأسه ،
وله أمير من أعظم الأمراء يحمله عند ركوب الخليفة في الموكب .

ومنها "الدواة" . وهي دواة متخذة من الذهب وحليتها مصنوعة من المرجان
على صلابته ومناعته ، تلف في منديل شرب أبيض [مذهب]^(٢) ، ويحملها شخص من
الأستاذين في الموكب أمام الخليفة تكون بينه وبين السرج ، ثم جعل حملها لعدل
من العدول المعتبرين .

(١) في الأصل : « ثلاث » وقد أثبت سبع جمل . (٢) الشرب : نوع مخصوص من
الحري كان يستعمل في ذلك الزمن . (٣) الزيادة عن المنريزي (ج ١ ص ٤٤٩) والنجوم
الزاهرة (ج ٤ ص ٨٧) .

ومنها "الرمح" . وهو رمح لطيف في غلاف منظوم باللؤلؤ ؛ وله سنان مختصر بحلية الذهب ؛ وله شخص مختص بحمله .

ومنها "الدَّرَقَةُ" . وهي دَرَقَةٌ كبيرة بكواج^(١) من ذهب ؛ يقوون إنها دَرَقَةٌ حمزة عم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وعليها غِشَاءٌ من حرير ؛ ويحملها في الموكب أمير من أكابر الأمراء ، له عندهم جلالة .

ومنها "الحافر" . وهي قطعة ياقوت أحمر في شكل الهلال ، زنتها أحد عشر مثقالا ، ليس لها نظير في الدنيا ، تحاط خياطة حسنة على خرقة من حرير ، وبدائها قضب زمرد ذُبَابِيٌّ عظيم الشأن ، تجعل في وجه فرس الخليفة عند ركوبه في المواكب .

ومنها "المِظْلَةُ" التي تحمل على رأس الخليفة عند ركوبه . وهي قُبَّةٌ على هيئة خيمة على رأس عمود كالْمِظْلَةَ التي يركب بها السلطان الآن ، وكانت آثى عشر شوزكا عرض سُفْلُ كل شوزك شبر ، وطوله ثلاثة أذرع وثلاث ، وآخره من أعلاه دقيق للغاية بحيث يجتمع الاثنا عشر شوزكا في رأس عمود بدائرة ، وعمودها قنطارية من الزان ملبَّسةً بأنايب الذهب ، وفي آخر أنبوبة ثلثي رأس العمود فَلَائِكَةٌ بارزة مقدار عرض إبهام تشد آخر الشواذك في حَلَقَةٍ من ذهب ، وتنزل في رأس الرمح . ولها عندهم مكانة جليلة لعلوها رأس الخليفة ، وحاملها من أكابر الأمراء .

قال ابن الطوير : وكان من شرطها عندهم أن تكون على لون الثياب التي يلبسها الخليفة في ذلك الموكب ، لا تخالف ذلك .

ومنها "الأعلام" . وأعلامها اللوآن المعروفان بلوأي الحمد ، وهما رحمان طويلان ملبَّسان بأنايب من ذهب إلى حدٍّ أسنتهما ، وبأعلامهما رايتان من الحرير الأبيض المرقوم بالذهب ، ملفوفتان على الرمحين غير منشورتين ، يُخْرَجَانِ لخروج المِظْلَةِ إلى أميرين معدين لحملها ، ودونهما رحمان برؤوسهما أهلةً من ذهب صامت ،

(١) في النجوم الراهرة (ج ٤ ص ٨٠) والمقریزی : « بكواج » .

(٢) سمى بالذبابي لقرب لونه من لون الدباب الكبير المسائل إلى الخضرة .

(٣) كذا في النجوم الراهرة (ج ٤ ص ٨٤) . وفي الأصل : « ملكة » وهو تعريف .

في كل واحد منهما سبع من ديباج أحمر وأصفر، وفي فمه طارة مستديرة يدخل فيها الرمح فيفتحان فيظهر شككهما، يحملهما فارسان من صبيان الخصاص، ووراءهما رايات أطراف ملونة من الحرير المرقوم ومكتوب عليها: (نَصْرُ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ) طول كل راية منها ذراعان في عرض ذراع ونصف، في كل واحدة ثلاث طرازات على رماح من الفنا، عدتها أبدا إحدى وعشرون راية، يحملها أحد وعشرون فارسا من صبيان الخليفة، وحاملها أبدا راكب بغلة .

ومنها "المذبذبان" وهما مذبذبان عظيمتان كالنختين ملويتان محولتان عند رأس فرس الخليفة في الركوب .

ومنها "السلح" الذي يحمله الركابية حول الخليفة . وهو صمائم مصقولة ، ودبابيس ملبسة بالكيمخت^(١) الأحمر والأسود ، ورؤوسها مدقورة ، ولتوت^(٢) حديد كذلك ورؤوسها [مستطيلة وآلات يقال لها المستويات^(٣)] وهي عمود حديد طول ذراعين ، مربعات الأشكال بمقابض مدقورة بعدة معلومة من كل صنف ، وستمانه حربة بأسنة مصقولة ، تحتها جلب^(٤) النضة ، وثلاثمائة فرقة بكوايح فضة ، يحمل ذلك في الموكب ثمانمائة عبد أسود كل عبد حربتان ودرقة واحدة ، وستون رمحا طول كل واحد منها سبع أذرع ، برأسها طلعة وعتبها من حديد ، يحملها قوم يقال لهم "السريرية" يفتلونهم بأيديهم اليمنى قتلا متدارك الدوران ، ومائة درقة لطيفة ، ومائة سيف بيد مائة رجل ، كل رجل درقة وسيف يسرون رجالة في الموكب ، وعشرة سيوف في خرائط ديباج أحمر وأصفر بشراريب يقال لها سيوف الدم ، تكون في أعقاب الموكب برسم ضرب الأعتاق إذا أراد الخليفة قتل أحد . وذلك كله خارج عما يخرج من خزانة التجمل برسم الوزير وأكابر الأمراء وأرباب الرتب وأزمنة العساكر لتجملهم في الموكب ، وهي نحو أربعمائة راية مرقومة الأطراف ، وباعلاها رمايين الفضة المذهبة ، وعدة

(١) الكيمخت : ضرب من الجلود المدبوغة . (٢) لتوت : كلمة فارسية معربة ، جمع لت ،

والت : القدم والفاصل العظيمة . (٣) الزيادة عن النجوم الزاهرة (ج ٤ ص ٧٩) .

(٤) الجلب ، جمع جلب ، وهي القطعة من النضة وغيرها تضم نصاب الحربة بسنانها .

من العماريات^(١)، وهي شبه الكنجاوات ملبسة بالحرير الأحمر والأصفر والقرمزي وغير ذلك، وعليها كوايج^(٢) الفضة المذهبة، لكل أمير من أصحاب القضب منها عمارية، ويختص لواء ان على رحمين منقوشين بالذهب غير منشورين يكونان أمامه في الموكب إلى غير ذلك من الآلات التي يطول ذكرها، ويعسر استيعابها.

- ومنها "النقارات". وكانت على عشرين بغلا، على كل بغل ثلاث مثل نقارات الكوسات بغير كوسات، تسير في الموكب اثنتين اثنتين ولها حس حسن.
- ومنها "الخيام والفساطيط" وكان من أعظم خيمهم خيمة تعرف بالقانول، طول عمودها سبعون ذراعا، بأعلاه سفرة فضة تسع راوية ماء، وسعتها ما يزيد على فدانين في التدوير، وسميت بالقانول لأن فراشا سقط من أعلاها فمات.
- قلت: ولعمري إن هذه لأثرة عظيمة تدل على عظيم مملكة وقوة قدرة، وأنى يتأتى مثل هذه الخيمة لملك من الملوك وإن جلى قدره وعظم شأنه.

الجملة الثانية

في حواصل الخليفة، وهي على خمسة أنواع

النوع الأول

الخزائن، وهي ثمان خزائن:

الأولى - "خزانة الكتب". وكانت من أجل الخزائن وأعظمها شأنا عندهم، وكان فيها من المصاحف الشريفة المكتوبة بالخطوط المنسوبة الفائقة عدة كثيرة، ومن الكتب النفيسة ما يزيد على مائة ألف مجلد، مشتملة على أنواع العلوم مما يدهش الناظر ويحيره، وربما اجتمع من المصنف الواحد فيها عشر نسخ

(١) العماريات، جمع عمارية، وهي الهودج يجلس فيه.

(٢) في النجوم الزاهرة (ج ٤ ص ٨٠) والمقرئى «كوايج».

فما دونها^(١)، وكان فيها من الدُّرُوج المكتبة بالخطوط المنسوبة بخط ابن مقلة وابن البواب، ومن جرى مجراها^(٢).

الثانية - "خزانة الكسوة" وهي في الحقيقة خزانتان . إحداهما - الخزانة الظاهرة، وهي المعبر عنها في زماننا بالخزانة الكبرى على ما كانت عليه أولاً، والمعبر عنها بخزانة الخاص على ما استقر عليه الحال آخراً، وكان فيها من الخواصل من الديباج الملون على اختلاف ضروبها، والشرب الخالص الدَّبِيقِ^(٣) والسَّقْلَاطُونِ^(٤)، وغير ذلك من أنواع القماش الفاخرة ما يدل على عِظَمِ المملكة، وإليها يحمل ما يُعْمَلُ بدار الطَّرازِ بِنِيسَ وِدِمِيَّاطَ والإِسْكَندَرِيَّةِ من مستعملات الخاص، وفيها يفصل ما يؤمر به من لباس الخليفة، وما يحتاج إليه من الخِلمَعِ والتشاريِف وغير ذلك .
الثانية - معدة للباس الخليفة خاصة، وهي المعبر عنها في زماننا بالطشت خاناه، وإليها ينقل القماش المفصل بالخزانة الأولى من قماش الخليفة وغيره .

الثالثة - "خزانة الشراب"، وهي المعبر عنها في زماننا بالشراب خاناه، وكان فيها من أنواع الأشربة والمعاجين النفيسة والمرببات الفاخرة وأصناف الأدوية والعطريات الفائقة التي لا توجد إلا فيها، وفيها من الآلات النفيسة والآنية الصَّيْنِيَّةِ من الزبادي والصُّعْحُونِ والبرَّانِيَّةِ والأزيار ما لا يقدر عليه غير الملوك .

الرابعة - "خزانة الطَّعْمِ". وهي المعبر عنها في زماننا بالحوامج خاناه، وكانت تحتوي على عدَّة أصناف من جميع أصناف القَلَوِيَّاتِ من الفستق وغيره والسكر والقند^(٥) والأعسال على أصنافها والزيت والشَّمَع وغير ذلك، ومنها يخرج راتب المطابخ خاصاً

(١) لعل الأنسب فافوقها . (٢) لعل تمامه [ما يدل على عظم المملكة] كما سيأتي في نظيره .

(٣) الدَّبِيقُ: نوع من الأقمشة الحريرية المزركشة التي كانت تصنع في دبيق، وهي بلدة بمصر قديمة زالت، وكانت واقعة على بحيرة المنزلة بالقرب من نيس، وموضعها اليوم تل دبيق في الشمال الشرق لقرية سان الحجر وعلى بعد ٥٥٠٠ متر منها بمركز فاقوس . (٤) السَّقْلَاطُونُ: نوع من الملابس الحريرية الفاخرة الملتونة بالألوان القرمزية وغيرها . وهو اسم بلد بالروم تصنع فيه تلك الملابس وتنسب إليه . وكانت تصنع أيضاً ببغداد وتبريز (راجع قاموس دوزي والقاموس الإنجليزي الفارسي ومعجم البلدان لباقوت في كلامه على تبريز) . (٥) القند: عسل قصب السكر إذا جمد معزب كند وهو قصب السكر ومنه الكردي قند .

وعاماً، وينفق لأرباب الخدم وأصحاب التوقيعات في كل شهر، ولا يحتاج إلى غيرها إلا في اللحم والخضر .

الخامسة - "خزانة السروج" . وهي المعبر عنها في زماننا بالركاب خاناه ، وكانت قاعة كبيرة بالقصر، بها السروج والنجم من الذهب والفضة، وسائر آلات الخيل مما يختص بالخليفة؛ ثم منها ما هو قريب من الخاص ، ومنها ما هو وسط برسم من هو من أرباب الرتب العالية، ومنها ما هو دون برسم من هو برسم العواري أيام المواكب لأرباب الخدم .

السادسة - "خزانة الفرش" . وهي المعبر عنها في زماننا بالفراش خاناه، وكان موضعها بالقصر بالقرب من دار الملك؛ وكان الخليفة يحضر إليها من غير جلوس ويطوف فيها، ويسأل عن أحوالها، ويأمر بإدانة عمل الاحتياجات وحملها إليها .

السابعة - "خزانة السلاح" . وهي المعبر عنها في زماننا بالسلاح خاناه؛ فيها من أنواع السلاح المختلفة ما لا نظيره : من الزرديات المغشاة بالديباج المحككة الصنعة المحلاة بالفضة ، والجواشن المذهبة ،^(١) والخوذ المحلاة بالذهب والفضة ، والسيوف العربية والفلجورية ، والرماح الفنا والقنطاريات المدهونة والمذهبة ، والأسيّة العظيمة والقيسيّ المنجورة المنسوبة إلى أفاضل الصناع ، وقسيّ الرجل والركاب ، وقسيّ اللواب التي تبلغ زنة نصله خمسة أرتال بالمصرى ، والنبل الذي يرمى به عن القسيّ العربية في المجارى المصنوعة لذلك .

قال القاضي محي الدين بن عبد الظاهر : كان يصرف فيها في كل سنة سبعون ألف دينار إلى ثمانين ألف دينار .

٢٠ (١) الجواشن : جمع جوشن ، وهو مثل الزرد يلبس على الظهر ، والفرق بينه وبين الزرد أن الزرد يكون من حلقة واحدة فقط ، والجوشن يكون حلقة حلقة يتداخل فيها صفايح رقيقة من النك .

الثامنة - "خزانة التجميل". وهي خزانة فيها أنواع من السلاح يُخْرَجُ منها للوزير والأمراء في المواكب الألوِيَّةُ والقُضْبُ الفضة والعماريات وغيرها . قال ابن الطوير : هي من حقوق خزائن السلاح .

وأما "خزائن المال" فكان فيها من الأموال والجواهر النفيسة ، والذخائر العظيمة ، والأقمشة الفاخرة ما لا تحصره الأقلام .

وناهيك أن المستنصر لما وقع الغلاء العظيم بمصر ، أخرج من خزانته في سنة اثنتين وستين وأربعمائة ذخائر تَسَعُّها للإعانة على قيام أمر الملكة والجنود ، فكان مما أخرجه ثمانون ألف قطعة بلّور كبار ، وسبعون ألف قطعة من الدِّياج ، وعشرون ألف سيف محلي . ولما استولى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب على القصر بعد وفاة العاضد ، آخرا خلفائهم ، وجد فيه من الأعلاق الثمينة والتحف ما يخرج عن حد الإحصاء ، من جملته الحافر الياقوت المقدم ذكره . ويقال إنه وجد فيه قضيب زمرد ي زيد على قامته الرجل على ما تقدم ذكره في الكلام على الأحجار الملوكية في أثناء المقالة الأولى ، ووجد فيه أيضا الهرم العنبر الذي عمله الأمين زنته ألف رطل بالمصرى .

النوع الثاني

حواصل المواشي المعبر عنها عند كُتَّاب زماننا بالكُرَّاج ، وهي حاصلان :

الأول - "الإصطبلات". وهي حواصل الخيول والبغال وما في معناها ، قال ابن الطوير : وكان لهم إصطبلان . قول : وكان للخليفة برسم الخاص في كل إصطبل ما يقرب من الألف رأس ، النصف من ذلك برسم الخاص ، والنصف برسم العواري في المواكب لأرباب الرتب والمستخدمين ، وكان لكل ثلاثة رؤس منها سائس

(١) عبارة المقرئ (ح ١ ص ٤٤) : نقل عن ابن الطوير : « وكان لهم إصطبلان : أحدهما يعرف بالطارفة ، يقابل قصر الشوك ، والآخر بجارة زو بلة يعرف بالخميرة ، وكان للخليفة الحاضر ما يقرب الخ وهي أوضح .

واحد؛ لكل واحد منها شتاد برسم تسييرها ، وبكل من الإصطباين راض كامير
آخور . ومن غريب ما يحكى أن أحدا من خلفاء الفاطميين لم يركب حصاناً أدهم
قط ، ولا يروّن إضافته إلى دوابهم بالإصطبلات .

الثانى - "المناخات" . وهى حواصل الجمال ، وكان لهم من الجمال
الكثيرة بالمناخات وعددها الفائقة ما يقصر عنه الحد .

النوع الثالث

حواصل الغلال وشؤون الأتبان

أما الغلال - فكانت لهم الأهرأء فى عدة أماكن : بالقاهرة ، وبالقسطاط ،
والمقسيم ، ومنها تصرف الإطلاقات لأرباب الرواتب والخدم والصدقات وأرباب
الجوامع والمساجد والجرايات والطواحين السلطانية ، وجرايات رجال الأسطول
وغير ذلك ، وربما طال زمن الغلال فيها حتى تقطع بالمساحى .

وأما شؤون الأتبان - فكان بطريق القسطاط شونتان عظيمتان مملوءتان بالتبن
معبأتان تعبئة المراكب كالجبلين الشاهقين ، وينفق منها للإصطبلات والمواشى الديوانية
وعوآمل بساتين الملك ، وكانت ضريبة كل شليف عندهم ثلثمائة وستين رطلا .

النوع الرابع

حواصل البضاعة

قال ابن الطوير : وكان فيها ما لا يحصره إلا القلم من الأخشاب والحديد
والطواحين النجدية والغشيمة ، وآلات الأساطيل من القنب والكأن ، والمنجنقات
والصناعات الكثيرة من الفرنج وغيرهم من أهل كل صنعة ، وكانت الصناعة أولاً بالجزيرة
المعروفة الآن بالروضة ، ولذلك كانت تعرف بينهم بجزيرة الصناعة قاله القضاعى .

النوع الخامس

ما في معنى الحواصل، لوقوع الصرف والتفرقة منه،

وهو الطواحين، والمطبخ، ودار الفطرة^(١)

فأما الطواحين — فإنها كانت معلقة، مداراتها أسفل وطواحينها فوق كما في السواني حتى لا يفارب الدقيق زبل الدواب الدائرة لأختصاصه بالخليفة.

وأما المطبخ — فقد تقدم في الكلام على خطط القاهرة، وكان يدخل بالطعام منه إلى القصر من باب الزهومة مكان قاعة الخنايكة من المدرسة الصالحية الآن على ما تقدم في خطط القاهرة. قال ابن الطوير: ولم يكن لهم أسنطة عامة في سوى العيدين وشهر رمضان.

الجملة الثالثة

في ذكر جيوش الدولة الناطمية، وبيان مراتب أرباب السيوف

وهم على ثلاثة أصناف :

الصف الأول الأمراء

وهم على ثلاث مراتب :

المرتبة الأولى — مرتبة الأمراء المطوقين. وهم الذين يخلع عليهم بأطواق الذهب في أعناقهم، وكانهم بمثابة الأمراء مقدمي الألوف في زماننا.

المرتبة الثانية — مرتبة أرباب القُضب، وهم الذين يركبون في المواكب بالقُضب الفضة التي يخرجها لهم الخليفة من خزانة التجميل تكون بأيديهم، وهم بمثابة الطلبة ناه في زماننا.

المرتبة الثالثة — أدوان الأمراء ممن لم يؤهل لحمل القُضب. وهم بمثابة أمراء العشرات والخمسات في زماننا.

(١) أغفل المؤلف الكلام على دار الفطرة. وكانت خارج القصر قبالة الدبلم ومشهد الحسين، بناها العزيز بالله وقررها ما يعمل مما يعمل من المنطرة (وهي الخوز واللوز والبندق والفسق والزبيب) إلى الناس في عبد شوال. وكان مصروفها في كل سنة عشرة آلاف دينار. ومحلها اليوم الدور الواقعة في أول شارع فرید علی زين العابدين في من جهة الميدان القبلي للجامع سيدنا الحسين تجاه بوابة شارع الباب الأخضر (راجع الكلام سابقاً في خطط المتريزي ج ١ ص ٢٥٥ والنجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٢٢ طبع دار الكتب المصرية).

الصنف الثاني

خواص الخليفة ، وهم على ثلاثة أنواع :

النوع الأول

الأستاذون

- ٥ وهم المعروفون الآن بالخدام وبالطواشيّة ، وكان لهم في دولتهم المكانة الجليلة ، ومنهم كانت أرباب الوظائف الخاصة بالخليفة ، وأجلهم المُحَنِّكُونَ ، وهم الذين يُدَوِّرون عمائمهم على أحناءهم كما تفعل العرب والمغاربة الآن ، وهم أقربهم إليه وأخصمهم به ، وكانت عدتهم تزيد على ألف . قال ابن الطوير : وكان من طريقتهم أنه متى ترشح أستاذ منهم للحنك وحنك^(١) ، حمل إليه كل أستاذ من المحنكين بدأةً كاملة من ثيابه وسيناء وفرسا فيصبح لاحقا بهم ، وفي يده مثل ما في أيديهم .

النوع الثاني

صبيان الخاص

١٠ وهم جماعة من أخصاء الخليفة نحو خمسمائة نفر منهم أمراء وغيرهم ، ومقامهم مقام المعروفين بالخاصية في زماننا .

النوع الثالث

صبيان الحجر

١٥ وهم جماعة من الشباب يناهزون خمسة آلاف نفر مقيمون في حجر منفرد لكل حجرة منها اسم يخصها ، يظاهرون ممالك الطباق السلطانية الآن المعبر عنهم بالكاتبية إلا أن عدتهم كاملة وعللهم مزاحمة ، ومتى طلبوا لهم لم يجدوا عائقا ، وللصبيان منهم حجرة منفردة يتسامها بهض الأستاذين ، وكانت حجرتهم بمعزل عن القصر داخل باب النصر مكان الخانقاه الركنية ببغداد الآن .

(١) لعله : للحنك وحنك ، لأن الموجد في اللغة : تحنك الرجل اذا ادار العمامة من تحت حنك .

الصنف الثالث

طوائف الأجناد

وكانوا عدة كثيرة، تنسب كل طائفة منهم إلى مَنْ بقى من بقايا خليفة من الخلفاء الماضين منهم، كالحافظية والأميرية من بقايا الحافظ والآخر، أو إلى مَنْ بقى من بقايا وزير من الوزراء الماضين كالجوشية والأفضلية من بقايا أمير الجيوش بدر الجمالي وولده الأفضل، أو إلى مَنْ هي منتسبة إليه في الوقت الحاضر كالوزيرية أو غير ذلك من القبائل والأجناس كالأتراك والأكراد والغز والديلم والمصامدة، أو من المستصنعين كالروم والفرننج والصقالبة، أو من السودان من عبيد الشراء، أو العتقاء وغيرهم من الطوائف، ولكل طائفة منهم قواد ومقدمون يحكمون عليهم.

الجملة الرابعة

في ذكر أرباب الوظائف بالدولة الفاطمية، وهم على قسمين :

القسم الأول

ما بحضرة الخليفة، وهم أربعة أصناف

الصنف الأول

أرباب الوظائف من أرباب السيوف، وهم نوعان :

النوع الأول

وظائف عامة الجند، وهي تسع وظائف :

الوظيفة الأولى - "الوزارة" وهي أرفع وظائفهم وأعلى رتبة. وأعلم أن الوزارة في الدولة الفاطمية كانت تارة تكون في أرباب السيوف، وتارة في أرباب الأقاليم، وفي كلا الجانبين تارة تعلقون وزارة تفويض تضاهي السلطنة الآن

أو قريبا منها ، ويعبر عنها حينئذ بالوزارة ، وتارة تنحط فتكون دون ذلك ، ويعبر عنها حينئذ بالوساطة .

قال في "نهاية الأرب" : وأول من خُوطب منهم بالوزارة يعقوب بن كلس وزير العزيز ، وأول وزارتهم من عطاء أرباب السيوف بدر الجمالي وزير المستنصر ، وآخرهم صلاح الدين يوسف بن أيوب ، ومنها استقل بالسلطنة على ما تقدم

الوظيفة الثانية - وظيفة "صاحب الباب" وهي ثاني رتبة الوزارة . قال ابن الطوير : وكان يقال لها الوزارة الصغرى ، وصاحبها في المعنى يقرب من النائب الكافل في زماننا ، وهو الذي ينظر في المظالم إذا لم يكن وزير صاحب سيف ، فإن كان ثم وزير صاحب سيف ، كان هو الذي يجلس للمظالم بنفسه ، وصاحب الباب من جملة من يقف في خدمته .

الوظيفة الثالثة - "الاسفهلارية" . قال ابن الطوير : وصاحبها زمام كل زمام ، وإليه أمر الأجناد والتحدث فيهم ، وفي خدمته وخدمة صاحب الباب تنف الحجاب على اختلاف طبقاتهم .

الوظيفة الرابعة - "حمل المظلة" في المواسم العظام : كركوب رأس العام ونحوه . وهي من الوظائف العظام ، وصاحبها يسمى حامل المظلة ، وهو أمير جليل ، وله عندهم التقدم والرفعة ، لحمل ما يعلو رأس الخليفة .

الوظيفة الخامسة - "حمل سيف الخليفة" في المواكب التي تحمل فيها المظلة ، ويعبر عن صاحبها بحامل السيف .

الوظيفة السادسة - "حمل رُح الخليفة" في المواكب التي تحمل فيها المظلة .

وهو رُح صغير يحمل مع الخليفة في المواكب ، وصاحبها يعبر عنه بحامل الرُح .

الوظيفة السابعة - "حمل السلاح" حول الخليفة في المواكب . وأصحاب هذه الوظيفة يعبر عنهم لزيهم بالركابية وبصبيان الركاب الخاص أيضا، وهم الذين يعبر عنهم في زماننا بالسلاح دارية والطبردارية ، وكانت عدتهم تزيد على ألفي رجل ، ولهم آثنا عشر مقعدا ، وهم أصحاب ركاب الخليفة ، ولهم نقباء موكلون بمعرفتهم ، والأكابر من هؤلاء الركابية تندب في الأشغال السلطانية ، وإذا دخلوا عملا كان لهم فيه الصيت المرتفع .

الوظيفة الثامنة - "ولاية القاهرة" . وكان لصاحبها عندهم الرتبة الجليلة والحُرمة الوافرة ، وله مكان في الموكب يسير فيد .

الوظيفة التاسعة - "ولاية مصر" . وهي دون ولاية القاهرة في الرتبة كما هي الآن ، إلا أن مصر كانت إذ ذاك عامرة أهلة ، فكان مقدارها أرفع مما هي عليه في زماننا .

النوع الثاني

وظائف خواص الخليفة من الأستاذين ؛ وهي عدة وظائف ؛ وهي على ضربين :

الضرب الأول

ما يختص بالأستاذين المحنكين ، وهي تسع وظائف :

الأولى - "شد التاج" . وموضوعها أن صاحبها يتولى شد تاج الخليفة الذي يلبسه في المواكب العظيمة بمثابة اللغاف في زماننا ، وله ميزة على غيره بلمسه التاج الذي يعلو رأس الخليفة ، وكان لشده عندهم ترتيب خاص لا يعرفه كل أحد ، يأتي به في هيئة مستطيلة ، ويكون شده بمنديل من لون لبس الخليفة ، ويعبر عن هذه الشدة بشدة الوقار كما تقدم .

الثانية - وظيفة "صاحب المجلس" . وهو الذى يتولى أمر المجلس الذى يجلس فيه الخليفة الجلوس العام فى المواعيد ، ويخرج إلى الوزير والأمراء بعد جلوس الخليفة على سرير الملك يعلمهم بذلك ، وينعت (بأمين الملك) ، وهو بمثابة أمير خازندار فى زماننا .

الثالثة - وظيفة "صاحب الرسالة" . وهو الذى يخرج برسالة الخليفة إلى الوزير وغيره .

الرابعة - وظيفة "زمام القصور" . وهو بمثابة زمام الدور فى زماننا .

الخامسة - وظيفة "صاحب بيت المال" . وهو بمثابة الخازندار فى زماننا .

السادسة - وظيفة "صاحب الدفتر" المعروف بدفتر المجلس . وهو

المتحدث على الدواوين الجامعة لأمر الخلافة .

السابعة - وظيفة "حامل الدواة" . وهى دواة الخليفة المتقدم ذكرها ، وصاحب

هذه الوظيفة يحمل الدواة المذكورة قدامه على السرج ويسير بها فى المواعيد .

الثامنة - وظيفة "زَم الأقراب" . وصاحبها يحكم على طائفة الأشراف

الذين هم أقارب الخليفة وكلمته نافذة فيهم .

التاسعة - "زَم الرجال" . وهو الذى يتولى أمر طعام الخليفة كأستاذار الصحبة .

الضرب الثانى

ما يكون من غير المحنكين ، ومن مشهوره وظيفتان :

الأولى - "نقابة الطالبين" . وهى بمثابة نقابة الأشراف الآن ، ولا يكون

إلا من شيوخ هذه الطائفة وأجلهم قدرًا ، وله النظر فى أمورهم ، ومنع من يدخل

فيهم من الأديعاء؛ وإذا آرتاب بأحد أخذه بإثبات نَسَبه . وعليه أن يعود مرَضاهم، ويمشَى في جنازهم، ويسعى في حوائجهم، ويأخذ على يد المعتدى منهم، ويمنعه من الاعتداء، ولا يَقْطَعُ أمرا من الأمور المتعلقة بهم إلا بموافقة مشايخهم ونحو ذلك.

الوظيفة الثانية - "زَم الرجال". وصاحبها يتحدث على طوائف الرجال والأجناد كزَم صِبيانِ الحِجْر، وزَم الطائفة الآمرية والطائفة الحافظية، وزَم السودان وغير ذلك؛ وهو بمثابة مقدم المالك في زماننا .

الصنف الثاني

من أرباب الوظائف بحضرة الخليفة أربابُ الأقاليم، وهم على ثلاثة أنواع :

النوع الأول

أرباب الوظائف الدينية، والمشهور منهم ستة :

الأول - "قاضي القضاة". وهو عندهم من أجل أرباب الوظائف وأعلام شأننا وأرفعهم قدرا. قال ابن الطوي : ولا يتقدم عليه أحد أو يحتمى عليه، وله النظر في الأحكام الشرعية ودور الضرب وضبط عيارها، وربما جمع قضاء الديار المصرية وأجناد الشام وبلاد المغرب لقاض واحد وكتب له به عهد واحد كما سيأتي في الكلام على الولايات إن شاء الله تعالى .

ثم إن كان الوزير صاحب سيف، كان تقليده من قبله نيابة عنه، وإن لم يكن، كان تقليده من الخليفة .

ويقدم له من اصطبلات الخليفة بغلة شهباء يركبها دائما، وهو مختص بهذا اللون من البغال دون أرباب الدولة، ويخرج له من خزانة السروج مركب ثقيل وسرج برادتين من الفضة، وفي المواسم الأطواق، وتُخلَع عليه الخلع المذهب، وكان من

مصطلحهم أنه لا يعدل شاهداً إلا بأمر الخليفة ، ولا يحضر إماماً ولا جنازةً إلا بإذن ، وإذا كان ثمَّ وزيرٌ لا يخاطب بقاضى القضاة لأن ذلك من نعوت الوزير ، ويجلس يوم الاثنين والخميس بالقصر أول النهار للسلام على الخليفة ، ويوم السبت والثلاثاء يجلس بزيادة الجامع العتيق بمصر ، وله طرحة ومسند للجلوس وكُرسيٌّ توضع عليه دوائه . وإذا جلس بالمجلس ، جلس الشهود حوَالَيْهِ يَمَنَةً وَيَسْرَةً على مراتبهم في تقدم تعديليهم . قال ابن الطوير : حتى يجلس الشاب المتقدم التعديل أعلى من الشيخ المتأخر التعديل ، وبين يديه أربعة موقعون : آثنان مقابل آثنين ، وبجانبه خمسة حُجَّاب : آثنان بين يديه وآثنان على باب المتصورة وواحد ينفذ الخصوم . ولا يقوم لأحد وهو في مجلس الحكم البتة .

الثانى - "داعى الدعاة" . وكان عندهم بلى قاضى القضاة فى الرتبة ويتزيًا بزیه فى اللباس وغيره . وموضوعه عندهم أنه يقرأ عليه مذاهب أهل البيت بدار تعرف بدار العلم ، يأخذ العهد على من ينتقل إلى مذهبهم .

الثالث - "المحتسب" . وكان عندهم من وجوه العُدُول وأعيانهم ، وكان من شأنه أنه إذا خلع عليه قرئ سجده بمصر والقاهرة على المنبر ، ويده مُطْلَقَةٌ فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على قاعدة الحِسْبَةِ ؛ ولا يُحَالُ بينه وبين مصلحة أرادها ، ويتقدم إلى الأمانة بالشدة منه ، ويقوم النواب عنه بالقاهرة ومصر وجميع الأعمال ككتاب الحكم ، ويجلس بجامعى القاهرة ومصر يوماً بيوم ، وباقى أمره على ما الحال عليه الآن .

قلت : ورأيت فى بعض سجلاتهم إضافة الحسبة بمصر والقاهرة إلى صاحبى الشرطة بهما أحياناً .

الرابع - "وكالة بيت المال" . وكانت هذه الوكالة لا تُسند إلا لذوى الهيبة من شيوخ العُدُول ، ويفوض إليه عن الخليفة بيع ما يرى بيعه من كل

صنف يملك ويمجوز التصرف فيه شرعا، وعتقُ المماليك، وتزويجُ الإماء، وتضمين ما يقتضى الضمان، وآبتباعُ ما يرى آبتباعه، وإنشاء ما يرى إنشاءه من البناء والمراكب وغير ذلك مما يحتاج إليه في التصرف عن الخليفة .

الخامس - "النائب" . والمراد نائب صاحب الباب المتقدم ذكره المعرُ عنه في زماننا بالمهمندار . قال ابن الطوير : ويعبر عن هذه النيابة بالنيابة الشريفة . قال وهي رتبة جليلة ، يتولاها أعيان العدول وأرباب الأفلام ، وصاحبها ينوب عن صاحب الباب في تلقى الرُّسل الواردين على الخليفة على مسافة وقعة نُواب الباب في خدمته ، ويُنزل كُلا منهم في المكان الملائق به ، ويرتب لهم ما يحتاجون إليه ، ولا يمكن أحدا من الاجتماع بهم ، ويتولى آفتقادهم ، ويُدكر صاحب الباب بهم ، ويسعى في تجاز أمرهم ، وهو الذي يسلم بهم على الخليفة أو الوزير ويتقدمهم ويستأذن عليهم ، ويدخل الرسول وصاحبُ الباب قابضُ على يده اليمنى ، والنائب قابض على يده اليسرى فيحفظ ما يقولون وما يقال لهم ، ويجتهد في انفصالهم على أحسن الوجوه ، وإذا غاب أقام عنه نائبا إلى أن يعود . ومن شريطته أنه لا يناول من أحد من الرسل تقدمة ولا طرفة إلا بإذن .

قال ابن الطوير : وهو المسمى الآن بالمهمندار ، وسيأتي في الكلام على ترتيب المملكة المستقر أن المهمندار الآن من أصحاب السيوف ، وكان ذلك لمواقفة الدولة في اللسان والهيئة .

السادس - "القرءاء" . وكان لهم قرءاء يقرءون بحضرة الخليفة في مجالسه وركوبه في المواكب وغير ذلك ، وكان يقال لهم "قرءاء الحضرة" يزيدون في العدة على عشرة نفر ، وكانوا يأتون في قراءتهم في المجالس ومواكب الركوب بآيات مناسبة للحال بأدنى ملابسة ، قد ألفوا ذلك وصار سهل الاستحضار عليهم ، وكان ذلك يقع منهم موقع

الاستحسان عند الخليفة والحاضرين، حتى إنه يحكى أن بعض الخلفاء غضب على أمير فامر باعتقاله؛ فقرأ قارئ الحضرة: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ فاستحسن ذلك وأطلقه إلا أنهم كانوا ربما أتوا بآيات إذا روعي قصدهم فيها، أخرجت القرءان عن معناه: كما يحكى أنه لما أستوزر المستنصر بدر الجمالى قرأ قارئهم: ﴿ وَالْقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَانْتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾ ولما أستوزر الحافظ رضوان قرأ قارئهم: ﴿ يَبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ ﴾ إلى غير ذلك من الوقائع

النوع الثانى

من أرباب الأقلام أصحاب الوظائف الديوانية، وهى على أربعة^(١) أضرب:

الضرب الأول

١٠ الوزارة إذا كان الوزير صاحب قلم

أعلم أن أكثر وزراءهم فى ابتداء دولتهم إلى أثناء خلافة المستنصر كانوا من أرباب الأقلام: تارة وزارة تامة وتارة وساطة، وهى رتبة دون الوزارة؛ ومن اشتهر من وزراءهم أرباب الأقلام فيما ذكره ابن الطوير: يعقوب بن كلثوم وزير العزيز، والحسن بن عبد الله البازورى وزير المستنصر، وأبو سعيد التستري، والخرجاني^(٢)، وابن أبى كدينة، وأبو الطاهر أحمد بن بابشاذ صاحب المقدمة فى النحو، ووزير الوزراء على بن فلاح، والمغربى وزير المستنصر، وهو آخر من وزر لهم من أصحاب الأقلام، وعليه قدم أمير الجيوش بدر الجمالى فوزر للمستنصر على ما تقدم ذكره؛ وربما تخلل تلك المدة الأولى فى الوساطة أرباب السيوف، كبرجوان الخادم، وقائد القواد الحسين بن جوهر، وثقة ثقات السيف والقلم على

٢٠ (١) فى الأصل: « ثلاثة » وقد أثبتنا المعدود . (٢) كذا فى كتاب الإشارة الى من نال الوزارة لابن الصيرفى المصرى ومعجم البلدان لياقوت . نسبة الى جرجانيات : بلد من أعمال النهران الأسفل بين واسط وبغداد من الجانب الشرقى . وفى الأصل : « الجرجاني » وهو تحريف .

ابن صالح كلهم في أيام الحاكم . وربما ولي الوساطة بعض النصارى ، كعيسى بن نسطورس في أيام العزيز، ومنصور بن عبّدون الملقب بالكافي، وزرعة بن نسطورس الملقب بالنشافي كلاهما في أيام الحاكم . وربما كان الأمر شورى في أهل (١) مروادني، وكان من زى وزراءهم أصحاب الأقاليم أنهم يلبسون المناديل الطبقيات بالأحناك نحت حلوقهم كالعدول، وينفردون بلبس الدراريح مشقوقة من النحر إلى أسفل الصدر بأزرار وعمرى، وهذه علامة الوزارة، ومنهم من تكون أزراره من ذهب مشبك، ومنهم من تكون أزراره من لؤلؤ، وعادته أن تحمل له الدواة المحلاة بالذهب من خزانة الخليفة ويقف بين يديه الحجاب، وأمره نافذ في أرباب السيوف من الأجناد، وفي أرباب الأقاليم .

الضرب الثاني

ديوان الإنشاء، وكان يتعلق به عندهم ثلاث وظائف :

الأولى - "صحابة ديوان الإنشاء والمكاتبات" وكان لا يتولاه إلا أجل كتاب البلاغة، ويخاطب بالأجل، وكان يقال له عندهم كاتب الدست الشريف، وإليه تسلم المكاتبات الواردة محتومة فيعرضها على الخليفة من يده، وهو الذي يأمر بتنزيلها والإجابة عنها، ويستشير الخليفة في أكثر أموره، ولا يُحجب عنه متى قصد المشول بين يديه، وربما بات عنده الليلي، ولا سبيل إلى أن يدخل إلى ديوانه ولا يجتمع بكتابه أحد إلا خواص الخليفة . وله حاجب من أمراء الشيوخ، وله مرتبة عظيمة للجلوس عليها بالمخاد والمسد، ودواته من أخص الدوى وأحسنها إلا أنه ليس لها كرسي توضع عليه كدواة قاضي القضاة، ويحملها له أستاذ من الأستاذين المختصين بالخليفة إذا أتى إلى حضرته .

(١) كذا في الأصل مضبياً عليه إشارة التوقف ولعله المرهات .

الثانية - "التوقيع بالقلم الدقيق في المظالم" وهي رتبة جليلة تلي رتبة صاحب ديوان الإنشاء والمكاتب ، يكون صاحبها جليسا للخليفة في أكثر أيام الأسبوع في خلوته ، يذاكره ما يحتاج إليه من كتاب الله تعالى أو أخبار الأنبياء والخلفاء الماضين ، ويقرأ عليه مُلَحَّ السَّيرِ ، ويكرر عليه ذكر مكارم الأخلاق ، ويقوى يده في تجويد الخط وغير ذلك . وصحبته للجلوس دواة مُحَلَّاة . فإذا فرغ من المجالسة ألقى في الدواة كاغدة فيها عشرة دنانير ، وقرطاس فيه ثلاثة مناقيل ندى مثلث خاص ليتجربه عند دخوله على الخليفة ثانياً دفعة . وإذا جلس الوزير صاحب السيف للمظالم ، كان إلى جانبه يوقَّع بما يأمر به في المظالم . وله موضعٌ من حقوق ديوان المكاتب لا يدخل إليه أحد إلا بإذن ، وفراش لتقديم القصص ؛ ويرفع إليه هناك قصص المظالم يوقَّع عليها بما يقتضيه الحال كما يفعل كاتب السر الآن . . .

١٠

الثالثة "التوقيع بالقلم الجليل" وكان يسمي عندهم الخدمة الصغيرة لجلالته ، ولصاحبها الطراحة والمسند في مجلسه بغير حاجب . وموضوعها الكتابة بتنفيذ ما يوقَّع به صاحب القلم الدقيق ، وبسطه . وصاحب القلم الدقيق في المعنى ككاتب السر أو كاتب الدست في زماننا ، وصاحب القلم الجليل ككاتب الدرَج . فإذا رفعت قِصَص المظالم ، حملت إلى صاحب القلم الدقيق فيوقَّع عليها بما يقتضيه الحال بأمر الخليفة أو أمر الوزير أو من نفسه ، ثم تحمل إلى الموقع بالقلم الجليل لبسط ما أشار إليه صاحب القلم الدقيق ، ثم تحمل في خريطة إلى الخليفة فيوقَّع عليها ، ثم تُخْرَج في خريطة إلى الحاجب فيقف على باب القصر ، ويسلم كل توقيع لصاحبه . أما توقيع الخليفة بيده على القِصَص ، فإنه إن كان ثمَّ وزيرٌ صاحبُ سيفٍ وقَّع الخليفة على القصة بخطه : "وزيرنا السيد الأجل (ونعته بالمعروف به) أتمنا الله تعالى ببقائه يتقدم بكذا وكذا إن شاء الله تعالى" ويحمل إلى الوزير فإن كان يحسن الكتابة ،

١٥

٢٠

كتب تحت خط الخليفة : " أمثل أمر مولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه " وإن كان لا يحسن الكتابة ، كتب أمثل فقط ، وإن لم يكن وزيراً صاحب سيف : فإن أراد الخليفة نجاز الأمر لوقته ، وقع في الجانب الأيمن من القصة " بوقع بذلك " فتخرج إلى صاحب ديوان المجلس فيوقع عليها بالقلم الجليل وينحلي موضع العلامة ، ثم تعاد إلى الخليفة فيكتب في موضع العلامة (يعتمد) وتبت في الدواوين بعد ذلك . وإن كان بوقع في مساحة أو تسوية أو تحجيس ، كتب لرافعها بذلك "وقد أمضينا ذلك " وإن أراد علم حقيقة القصة ، وقع على جانب القصة " ليخرج الحال في ذلك " وتعمل إلى الكاتب فيكتب الحال وتعاد إلى الخليفة فيفعل فيها ما أراد من توقيع ومنع ، والله أعلم .

الضرب الثالث

ديوان الجيش والرواتب ، وهو على ثلاثة أقسام :

الأول - "ديوان الجيش" . ولا يكون صاحبه إلا مسلماً ، وله الرتبة الجليلة والمكانة الرفيعة ، وبين يديه حاجب ، وإليه عرض الأجناد وخبولهم ، وذكر حلالهم وشيأت خبولهم . وكان من شرط هذا الديوان عندهم ألا يثبت لأحد من الأجناد إلا الفرس الجيد من ذكور الخيل وإناثها دون البغال والبراذين ، وليس له تغيير أحد من الأجناد ولا شيء من إقطاعهم إلا بمرسوم . وبين يدي صاحب هذا الديوان نقباء الأمراء ، يعرفونه أحوال الأجناد من الحياة والموت والغنية والحضور وغير ذلك ، على ما الحال عليه الآن . وكان قد فسح للأجناد في المقابضة بالإقطاعات لما لهم في ذلك من المصالح كما هو اليوم ، بتوقيعات من صاحب ديوان المجلس من غير علامة ، ولم يكن لأمر من أمرائهم بلد كاملة ، وإن علا قدره إلا في النادر . ومن هذا الديوان كان يعمل أوراق أرباب الحرايات ، وله خازنان رسم رفع الشواهد .

الثاني - "ديوان الرواتب" . وكان يشتمل على أسم كل مرتزق في الدولة وجار وجرية ، وفيه كاتب أصيل بطراحة ونحو عشرة معينين ، والتعريفات واردة عليه من كل عملٍ باستمرارٍ من هو مستعز ومباشرة من أستجد وهوت من مات ، وفيه عدة عروض يأتي ذكرها في الكلام على إجراء الأرزاق والعطاء .

الثالث - "ديوان الإقطاع" . وكان مختصا عندهم بما هو مُتَمَطَّع للأجناد ، وليس للباشرين فيه تنزيل حلية جندي ولا شية داتته ، وكان يقال لإقطاعات العربان في أطراف البلاد وغيرها الأعتداد ، وهي دون عبدة الأجناد .

الضرب الرابع

نظر الدواوين

١٠ وصاحب هذه الوظيفة هو رأس الكل ، وله الولاية والعزل ، وإليه عرض الأرزاق في أوقات معروفة على الخليفة والوزير ، وله الجلوس بالمرتبة والمسند ، وبين يديه حاجب من أمراء الدولة ، وتُخرج له الدواة من خزانة الخليفة بغير كرسى ، وإليه طلب الأموال وأستخراجها والمحاسبة عليها ، ولا يعترض فيما يقصده من أحد من الدولة . قال ابن الطوير : ولم يُرفى هذه الوظيفة نصراني إلا الأحرم .

١٥ الثانية - "ديوان التحقيق" . وموضوعه المقابلة على الدواوين ، وكان لا يتولاه إلا كاتب خبير ، وله الخلع ومرتبة يجلس عليها وحاجب بين يديه ، ويفتقر إليه في كثير من الأوقات ، وبلحق برأس الدواوين المتقدم ذكره .

الثالثة - "ديوان المجلس" . قال ابن الطوير : وهو أصل الدواوين قديما ، وفيه معالم الدولة بأجمعها ، وفيه عدة كُتَّاب ، وعنده معين أو معينان ، وصاحب هذا الديوان

(١) لم يُقدم له تقسيم ولم يذكر أولى لتكون هذه ثانيها والذي يفهم من المقام أنها وظائف وأن وظيفة نظر الدواوين أول ونظر ديوان التحقيق ثانياه هكذا تأمل .

هو المتحدث في الإقطاعات، ويُخَلَع عليه وينشأ له سجلٌ بذلك لاحق بديوان النظر، وله دواة تُخَرَّج له من خزانة الخليفة وحاجب يقف بين يديه، وكان يتولاه عندهم أحد كُتَّاب الدولة ممن يكون مترشحاً لأن يكون رأس الدواوين، ويسمى أَسْتِيَارُهُ دفتر المجلس، وهو متضمن للعطاء والظاهر من الرسوم التي تنترز في عُمرَة السنة والضحايا، وما ينفق في دار الفِطْرَةِ في عيد النظر، وفي فتح الخليج والأسمطة المستعملة في رمضان وغيره، وسائر المآكل والمشرب والتشريفات، وما يطلق من الأهرام من الغلات، وما لأولاد الخليفة وأقاربه وأرباب الرواتب على اختلاف الطبقات من المُرتَّب، وما يَرِد من الملوك من الهدايا والتحف، وما يُبعث به إليهم من الملاطفات، ومَتَادِيرِ صِلَات الرسل الواردين بالمكاتبات، وما يخرج من الأَكْفَان لمن يموت من الحرِّيم، وضبط ما يُنْفَق في الدولة من المهمات ليُعَلِّم ما بين السنة والأخرى من التفاوت وغير ذلك من الأمور المهمة. وهذا الديوان في زماننا قد تفرَّق إلى عدَّة دواوين كالوزارة ونظر الخصاص والجيش وغيرها.

الرابعة - "ديوان خزائن الكسوة". وكان لها عندهم رتبة عظيمة

في المباشرات. وقد تقدَّم ذكر حواصلها في جملة الخزائن فيما سبق.

الخامسة - "الطراز". وكان يتولاه الأعيان من المستخدمين، من أرباب

الأقلام، وله اختصاص بالخليفة دون كافة المستخدمين، ومقامه بدمياط وتينيس وغيرهما من مواضع الاستعمالات، ومن عنده تحمل المستعمالات إلى خزانة الكسوة المقدمة الذكر.

السادسة - "الخدمة في ديوان الأحباس" قال ابن الطوير: وهي أوكد الدواوين

مباشرة ولا يُخدَّم فيها إلا أعيان كُتَّاب المسلمين من الشهود المعتدين، وفيها عدَّة مُدْرَأ^(١)

بسبب أرباب الرواتب، وكان فيه كاتبان ومُعِينان لنظم الأمتيَّارات، ويُورِد في أَسْتِيَارِهِ كل ما في الرقاع والرواتب، وما يُجْبَى له من جهات كل من الوجهين القبلي والبحري.

(١) تقدم له مثل هذا الجمع في الجزء الأول ونهنا عليه.

السابعة - "الخدمة بديوان الرواتب". وفيه مرتبات الوزير فمن دونه إلى الضوى قال ابن الطوير: بلغ في بعض السنين ما يزيد على مائة ألف دينار ونحوها من مائتي ألف، ومن القمح والشعير عشرة آلاف إردب، وكان آستيمار الرواتب يعرض في كل سنة على الخليفة فيزيد من يزيد، وينقص من ينقص، وإنه عرض سنة على المستنصر بالله فلم يعترض أحدا من المرتبين بنقص، ووقع على ظاهر الأستيمار بخطه "الفقرم المذاق، والحاجة تذل الأعناق، وحراسة النعم بإدرار الأرزاق، فليجروا على رسومهم في الإطلاق، ما عندكم ينقد، وما عند الله باق" وأمر ولي الدولة ابن خيران كاتب الإنشاء بإمضاء ذلك.

الثامنة - "الخدمة في ديوان الصعيد" من الصعيد الأعلى والصعيد الأدنى.

وكان فيه عدة كُتُب فروع، والأستيفاء متسوم بينهم، وعليهم عمل التذاكر بطلب ما تأخر من الحساب. وصاحب هذا الديوان يترجمها بخطه، ويحملها إلى صاحب الديوان الكبير فيوقع عليها بالأمسترفاع، ويندب لها من الحجاب أو غيرهم من يراد، وله مياومة يأخذها من المستخدمين مدة بقائه عندهم ويحضرها نسخا للدواوين الأصول.

التاسعة - "الخدمة في ديوان أسفل الأرض". وهو الوجه البحري خلا الثغور، وحكمه فيما تقدم من الكُتُب وما يلزم كلا منهم حكم ديوان الصعيد المتقدم الذكر من غير فرق.

العاشرة - "الخدمة في ديوان الثغور". وهي الإسكندرية ودمياط

ونسرته والبرأس والفرما، وحكمه حكم ما تقدم من ديوان الصعيد وأسفل الأرض.

الحادية عشرة - "الخدمة في الجوالى والمواريث الحشرية". قال ابن

الطوير: كان لا يتولاه إلا عدل، وفيه جماعة من الكُتُب على ما تقدم في غيره من الدواوين أيضا.

الثانية عشرة - "الخدمة في ديوانى الخراجى والملاالى" وتجرى فيه
الرباع والمكوس وعليه حوالات أكثر المرتزقين .

الثالثة عشرة - "الخدمة في ديوان الكراع" . وفيه معاملة الإصطبلات ،
وما فيها من الدواب الخاص وغيرها والبغال والجمال ودواب المرممة المرصدة للعمار ورباع
الديوان ، وعدد ذلك وآلاته ، وعلوفات ذلك مع ما ينضم إليه من علوفة الفيالة والزرايف^(١)
والوحوش وراتب من نخدمها . وكان في هذا الديوان كاتباً أصل ومستوفى ومعينان .

الرابعة عشرة - "الخدمة في ديوان الجهاد" . ويقال له ديوان العمار ،
وكان محله بالصناعة بمصر ، وفيه إنشاء المراكب للأسطول وحمل الغلال السلطانية^(٢)
والأحطاب وغيرها ، ومنه يُنْفَق على رؤساء المراكب ورجالها ، وإذا لم يف
أرتفاقه بما يحتاج إليه أستدعى له من بيت المال بما يكفيه .

الصف الثالث من أرباب الوظائف

أصحاب الوظائف الصناعية

وأعظمها وظائف الأطباء ، وكان للخليفة طبيب يُعرف بطبيب الخاص يجلس
على باب دار الخليفة كل يوم ، ويجلس على الدكك التى بالقاعة المعروفة بقاعة الذهب
بالقصر دونه أربعة أطباء أو ثلاثة فيخرج الأستاذون فيستدعون منهم من يجدونه
للدخول على المرضى بالقصر بلحات الأقارب والحواص فيكتب لهم رقاعاً على خزانة
الشراب فيأخذون ما فيها ، وتبقى الرقاع عند مباشرها شاهدا لهم . ولكل منهم
الجارى والراتب على قدره .

(١) لم نغتر على هذا الجمع في كتب اللغة ولعله جارى العامة في تعبيراتهم . (٢) المراد بها

دار الصناعة التى كانت تنشأ بها المراكب الحربية والأساطيل بمصر القديمة بالساحل القديم .

الصنف الرابع

الشعراء

وكانوا جماعة كثيرة من أهل ديوان الإنشاء وغيره، وكان منهم أهل سنة لا يغفلون في المديح، وشيعة يغفلون فيه . فمن أحسن مدح فيهم إسنَى قول عمارة اليمنى رحمه الله :
أَفَاعِيْلُهُمْ فِي الْجُودِ أَفْعَالُ سُنَّةٍ * وَإِنْ خَالَفُونِي فِي أَعْتِقَادِ النَّشِيعِ
ومن الذي وقعت فيه المغالاة قول بعضهم :
هَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَجْلِسُ * أَبْصَرْتُ فِيهِ الْوَحْيَ وَالتَّنْزِيلَ

وَإِذَا تَمَثَّلَ رَايِكًا فِي مَوْكِبٍ، * عَايَنْتُ تَحْتَ رِكَابِهِ جَبْرِيْلًا

قلت : وهذه المغالاة من المغالاة الفاحشة التي لا يجوز الإقدام عليها لسنى

ولا متشيع، وإنما هي من اقتحام الشعراء البوائق .

القسم الثاني

من أرباب الوظائف بالدولة الفاطمية ما هو خارج

عن حضرة الخلافة، وهو صنفان :

الصنف الأول

النواب والولاءة

وأعلم أن مملكتهم كانت قد [أنحصرت^(٣)] في ثلاث ممالك فيها نوابهم وولائهم : المملكة الأولى "الديار المصرية" وهي التي كانت قد استقرت قاعدة ملكهم، ومحط رحلتهم، وكان بها أربع ولايات :

الأولى - "ولاية قوص" وكانت هي أعظم ولايات الديار المصرية، وواليتها

يحكم على جميع بلاد الصعيد، وربما ولى بالأشمونين ونحوها من يكون دونه .

(١) في الأصل « التبعي » وهو تحريف .

(٢) هذان البيتان من قصيدة لابن هاني

(٣) زيادة بقتضيا السياق .

الأندلسي يمدح بها المعز طمعا في صلاته وعطاياه .

الثانية - "ولاية الشرقية" وكانت دون ولاية قوص في الرتبة، وكان متوليها يحكم على عمل بلبيس وعمل قلوب وعمل أنثوم .

الثالثة - "ولاية الغربية" وكانت دون ولاية الشرقية في المرتبة، وكان متوليها يحكم على عمل المحلة، وعمل منوف، وعمل أبيار .

الرابعة - "ولاية الاسكندرية" وهي دون الغربية في الرتبة، وكان متوليها يحكم على أعمال البحيرة بأجمعها .

قال ابن الطوير : وهؤلاء الأربعة كان يُخلع عليهم من خزانة الكسوة بالبدنة، وهو النوع الذي يلبسه الخليفة في يوم فتح الخليج .

قلتُ : لعل هذه الولايات الأربع ولايات الولاة التي تدخل تحت حكمها الولايات الصغار، أو تكون هي التي استقرت عليه الحال في آخر دولتهم، وإلا فقد رأيت في تذكرة أبي الفضل الصوري، أحد كتّاب الإنشاء في أيام القاضي الفاضل سجلاّت كثيرة لولاة الوجهين القبلي والبحري .

الجملة الخامسة

من ترتيب ملكتهم، في هيئة الخليفة في مواكبه وقصوره، وهي على ثلاثة أضرب :

الضرب الأول

جلوسه في المواكب، وله ثلاثة جلوسات :

الجلوس الأول

جلوسه في انجس العام أيام المواكب

وأعلم أن جلوس الخليفة أولا كان بإيوان الكبير الذي كان بالتمصر على سرير

المذبح الذي كان يصدره إلى آخر أيام المستعلي . فلما ولي ابنه الأمر الخلافة بعده،

(١) لم يذكر بقية تلك الثلاث قصارا على المقصود وسيأتى ذكر بقية في الجزء الرابع .

- نقل الجلوس من الإيوان الكبير إلى القاعة المعروفة بقاعة الذهب بالتصغر أيضا ،
 وصار يجلس من مجالسها على سرير الملك به ، وجعل الإيوان الكبير خزانةً للسلاح ،
 ولم يتعرض لإزالة سرير الملك منه حتى جاءت الدولة الأيوبية ، وهو باق ، وكان
 جلوس الخليفة في هذه الحالة لا يتعدى يومى الاثنين والخميس ، وليس ذلك على
 الدوام بل على التقرير بحسب ما يتتضيه الحال . فإذا أراد الجلوس فإن كان في الشتاء
 عُلّق المجلس الذى يجلس فيه بستور الديباج ، وفرش بالبسط الحرير ، وإن كان
 في الصيف ، علق بالبستور الديبقيّة وفرش بطبرى طبرستان المذهب الفائق ، وهيئت
 المرتبة المعتدة لجلوسه على سرير الملك بصدر المجلس ، وعُشّي السرير بالقرقوبى ،
 ثم استدعى الوزير من داره بصاحب الرسالة على حصان رهوان فى أسرع حركة على
 خلاف الحركة المعتادة ، فيركب الوزير فى هيئته وجماعته وبين يديه الأمراء ،
 فإذا وصل إلى باب القصر تجلّ الأمراء ، وهو راكب إلى أول باب من الدهاليز
 الصّوال عند دهليز يعرف بدهاليز العمود ، ويمشى وبين يديه أكابر الأمراء إلى مقطع
 الوزارة بقاعة الذهب ، فإذا تهيأ جلوس الخليفة ، استدعى الوزير من مقطع الوزارة
 إلى باب المجلس الذى فيه الخليفة وهو مُغلق ، وعلى بابه ستر معلق ، فيقف زمام القصر
 عن يمين باب المجلس وزمام بيت المال عن يساره ، والوزير واقف أمام باب المجلس
 وحواليه الأمراء المطوّقون وأرباب الخدم الجليّة ، وفى خلال التّوم قراء الحاضرة ،
 ويضع صاحب المجلس الدواة مكانها من المرتبة أمام الخليفة ، ثم يخرج كم من أكامه
 يعرف بفرد الكم ويشير إلى زمام التصر وزمام بيت المال الواقفين بباب المجلس ،
 فيرفع كل منهما جانب الستر فيظهر الخليفة جالسا على سرير الملك مستقبِل التّول
 بوجهه ، ويستفتح القراء بالقرآن ، ويدخل الوزير المجلس ويسلم بعد دخوله ،
 ثم يُقبَلُ يدي الخليفة ورجليه ، ويتأخر مقدار ثلاثة أذرع ويقف ساعة زمانية ،

ثم تخرج له محذة عن الجانب الأيمن من الخليفة ويؤمر بالجلوس إليها، ويقف
 الأمراء في أماكنهم المقررة لهم ، فصاحب الباب وأسفهلار من جانبي الباب
 يمينا ويسارا، ويليمهم من خارجه ملاصقا للعتبة زمام الأمرية والحافظية وباقي الأمراء
 على مراتبهم إلى آخر الرواق، وهو إفريز عالٍ عن أرض القاعة، ثم أرباب القصب
 والعماريات يمنة ويسرة كذلك، ثم الأمانل والأعيان من الأجناد المترشحين للتقدمة،
 ويقف مستندا بالقدر الذي يقابل باب المجلس نواب الباب والحجاب ، فإذا انتظم
 الأمر على ذلك ، فأول مائل للخدمة بالسلام قاضي القضاة والشهود المعروفون
 بالاستخدام فيجيز صاحب الباب القاضي دون من معه فيسلم على الخليفة بأدب
 الخلافة، بأن يرفع يده اليمنى ويشير بالمسبحة، ويقول بصوت مسموع : ”السلام
 على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته“ يتخصص بهذا الكلام دون غيره من أهل
 السلام، ثم يسلم بالأشراف الأقارب زمامهم، وبالأشراف الطالبين تقيهم، فتمضي
 عليهم كذلك ساعتان زمانتان أو ثلاث ، ثم يسلم عليه من خلع عليه بقوص
 أو الشرقية أو الغربية أو الإسكندرية، ويشرفون بتقبيل العتبة، وإذا دعت حاجة
 الوزير إلى مخاطبة الخليفة في أمر، قام من مكانه وقرب منه منحنيًا على سيفه ،
 ومخاطبه مرة أو مرتين أو ثلاثا ، ثم يأمر الحاضرون بالانصراف فينصرفون ،
 ويكون آخرهم خروج الوزير بعد تقبيل يد الخليفة ورجله . فإذا خرج إلى الدهليز
 الذي ترجل فيه، ركب منه إلى داره، وفي خدمته من حضر في خدمته إلى القصر،
 ويدخل الخليفة إلى سكنه مع خواص الأستاذين، ثم يُغلق باب المجلس ويرنح السند
 إلى أن يحتاج إلى حضور موكب آخر فيكون الأمر كذلك .

الجلوس الثاني

جلوسه للقاضي والشهود في ليالي الوقود الأربع من كل سنة

وهي : ليلة أول رجب ، وليلة نصفه ، وليلة أول شعبان ، وليلة نصفه .

إذا مضى النصف من جمادى الآخرة حمل إلى القاضي من حواصل الخليفة

ستون شمعة ، زنة كل شمعة منها سدس قنطار بالمصرى ليركب بها في أول ليلة

من شهر رجب ، فإذا كان أول ليلة منه جلس الخليفة في منظره عالية كانت عند

باب الزمرد من أبواب النصر المتقدم ذكره ، وبين يديه شمع يوقد في العلويين

شخصه على ارتفاعه . ويركب القاضي من داره بعد صلاة المغرب وبين يديه الشمع

المحمول إليه من خزانة الخليفة موقوداً ، من كل جانب ثلاثون شمعة ، وبين الصفيين

مؤذنون الجوامع ، يعلنون بذكر الله تعالى ، ويدعون للخليفة والوزير بترتيب مقرر محفوظ

ويحجبه ثلاثة من نواب الباب ، وعشرة من حجاب الخليفة ، خارجاً عن حجاب الحكام

المستقرين وهم خمسة في زى الأمراء ، وفي ركابه القراء يقرؤون القرآن ، والشهود

وراءه على ترتيب جلوسهم يجلس الحكم الأقدم فالأقدم ، وحول كل منهم ثلاث

شمعات أو شمعتان أو شمعة واحدة إلى بين القصرين في جمع عظيم حتى يأتى باب

الزمرد من أبواب النصر ، فيجلسون في رحبة تحت المنطرة التي فيها الخليفة ،

ويحضرين يديه بسمت ووقار وتشوف لانتظار ظهور الخليفة . فيفتح الخليفة

إحدى طاقات المنطرة فيظهر منها رأسه ووجهه ، وعلى رأسه دودة من خواص

الأستاذين من المحنكين وغيرهم . فيفتح بعض الأستاذين طاقةً أخرى فيخرج منها

رأسه ويده اليمنى ، ويشير بكمه قائلاً : " أمير المؤمنين يرث عليكم السلام " فيسه

بقاضي القضاة أولاً بنعوته ، وبصاحب الباب بعده كذلك ، وبالجماعة الباقية جملة

من غير تعيين أحد ، ويستفتح قراء الحضرة بالقراءة وهم قيام في الصدرة ظهورهم

إلى حائط المنظرية ووجوههم للحاضرين. ثم يتقدم خطيب الجامع الأنور (وهو الذي يباب البحر) فيخطب كما يخطب فوق المنبر، وينبه على فضيلة ذلك الشهر، وأن ذلك الركوب علامته ثم يختم كلامه بالدعاء للخليفة، ثم يتقدم خطيب الجامع الأزهر فيخطب كذلك، ثم يتقدم خطيب جامع الحاكم فيخطب كذلك، والقراء في خلال تلك الخطب يقرءون، فإذا انتهت خطابة الخطباء، أخرج الأستاذ الأول يده من تلك الطاقة فيرد على الجماعة السلام، ثم تغلق الطاقتان وينفض الناس، ثم يركب القاضي والشهود إلى دار الوزير فيجلس لهم ليسلموا عليه، ويخطب الخطباء الثلاثة عنده بأخف من مقام الخليفة ويدعون له، ثم ينصرفون ويذهب القاضي والشهود صحبته إلى مصر، ووالى القاهرة في خدمته، ويمتد بجامع ابن طولون فيصل في فيه ويخرج منه فيجد والى مصر في تآقيه فيمضى في خدمته، ويمتد على المشاهد فيتبرك بها، ويمضى إلى الجامع العتيق ويدخل من باب الزيادة التي يحكم فيها فيصل في الجامع ركعتين، ويوقد له التور الفضة الذي بالجامع، وهو تاور عظيم حسن التكوين، فيه نحو ألف ونحسائة براقة، وبسفله نحو مائة قنديل، ثم يخرج من الجامع فإن كان ساكنا بمصر استقر بها، وإن كان ساكنا بالقاهرة أنتظره والى القاهرة في مكانه حتى يعود من مصر فيذهب في خدمته إلى داره.

وكذلك يركب في ليلة الخامس عشر من رجب إلا أنه بعد صلاته في جامع مصر يتوجه إلى القرافة فيصل في جامعها، ثم يركب في أول شعبان كذلك، ثم في نصفه كذلك.

الجلوس الثالث

جلوسه في مولد النبي صلى الله عليه وسلم في الثاني عشر من شهر ربيع الأول وكان عادتهم فيه أن يعمل في دار الفطرة عشرون قنطارا من السكر الفائق حلوى من طرائف الأصناف، وتعي في ثلثة صينية نحاس. فإذا كان ليلة ذلك المولد،

- تفرق في أرباب الرسوم: كقاضى القضاة، وداعى الدعاة، وقرءاء الحاضرة، والخطباء،
 والمتصدرين بالجماع بالقاهرة ومصر، وقومة المشاهد وغيرهم ممن له أسم ثابت
 بالديوان، ويجلس الخليفة في منظره قريبة من الأرض مقابل الدار القبطية المتقدمة
 الذكر (وهى البيارستان المنصورية الآن) ثم يركب القاضى بعد العصر ومعه
 ٥ الشهود إلى الجامع الأزهر ومعهم أرباب تفرقة الصواني المتقدمة الذكر، فيجلسون
 في الجامع مقدار قراءة الختمة الكريمة، وتُسَدُّ الطريق تحت القصر من جهة السيوفيين
 وسويقة أمير الجيوش، ويكنس ما بين ذلك ويرش بالماء رَشًا، ويرش تحت
 المنظره بالرمل الأصفر، ويقف صاحب الباب ووالى القاهرة على رأس الطُّرُق
 لمنع المآزة، ثم يستدعى القاضى ومن معه فيحصرُون ويرجلُون على القرب من
 ١٠ المنظره ويحتمون تحتها وهم متشوفون لانتظار ظهور الخليفة، فيفتح إحدى طاقات
 المنظره فيظهر منها وجهه، ثم يُخْرِجُ إحدى الأستاذين المحنكين يده ويشير بكمه بأن
 الخليفة يرد عليكم السلام، ويقرأ القراء وينخطب الخطباء كما تقدم فى لىالى الوقود
 فإذا أنتهت خطابة الخطباء، أخرج الأستاذ يده مشيرا برد السلام كما تقدم، ثم تغلق
 الطاقتان وينصرف الناس إلى بيوتهم، وكذلك شأنهم فى مولد على بن أبى طالب
 ١٥ كرم الله وجهه الخاص فى أوقات معلومة عندهم من السنة.

الضرب الثانى

ركوبه فى المواكب، وهو على نوعين

النوع الأول

ركوبه فى المواكب العظام، وهى ستة مواكب،

الموكب الأول

ركوب أول العام

٢٠

وكان من شأنهم فيه أنه إذا كان العشر الآخر من ذى الحجة من السنة، وقع

الاهتمام بإخراج ما يحتاج إليه في المواكب من حواصل الخليفة، فيُخرج من خزائن السلاح ما يحمله الركابية وغيرهم حول الخليفة كالعصايم، والدبابيس، والثبوت، وعمد الحديد، والسيوف، والدُرَق، والرماح، والألوية، والأعلام، ومن خزانة التجميل يرسم الوزير والأمراء وأرباب الخدم الألوية والقضب، والعماريات، وغير ذلك مما تقدم ذكره. ومن الإصطبلات مائة فرس مسومة يرسم ركوب الخليفة وما يجنبه. ويُخرج من خزانة السروج مائة مرج بالذهب والفضة مرصع بعضها بالجوهر براكب من ذهب، وفي أعناق الخيل أطواق الذهب وقلائد العنبر، وفي أرجل أكثرها خلاخل الذهب والفضة مسطحة، قيمة كل فرس وما عليها من العدة ألف دينار، يُدفع للوزير منها عشرة بعثتها يرسم ركوبه وركوب أخصائه، وتسلم إلى المساحات أغشية العماريات لتحمل على الجمال، إلى غير ذلك من الآلات المستعملة في المواكب، مما تقدم ذكره في الكلام على الخزائن، ويبيعت إلى أرباب الخدم من الإصطبلات بخيول عادية ليركبوها في الموكب. فإذا كان يوم التاسع والعشرين من ذي الحجة، استدعى الخليفة الوزير من داره على الرسم المعتاد في الإسراع، فإذا عاد صاحب الرسالة من استدعاء الوزير، خرج الخليفة من مكانه راكبا في القصر، فينزل في السِدْلِي، بدهليز باب الملك الذي فيه الشباك، وعليه ستر من ظاهره، فيقف من جانبه الأيمن زمام القصر، ومن جانبه الأيسر صاحب بيت المال، ويركب الوزير من داره وبين يديه الأمراء، فإذا وصل إلى باب القصر ترجل الأمراء وهو راكب، ويدخل من باب العيد، ولا يزال راكبا إلى أول باب من الدهاليز الطوال، فينزل ويمشي فيها وحواليه حاشية ومن يُرأه من أولاده وأقاربه. فإذا وصل إلى الشباك، وجد تحته كرسيًا كبيرا من حديد فيجلس عليه ورجلاه تظن الأرض، فإذا جلس، رفع كل من زمام القصر وصاحب بيت المال

الستر من جانبه فيرى الخليفة جالسا على مرتبة عظيمة، فيقف ويسلم ويخدم بيده في الأرض ثلاث مرّات، ثم يؤمر بالجلوس على كرسيه فيجلس، ويستفتح القراء بقراءة آيات لائقة بذلك المكان مقدار نصف ساعة، ثم يسلم الأمراء، ويُسرع في عرض خيول الخاص المقدم ذكرها واحدةً واحدةً إلى آخرها، فإذا تكمل عرصها، قرأ القراء ما يناسب ختم ذلك المجلس، فإذا فرغوا أرخى الستر وقام الوزير فدخل عليه فقبل يديه ورجليه، ثم ينصرف عنه فيركب من مكان نزوله ويخرج الأمراء معه إلى خارج فيمضون معه إلى داره رُكباناً ومشاة على حسب مراتبهم، فإذا صلب الخليفة الظهر، جلس لعرض خزانة الكسوة الخاص وتعيين ما يلبس في ذلك المركب ولباسه فيه، فيعين مندبلاً لشدة التاج، وبدلاً من هذا النوع، والجوهرية الثينة وما معها من الجواهر المتقدمة الذكر لشدة التاج وتشدّ بفضة تشبه تلك البذلة، وتلف في مندبيل ديبقي فلا يكشفها إلا حاملها عند ركوب الخليفة، ثم يشدّ اواءى الحمد المتقدمى الذكر، فإذا كان أول يوم من العام، بكرّ أرباب الرتب من ذوى السيوف والأقلام فلا يُصبح الصبح إلا وهم بين التصرين منتظرين ركوب الخليفة (وهو يومئذ فضاء واسع خال من البناء) ويكرّ الأمراء إلى دار الوزير ليركبوا معه، فيخرج من داره ويركب إلى القصر من غير استدعاء وأمامه ماشرفه به الخليفة من الألوية والأعلام، والأمراء بين يديه رُكباناً ومشاة، وأولاده وإخوته قدامه، وكل منهم مرخى الذؤابة بلا حنك، وهو في هيئة عظيمة من الثياب الفاخرة والمندبل والحنك متقلداً بالسيف الذهب، فإذا وصل إلى باب القصر، ترجل الأمراء ودخل هو راكبا إلى محل نزوله بدليل القصر المعروف بدليل العمود فيترجل هناك ويمشي في بقية الدهاليز حتى يصل إلى مقطع الوزارة بقاعة الذهب هو وأولاده وإخوته وخواص حاشيته، ويجلس الأمراء بالقاعة على دكك معدة لهم،

وَيُدْخَلُ فَرَسُ الْخَلِيفَةِ إِلَى بَابِ الْمَجْلِسِ الَّذِي هُوَ فِيهِ، وَعَلَى بَابِ الْمَجْلِسِ كُرْسِيٌّ يَرْكَبُ مِنْ عَلَيْهِ. فَإِذَا آسَتِ الدَّابَّةُ إِلَى ذَلِكَ الْكُرْسِيِّ، أُخْرِجَتِ الْمِظَلَّةُ إِلَى حَامِلِهَا فَيَكْشِفُهَا مِمَّا هِيَ مَلْتَوِفَةٌ فِيهِ وَيَتَسَلَّمُهَا بِإِعَانَةِ أَرْبَعَةِ مَعْدِنٍ لخدمَتِهَا فَيُرْكَبُهَا فِي آلَةٍ مِنْ حَدِيدٍ تُشَبِّهُ الْقَرْنَ الْمَصْطَحِبَ مَشْدُودَةً فِي رِكَابِ حَامِلِهَا الْأَيْمَنِ بِقُوَّةٍ، وَيُمْسِكُ الْعَمُودَ بِحَاجِزٍ فَوْقَ يَدَيْهِ، ثُمَّ يُخْرِجُ السِّيفَ فَيَتَسَلَّمُ حَامِلَهُ. فَإِذَا تَسَلَّمَهُ أَرْنَحَى ذُوَابَتَهُ فَلَا تَزَالُ مَرْخَاةٌ مَا دَامَ حَامِلًا لَهُ، ثُمَّ تُخْرَجُ الدَّوَاةُ فَيَتَسَلَّمُهَا حَامِلُهَا وَيَجْعَلُهَا قَدَامَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّرِجِ، ثُمَّ يُخْرِجُ الْوَزِيرَ عَنِ الْمَقْطَعِ وَيَنْضُمُ إِلَيْهِ الْأُمَرَاءَ وَيَقْفُونَ إِلَى جَانِبِ فَرَسِ الْخَلِيفَةِ، وَيَرْفَعُ صَاحِبُ الْمَجْلِسِ السِّتْرَ فَيُخْرِجُ مَنْ كَانَ عِنْدَ الْخَلِيفَةِ لِلْخِدْمَةِ مِنَ الْأَسْتَاذِينَ، وَيُخْرِجُ الْخَلِيفَةَ فِي أَثْرَمٍ فِي ثِيَابِهِ الْمُخْتَصَةِ بِذَلِكَ الْيَوْمِ وَعَلَى رَأْسِهِ التَّاجَ الشَّرِيفَ وَالذَّرَّةَ الْيَتِيمَةَ عَلَى جَبْهَتِهِ، وَهُوَ مُخَنَّكَ مَرْنَحَى الذُّوَابَةَ مِمَّا يَلِي جَانِبَهُ الْأَيْسَرَ مُتَقَلِّدًا بِالسِّيفِ الْعَرَبِيِّ وَقَضِيبُ الْمَلِكِ بِيَدِهِ، وَيَسْلَمُ عَلَى الْوَزِيرِ قَوْمَ مَرْتَبَتِهِ لِدَلِّكَ، ثُمَّ عَلَى الْقَاضِي وَعَلَى الْأُمَرَاءِ بَعْدَهُمَا، ثُمَّ يُخْرِجُ الْأُمَرَاءَ وَبَعْدَهُمُ الْوَزِيرَ فَيَرْكَبُ وَيَقِفُ قُبَالَةَ بَابِ الْقَصْرِ، وَيُخْرِجُ الْخَلِيفَةَ رَاكِبًا وَفَرَسَهُ مَاشِيَةً عَلَى بَسْطِ خَشِيَّةٍ أَنْ تَزَلَّ عَلَى الرَّخَامِ وَالْأَسْتَاذُونَ حَوْلَهُ. فَإِذَا قَارَبَ الْبَابَ وَظَهَرَ وَجْهَهُ، ضَرَبَ رَجُلٌ بِيُوقٍ لَطِيفٍ مَعُوجَ الرَّأْسِ مُتَّخِذٍ مِنَ الذَّهَبِ يُقَالُ لَهُ الْغَرِيَّةُ مُخَالَفَ لَصُوتِ الْأَبْوَابِ، فَتَضْرِبُ الْبُوقَاتُ فِي الْمَوَاقِبِ، وَتُنْشَرُ الْمِظَلَّةُ، وَيُخْرِجُ الْخَلِيفَةَ مِنْ بَابِ الْقَصْرِ فَيَقِفُ وَقْفَةً يَسِيرَةً بِمَقْدَارِ رُكُوبِ الْأَسْتَاذِينَ الْمُحَنِّكِينَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَرْبَابِ الرَّتَبِ الَّذِينَ كَانُوا فِي الْخِدْمَةِ بِالْقَاعَةِ، ثُمَّ يَسِيرُ الْخَلِيفَةُ فِي الْمَوْكَبِ وَصَاحِبُ الْمِظَلَّةِ عَلَى يَسَارِهِ، وَهُوَ يُحْرِصُ أَلَّا يَزُولَ ظِلُّهَا عَنِ الْخَلِيفَةِ، ثُمَّ يَكْتَفِ الْخَلِيفَةَ مَقْدَمًا وَصِدْيَانِ الرِّكَابِ، أَثْنَانِ مِنْهُمْ فِي شَكِيمَتِي الْجَامِ فَرَسَهُ، وَأَثْنَانِ فِي عُنُقِ الْفَرَسِ مِنَ الْبُخَانِيِّينَ، وَأَثْنَانِ فِي رِكَابِهِ مِنَ الْبُخَانِيِّينَ أَيْضًا، وَالْأَيْمَنِ مِنْهُمَا هُوَ صَاحِبُ الْمِقْرَعَةِ

الذى يناولها للخليفة وينناولها منه، وهو الذى يؤدى عن الخليفة مدة ركوبه الأوامر والنواهي، واللاوائان المعروفان بلوائى الحمد عن جانبيه، والمذبتان عند رأس فرس الخليفة، والركابية يمينه وشماله نحو ألف رجل مقلدو السيوف مشدودوا الأوساط بالمناديل والسلاح، وهم من جانبي الخليفة كالجناحين الماذين، بينهما فرجة لوجه الفرس ليس فيها أحد، وبالتقرب من رأسها الصقليان الحاملان للذبتين، وهما مرفوعتان كالنخلتين. (ويترتب الموكب): أجناد الأمراء وأولادهم وأخلاق العسكر أمام الموكب وأدوان الأمراء يلونهم، وبعدهم أرباب القُضْبِ النضبة من الأمراء، ثم أرباب الأطواق منهم، ثم الأستاذون المحنكون، ثم أهل الوزير المتقدم ذكرهم، ثم الحاملان للوائى الحمد من الجانبين، ثم حامل الدواة وحامل السيف بعده، وهما من الجانب الأيسر، وكل واحد ممن تقدم ذكره بين عشرة إلى عشرين من أصحابه، ثم الخليفة بين الركابية، وهو سائر على تُوْدَةٍ ورفيق، وفي أوائل العسكر ومتقدميه وإلى القاهرة ذاهبا وعائدا لفسح الطرقات وتسيير من يقف، وفي وسط العسكر آسفهلار يحث الأجناد على الحركة ويزجر المتراحمين والمعرضين في العسكر ذاهبا وعائدا، وفي زمرة الخليفة صاحب الباب لترتيب العسكر وحراسة طرقات الخليفة ذاهبا وعائدا، يلي صاحب الباب آسفهلار، وآسفهلار يليق وإلى القاهرة، وفي يد كل منهم دبوس، وخلف الخليفة جماعة من الركابية لحفظ أعقابه، ثم عشرة يحملون عشرة سيوف في خرائط ديباج أحمر وأصفر يقال لها سيوف الدم برسم ضرب الأعناق، وبعدهم الحاملون للسلاح الصغير المتقدم الذكر، ووراءه الوزير في هيئة عظيمة، وفي ركابه نحو خمسمائة رجل ممن يختاره لنفسه من أصحابه، وقوم يقال لهم صبيان الزرد من أفوياء الأجناد من جانبيه بفرجة لطيفة أمامه دون فرجة الخليفة مجتهدا ألا يغيب الخليفة عن نظره، وخلفه الطبول والصنوج والصفافير في عدة

كثيرة تدوي من أصواتها الدنيا، ووراء ذلك حاملُ الرِّيحِ المُقَدَّمِ ذِكْرُهُ وَالدَّرَقَةُ الْمُنْسُوبَةُ إِلَى حَمْزَةٍ، ثُمَّ رِجَالُ الْأَسَاطِيلِ مَشَاءَ وَمَعَهُمُ الْقَيْسِيُّ الْعَرَبِيَّةُ، وَتَسْمَى قَيْسِيُّ الرَّجُلِ وَالرَّكَّابُ، مَا يَزِيدُ عَلَى نَحْسَانَةِ رَجُلٍ، ثُمَّ طَوَائِفُ الرِّجَالِ مِنَ الْمَصَامِدَةِ، ثُمَّ الرِّيحَانِيَّةُ وَالْجِيُوشِيَّةُ، ثُمَّ الْفَرَنْجِيَّةُ، ثُمَّ الْوَزِيرِيَّةُ: زُمْرَةٌ بَعْدَ زُمْرَةٍ فِي عِدَّةٍ وَأَفْرَةٍ تَزِيدُ عَلَى أَرْبَعَةِ آلَافٍ، ثُمَّ أَصْحَابُ الرَّيَابَاتِ وَالسَّبْعِينَ، ثُمَّ طَوَائِفُ الْعَسَاكِرِ: مِنَ الْأَمْرِيَّةِ وَالْحَافِظِيَّةِ وَالْمُجَرِّيَّةِ الْكِبَارِ وَالْمُجَرِّيَّةِ الصَّغَارِ وَالْأَفْضَلِيَّةِ وَالْجِيُوشِيَّةِ، ثُمَّ الْأَتْرَاقُ الْمُعْطَمُونَ، ثُمَّ الْإِدْيَلِمُ، ثُمَّ الْأَكْرَادُ، ثُمَّ الْغَزُّ الْمَصْطَنَعَةُ وَغَيْرُهُمْ مَا يَزِيدُ عَلَى ثَلَاثَةِ آلَافٍ فَارِسٍ.

قَالَ ابْنُ الظُّوَيْرِ: وَهَذَا كُلُّهُ بَعْضٌ مِنْ كُلِّهِ. وَإِذَا تَرْتَبَ الْمَوْكِبُ عَلَى ذَلِكَ، سَارَ مِنَ بَابِ النَّصْرِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ بَيْنَ الْقَصْرَيْنِ، يَسِيرُ بِمَوْكِبَةٍ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ بَابِ النَّصْرِ وَيَصِلَ إِلَى حَوْضٍ كَانَ هُنَاكَ يَعْرِفُ بِعِزِّ الْمَلِكِ عَلَى الْقَرْبِ مِنْ بَابِ النَّصْرِ، ثُمَّ يَنْعَطِفُ عَلَى يَسَارِهِ طَالِبًا بَابَ الْفَتْوحِ، وَرَبَّمَا عَطَفَ عِنْدَ خُرُوجِهِ مِنْ بَابِ النَّصْرِ عَلَى يَسَارِهِ، وَسَارَ بِجَانِبِ السُّورِ حَتَّى يَأْتِيَ بَابَ الْفَتْوحِ فَيَدْخُلُ مِنْهُ. وَكَيْفَمَا كَانَ فَإِنَّهُ يَدْخُلُ مِنْهُ، وَيَسِيرُ الْمَوْكِبَ حَتَّى يَنْتَهِيَ بَيْنَ الْقَصْرَيْنِ فَيَقِفُ الْعَسْكَرُ هُنَاكَ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ عِنْدَ الرِّكَابِ وَيَتَرَجَّلُ الْأَمْرَاءُ. فَإِذَا آتَتْهُ الْخَلِيفَةُ إِلَى الْجَامِعِ الْأَقْرَبِ وَقَفَ هُنَاكَ فِي جَمَاعَتِهِ وَيَنْفَرُجُ الْمَوْكِبَ لِلْوَزِيرِ فَيَتَحَرَّكُ مَسْرَعًا لِيَصِيرَ أَمَامَ الْخَلِيفَةَ. فَإِذَا مَرَّتْ بِالْخَلِيفَةَ، سَكَّعَ لَهُ سَكْمَةً ظَاهِرَةً، فَيَشِيرُ الْخَلِيفَةُ بِالسَّلَامِ عَلَيْهِ بِإِشَارَةٍ خَفِيفَةٍ، وَهَذِهِ أَعْظَمُ كِرَامَةٍ تَصُدُّرُ مِنَ الْخَلِيفَةَ، وَلَا تَكُونُ إِلَّا لِلْوَزِيرِ صَاحِبِ السَّيْفِ. فَإِذَا جَاوَزَ الْوَزِيرُ الْخَلِيفَةَ، سَبَقَهُ إِلَى بَابِ الْقَصْرِ وَدَخَلَ رَاكِبًا عَلَى عَادَتِهِ وَالْأَمْرَاءُ أَمَامَهُ مَشَاءً إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي رَكِبَ مِنْهُ بِدَهْلِيزِ الْعَمُودِ الْمَقْدَمِ ذِكْرُهُ، فَيَتَرَجَّلُ هُنَاكَ وَيَقِفُ هُوَ وَالْأَمْرَاءُ لِأَنْتَظَارِ الْخَلِيفَةَ. فَإِذَا آتَتْهُ الْخَلِيفَةُ إِلَى بَابِ الْقَصْرِ، تَرَجَّلَ الْأَسْتَاذُونَ الْمُحَنِّكُونَ وَدَخَلَ الْخَلِيفَةُ الْقَصْرَ وَهُوَ رَاكِبٌ وَالْأَسْتَاذُونَ مُحَدِّقُونَ بِهِ.

(١) سَكَّعَ (كَمَعَ وَفَرَّجَ): مَشَى مَشْيًا مُعْطَمًا لَا يَدْرِي أَيْنَ يَأْخُذُ طَرِيقَهُ.

فإننا أتتهى إلى الوزير، مشى الوزير أمام وجه فرسه إلى الكرسي الذي ركب من
 عنده فيخدمه الوزير والأمرء، وينصرفون ويدخل الخليفة إلى دوره . فإذا خرج
 الوزير إلى مكان ترجله ركب، والأمرء بين يديه، وأقاربه حوالبه إلى خارج باب
 القصر، فيركب منهم من يستحق الركوب، ويمشى من يستحق المشى، ويسيرون
 في خدمته إلى داره، فيدخل راكبا وينزل على كرسي فيخدمه الجماعة وينصرفون، وقد
 رأى الناس من حسن الموكب ما أبهجهم وراق خواطرمهم، ويتفرق الناس إلى أماكنهم
 فيجدون الخليفة قد أرسل إليهم العزة : وهي دنانير رباعية ودرهم خفاف مدورة،
 ويكون الخليفة قد أمر بضرها في العشر الأخير من ذي الحجة برسم التفرقة في هذا
 اليوم، لكل واحد من الوزير والأمرء وأرباب المراتب من حملة السيوف والأقلام
 قدر مخصوص من ذلك، فيقبلونها على سبيل التبرك من الخليفة، ويكتب إلى البلاد
 والأعمال مخلقات بالبشائر بركوب أول العام كما يكتب بوفاء النيل وركوب الميدان الآن.

الموكب الثاني

ركوب أول شهر رمضان

وهو قائم عند الشيعة مقام رؤية الهلال، والأمر في العرض واللباس والآلات
 والركوب والموكب وترتيبه والطرق المسلوكة على ما تقدم في أول العام من غير فرق،
 ويكتب فيه المخلقات بالبشائر كما يكتب في أول العام .

الموكب الثالث

ركوبه في أيام الجمع الثالث من شهر رمضان

وهي الجمعة الثانية [والثالثة^(١)] والرابعة، وذلك أنه إذا ركب إلى الجامع الأنور
 بباب البحر، بكر صاحب بيت المال إلى الجامع بالفرش المختص بالخليفة ثمولا

(١) زيادة بتنضيتها السياق .

على أيدى أكابر التراشين ملفوفا في العراضى الدبيقية، فيفترش في المحراب ثلاث
 طراحت إقنا شاميات، وإقنا دبيق أبيض، منتوشة بالحمرة، وتُفَرَّش واحدة فوق
 واحدة، ويعلق ستران يَمَنَّةً وَيَمْرَةً، في الستر الأيمن مكتوب برقم حرير أحمر سورة
 الناتحة وسورة الجمعة، وفي الستر الأيسر سورة الناتحة وسورة المنافقين كتابة واضحة
 مضبوطة، ويصعد قاضي القضاة المنبر، وفي يده مدخنة لطيفة خيزران يحضرها
 إليه صاحب بيت المال وفيها نُدٌّ مثلث لا يشم مثله إلا هناك، فيبخر ذريرة المنبر
 التي عليها التما كالتبة لجلوس الخليفة للخطابة ثلاث دفعات، ويركب الخليفة في هيئة
 ما تقدم في أول العام وأول رمضان: من المظلة والآلات، ولباسه فيه الثياب
 البياض غير المذهبية توقيرا للصلاة، والمنديل والطيلسان المقورة. وحول ركابه خارج
 الركابية قراء الحضرة من الجانبين يرفعون أصواتهم بالقراءة نوبة بعد نوبة من حين
 ركوبه من التصر إلى حين دخوله قاعة الخطابة، فيدخل من باب الخطابة فيجلس
 فيها، وإن احتاج إلى تجديد وضوء فعل، وتحفظ المتصورة من خارجها بترتيب
 أصحاب الباب وأسفهلار وصبيان الخاص، وغيرهم ممن يجرى مجراهم من أوقنا إلى
 آخرها، وكذلك من داخلها من باب خروجه إلى المنبر. فإذا أذن للجمعة دخل إليه
 قاضي القضاة، فقال: "السلام على أمير المؤمنين الشريف القاضي الخطيب
 ورحمة الله وبركاته، الصلاة يرحمك الله" فيخرج ماشيا وحواليه الأستاذون المحكون
 والوزير ورائه، ومن يلهم من الأمراء من صبيان الخاص، وبأيديهم الأسلحة حتى
 ينتهي إلى المنبر فيصعد حتى يصل إلى الذروة تحت القبة المبحرة، والوزير على باب
 المنبر ووجهه إليه. فإذا استوى جالسا أشار إلى الوزير بالصعود فيصعد إلى أن
 يصل إليه، فيقبل يديه ورجليه بحيث يراه الناس، ثم يزرع عليه تلك القبة وتصير
 كالمودج، ثم ينزل مستقبلا للخليفة ويقف ضابطا للمنبر فإن لم يكن وزير صاحب

- سيف، كان الذى يزرُّ عليه قاضى القضاة، ويقف صاحب الباب ضابطاً للنبر، فيخطب خطبة قصيرة من سَفَط يأتى إليه من ديوان الإنشاء، ويقرأ فيها آيةً من القرآن الكريم، ثم يصلى فيها على أبيه وجده يعنى النبي صلى الله عليه وسلم، وعلى ابن أبي طالب كرم الله وجهه، ويعظُّ الناسَ وعظاً بليغاً قليلَ اللفظ، ويذكر من سالف من آبائه حتى يصل إلى نفسه فيقول: "اللهم وأنا عبدك وابن عبدك
- ٥ لا أملك لنفسى ضرراً ولا نفعاً" ويتوسل بدعوات نخمة تليق به، ويدعو للوزير إن كان ثمَّ وزيرٌ ولجيشٍ بالنصر والتألف، وللعساكر بالظفر، وعلى الكافرين والمخالفين بالهلاك والتهم، ثم يختم بقوله ﴿ اذْكُرُوا اللَّهَ يَذْكُرْكُمْ ﴾ ^(١) فيطلع إليه من زرِّ عليه فيفكُّ ذلك التزير عنه، وينزل القهقري، فيدخل المحراب ويقف على تلك الطراحات
- ١٠ إماماً والوزير وقاضى القضاة صفاً، ومن ورائهما الأستاذون المحنكون والأمراء المطوقون وأرباب الرتب من أصحاب السيوف والأفلام والمؤذنون وقوف وظهورهم لحائط المنصورة، والجامع مشحون بالعالم للصلاة ورائه فيقرأ في الركعة الأولى ما هو مكتوب في الستر الأيمن، وفي الثانية ما في الستر الأيسر. فإذا سمع الخليفة، سمع القاضى المؤذنين، فيسمع المؤذنون الناس. فإذا فرغ نحر الناس وركبوا أولاً فأولاً وعاد إلى القصر والوزير ورائه حتى يأتى إلى القصر، والطبول والبوقات
- ١٢ تضرب ذهاباً وإياباً.

فإذا كانت الجمعة الثالثة من الشهر، ركب إلى الجامع الأزهر كذلك وفعل كما فعل في الجمعة الأولى، لا يختلف في ذلك غير الجامع.

- فإذا كانت الجمعة الرابعة منه، ركب إلى الجامع العتيق بمصر ويزين له أهل القاهرة من باب القصر إلى الجامع الطولونى، ويزين له أهل مصر من الجامع
- ٢٠

(١) لعله فيزل (أى الخليفة) فيدخل الخ. (٢) لعله نرح ونرح الناس الخ.

الطولوني إلى الجامع العتيق ، وقد نَدب الواليان بالبلدين مَنْ يحفظ الناس والزينة ويركب من باب القصر ويسير في الشارع الأعظم بمصر، يمشي في شارع واحد بين العمارة إلى الجامع العتيق بمصر فينقل كما فعل في الجامعين الأولين من غير مخالفة . فإذا قضى الصلاة، عاد إلى القاهرة من طريقه تلك إلى أن يصل إلى قصره، وفي خلال ذلك كله لا يمتز بمسجد إلا أعطى أهله ديناراً على كثرة المساجد في طريقه .

الموكب الرابع

ركوبه لصلاة عيدي الفطر والأضحى

أما عيد الفطر — فيقع الأهتمام بركوبه في العشر الأخير من رمضان، وتعبى أهبة المواكب على ما تقدم في أول العام وغيره ، وكان خارج باب النصر مصلى على ربوة وجميعها مبنى بالحجر، ولها سور دائر عليها وقلعة على بابها، وفي صدرها قبة كبيرة في صدرها محراب، والمنبر إلى جانب القبة وسط المصلى مكشوفاً تحت السماء، ارتفاعه ثلاثون درجة وعرضه ثلاثة أزرع، وفي أعلاه مصطبة . فإذا كمل رمضان، وهو عندهم ثلاثون يوماً من غير نقص . فإذا كان اليوم الأول من شوال، سار صاحب بيت المال إلى المصلى خارج باب النصر، وفرش الطراحات بمحراب المصلى، كما تقدم في الجوامع في أيام الجمع، ويعلق سترين يمنة ويسرة، في الأيمن الفاتحة وسبج اسم ربك الأعلى، وفي الأيسر الفاتحة، وهل أتاك حديث الغاشية، ويركز في جاني المصلى لواءين مشدودين على رحين ملبسين بأنايب الفضة، وهما منشوران مرخيان، ويوضع على ذروة المنبر طراحة من شاميات أو دبيق، ويفرش بأقيه بستر من بياض، على مقداره في تقاطع درجه مضبوطة لا تتغير بالمشي وغيره، ويجعل في أعلاه لواءان مرقومان بالذهب يمنة ويسرة، ثم سار الوزير من داره إلى

- قصر الخليفة على عادته المتقدمة الذكر، ويركب الخليفة بهيئة المواكب العظيمة على ما تقدم في أول العام : من المظلة والتاج وغير ذلك من الآلات، ويكون لباسه في هذا اليوم الثياب البيض الموشحة المجومة، وهي أجل لباسه ومظله كذلك، ويخرج من باب العيد على عادته في ركوب المواكب إلا أن العسكر في هذا اليوم من الأمراء والأجناد والركبان والمشاة تكون أكثر من غيره، وبتنظيم القوم له صفين من باب القصر إلى المصلى، ويركب الخليفة إلى المصلى فيدخل من شرقها إلى مكان يستريح فيه دقيقة، ثم يخرج محفوظا بحاشيته كما في صلاة الجمع المتقدمة الذكر فيصير إلى المحراب، والوزير والقاضي ورائه كما تقدم، فيصلي صلاة العيد بالكبيرات المسنونة، ويقرأ في الركعة الأولى ما في الستر الذي على يمينه، وفي الثانية ما في الستر الذي على يساره. فإذا فرغ وسلم، صعد المنبر لخطابة العيد. فإذا انتهى إلى ذروة المنبر، جلس على تلك الطراحة بحيث يراه الناس، ويقف أسفل المنبر الوزير، وقاضي القضاة، وصاحب الباب وأسفهمسلا، وصاحب السيف، وصاحب الرسالة، وزمام القصر، وصاحب دفتر المجلس، وصاحب المظلة، وزمام الأشراف الأقارب، وصاحب بيت المال، وحامل الرمح، وتقيب الأشراف الطالبين.
- ووجه الوزير إليه [فيشير إليه فيصعد ويقرب وقوفه منه ويكون وجهه موازيا وجليه] فيقبلهما بحيث يراه الناس، ثم يقوم فيقف على يمين الخليفة. فإذا وقف أشار إلى قاضي القضاة بالصعود فيصعد إلى سابع درجة، ثم يتطاع إليه منتظرا ما يقول، فيشير إليه فيخرج من كفة درجته فحضر إليه في أمسه من ديوان الإنشاء بعد عرضه على الخليفة والوزير، فيعلن بقراءة مضمونه [ويقول] بعد البسملة:
- [ثبت بمن] شرف بصعود [د] المنبر الشريف في يوم كذا، وهو عيد الفطر من سنة

(١) زمام القصر: هو الذي يتولى إدارة أمور خدام القصر والإشراف على أعمالهم.

(٢) الزيادة عن المقرئ (ج ١ ص ٤٥٥).

كذا من عند أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين بعد صعود السيد الأجل ... » (يذكر نعوت الوزير المقررة والدعاء له) ثم ذكر من يَشْرَفُه الخليفة بصعود المنبر من أولاد الوزير، ثم ذكر القاضي ولكنه يكون هو القارئ للثبّت فلا يسعه ذكر نعوته فيقول : المملوك فلان بن فلان ونحو ذلك ، ثم الواقفين على باب المنبر من تقدّم ذكره بنعوتهم واحدا واحدا ، وكلما ذكر واحدا استدعاء وطلع المنبر ، كل منهم يعرف مقامه في المنبر يَمْنَة وَيَسْرَة . فإذا لم يبق أحد ممن أُطلع إلى المنبر ، أشار الوزير إليهم فأخذ كل من هو في جانب بيده نصيبا من اللواء الذي بجانبه فيستتر الخليفة ويستترون ، وينادي في الناس بالإنصات ، فيخطب الخليفة خطبة بليغة مناسبة لذلك المقام ، يقرؤها من السّفِطِ الذي يُحْضَرُ إليه مسطرا من ديوان الإنشاء كما في جُمع رمضان المتقدمة الذكر . فإذا فرغ من الخطبة ، ألقى كلٌّ من في يده شيء من اللواء خارج المنبر ، فينكشفون وينزلون القهقري أولا بأول الأقرب فالأقرب . فإذا خلا المنبر للخليفة ، هبط ودخل المكان الذي خرج منه ، فلبث قليلا ثم يركب في هيئته التي أتى فيها إلى المصلّى ، ويعود في طريقه التي أتى منها . فإذا قرب من القصر ، تقدّمه الوزير على العادة ، ثم يدخل من باب العيد الذي خرج منه ، فيجلس في الشُّبَّاك الذي في الإيوان الكبير ، وقد مدّ منه إلى فسقية في وسط الإيوان مقدار عشرين قصبة سِمَاطٌ فيه من الخشكّان^(١) والبِسْتَنْدُود^(٢) ، وغير ذلك مما يعمل في العيد مثل الجبل الشاهق ، كل قطعة ما بين ربع قنطار إلى رطل واحد ، يأكل كل من يأكل وينقل من ينقل لا تنجر عليه ولا مانع دونه ، ثم يقوم من الإيوان فيركب إلى قاعة الذهب فيجد سرير الملك قد نُصِبَ ، ووضع له مائدة من فضة ، ومدّ السّمَاط تحت السرير فيترجل عن السرير ، ويجلس على المائدة ، ويستدعى الوزير فيجلس معه ، ويجلس الأمراء على السّمَاط ولا يزال كذلك حتى

(١) الخشكّان ويعرف في مصر بالخشكتان ، وهو نوع من الحلوى مصنوع من الرقاق على شكل حلقة مجوّفة بلا وسطها باللوز أو بالقمح . (٢) البِسْتَنْدُود ، أصله بالفارسية (بشدة) : طعام فارسي مصنوع من دقيق وبلح . وفي الأصل : « البِسْتَنْدُود » .

يستهدم السَّمَاط قريب صلاة الظهر ؛ ثم يقوم وينصرف الوزير إلى داره والأمراء في خدمته فيمد لهم سَمَاطًا يأكلون منه وينصرفون .

- وأما عيد الأضحى — فإنه إذا دخل ذوالحجة وقع الأهتمام بركوبه . فإذا كان يوم العيد، ركب الخليفة على ما تقدم في عيد الفطر من الزى والترتيب والركوب إلى المصلى ، ويكون لباس الخليفة فيه الأحمر الموشح ، ومِظَنَّتُهُ كذلك ، ويخرج إلى المصلى خارج باب النصر ويخطب ، ثم يعود إلى القصر كما في عيد الفطر من غير زيادة ولا نقص ؛ ثم بعد دخوله إلى القصر يخرج من باب الفرج ، وهو باب القصر الذى كان مسامتا لدار سعيد السعداء التى هى الخانقاه الآن ، فيجد الوزير راكبا على الباب المذكور ، فيترجل الوزير ، ويمشى فى خدمته إلى المنحصر^(١) ، وهو خارج الباب المذكور . وكان إذ ذاك القضاء واسعا لا يناء فيه ، وهناك مصطبة مفروشة فيطلع عليها الخليفة والوزير وقاضى القضاة والأستاذون المحنكون وأكابر الدولة ، ويكون قد سبق إلى المنحصر أحدٌ وثلاثون فصيلا وناقاة للأضحى ، ويده حربة ، وقاضى القضاة ممسك بأصل سنانها ، وتقدم إليه الأضحى رأسا رأسا فيجعل القاضى السنان فى نحر النخيرة ويطعن به الخليفة فى لبتها ، فتخز بين يديه حتى يأتى على الجميع ، ثم يسير رسوم الأضحى إلى أرباب الرسوم المقررة ، وفى اليوم الثانى يساق إلى المنحصر سبعة وعشرون رأسا ، ويركب الخليفة فينعل بها كذلك ، وفى اليوم الثالث يساق إليه ثلاث وعشرون رأسا فينعل بها كذلك . فإذا أنفضى ذلك فى اليوم الثالث وعاد الخليفة إلى القصر ، خلع على الوزير ثيابه الحمر التى كانت عليه يوم العيد ، ومنديلا بغير اليتيمة والعمد المنظوم بالجواهر ، ويركب الوزير بالخلعة من القصر ، ويشق القاهرة بالشارع سالكا إلى الخليج فيسير عليه حتى يدخل من باب القنطرة إلى دار الوزارة . وبذلك انفصال العيد . ثم أقبل نخيرة تخر تقدد وتسير إلى داعى اليمن فيفترقها على المعتقدين من وزن نصف درهم

(١) المنحصر : الموضع الذى آخذة الخلفاء لنحر الأضاحى فى عيد الأضحى وعيد القدير . وكان موضع

المنحصر أرض قضاء بالدرب الأصفر . ومحلّه اليوم بمجموعة المباني الواقعة غرب جامع سعيد السعداء بين شارعى الدرب الأصفر والتبكشية بقسم الجمالية .

إلى وزن ربع درهم، وباقى ذلك يفترق على أرباب الرسوم فى أطباق للبركة، وأكثره يفرقه قاضى القضاة وداعى الدعاة على الطلبة بدار العدل والمتصدّرين بجوامع القاهرة، وفى اليوم الأوّل يمدّ السماط بقاعة الذهب على ما تقدّم فى عيد الفطر من غير فرق .

الموكب الخامس

ركوبه لتخايق المقياس عند وفاء النيل

٥

قد تقدّم عند ذكر النيل فى الكلام على الديار المصرية ابتداءً زيادة النيل ووفائه وأتھاؤه ، وذكر المناداة عليه على ما الأمر مستقر عليه ، إلا أنه فى زمن هؤلاء الخلفاء لم يكن ينادى عليه قبل الوفاء ، وإنما يؤخذ قاعه وتكتب به رُقعة للخليفة والوزير ، ثم ينزل بديوان الرسائل فى مسير معدّ له فى الديوان ، ويستمرّ الحال على ذلك فى كل يوم ترفع رُقعة إلى ديوان الإنشاء بالزيادة لا يطّلع عليها غير الخليفة والوزير ، وأمره مكتوم إلى أن يبقى من ذراع الوفاء (وهو السادس عشر) أصبح أو أصبعان ، فيؤمر بأن يبيت فى جامع المقياس تلك الليلة قراءً الحاضرة والمتصدرون بالجوامع بالقاهرة ومصر ومن يجرى مجراهم لحتم القرآن الكريم فى تلك الليلة هناك ، ويمدّ لهم السماط بالأطعمة الفاخرة ، وتوقد عليهم الشموع إلى الصبح . فإذا أصبح الصبح وأذن الله تعالى بوفاء النيل فى تلك الليلة ، طلعت رُقعة ابن أبي الرّداد إلى الخليفة ، فتحضّر إليه بالقصر ، فيركب الخليفة فى هيئة عظيمة من الثياب الفاخرة والموكب العظيم ، إلا أنه يلبس التاج الذى فيه اليتيمة ، ولا يُحَلَّى المظلة على رأسه فى ذلك اليوم ، ويركب الوزير وراءه فى الجمع العظيم على ترتيب الموكب ، ويخرج من القصر شاقاً القاهرة إلى باب زويلة فيخرج منه ، ويسلك الشارع إلى أن يجاوز البستان المعروف بعباس عند رأس الصّابية بالقرب من الخانقاه الشيخونية

١٠

١٥

٢٠

الآن، فيعطف سالكا على الجامع الطولوني والجسر الأعظم حتى يأتي مصر، ويدخل من الصناعة، وهي يومئذ في غاية العماره، وبها دهليزٌ ممتد بمصاطب مفروشة بالحصر العبداني مؤزر بها، ويخرج من بابها شاقا مصر حتى يأتي المنظره المعروفه برواق الملك على القرب من باب القنطرة، فيدخلها من الباب المواجه له والوزير معه ماشيا إلى المكان المعد له، ويكون العشاري الخاص المعبر عنه الآن بالخرافة واقفا هناك بشاطئ النيل، وقد حيل إليه من القصر بيت مثنى من العاج والابنوس كل جانب منه ثلاثة أذرع، وطوله قامه رجل تام، فيركب في العشاري المذكور وعليه قبة من خشب محكم الصنعة، وهو وقبته ملبس صفائح الفضة المذهبه، ثم يخرج الخليفة من دار الملك المذكور ومعه من الأستاذين المحنكين من يختاره من ثلاثة إلى أربعة، ثم يطع خواص الخليفة إلى العشاري والوزير ومعه من خواصه آثان أو ثلاثة لاغير، فيجلس الوزير في رواقٍ بظاهر البيت المذكور، بفوانيس من خشب مخروط مدهونه مذهبه، بستور مسدلة عليه، ويسير العشاري من باب المنظره إلى باب المقياس العالي على الدرج، فيطلع من العشاري، ويدخل إلى الفسقية التي فيها المقياس، والوزير والأستاذون المحنكون بين يديه، فيصلى هو والوزير كل منهما ركعتين بمفرده، ثم يؤتى بالزعفران والمسك فيديفه في إناء بيده بآلة معه، ويتناوله صاحب بيت المال فيناوله لأبن أبي الرداد، فيلقى نفسه في الفسقية بثيابه فيتعلق في العمود برجليه ويده اليسرى ويحلقه بيده اليمنى، وقراء الحضرة من الجانب الآخر يقرءون القرآن، ثم يخرج على فوره راكبا في العشاري المذكور، ثم يعود إلى دار الملك، ويركب منها عائدا إلى القاهره، وتارة ينحدر في العشاري إلى المقس، ويتبعه الموكب فيسير من هناك إلى القاهره. ويكون في البحر ذلك اليوم نحو ألف مركب مشحونه بالناس للتفرج وإظهار الفرح. فإذا كان اليوم الثاني من التخليق أتى ابن أبي الرداد

إلى الإيوان الكبير الذي فيه الشباك بالقصر فيجد خلعة مذهبة بطيأسان مقور،
ويُدفع إليه خمسة أيكاس في كل كيس خمسين درهم مهياة له ، فيلبس الخلعة ،
ويخرج من باب العيد المتقدم ذكره في أبواب القصر، وقد هي له خمس بغال على
ظهورها الأحمال المزينة بالحلج ، على ظهر كل منها راكب وبيده أحد الأيكاس
الخمسة المتقدمة الذكر ظاهر في يده ، وأقاربه وبنو عمه يحجبونه وأصدقائه حوله ،
وأمامه حملان من النقارات السلطانية ، والأبواق تضرب أمامه ، والطبل وراءه مثل
الأمراء ، فيشق بين القصرين ، وكلما مر على باب من أبواب القصر يدخل منه
الخليفة أو يخرج ، نزل فقباؤه ، ويخرج من باب زويلة في الشارع الأعظم حتى يأتي
مصر فيشق وسطها ويمر بالجامع العتيق ، ويجاوزه إلى شاطئ النيل فيعدى إلى المقياس
بخلعته ومأمعه من الأيكاس ، فيأخذ من الأيكاس قدرا مقتررا له ، ويفترق باقي ذلك
على أرباب الرسوم الجارية من قديم الزمان من بني عمه وغيرهم .

الموكب السادس

ركوبه لفتح الخليج

وهو في اليوم الثالث أو الرابع من يوم التخليق المتقدم ذكره ، وليس كما في زماننا
من فتحه في يوم التخليق ؛ وكان يقع الأهتمام عندهم بركوب هذا اليوم من حين
يأخذ النيل في الزيادة ، وتعمل في بيت المال موائد من التماثيل المختلفة : من
الغزلان ، والسباع ، والفيلة ، والزرايريف عدة وافرة ، منها ما هو ملبس بالعنبر ،
وما هو ملبس بالصندل ، مفسرة الأعين والأعضاء بالذهب ، وكذلك يعمل أشكال
التفاح والأترج وغير ذلك ، وتخرج الخيمة العظيمة المعروفة بالقانول المتقدمة الذكر
فتنصب للخليفة في بر الخليج الغربي على حافته عند منظره يقال لها السكره على

القرب من فم الخليج ، ويُثَفُّ عمودُ الخيمة بديباجٍ أحمرٍ أو أبيضٍ أو أصفرٍ من
 أعلاه إلى أسفله ، وينصب فيها سرير الملك مستندا إليه ويغشى بقرقوبى ، وعمرانيسه
 ذهبٌ ظاهرة ، ويوضع عليه مرتبة عظيمة من الفرش للخليفة ، ويضرب لأرباب
 الرتب من الأمراء بحرى هذه الخيمة خيم كثيرة على قدر مراتبهم فى المقدار والقرب
 من خيمة الخليفة ، ثم يركب الخليفة على عادته فى المواكب العظيمة بالمظلة وتوابعها
 من السيف والرمح والألوية والدواة وسائر الآلات ، ويزاد فيه أربعون بوقا : عشرة
 من الذهب وثلاثون من الفضة ، يكون المنفرون بها ركابا ، والمنفرون بالأبواق النحاس
 مشاة ، ومن الطبول العظام عشرة طبول . فإذا كان يوم الركوب ، حضر الوزير من
 دار الوزارة راكبا فى هيئة عظيمة ، ويركب حينئذ إلى باب القصر الذى يخرج منه
 الخليفة ، ويخرج الخليفة من باب القصر راكبا والأستاذون المحنكون مشاة حوله ،
 وعليه ثوب يسمى البدنة حريرٌ مرقومٌ بذهب ، لا يلبسه غير ذلك اليوم ، والمظلة
 بنسبته ، فيركب الأستاذون المحنكون ويسير الموكب على الترتيب المتقدم فى ركوب
 أول العام سائرا فى الطريق التى ذهب فيها للتخايق حتى يأتى الجامع الطولونى ، ويكون
 قاضى القضاة وأعيانُ الشهود جلوسا ببابه من هذه الجهة ، فيقف لهم الخليفة وقفة
 لطيفة ، ويسلم على القاضى ، فيتقدم القاضى ويقبلُ رجله التى من جانبه ، ويأتى الشهود
 أمام وجه فرس الخليفة ، ويقفون بمقدار أربعة أذرع عن الخليفة فيسلم عليهم ،
 ثم يركبون ويسير الموكب حتى يأتى ساحل الخليج ، فيسير حتى يقارب الخليفة
 الخيمة ، فيتقدمه الوزير على العادة ، فيترجل على باب الخيمة ، ويجلس على المرتبة
 الموضوعة له فوقه ^(١) ويحيط به الأستاذون المحنكون والأمراء المطوقون بعدهم ، ويوضع
 للوزير كرسيه الجارى به العادة على ما تقدم فى جلوسه فى القصر ، فيجلس

(١) أى فوق السرير المتقدم وصفه قريبا .

ورجله يُحْكَن الأرض ، ويقف أرباب الرتب صفين من سرير الملك إلى باب الخيمة ، وقراء الحضرة يقرءون القرآن ساعة زمانية . فإذا فرغوا من القراءة ، أستاذن صاحبُ الباب على حضور الشعراء للخدمة ، فيؤذن لهم فيتقدمون واحدا بعد واحد على مقدار منازلهم المقررة لهم ، ويُنشدُ كلُّ منهم ما وقع له نظمه مما يناسب الحال . فإذا فرغ أتى غيره وأنشد ما نظمه إلى أن يفرغ إنشادهم ، والحاضرون ينتقدون على كل شاعر ما يقوله ، ويحسنون منه ما حسن ويوهون منه ما وهى .

فإذا أنقضى هذا المجلس ، قام الخليفة عن السرير فركب إلى المنطرة المعروفة بالسكرة بقرب الخيمة والوزير بين يديه ، وقد فرشت بالفُرش المعدة لها ، فيجلس الخليفة بمكان معد له منها ، ويجلس الوزير بمكان منها بمفرده ، ويجلس القاضي والشهود في الخيمة البيضاء الدبيقية ، فيُطلُّ منها أستاذ من الأماة المحنكين فيشير بفتح السد فيفتح بالمعاول ، وتضرب الطبول والأبواق من البرين ، وفي أثناء ذلك يصل السباط من النصر صحبة صاحب المائدة القائم مقام أستاذ دار الصحبة الآن ، وعدتها مائة شدة في الطياير الواسعة في القواوير الحرير ، وفوقها الطراحات النفيسة ، وريح المسك والأفاويه تفوح منها ، فتوضع في خيمة وسبعة معدة لذلك ، ويحمل منها للوزير وأولاده ما جرت به عادتهم ، ثم لقاضي القضاة والشهود ، ثم إلى الأمراء على قدر مراتبهم : على أنواع الموائد من التماثيل المقدمة الذكر خلا القاضي والشهود ، فإنه لا يكون في موائدهم تماثيل . فإذا اعتدل الماء في الخليج دخلت فيه العشاريات اللطاف ووراءها العشاريات الكبار ، وهي سبعة : الذهبي المختص بالخليفة ، وهو الذي يركب فيه يوم التخليق ، والفضي ، والأحمر ، والأصفر ، والأخضر ، والألأزوردى ، والصقلى ، وهو عشارى أنشاد نجران من صقلية على الإنشاء المعتاد فنسب إليه ، وعليها الستور الدبقي الملونة ، وفي أعناقها الأهلة وقلائد العنبر والحرز

الأزرق، وتسير حتى ترسو على بر المنطرة التي فيها الخليفة . فإذا صلى الخليفة العصر، ركب لابسا غير الثياب التي كانت عليه في أول النهار، ومظلته مناسبة لثيابه التي لبسها، وبقى الموكب على حاله، ويسير في البر الغربي من الخليج شاقاً للبساتين حتى يصل إلى باب القنطرة فيعطف على يمينه ويسير إلى القصر، والوزير تابعه على الرسم المعتاد، فيدخل الخليفة قصره، ويمر الوزير إلى داره على عادته في مثل ذلك اليوم .

وذكر القاضي محي الدين بن عبد الظاهر : أنه إذا ركب من المنطرة المعروفة بالسكره ، سار في بر الخليج الغربي على ما تقدم ذكره حتى يأتي بستان الدكة ، وقد علقت دهاليزه بالزينة فيدخله وحده ويسبق منه فرسه ، ثم يخرج حتى يقف على الرعنة المعروفة بخليج الدار، ويدخل من باب القنطرة ويسير إلى قصره .

النوع الثاني

من مواكبهم المواكب المختصرة في أثناء السنة

- وهي أربعة أيام أو خمسة فيما بين أول العام ورمضان ولا يتعدى ذلك يومى السبت والثلاثاء . فإذا عزم على الركوب في يوم من هذه الأيام ، تقدم تفرقة السلاح على الركابية على ما تقدم ذكره في أول العام ، وأكثر ما يكون ركوبه إلى مصر ، فيركب والوزير وراءه على أخصر من النظام المتقدم له في المواكب العظام وأقل جمعا ، ولبسه في هذه الأيام الثياب المذهبة من البياض والملون ومنديل من نسبة ذلك مشدودة بشدة غير شدات غيره ، وذوائبه مرخاة تقرب من جانبه الأيسر ، وهو مقلد بالسيف العربي المجوهر بغير حنك ولا مظلة ، ويخرج شاقا القاهرة في الشارع الأعظم حتى يجاوز الجامع الطولوني على المشاهد^(١) إلى الجامع العتيق .
- فإذا وصل إلى بابه ، وجد الخطيب قد وقف على مصطبة بجانبه فيها محراب ، مشروشة

(١) يريد بالمشاهد الأماكن التي كان الناس ولا يزالون يتبركون بزيارتها كشهد زين العابدين ومشهد السيدة فقيسة ومشهد السيدة أم كلثوم رضوان الله عليهم .

بخصير وعليها سجادة معالفة ، وفي يده المصحف الكريم المنسوب خطه إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، فيناوله المصحف من يده فيقبله ويتبرك به ويأمر له بعتاء يفتق على أهل الجامع .

الضرب الثالث

من هيئة الخليفة هيئته في قُصُوره

قال ابن الطوير : كان له ثياب يلبسها في الدور أكامها على النصف من أكام ثيابه التي يلبسها في المواكب ، وكان من شأنه أنه لا ينصرف من مكان إلى مكان في القصر في ليل أو نهار إلا وهو راكب ، ولا يقتصر في القصر على ركوب الخيل بل يركب البغال والحمير الإناث لما تدعوه الضرورة إليه من الجواز في السرايب القصيرة والطلوع على الزلاقات إلى أعلى المناظر والمساكن ، وله في الليل نسوة يرسم شد ما يحتاج إلى ركوبه من البغال والحمير ، وفي كل محلة من محلات القصر فسقية مملوءة بالماء خيفة من حدوث حريق في الليل ، ويبت خارج القصر في كل ليلة نحسون فارسا للحراسة . فإذا أذن بالعشاء الآخرة داخل قاعة الذهب وصلى الإمام الراتب فيها بالمقيمين من الأستاذين وغيرهم ، وقف على باب القصر أمير يقال له سنان الدولة - مقام أمير جاندار الآن - فإذا علم بفراغ الصلاة تضرب البوقية من الطبول والبوقات وتوابعها على طريق مستحسنة ساعة زمانية ، ثم يخرج أستاذ يرسم هذه الخدمة فيقول : " أمير المؤمنين يرد على سنان الدولة السلام " فيعز سنان الدولة حرباً على الباب ثم يرفعها بيده ، فإذا رفعها أغلق الباب ، ودار حول القصر سبع دورات . فإذا انتهى ذلك جعل على الباب البوابين والفتراشين وأوى المؤذنون إلى خزائن لهم هناك وترمى الساسلة عند المضيق ، آخريين القصرين عند السيوفيين

فينقطع المار من ذلك المكان إلى أن تضرب البوقية سحرا قرب الفجر وترفع السلسلة
ويجوز الناس من هناك .

الجملة السادسة

في اهتمامهم بالأساطيل وحفظ الثغور وأعتناهم بأمر الجهاد، وسيرهم

في رعاياهم، وأسمالة قلوب مخالفينهم

أما اهتمامهم بالأساطيل وحفظ الثغور—وأعتناؤهم بأمر الجهاد، فكان

ذلك من أهم أمورهم، وأجل ما وقع الاعتناء به عندهم. وكانت أساطيلهم مرتبة بجميع

بلادهم الساحية كالإسكندرية ودمياط من الديار المصرية، وعسقلان وعكا وصور

وغيرها من سواحل الشام، حين كانت بأيديهم، قبل أن يغلبهم عليها الفرنج، وكانت

جريدة قوادهم تزيد على خمسة آلاف مقاتل مدقونة، وجواهرهم في كل شهر من

عشرين دينارا إلى خمسة عشر دينارا إلى عشرة إلى ثمانية إلى دينارين، وعلى

الأسطول أمير كبير من أعيان الأمراء وأقوام جاشا، وكان أسطولهم يومئذ يزيد على

خمسة وسبعين شينا وعشر مسطحات وعشر حمالات، وعمارة المراكب متواصلة

بالصناعة لا تنقطع. فإذا أراد الخليفة تجهيزها للغزو، جلس للثقة بنفسه حتى

يكملها، ثم يخرج مع الوزير إلى ساحل النيل بالمقسم، فيجلس في منظره كانت

بجامع باب البحر والوزير معه للموادعة^(١)، ويأتي القواد بالمراكب إلى تحت المنطرة،

وهي مزينة بالأسلحة والمنجنقات واللعب منصوبة في بعضها، فتسير بالمجاديف

ذهابا وعودا كما يفعل حالة القتال، ثم يحضرون إلى بين يدي الخليفة المقدم والريس

فيوصيهما ويدعو لهم بالسلامة، وتصدر المراكب إلى دمياط وتخرج إلى البحر المنح

فيكون لها في بلاد العدو الصيت والسمعة. فإذا غنموا مراكب أصطفى الخليفة

(١) أي التوديع. وقد جرى فيه وفي كثير غيره على اصطلاحات العامة.

لنفسه السبي الذي فيه من رجال أو نساء أو أطفال، وكذلك السلاح، وما عدا ذلك يكون للفائزين لا يُساهمون فيه . وكان لهم أيضا أسطول بعذاب يتأق به الكارم فيما بين عذاب وسواكن ، وما حولها خوفا على مراكب الكارم من قوم كانوا يجزائر بحر القلزم هناك يعترضون المراكب ، فيحميمهم الأسطول منهم ، وكان عدة هذا الأسطول خمسة مراكب ، ثم صارت إلى ثلاث ، وكان إلى قوص هو المتولى لأمر هذا الأسطول ، وربما تولاه أمير من الباب ، ويحمل إليه من خزائن السلاح ما يكتفيه .



وأما سيرهم في رعيتههم - وأستماله قلوب مخالفيهم : فكان لهم الإقبال على من يفتد عليهم من أهل الأقاليم جل أو دق ، ويقابلون كل أحد بما يليق به من الإكرام ، ويعوضون أرباب الهدايا بأضعافها . وكانوا يتألفون أهل السنة والجماعة ويمكنونهم من إظهار شعائرهم على اختلاف مذاهبهم ، ولا يمنعون من إقامة صلاة التراويح في الجوامع والمساجد على مخالفة معتقدهم في ذلك (١) بذكر الصحابة رضوان الله عليهم ، ومذاهب مالك والشافعي وأحمد ظاهرة الشعار في مملكتهم ، بخلاف مذهب أبي حنيفة ، ويراعون مذهب مالك ، ومن سألهم الحكم به أجابوه ، وكان من شأن الخليفة أنه لا يكتب في علامته إلا "الحمد لله رب العالمين" ولا يخاطب أحدا في مكاتبته إلا بالكاف حتى الوزير صاحب السيف ، وإنما المكاتبات عن الوزير هي التي تتفاوت مراتبها ، ولا يخاطب عنهم أحد إلا بنعت مقترن له ودعاء معروف به ، ويراعون من يموت في خدمتهم في عقبه ، وإن كان له مرتب نقلوه إلى ذريته من رجال أو نساء .

(١) بياض بالأصل بقدر كنية .

الجملة السابعة

في إجراء الأرزاق والعطاء لأرباب الخدم بدولتهم

وما يتصل بذلك من الطعمة

أما إجراء الأرزاق والعطاء — فقد تقدم أن ديوان الجيوش كان

- عندهم على ثلاثة أقسام : قسم يختص بالعرض وتحاية الأجناد وشيآت دوابهم ،
وقسم يختص بضبط إقطاعات الأجناد ، وقسم يختص بمعرفة ما لكل مرتزق
في الدولة من راتب وجار وجرانية ، ولكل من الثلاثة كُتِّبُ يختصون بخدمته .
والقسم الثالث هو المقصود هنا ، وكان راتبهم فيه بالدينانير الجيشية ، وكان يشمل
على ثمانية أقسام :

- ١٠ الأول — فيه راتب الوزير وأولاده وحاشيته .

فراتب الوزير في كل شهر خمسة آلاف دينار، ومن يلبه من ولد أو أخ من ثلثمائة
دينار إلى مائتي دينار، ولم يقتر أولد وزير خمسمائة دينار سوى الكامل بن شاور،
ثم حواشيه من خمسمائة دينار، إلى أربعمائة دينار، إلى ثلثمائة دينار خارجا عن الإقطاعات
الثاني — فيه حواشي الخليفة .

- ١٥ فأولهم الأستاذون المحنكون على رتبهم . فزمام القصر، وصاحب بيت المال،
وحامل الرسالة، وصاحب الدفتر، وشاد التاج، وزمام الأشراف الأقارب، وصاحب
المجلس، لكل واحد منهم في الشهر مائة دينار، ثم من دونهم من تسعين دينارا إلى
عشرة دنانير على تفاوت الرتب . وفي هذا طبيا الخاص، ولكل واحد منهما في الشهر
خمسون دينارا، ولمن دونهما من الأطباء المقيمين بالقصر لكل واحد عشرة دنانير .

- ٢٠ الثالث — فيه أرباب الرتب بحضرة الخليفة .

فأول مسطور فيه كاتبُ الدُّست - وهو المعبرُ عنه الآن بكاتب السرِّ؛ وله في الشهر مائة وخمسون ديناراً، ولكل واحد من كُتَّابه ثلاثون ديناراً؛ ثم الموقعُ بالتلمِ الدقيق، وله مائة دينار؛ ثم صاحب الباب، وله مائة وعشرون ديناراً؛ ثم حامل السيف وحامل الرمح، ولكل منهما سبعون ديناراً؛ وبقية الأئمة على العساكر والسودان من خمسين ديناراً، إلى أربعين ديناراً، إلى ثلاثين .

الرابع - فيه قاضي القضاة، وله في الشهر مائة دينار؛ وداعى الدعاة وله مثله؛ وقراء الحضرة، ولكل منهم عشرون ديناراً، إلى خمسة عشر ديناراً، إلى عشرة .
الخامس - فيه أرباب الدواوين ومن يجري مجراهم .

فأولهم متولَّى ديوان النظر، وله في الشهر سبعون ديناراً؛ ثم متولى ديوان التحقيق، وله خمسون ديناراً؛ ثم متولى ديوان المجلس، وله أربعون ديناراً؛ ثم متولى ديوان الجيوش، وله أربعون ديناراً؛ ثم صاحب دفتر المجلس، وله خمسة وثلاثون ديناراً؛ ثم الموقعُ بالقلم الجليل القائم مقام كاتب الدرَج الآن، وله ثلاثون ديناراً . ولكل مُعين عشرة دنائير، إلى سبعة، إلى خمسة .

السادس - فيه المستخدمون بالقاهرة ومصر في خدمة واليهما، ولكل واحد منهما خمسون ديناراً؛ وللحمأة بالأهراء والمناخات والجوالى والبساتين والأملاك وغيرها لكل منهم ما يقوم به من عشرين ديناراً، إلى خمسة عشر، إلى عشرة، إلى خمسة .

السابع - فيه عدَّة الفزاشين برسم خدِّمة الخليفة والقصور وتنظيفها خارجاً وداخلاً ونصب الستائر المحتاج إليها والمناظر الخارجة عن القصر، ولكل منهم في الشهر ثلاثون ديناراً فما حولها؛ ثم من يليهم من الرشاشين داخل القصر وخارجه وهم نحو ثلثمائة رجل، ولكل منهم من عشر دنائير إلى خمسة .

الثامن - فيه الركابية ومقدموهم ، ولكل من مقدميهم في الشهر خمسون دينارا ، وللركابية من خمسة عشر دينارا إلى عشرة إلى خمسة .
وأما الطَّعْمَةُ - فعلى ضربين :

الضرب الأول

الأسمطة التي تمتد في شهر رمضان والعيدين

- ٥ أما شهر رمضان - فإن الخليفة كان يرتب بقاعة الذهب بالقصر سَمَاطًا في كل ليلة من استقبال الرابع منه ، وإلى آخر السادس والعشرين منه ، ويستدعى الأمراء لحضوره في كل ليلة بالنَّوْبَةِ ، يحضر منهم في كل ليلة قومٌ كى لا يحرمهم الإفطار في بيوتهم طول الشهر ، ولا يكف قاضى القضاة الحضور سوى إياى الجمع توقيرا له ، ولا يحضر الخليفة هذا السَّماط ، ويحضر الوزيرُ فيجلس على رأس السَّماط .
- ١٠ فإن غاب قام ولده أو أخوه مقامه . فإن لم يحضر أحدٌ منهم ، كان صاحبُ الباب عَوْضَهُ . وكان هذا السَّماط من أعظم الأسمطة وأحسنها ، يمتد من صدر القاعة إلى مقدار ثلثيها بأصناف المأكولات والأطعمة الفاخرة ، ويخرجون من هناك بعد العشاء الآخرة بساعة أو ساعتين ، ويفترق فضلُ السَّماط كل ليلة ، ويتهاداه أرباب الرسوم حتى يصل إلى أكثر الناس . وإذا حضر الوزير بعث الخليفة إليه من طعامه الذى يأكل منه تشريفا له ، وربما خصه بشيء من سَحُورِهِ .

+
+

- وأما سَمَاطُ العيدين - فإنه يمتد في عيد الفطر وعيد الأضحى تحت سرير الملك بقاعة الذهب المذكورة أمام المجلس الذى يجلس فيه الخليفة الجلوس العام أيام المواقب ، وتنصب على الكرسي مائدة من فضة تعرف بالمدورة ، وعليها من الأواني الذهبيات والصينى الحاوية للأطعمة الفاخرة ما لا يليق إلا بالملك ، وينصب السَّماط العام تحت السرير من خشب مدهون في طول القاعة في عرض عشرة أذرع ، وتفرش
- ٢٠

فوقه الأزهارُ المشمومة ، وَيُرْصُّ الخبزُ على جوانبه كل شابورة ثلاثة أرطال من نَقِيّ الدقيق ، ويعمر داخل السماط على طوله بأحد وعشرين طبقا عظاما ، في كل طبق أحد وعشرون حرفا من الشَّوِيّ ، وفي كل واحد منها ثمانمائة وخمسون طيرا من الدجاج والفراريج وأفراخ الحمام ، ويعبئ مستطيلا في العلو حتى يكون كثامة الرجل الطويل ، ويسور بتشاريح الحلواء اليابسة على اختلاف ألوانها ، ويُسَدُّ خلل تلك الأطباق على السماط نحو من خمسمائة صحن من الصحنون الخزفية المترعة بالألوان الفاتحة ، وفي كل منها سبع دجاجات من الحلواء المساعة والأطعمة الفاخرة ، ويعمل بدار الفطرة الآتي ذكرها قصران من حلوى زنة كل منها سبعة عشر قنطارا في أحسن شكل ، عليها صور الحيوان المختلفة ، ويمحلان إلى القاعة فيوضعان في طرفي السماط .
ويأتي الخليفة راجبا فيترجل على السرير الذي قد نصبت عليه المائدة الفضة ، ويجلس على المائدة وعلى رأسه أربعة من كبار الأستاذين المحنكين ، ثم يستدعي الوزير وحده فيطلع ويجلس على يمينه بالقرب من باب السرير ، ويشير إلى الأمراء المطوقين فمن دونهم من الأمراء ، فيجلسون على السماط على قدر مراتبهم فيأكلون وقرأوا الحضرة في خلال ذلك يقرءون القرآن ، ويبقى السماط ممدودا إلى قريب من صلاة الظهر حتى يستهلك جميع ما عليه أكلا وحملا ، وتفرقة على أرباب الرسوم .

الضرب الثاني

فما كان يعمل بدار الفطرة في عيد الفطر^(٢)

وكان لحم بها الأهتمام العظيم . وقد ذكر ابن عبد الظاهر أصنافها فقال : كانت ألف حملة دقيق ، وأربعمائة قنطار سكر ، وستة قناطر فُسْتُق ، وأربعمائة وثلاثين

(١) عبارة المقرئ "من الصحنون الخزفية" التي في كل منها سبع دجاجات وهي مترعة الخ .

(٢) راجع الحاشية رقم ١ صفحة ٤٧٦ من هذا الجزء .

(٣) في المنري والنجوم ارمرة (ج ٤ ، ص ١٢٢) : « سبعمائة » .

إردب زبيب، وخمسة عشر قنطارا عسل نحل، وثلاثة قناطير خل وإردبين ستم
 وإردبين أنيسون وخمسين رطلا ماء ورد، ونحو نوايح^(١) مسك، وكافور قديم عشرة
 مثاقيل، وزعفران مطحون مائة وخمسون درهما، وزيت برسم الوقود ثلاثون
 قنطارا. في أصناف أخرى بطول ذكرها. قال ابن الطوير: ويندب لها مائة
 صانع من الحلاويين، ومائة فراش برسم تفرقة الطوافير على أصحاب الرسوم خارجا
 عن مرتب فيها، ويحضرها الخليفة والوزير معه فيجلس الخليفة على سرير فيها،
 ويجلس الوزير على كرسي له، في النصف الأخير من رمضان، وقد صار ما إذا من
 المستعمالات كالجبال الرواسي، فتفرق الحلوى من ربع قنطار إلى عشرة أرطال إلى
 رطل واحد، والخشكان من مائة حبة إلى خمس وسبعين حبة، إلى ثلاث وثلاثين،
 إلى خمس وعشرين، إلى عشرين، ويفرق على السودان على يد مقدمهم بالأفراد من
 تسعة أفراد إلى سبعة، إلى خمسة، إلى ثلاثة، كل طائفة على مقدارها (٢)
 بساط يوم النظر ما يمد في الإيوان الكبير قبل مد سباط الطعام بقاعة الذهب.
 وقد وقع في كلام ابن الطوير^{مؤخر} خلف في وقته، فذكر في موضع من كتابه أن ذلك
 يكون قبل ركوب الخليفة لصلاة العيد، وذكر في موضع آخر أن ذلك يكون بعد
 حضوره من الصلاة.

الطرف الثامن^(٣)

في جلوس الوزير للمظالم إذا كان صاحب سيف، وترتيب جلوسه

يجلس الوزير في صدر المكان، وقاضي القضاة مقابله، وعن جانبه شاهدان
 من المعتبرين، وكاتب الوزير بالقلم الدقيق، وويليه صاحب ديوان المال، وبين يديه

(١) النوايح: جمع نابغة، والنابغة: ونا المسك وهي الجلدة التي يجتمع فيها. (٢) بياض
 بالأصل. ولعله وقد كان بساط يوم الفطيمد... الخ. (٣) لم يتقدم في هذا الفصل تقسيم بالأطراف.

صاحب الباب وأسفهلار، وبين أيديهما النواب والمُجَّاب على طبقاتهم . وذلك يومان في الأسبوع .

وقد رثاهم عمارة اليمنى بعد أنقراضهم واستيلاء السلطان صلاح الدين بن أيوب على المملكة بقصيدة وصف فيها مملكتهم ، وعدّ مواكبهم ، وحكى مكارمهم ، وجلى محاسنهم ، وهي :

رَمَيْتَ يَا دَهْرُ كَفَّ الْمَجْدِ بِالشَّلَالِ * وَجِيْدَهُ بَعْدَ حُسْنِ الْحَلَى بِالْعَطَلِ
سَعَيْتَ فِي مَنَهِجِ الرَّأْيِ الْعُشُورِ فَإِنْ * قَدَّرْتَ مِنْ عَثَرَاتِ الدَّهْرِ فَاسْتَقِلِ
جَدَعْتَ مَا رَيْنَكَ الْأَقْنَى فَانْفُكْ لَا * يَنْفُكُ مَا بَيْنَ أَمْرِ الشَّيْنِ وَالتَّجَلِي
هَدَمْتَ قَاعِدَةَ الْمَعْرُوفِ عَنِ تَجَلِي * شَقِيْتِ ، مَهْلًا أَمَا تَمْشِي عَلَى مَهَلِ
لَهْفِي وَلَهْفِ بَنِي الْأَمَالِ قَاطِبَةً * عَلَى بِفَيْعَتَيْهَا فِي أَكْرَمِ الدُّوَالِ
قَدَمْتُ مَصْرَ فَأَوْلَتْنِي خَلَايِفُهَا * مِنْ الْمَكَارِمِ مَا أَرَبِي عَلَى أَمَلِي
قَوْمٌ عَرَفْتُ لَهُمْ كَسْبَ الْأُلُوفِ ، وَمِنْ * كَمَالِهَا أَنهَا جَاءَتْ وَلَمْ أَسْأَلِ
وَكُنْتُ مِنْ وُزَرَاءِ الدَّسْتِ حَيْثُ سَمَا * رَأْسِ الْحِصَانِ يَهَادِيهِ عَلَى الْكَفَلِ
وَنَلْتُ مِنْ عُظْمَاءِ الْجَيْشِ تَكْرِمَةً * وَخُلَّةً حُرِسَتْ مِنْ عَارِضِ الْخَلَلِ
يَا عَاذِلِي فِي هَوَى أَبْنَاءِ فَاطِمَةَ * لَكَ الْمَلَامَةُ إِنْ قَصَّرْتَ فِي عَدَلِي
بِاللَّهِ ! زُرْ سَاحَةَ الْقَصْرَيْنِ وَأَبِكْ مَعِي * عَلَيْهِمَا لَا عَلَى صِفَيْنِ وَالتَّجَمَلِ !
وَقُلْ لِأَهْلِيهِمَا : وَإِنَّهُ مَا أَلْتَحَمْتُ * فِيكُمْ جُرُوحِي وَلَا قَرِحِي بِمُنْدَمِلِ
مَاذَا تَسْرَى كَانَتْ الْإِفْرِيحُ فَاعِلَةً * فِي تَسْلِيلِ آلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِي
[هَلْ كَانَ فِي الْأَمْرِ شَيْءٌ غَيْرِ قِسْمَةٍ مَا * مَلَكْتُمُو بَيْنَ حُكْمِ السُّبْيِ وَالتَّقْلِيلِ]^(٢)

(١) في الخطط للقريري "فرع السن" .

(٢) الزيادة عن المقريري . والنكت العصرية

في أخبار الوزراء المصرية لعمارة اليمنى (ص ١١٣ طبع أوربا) .

- وَقَدْ حَصَلْتُمْ عَلَيْهَا ، وَأَسْمُ جَدِّكُمْ * مَهْدٌ وَأَبُوكُمْ خَيْرٌ مُتَعِيلٍ
 مَرَرْتُ بِالْقَصْرِ وَالْأَرْكَانُ خَالِيَةٌ * مِنَ الْوُفُودِ ، وَكَانَتْ قِبْلَةَ الْقُبَلِ
 فَمَلْتُ عَنْهَا بِوَجْهِ خَوْفٍ مُتَقِيدٍ * مِنَ الْأَعَادِي ، وَوَجْهُ الْوُدِّ لَمْ يَمَلِ
 أَسْبَلْتُ مِنْ أَسْفَى دَمِي غَدَاةً خَلْتُ * رِحَابَكُمْ وَغَدَّتْ مَهْجُورَةَ السَّبِيلِ
 أَبِي عَلَى مَأْتِرَاتٍ مِنْ مَكَارِمِكُمْ * حَالَ الزَّمَانِ عَلَيْهَا وَهِيَ لَمْ تَحُلِ
 (دَارُ الضِّيَافَةِ) كَانَتْ أَنْسٌ وَأَفِيدِكُمْ * وَالْيَوْمَ أَوْحَشُ مِنْ رَسْمٍ وَمِنْ طَلَلِ
 وَ(فِطْرَةُ الصُّومِ) إِذْ أَضْحَتْ مَكَارِمِكُمْ ، * تَشْكُو مِنَ الدَّهْرِ حَيْفًا غَيْرَ مُحْتَمَلِ
 وَ(كُسُوةُ النَّاسِ) فِي الْفَضْلَيْنِ قَدْ دَرَسَتْ * وَرَثٌ مِنْهَا جَدِيدٌ عِنْدَهُمْ وَبَلِي
 وَمَوْسِمٌ كَانَ فِي (يَوْمِ الْخَلِيجِ) لَكُمْ * يَأْتِي تَجْمَعُكُمْ فِيهِ عَلَى الْجَمَلِ
 وَ(أَوَّلُ الْعَامِ) وَ(الْعِيدِينَ) كَمْ لَكُمْ * فِيهِنَّ مِنْ وَبَلٍ جُودٍ لَيْسَ بِالْوَشَلِ
 وَالْأَرْضُ تَهْتَرُ فِي (يَوْمِ الْغَدِيرِ) كَمَا * يَهْتَرُ مَا بَيْنَ قَصْرَيْكُمْ مِنَ الْأَسَلِ
 وَالْحَيْلُ تُعْرَضُ فِي وَشِيٍّ وَفِي شِيَةِ * مِثْلَ الْعَرَائِسِ فِي حَلِيٍّ وَفِي حُلِّ
 وَمَا حَمَلْتُمْ قِرَى الْأَضْيَافِ مِنْ سَعَةِ الْأَطْ * بَاقٍ إِلَّا عَلَى الْأَكْثَافِ وَالْعَجَلِ
 وَمَا خَصَصْتُمْ بِرِءَ أَهْلِ مَمْلَكَةٍ * حَتَّى عَمَّمْتُمْ بِهِ الْأَقْصَى مِنَ الْمَلَلِ
 كَانَتْ رَوَاتِبِكُمْ لِلْوَافِدِينَ وَلِلضُّ * يَفِ الْمُنْقِمِ وَالطَّارِي مِنَ الرُّسُلِ
 ثُمَّ (الطَّرَازُ) بِنَيْسِ الَّذِي عَظُمَتْ * مِنْهُ الصَّلَاتُ لِأَهْلِ الْأَرْضِ وَالذُّوَلِ
 وَبِجَوَامِعِ مِنْ أَحْمَاسِكُمْ نَعَمٌ * مِنْ تَصَدَّرَ فِي عِلْمٍ وَفِي عَمَلِ
 وَرُبَّمَا عَادَتِ الدُّنْيَا فَمَعْقُلُهَا * مِنْكُمْ وَأَضْحَتْ بِكُمْ مَحْلُولَةَ الْعُقُلِ
 وَاللَّهِ ! لَا فَازَ يَوْمَ الْحَشْرِ مُبِغْضِكُمْ * وَلَا نَجَا مِنْ عَذَابِ النَّارِ غَيْرُ وِلِي
 وَلَا سَقَى الْمَاءَ مِنْ حَرٍّ وَمِنْ ظَمَأٍ * مِنْ كَفِّ خَيْرِ الْبَرَايَا خَاتَمَ الرُّسُلِ

(١) في المقرئى والنكت العصرية : " من احسانكم " وهى أوضح .

[وَلَا رَأَى جَنَّةَ اللَّهِ الَّتِي خُلِقَتْ . مَنْ خَانَ عَهْدَ الْإِمَامِ الْعَاضِدِ بْنِ عَلِيٍّ ^(١)]
 أُمَّتِي وَهُدَاتِي وَالذَّخِيرَةَ لِي * إِذَا أَرْتَيْتُ بِمَا قَدَّمْتُ مِنْ عَمَلٍ
 وَاللَّهِ لَمْ نُوفِيهِمْ فِي الْمَدْحِ حَقَّهُمْ ! * لِأَنَّ فَضْلَهُمْ كَالْوَابِلِ الْهَاطِلِ
 وَلَوْ تَضَاعَفَتِ الْأَقْوَالُ وَأَسْتَبَقَتْ * مَا كُنْتُ فِيهِمْ بِمَحْدِ اللَّهِ بِاتَّجَلِ
 بَابُ النَّجَاةِ ، هُمْ دُنْيَا وَآخِرَةَ * وَحُبُّهُمْ فَهُوَ أَصْلُ الدِّينِ وَالْعَمَلِ
 نُورُ الدُّجَى وَمَصَابِيحُ الْهُدَى وَهُمْ * مِنْ نُورٍ خَالِصٍ نُورِ اللَّهِ لَمْ يَغْلِبِ ^(٢)
 وَانْتَهَ لَا زُوتُ عَنْ حُبِّي لَهُمْ أَبَدًا * مَا أَخَّرَ اللَّهُ لِي فِي مُدَّةِ الْأَجَلِ
 قلت : وعمارة هذا لم يكن على معتقد الشيعة بل فقيها شافعيًا ، قدم مصر برسالة
 عن القاسم بن هاشم بن أبي فليته أمير مكة إلى الفائز أحد خلفائهم في سنة خمسين وخمسة
 في وزارة الصالح طلائع بن رزيك ، فأحسنوا له وبالغوا في بره ، فأقام عندهم
 وتآلف بهم ، وأتى فيهم من المدح بما بهر العقول ، ولم يزل مواليا لهم حتى زالت
 دولتهم وأستولى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله ، فرثاهم بهذه
 القصيدة ، فكانت آحر أسباب حنقه ، فصاب فيمن صلب بين القصرين من أتباع
 الدولة الفاطمية .

تم الجزء الثالث

ويليه الجزء الرابع ، وأوله ” الحالة الثالثة من أحوال المملكة ،

ما عليه ترتيب المملكة من ابتداء الدولة الأيوبية وإلى زماننا “

(١) از زيادة عن المقرري والنكت المصرية في أخبار الوزراء المصرية لعارة انبى .

(٢) أصل هذا البيت في خطط المقرري والنكت المصرية بيتان وهما :

نور الدجى ومصابيح الهدى ومحل الغيث إن وت الأنواء في المحل

أئمة خلقوا نورا نورهم * من نور خالص نور الله لم يغلب

